


المجلد
الأول
العدد
الرابع
أپولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة في كل شهر
ديسمبر سنة ١٩٣٢
صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكي أبوشادي
الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر
التليفون { ١١٩٦ زيتون و ٤٠٤٥٦

عدد خاص

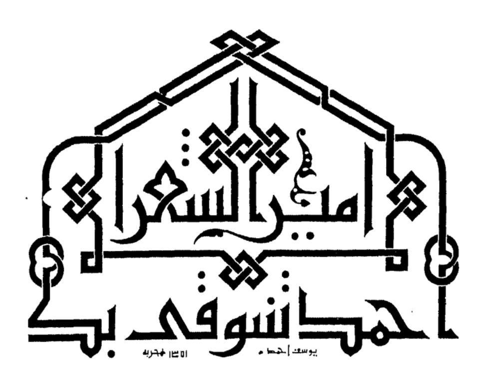
لذكرى المغفور له

احمد شوقي بك



تمثال الفقيد

للمثّـال الاستاذ الحويك



في سكونِ الليلِ ناح البلبلُ   وغداةَ الليـلِ طاحَ الأملُ

وهوى صرحُ النهى بين الأنينْ   والشجنْ

فسرتْ لوعتُه مسْرَى الحنينْ   في البدنْ

ثـكل الشعرُ   وخبا البـدرُ

وبكتْ مصرُ   وجفـا الصبرُ

وطوتْ (شوقي) المنونْ

الوداعَ المـرَّ يا روحَ البيـانْ   في أسى الذكرى وتبريح الحنـانْ

من نفوسٍ لاعَهـا فرطُ النحيبْ   فذوتْ

وقلوبٍ راعهـا حرُّ الوجيبْ   وانتهتْ

نفـذ الأمرُ   وعفا السّحرُ

ومضى العمرُ   فنبـا الفـكرُ

وجرى الدمعُ الهتونْ

محمد فريد عبد القادر

تصدير

ليس أشقّ على الأديب من رثاء الأديب ، فما بالك بتأبين شاعر العربية الأشهر المغفور له أحمد شوقى بك الذى خسر عالم الأدب العربى بوفاته خسارة منقطعة النظير فى عصرنا بل فى عصور كثيرة .

وانّ من البرّ بالأدب الذى كان المغفور له شوقى بك رمزاً حيّاً له ومن البرّ برئاسته لجمعية أبولو أن نصدر هذا العدد الخاص من مجلتنا يوم حفلة التأبين الكبرى التى اشتركت الجمعية فى تنظيمها برعاية وزارة المعارف المصرية ، وما نرمى باصداره الى اكثر من انصاف هذا الرجل العظيم متجرّدين عن كلّ محاباةٍ ، متقدّمين بهذا المجهود الصغير الى محراب التاريخ النزيه .

ولقد كُتب عن الفقيد فى حياته الكثير مما له ومما عليه فلا يعنينا تكرار شيء من ذلك لأن سجلاّته ميسورةٌ للنُّقَّاد ولطلبة الأدب ، ولكن يعنينا هنا وفى مقام الذكرى الطيّبة أن ندوّن نماذج من تقدير الأدباء وشعورهم بهذه الفجيعة الأليمة تاركين لهم الحرية فى حدود اللياقة لتسطير عواطفهم وآرائهم ما دمنا لا نرمى الى غير الحقّ والانصاف ، بعيدين كلّ البعد عن مجاملة أسرة الفقيد حيثما لا تجوز المجاملة . وهو مبدأ حرصنا عليه مع الفقيد ذاته عمراً مديداً ، ونعتبر الحرص عليه الآن ألزم ما يكون حتى يمكن لدارس الأدب فى المستقبل أن يرجع الى هذه الصحائف مطمئناً .

ولقد تلقّينا العديد من المراثى الشعرية والمقالات فحرصنا على أن لا ننشر الا ما يتّفق والمستوى الفنى لهذه المجلة أو مايدانيه بقدر الاستطاعة سواء مما تلقيناه أو مما اطلعنا عليه ، وتخلّينا عما وجدناه بعيداً عن تصوير شخصية الفقيد أو مواهبه أو ما اشتممنا منه رائحة التحامل أكثر من روح التقدير ، ومع ذلك سمحنا بنشر ما اعتبرناه بريئاً من ضروب النقد الأدبى . ولم نبحْ الكتابة المطلقة فى غير تقيّدٍ ما ودون شرط الا لأخصّ آل الفقيد ولسكرتيره الأديب ولكنهم تحاشوا استغلال هذه الحرية .

ولا بدّ لنا من أن ننبّه الى أنّ هذا العدد ليس سوى تمهيد لدراسات متوالية

عن الفقيد العظيم ، كما أنّ هــذه المجلة لن تقصر فى توفية مثل هذه الذكرى لشاعر النيل المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك إذا ما عاونها أصدقاؤه على ذلك .

ولا يسعنا الآن تقديم وافر الشكر الى اسرة الفقيد الكريم والى صحافتنا وعلى الاخص الى الصحافة المصوّرة والى الشعراء والكتّاب الأماجد الذين آزرونا فى اخراج هذا العدد ، وقد حلّيناه بنخبٍ من شعر الفقيد غير المتداول أو الذى لم يسبق نشره الى جانب نشر قصيدته الوصفية البديعة عن هيكل أنس الوجود مع صــورة فنية من ريشة الفنان المصرى البارع شعبان زكى . وغاية رجائنا أن يكون من هذا المجهود بعض العزاء للقلوب الحزينة الثاكلة التى مضّها أن تشهد مصرع الفن والابداع والعبقريه الفــذّة ، وتشتاق الى الاطمئنان الى خلود هــذا الروح العجيب الساحر الذى يطفئه ويخرســه الموت ، وأن تستفيد من عظة الموت البالغة أقصى ما يُستفاد من دروس الحياة والخلود :

فالعبقريةُ لامحلَّ لِكُنْهِها ... أبداً ، وليس جلالها لفناءِ
كلُّ الجمال مطوَّعٌ لجلالها ... كلُّ الوجود يخصُّها بدعاءِ
تحْيَا وتفنىَ ، والحياةُ وضدُّها ... سيَّانِ فى ملكوتها المتنائى

احمد زكى ابو شادى



حياة شوقي بقلمه

كتب المغفور له شوقي بك حياته بقلمه الى أن قطع العقد الثالث من عمره
وقد نُشرتْ في الطبعة الاولى من « الشوقيات »

سمعتُ أبي رحمه الله يرد أصلنا الى الاكراد فالعرب ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وَصاة من احمد باشا الجزار إلى والى مصر محمد على باشا ، وكان جدى وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وانشاء فادخله الوالى فى معيته ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام وهو يتقلد المراتب العاليـة ويتقلب فى المناصب السامية إلى أن اقامه سعيدباشا أميناً للجمارك المصرية . فكانت وفاته فى هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبى فى سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم، وعشت فى ظله وانا واحده اسمع بما كان من سعة رزقه ولا أرانى فى ضيق حتى أندب تلك السعة فكأنه رأى كما رأى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى .

ثم ذكر طرفاً من سيرة جده لوالدته ، إلى أن قال عن نفسه :

أنا إذن عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى ، بجدتى لابى :أصول أربعة فى فرع مجتمعة تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل . الى أن يقول :

أمّا ولادتى فكانت بمصر القاهرة وأنا أحبو اليوم الى الثلاثين.حدثنى سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ على الليثى قال : لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد فقصّ علىّ حلماً رآه فى نومه فقلت له وأنا أمازحه : « ليولدنّ لك ولد يخرق كما تقول العامة خرقاً فى الاسلام » .

ثم اتفق أنى عدت الشيخ فى مرض الموت وكانت فى يده نسخة من جريدة الاهرام فابتدر خطابى يقول : هذا تأويل رؤيا أبيك يا شوقى ، فوالله ما قالها قبل فى الاسلام أحد ! قلت: وما تلك يامولاى؟ قال: قصيدتك فى وصف «البال» التى تقول فى مطلعها :

حفّ كأسَها الحَبَبُ فهى فضـةٌ ذهَبُ

وها هى فى يدى اقرأها ! فاستعذت بالله وقلت : الحمد لله الذى جعل هذه هى « الخرق » ولم يضر بى الاسلام فتيلاً .

أخذتنى جدتى لأمى من المهد وهى التى أرثيها فى هذه المجموعة وكانت منعمة موسرة فكفلتنى لوالدى وكانت تحنو علىّ فوق حنوها وترى لى مخايل فى البر مرجوة. حدثتنى أنها دخلت بى على الخديو اسماعيل وأنا فى الثالثة من عمرى وكان بصرى لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به فقال لجدتى :إصنعى معه مثل هذا فانه لايلبث أن يعتاد النظر الى الارض! قالت:هذا دواء لايخرج إلا من صيدليتك يامولاى ! قال: جيئى إلىّ به متى شئت. إنى آخر من ينثر الذهب فى مصر ! ولا يزال هذا الارتجاج العصبى فى الابصار يعاودنى،وكان المرحوم الشيخ على الليثى كلما التقت عينه بعينى ينشد هذا المصراع للمتنبى :

(محاجرُ مسكٍ ركِّبتْ فوق زئبقِ)

ثم عرض لنشأته الدراسية فذكر أنه دخل مكتب الشيخ صالح فى الرابعة من عمره ، وأخيراً التحق بمدرسة الحقوق فوجد ممانعة من ناظرها بسبب صغر سنه ، ومكث بها سنتين ثم دخل قسم الترجمة وتخرج منه بعد سنتين .

قال : وبينما أنا أتردد على المغفور له على باشا مبارك فى شأنٍ ورد عليه مرسوم من المعية بطلبى اليها فكان سروره بذلك أضعاف سرورى بالنعمة المفاجئة. فذهبت الى السراى وهنالك استؤذن لى على المرحوم الخديو توفيق باشا . فلما مثلت بين يديه ولم أكن رأيته من قبل ولكن مدحته مراراً وأنا فى المدرسة خاطبنى بهذا اللفظ الشريف : « قرأت يا شوقى فى الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية وكنت أنتظر ذلك لألحقك بمعيتى، لكن ليس بها الآن محل خال، فهل لك فى الانتظار ريثما يهىء الله لك الخير » . فاستلمت أذيال العزيز وقبلتها ثم قلت: حسبى يا مولاى أنك قد ذكرتنى من تلقاء نفسك الشريفة، وأى خير يهىء الله لعبدك أفضل من هذا ؟ فأطرق هنيهة وقال: قد سمعت أن أباك عطل من الخدمة فأبلغه اننى ربما أدخلته فى عمل قبلك. ثم تهلل وأذن لى فى الانصراف .

لبثت فى المعية بضعة شهور انتظر فرجاً يأتى به الله. وكان المرحوم على باشا مبارك لم يقطع عنى الراتب إلى أن كان يوم كثر غيمه وتثاقل مطره فخرجت قبيل الأصيل



شوقى بك فى صباه

فى حاجة لى على حمار أبيض كان لوالدى وبينما أنا عائد الى منزلى أجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزيز فى بهو السراى يشرف منه ، فنزلت عن الدابة أمشى كرامة للمليك المطل وأمرت الخادم أن يبتعد بها وأن يلاقينى خلف القصر ثم مشيت على الاقدام حتى إذا انتهيت من الميدان اعترضنى رسول من الأمير يدعونى اليه فوافيت حضرته وانا لا أعرف السبب ، وكان معه ساعتئذ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدى فتحلى الحليم بصورة الغضب وقال : أليس لى أن أطل من بيتى حتى نزلت عن حمارك وألجأتنى إلى الانثناء ؟ قلت: عفواً يامولاى اهكذا أدبنا الأوئل حيث يقول شاعرهم:

وإذا المطىُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجالِ حرامُ

فتبسم ضاحكاً ثم قال : انكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من أيامكم فاسمع للباشافان عنده لك فألا ً، فالتفت الباشا عندئذ إلىّ وقال: الآن أمرنى أفندينا أن أبلغك تعيين أبيك مفتشاً فى الخاصة الخديوية ، وأما أنت فتعين بعد شهر. ثم مد العزيز إلى يده فقبّلتها واجماً ، قد غلب علىّ السرور حتى أنسانى الشعر وكان ذلك وقته !

ثم عرض الفقيد لأول عهده فى وظيفته بالمعية السنية وكيف أراد له الخديو توفيق أن يدرس فى أوربا الآداب الفرنسية والحقوق وكان ينقد ستة عشر جنيهاً نصفها من الخاصة ونصفها من المعية وأعطاه يوم سفره مائة جنيه بعث بنصفها إلى مدير الارسالية ليهىء له جميع ما يحتاج اليه ، ووصف ركوبه البحر لأول مرة إلى مارسيليا على أن يقضى عامين فى مدينة « مونبليه » وعامين فى « باريس » . ولما انقضت السنة الأولى التمس من الخديو توفيق أن يأذن له فى الحضور إلى مصر فأبى عليه أمنيته وأوصاه أن يبقى أربع سنوات كاملة فى أوربا ، وأرسل اليه خمسين جنيها لينفقها فى رحلة يختارها إلى أى بلد سوى مصر، فتقبل دعوة رفاقه الفرنسيين إلى مدنهم المتفرقة فى الجنوب وقضى فيها شهرين ، ووصف ما رأى فى هذه الاقاليم الفرنسية من كرم ضيافة ، إلى أن يقول وصفاً للفلاح الفرنسى :

وعرفت الفلاح الفرنسى فى داره وكنت ألقاه فى مزرعته وأماشيه فى الاسواق فيخيل لى انه قد خلف العرب على قرى الضيف واكرام الجار ، وكان اعجب ما رأيت مدينة « كركسون » : وجدتها قسمين وألفيت القوم عليها صنفين فنهم الباقون الى اليوم كما كان آباؤهم عليه فى القرون الوسطى ، بناؤهم ذلك البناء ولباسهم ذلك اللباس وعاداتهم وأخلاقهم تلك العادات والأخلاق .

وبعد انتهائه من السنة الثانية سافر فى صحبة الطلاب المصريين ومدير الارسالية الى انجلترا على نفقة الخديو توفيق ومكث فى انجلترا شهراً ، ولم يلبث هو واخوانه أن سئموها . وفى السنة الثالثة أصيب بمرض شديد كان فيه بين الحياة والموت وأشار عليه الاطباء أن يقضى أياماً تحت سماء أفريقية فوقع اختياره على الجزائر وكان دليله اليها أحد القضاة الفرنسيين الموظفين بها ، إلى أن يقول :

أما جوّ الجزائر فلا يعدله بين الجواء فى صحوه وطيب نسمته مع توقد شمسه الا جنوب فرنسا ، ولم أتأثر فيها كتأثرى من رؤية المصريين فى القهاوى البلدية إذ

أكثر أصحابها وغلمانها منهم ، إلى أن قال : ولا عيب فى الجزائر سوى أنها قد مُسخت مسخاً ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستنكف من النطق بالعربية ، وإذا خاطبته بها لم يجبك إلا بالفرنسية !



شوقى بك فى شبابه

وبعد أن أقام الفقيد فى الجزائر أربعين يوماً عاد إلى باريس وحصل على الشهادة النهائية. ورأى الخديو عباس أن يبقى ستة أشهر أخرى وعاد الى مصر بعد ذلك . وفى سنة ١٨٩٦م. انتُدب لينوب عن مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف بسويسرا فأقام بها شهراً ثم رحل الى بلجيكا وزار المعرض الذى أقيم فى مدينة « أنفرس » ثم أصيب برمد فى عينيه فسافر الى الاستانه ومكث بها أربعين يوماً .

ويروى كيف سمى ديوانه «الشوقيات» فيذكر صلته وهو يطلب العلم فى باريس بالامير شكيب ارسلان وقد تمنى عليه أن يرى مجموعة شعره وأن يسميها «الشوقيات»، الى أن يقول :

كانت وفاة والدى من نحو ثلاث سنوات فكان لى عجبا أن وجدتُ بين أوراقه شيئاً كثيراً لى من مشتَّت منظومى ومنثورى ما نُشر منهما وما لم يُنشر ، قد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالرصاص ، والكل بخط يد المرحوم وقد لفه فى ورقة كتبت عليها هذه العبارة : «هذا ما تيسر لى جمعه من أقوال ولدى احمد وهو يطلب العلم فى أوربا فكنت كأنى أراه وإنى آمره أن يجمعه ثم ينشره للناس لانه لا يجد بعدى من يعتنى بشؤونه وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والآداب ». فبينما أنا ذات يوم تعب بهذه الأوراق حيران لوصية الوالد كيف أجريها زارنى صديقى مصطفى بك رفعت فحدثته حديثى فسألنى أن أعيره الاوراق أياماً ثم يعيدها الىّ ففعلت ثم لم يمض شهر حتى بعث بها إلىّ وإذا هى قد نُسِخت بقلم سليم يؤيده ذوق صحيح بحيث لم يبق إلا أن تدفع الى الطابع فاخذتها وبودى لو وفيتُ صديقى المشار اليه حقه من شكر الصنع وأنا أقول فى نفسى لئن صدق أبى فى الاولى لقد ظلم فى الثانية فان الخير لا يزال فى الناس .

ثم أورد كيف أسقط من شعره ما لا يحب نشره ووعد بنشر قصائده فى أجزاء متتالية .

***

إلى هنا انتهى ما كتبه الفقيد بقلمه عن حياته وكان قد بلغ فى ذلك الوقت ، وهو ما انقضى عليه أكثر من ثلاثين عاماً ، قمة الشهرة فكان يدعى « أمير الشعراء » فى مصر وغيرها من أقطار العالم العربى ، وما زال الزمن يمضى به ومجده فى امارته يزداد تألقاً ، فان السنين التى قضاها شوقى بعد ذلك كانت حافلة بالعظائم إذ قضى حوالى خمسة عشر عاماً ينشر عيون القصائد فى شتى الأغراض السياسية والاجتماعية وتلقى قصائده من الجمهور فى مصر وغيرها الاعجاب والتقدير. ثم وقعت الحربُ العظمى وتغير وجهُ الحالة السياسية فى مصر وكان حظه من هذا التغيير أن نُفى الى الخارج وقضى من حياته فى المنفى نحو خمسة أعوام لم ينس فيها وطنه وأهله نخلد له ولهم وللتاريخ العربى اثارة من شعره لا تمحى على ذكر الدهور . فلما وضعت الحرب أوزارها عاد شوقى فيمن عادوا الى الوطن ونحا منذ هذا الحين بالشعر والأدب منحى جديداً غير ما كان ماضياً فيه بنفس الهمة والشغف الذى كان يحسه فى صباه وشبيبته، وما زال يعمل لهما حتى اللحظة الاخيرة من حياته .

شوق الوالد

عزيزى الدكتور أبو شادى

طلبتَ الىّ أن أكتب الى مجلة « أبولو » كلمة عن والدى ، وجمعية « أبولو » دين فى عنقى لن أنساه . لن أنسى ما حييتُ منظر أعضاء الجمعية يحملون نعشه ، فيا له من يوم ! ويا لها من ساعة ! أذهلنى فيها هذا النعش وهو يتهادى على مناكبكم ، كما كان يتهادى أبى فى حياته ، بين خلصائه وأصدقائه ! فلا يسعنى حيال ذلك إلاّ أن ألبىّ دعوتك ، وأبعث الى « أبولو » بكلمة أعدّها ديناً أقضيه لوالدى أولاً ، ولجمعية « أبولو » ثانياً !

ماذا تطلب منى عن أبى ؟ . . . وفى أية ناحية من نواحى حياته ؟ . . . العبقرية ؟ النبوغ ؟ الخلود ؟ . . . لن أحدثك عن ذلك شيئاً . أدع ذلك للتاريخ ولمن يحسنون الكلام فيه . ولكنى أجمع لك فى كلمةٍ إحدى نواحيه الخلقية ، وكانت حائط بيتنا وعماد أسرتنا . . . واعفنى أيها الصديق من تفصيل ذكرياتٍ تهتاج فى قلبى لواعج الشجون !

كان أبى يغنى فى حبنا صغاراً ، ويلاعبنا ونلاعبه أطفالاً ثم . . . صادقنا وصادقناه شباناً ـ كان فى ذلك يلقى علينا الدرسَ الذى ألقاه عليه أبوه من قبل ، فكان من أثر ذلك ما قاله فيه يوم مات :

أنامن مات ومن مات أنا !	لقيَ الموتُ كلانا مرتين !
نحن كنا مهجةً فى بدن ،	ثم صرنا مهجةً فى بدنين !
ثم عدنا مهجة فى بدنٍ ،	ثم نُلقَى جثةً فى كفنين !
ثم نحيا فى « علىٍّ » بعدنا	وبها نبعث أُولى البعثتين ..!

* * *

ما أبى إلا أخٌ فارقتُه	ودّه الصدقُ وودّ الناس مين !
طالما قمنا الى مائدةٍ ،	كانت الكسرةُ فيها كسرتين !
وشربنا من إناءٍ واحدٍ ،	وغسلنا بعد ذا فيه اليدين !
وتمشّينا يدى فى يده ،	مَن رآنا قال عنا أخوين !

* * *

رحم الله جدى ! رحم الله أبى !

على شوقى



احمد شوقى بك ونجلاه

فى قصر الحمراء بالأندلس

أثنـــــاء منفاه

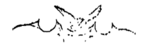
قبيل المنفى

عند ما اعلنت الحرب الكبرى كنا مع والدى فى تركيا فبرحناها على الفور عائدين الى مصر إذ أن الاشاعات وقتئذ فى الاستانة كانت تدل على أن تركيا سوف تدخل فى الملحمة . . . ولكن الحال كان قد تبدل فى مصر ! كذلك نظام الحكم ، فصار يخشى لقاء والدى أصدقاؤه الذين كانوا بالأمس — فى أيام بأسه — لا يتركون له ساعة للراحة من كثرة طلباتهم وحاجاتهم حتى اضطر فى أواخر أيام حكم سمو الخديو السابق الى أن يفتح لنفسه غير الباب العمومى باباً صغيراً متوارياً فى الحديقة ليفر منه ! وقد ذكر لنا أن صديقاً حميماً له شهده — بعد عودته من الاستانة — سائراً فى الطريق فانتقل هذا الصديق الى الرصيف المقابل حتى لا يتهم بمصافحته أحد رجال النظام القديم! لذلك كم قابل والدى بارتياح حكم السلطة العسكرية فى ذلك الوقت حينما كلفته بمغادرة مصر لينجو من الدسائس ولا يتألم بمثل هذه المشاهد ، وهو الشاعر الشديد التأثر والاحساس ، وقد أشار الى ذلك فى قصيدته البائية التى نظمها بعد عودته من المنفى حيث قال :

وداعاً أرضَ أندلسٍ وهذا ثنائى إنْ رضيتِ به ثوابا
شكرتُ الفلكَ يوم حويتِ رحلى فيا لمفارقٍ شكر الغرابا!
فأنتِ أرحتنى من كل أنفٍ كأنفِ الميت فى النزع انتصابا!
ومنظرِ كلِّ خوّانٍ يرانى بوجهٍ كالبغيِّ رمى النقابا!

وأرى أن هذه الظاهرة التى لفتَ نظرى اليها والدى فى صغرى ما تزال باقية بل تغلغلت الى حدٍّ مؤلم وربما كانت مصر هى البلد الوحيد الذى يقبل الناس فيه بعضُهم على بعض بنسبة المنفعة التى يستطيعون أن يحصلوا عليها ؟

حسين شوقى





احمد شـــوقى بك

فى كهولته

اليوم الأخير

(عن صحيفة الجهاد)

استقبل « شوقى » يوم الخميس ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ كما كان يستقبل أمثاله من الايام ، وما درى أن شمس هذا النهار لن تطلع عليه مرة أخرى إلا وهو فى جوار ربه ، وقد رآه أصدقاؤه كما كانوا يرونه فى أيامه السالفة نشيطاً حلو البادرة وإن كانت السنون والاحداث قد أعيته باعبائها فبدا شاحباً كثير التحوط والتخوف. وقد تناول طعام غذائه واستراح متمدداً على كرسيه الى وقت الأصيل فاستقل سيارته للتنزه على سُنّته وبرفقته وكيل أعماله وكاتب شعره الذى يلازمه فى السنتين الاخيرتين فى غدواته وروحاته . وقد طاب له ارتياد الاماكن الخلوية ، فما زالت السيارة تسير به الى ان وصلت طريق السويس فى صحراء مصر الجديدة فرأى أن يترجل مستنشقاً للهواء الطلق .

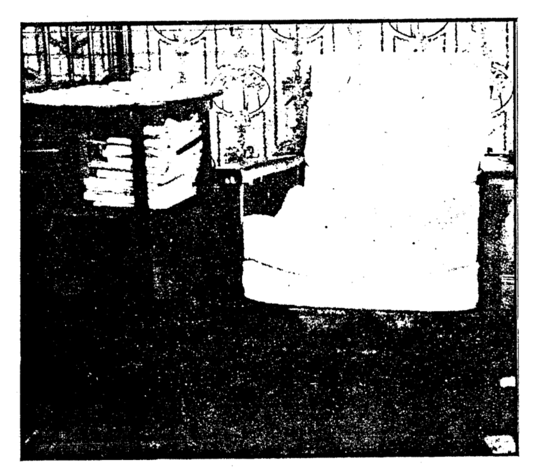
وبعد أن قضى أربه من النزهة ، عاد قاصداً منزل اسماعيل شرين بك كدأبه كل أمسية إذ يسمر مع نخبة من كرام القوم فى مجلس أنيق ، وأكثر من كان يناقشه ويحاوره هناك العالم المهذب فؤاد سليم بك والسيد المفضال اسماعيل شرين بك ، لكن مجلس السمر لم يكن منعقداً فى تلك الليلة ، فعاد « شوقى » راغباً فى تناول طعام العشاء ، وهو منشرح الصدر ، منبسط النفس .

تعشى فى مطعم (سلستينو) على ما جرت عليه عادته أيضاً ، ثم رغب فى أن يتم بقية البرنامج الليلى الذى قلما يحيد عنه ليلة واحدة .

(فى دار « الجهاد » — ليلة الوفاة)

وبقية البرنامج الذى أخذ نفسه به زيارة دار « الجهاد » فلم ينقطع عنها ليلة واحدة ما دام مقيماً فى القاهرة بل هو قد يكررها فى الليلة الواحدة ، وهو لا يفتأ يجد راحة نفسه ساعة يجلس فى حجرة صاحب « الجهاد » ويتحدث اليه ، ثم يتناول قهوته ويستقل سيارته فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيأوى الى فراشه .

وصل دار « الجهاد » حوالى الساعة العاشرة من مساء الخميس ، ولما رأى حجرة صاحب « الجهاد » تموج بالزائرين تلك الليلة رغب فى التحول الى حجرة سكرتيرية التحرير لجلس هناك . وفطن صاحب « الجهاد » الى جلوس « شوقى » فى الحجرة المجاورة فاستأذن من زوّاره وانتقل الى حيث يجلس « شوقى » وجعل يحييه ويسأله عن صحته فيحمد الله عليها ، ثم بدا « لشوقى » أن يدخن سيجارة وأن يقدم أخرى لصاحب « الجهاد » وجلسا يدخنان . وحانت التفاتة من صاحب « الجهاد » فلمح « شوقى » يعالج سعلة خفيفة فاستفسر منه عن أسبابها ورجا أن تكون آثار برد أو تسرب هواء ، فأجابه «شوقى» : انى أشعر بآثار برد فى قصبة الرئة وقد يكون مسبباً عن تغيير الأجواء بين الفصلين . ثم شرب القهوة ، ولم يبد على ملامحه ولا على قسماته شيء غير مألوف . انتهى حديث البرد ثم قال لصاحب « الجهاد » : لعلى أصيب دفئاً فى بيتى الآن فلأتأهَّب للذهاب . فودعه صاحب « الجهاد » كما يفعل

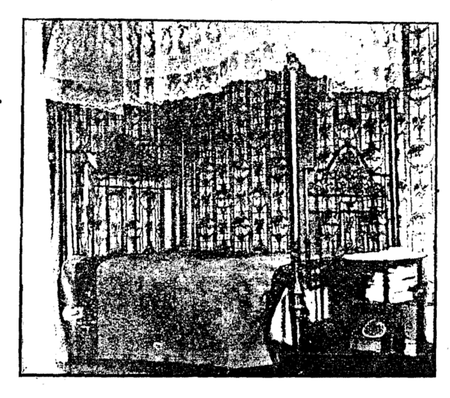


(الكرسى الذى اعتاد الفقيد الاستراحة عليه فى غرفة نومه وبجانبه منضدة كتب)



﴿ جانب من غرفة نوم الفقيد ﴾

وهى التى نظم فيها الكثير من شعره الأخير وكانت أيضاً بمثابة مكتبة له .
وقد قررت أسرة الفقيد استبقاء هذه الغرفة على حالها للذكرى التاريخية



(السرير الذى مات عليه الفقيد)

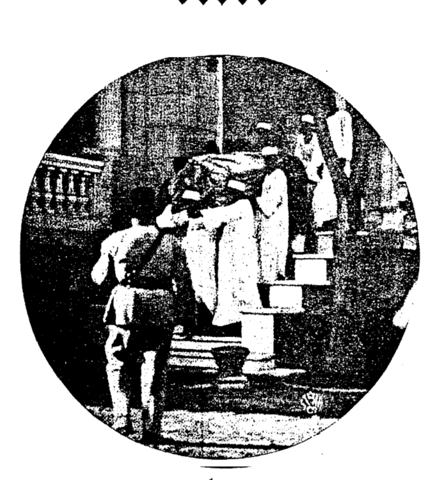
كل ليلة . ولما أشرف على اعتلاء السيارة قال للسائق : رويدك فى السير فان أمامك أربطة من الجنود فى منطقة الجيزة ، وقد شاهدتَ مايفعلون عند مغادرتنا للمنزل . وودّعه على باب « الجهاد » فريق من أسرة دياب بسنهوت ، وسارت به السيارة الى ما ينتظره بعد ساعات .

(فى كرمة ابن هانىء — نوم ويقظة)

بلغ « شوقى » منزله الساعة الحادية عشرة ، وصعد الى مخدعه ، وطفق خادمه الخاص يقوم بخدمته ويهىء له حوائج الليل ثم أرخى عليه سدول الكلة ، وذهب لينام . وما كاد الخادم يدخل فى النوم حتى سمع صلصلة الجرس يستدعيه الى حجرة سيده فقام مسرعاً ، وله عادة قد جرت على ذلك . فلما انتهى الى حجرة النوم رآه مستيقظاً وكانت الساعة الثالثة أو تزيد فشكا بعض ضيق فى التنفس ، وطلب ماء ساخناً وورق كافور ، فبادر الخادم وأحضرهما . غير أن « شوقى » رأى هذه النوبة لا تعالج بعلاجه هو الذى يباشره « بنفسه » ، فطلب الى الخادم استدعاء أحد الطبيبين اللذين يعالجانه دائماً ـ الدكتور بوسكا ، والدكتور جلاد ـ

فذهب الخادم يستدعى بالتلفون الدكتور جلاد ، ثم عاد الى الحجرة ، فرأى سيده يطلب استدعاء أفراد الأسرة وايقاظهم ليراهم تلك الساعة ، فصدع بالامر ، ثم عاد اليه يخبره ان السيدة البارة قرينته ستحضر ، غير أن « شوقى » رأى الفترات الباقية تتلاحق ، وأن الحين وشيك ، فأراد ليقول الكلمة الاخيرة ولو لم يحضر أحد من أفراد أسرته ، قال لتابعه : — انى أشعر بانتهاء أمرى فبلغ يا « احمد » سلامى وتحيتى الى أصدقائى ، وقل ذلك لاحمد أفندى عبد الوهاب فهو يعرفهم . وهنا حضرت السيدة قرينته فاذا هو يسلم الروح الى بارئها . وقد حضر الطبيب ولكن لاتحين علاج ، فقد حُمّ القضاء ، وسكنت تلك الانفاس التى كانت تروّح على الناس فى فترات الحياة كلما اشتدت نكباء الدنيا

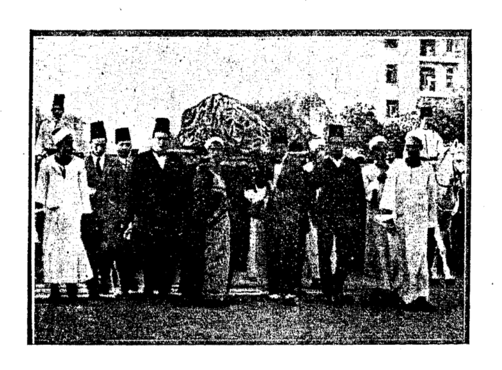
◆◆◆◆◆



﴿ نعش الفقيد محمولاً من داره ﴾



جنازة الفقيد



نعش المغفور له شوقي بك

﴿ وَحَمَلَتُهُ من أعضاء (جمعية أبولو) ﴾

إثنى عشر عاماً
فى صحبة أمير الشعراء

سيدى الدكتور رئيس تحرير مجلة « أبولو »

أأشكرك أم أعاتبك ؟

أبت همتك الجبارة أن ترحم ضعيفاً مثلى فى ظرف طار فيه لبه بدداً ، وحار فكره فزعاً ، فطلبت الى كلمة عن مولاى فى وقت ليس بيسير على فيه غير الجزع الذى عطل الذاكرة الا من أسبابه .

ومرت الأيام وما كنت بسبب هذه الحالة لك وفياً ، فحسبت ضعفى على ذنباً وعددته جرماً ، والله يعلم أنى ما أذنبت ولا أجرمت وما كنت الا لرحمتك وتسامحك أهلاً .

عدت الى ذاكرتى استنجدها منك واليك فاذا هى تطالعنى بنباريس ذات هالات وأضواء ، أو هى أشعة من النور تقابل أشعة السماء ، وما كانت هذه الاشعة والاضواء الا سجايا مولاى أمير الشعراء .

فقد وعى رحمه الله فضائل الامم فى صدره وأبرزها عرائس حكمة وأخلاق ، ثم زفها الى عصره فاذا هى ثمرة الدهور وخلاصة الحكم فى كل العصور .

فاذا كنت يا سيدى الدكتور يريدنى أن أتكلم عما أعرفه من نواحى العبقرية فى مولاى وهى كما تعلم أنت ويعلم كل المعاصرين واسعة الأرجاء متعددة النواحى بعيدة الأطراف ليس من اليسير أن يطاف بها فى كلمة قصيرة وانما يكون ذلك اذا فسح لنا الوقت فى كل ما يتطلبه الانصاف لهذه العبقرية الفذة فى التاريخ وأفسحت لنا جانباً من كرمك فى صحفك .

أما اذا كنت يا سيدى تريدنى أن أتكلم على ناحية خلقه العالى الرفيع فوالله لقد لازمته ملازمة الظل فلم أقع منه فى سر ولا فى جهر على ما ينفر الذوق المكال ويشمئز منه الطبع السليم .



احمد افندى عبد الوهاب

فقد كان رحمة الله عليه عفّ اللسان نقيّ الضمير وديع القلب مؤدب الظاهر والباطن باراً بأهله ؛ كثير الحدب على الضعفاء والمساكين ، فما رأيته عبس فى وجه على ندرة ذلك جداً حتى أسرع الى استرضائه واستمالة قلبه ، وما رأيته الا مبتسما يبعث النصح فى غير عنف فيقوى به الضعفاء ويثبت الاقوياء . أما قوله فلم يك قاصراً على ما يسطر فى صفحات الكتب وما يدبج فى القصائد . كلا ! وانما كان له فى مجالسه الخاصة ما تتشنف به الآذان وتتحلى به الأجياد وتسطره على شغافها القلوب .

ولن يفوتنى أن أختم كلمتى القصيرة هذه بشكر حضرات اعضاء (جمعيه ابولو) على ما قاموا به نحو فقيدنا العظيم ، وأعد حضرة رئيس تحرير مجلتها بالعودة اليه بكلمات فى الاعداد القادمة اذا تقبل عذرى الحاضر ووعدى القابل ؟

احمد عبد الوهاب

* * *

من مذكراتى عن الفقيد

﴿ فى ميدان البرج ببيروت ﴾

كنتُ ومولاىَ فى بيروت سنة ١٩٣٠ وفى صباح يوم من أيام شهر يوليـة حبّب إليه أن يجلس فى قهوة تجار بميدان البرج . ولم نكد نأخذ مجلسنا حتى طلع علينا رجلٌ يهبّ الزهوُ من أردانه ونكاد نلمس الغرور متورماً فى أوداجه ؛ وأبى هذا المخلوق إلا أن يأخذ مكانه على منضدة بقرب التى نجلس إليها ، ولم يستقر به الجلوسُ حتى أطلق يديه بالتصفيق الصاخب حتى إذا جاء الجرسونُ أمره فى غلظة وخشونة باستحضار أرجيلة « شيشة » ! فاسترعى هذا الرجل وحركاته ونبراتُ صوته الجافة انتباه مولاىَ الذى كان يخيل إلىّ ساعتئذٍ أنه يتأهب للنظم . فالتفت إلى وقال : يظهر أن هذا الرجل « سارق امرأة » ! قلت : وكيف ذلك ياسيدى ؟ قال : لأنى رأيته يشبه الرجل الذى سرق امرأته ؟ ثم ابتسم وقال : كنت هنا من عامين وكان معى سليمان افندى فوزى صاحب الكشكول والاستاذ عبد الوهاب فدعانا أحدهم لزيارته فى قريته الواقعة فوق الجبل ووعدنا أننا إذا زرناه سيشنف آذاننا بسماع صوت امرأة حسنة الصوت ، وزاد فى ترغيبه لنا فقال : وهى المرأة التى سرقها زوجها الحالى من زوجها الأول وفرّ بها من السودان عائدين الى بلادهما الأصلية وهى لبنان ، فكل هذا من أجل صوتها !

فرغبنا طبعاً فى سماع هذه المرأة المسروقة وفى سماع هذا الصوت الذى يغرى على سرقة امرأة من زوجها ! وفعلا ذهبنا الى زيارته وسمعنا المرأة ؛ وكان صوتها لا بأس به وإن كان لا يبعث على سرقتها ! وليس فى كل هذا شىء ؛ ولكن الأمر العجب هو أن المرأة كانت تغنى احدى قصائد « الشوقيات » ؛ فقال أحد رفاقنا : انها لطيفة الذوق باختيارها هذه القصيدة تحيةً لصاحب « الشوقيات » .

وحصل أنها أخطأت فى الالقاء خطأ أمّيّاً فالتمسنا لها العذر وعزوناه الى الملحّن الذى حفّظها .

وبعد انتهائها من الغناء جاءت الى جانبنا فسألها أحد أصحابنا : منْ الملحن ؟ فقالت : « ابن عمى » تريد زوجها ، فعجبنا ! فسألها آخر : ومَن المؤلف يا ترى ؟ فما كان أشدّ دهشة رفاقنا حين أجابتهم : وأيضاً إبن عمى هو المؤلف !



﴿ شوقى بك فى أواخر عمره ﴾

صورة تذكارية بين صديقه الموسيقار محمد افندى عبدالوهاب

(عن يساره) وسكرتيره الخاص احمد افندى عبدالوهاب (عن يمينه)

وكان زوجها آخذاً كرسيّه فى ناحية من الحجرة التى نسمر فيها جالساً عليه جلسةَ الزهو والفخار ، فسأله أحد الصحاب قائلا : هل هذه القصيدة من تأليفك ياسيدى ؟ فما كان منه إلا أن ألقى برأسه الى الخلف ونفث كلّ ما فى فمه من دخانِ النرجيلة وهزّ برأسه أى نعم !

فالتفت إلىّ صاحبى لفتةَ المتعجّب ! فقلت : إنه ليس ببعيد على سارق امرأة أن يسرق قصيدةً !

احمد عبد الوهاب

(هذه النبذة الشائقة من مذكرات احمد افندى عبد الوهاب عن المرحوم شوقى بك تنم عن قيمة هذه المذكرات من الوجهتين الأدبية والتاريخية . وستشمل بين محتوياتها العديدة آراء الفقيد فى بعض رجالات مصر وسوريا ، ورأيه فى خطته السياسية والوطنية ، ونظرته فى مؤهلات الزعامة ، ورأيه فى نقد خصومه ، وكيفية نظمه الشعر وأوقات ذلك ، مع صور عديدة له وقصائد لم تنشر من قبل . وسنعلق على هذا التأليف الشائق بعد صدوره وبعد اطلاعنا عليه — المحرر) .





﴿ شوقى بك فى شيخوخته ﴾
جالساً فى إحدى شرفات كرمة
ابن هانى بالجيزة

تأبين الفقيد يوم الوفاة

(١) مرثية محرر ابولو

(نشرت فى جريدة المقطم)

أهذا هو الجسمُ الذى كان انسانَكْ … أهذا هو الكنزُ الذى عُدَّ جثمانَكْ ؟

أهذا هو الظلُّ الذى كنتَ ساكناً ؟ … أهذا هو السفرُ الذى ضمَّ ديوانَكْ ؟

أهـــذا مآلُ العبقريةِ بَعْـدَ ما … أدمتَ لسحرِ العبقريةِ ألحانَكْ ؟

فُجِعْنَا بهذا الخطبِ فيكَ ، وانَّه … عميمٌ ، وما استثنيتُ مَنْ أنكروا شانَكْ

أنْ لم نكنْ بالأمس نبسمُ للمُـنَى … لديكَ ، وكم خانَ الزمانُ الذى خانَكْ

كأنا جُمِعْنَا للوداعِ فيا أسَى ! … ويا لَوعةَ الفنَّان يشهدُ فقدانَكْ

ختمتَ كتاباً للحياةِ وإنْ تكنْ … خططتَ لسفرٍ آخرٍ منكَ عنوانَكْ

وإنْ أسرفَ اللُّوَّامُ لوماً فاننى … إذا سألَ التاريخُ أذكرُ احسانَكْ

بكيتُ ، وقد جاء النَّعِيُّ يُشيرُنى … بـكاءَكَ فى المنفى تُسائل أوطانَكْ

وانّى الذى يَنْسَى الاساءةَ راضياً … وهيهات أن أرضَى كغيرىَ نسيانَكْ

فوانجبى ممن برَى الحقدُ قلبَهُ … وآثرَ حتى فى المنيةِ عُدوانَكْ !

وما أنتَ بَعْدَ الموتِ الا كجنّةٍ … فما تلهبُ النيرانُ للحقدِ نيرانَكْ

رحلتَ بايمانِ التقىِّ فلم تَخَلْ … وحَسْبُكَ الديَّانُ أن صُنْتَ ايمانَكْ

وما هدَّهُ استهتارُ عيشٍ مُنوَّعٍ … كأنَّكَ فى الحالَيْنِ حالفتَ ديَّانَكْ !

وفى ذمّةِ العرفانِ ما قد بذلتَهُ … اذا رفضَ الحُسَّادُ للمجد عرفانَكْ

أحَبُّ جمالٍ كنتَ تُسديه للورى … صحائفُ للتاريخِ أشبعْنَ ألوانَكْ

وآياتُ أنغامٍ بلفظٍ مسلسَلٍ … فكلُّ قصيدٍ زفَّ كالراحِ أوزانَكْ

اذا لم تُطِعْهُ الرُّوحُ يَفتِنُ مسمَعاً … ويُعطى لموسيقى الملاحةِ وجدانَكْ

ومَنْ ذا الذى يَنْسَى خيالاً موزَّعاً … على الكونِ حتى صرتَ تخلقُ أكوانَكْ ؟!

مواهبُ شتَّى إنْ غُرِرْتَ بقدرِها … وأكبرتَ مِنْ بعدِ التَّفرُّدِ بنيانَكْ

فهل أنتَ الا آدمىٌّ وإنْ تكنْ … عظيماً ، وقد أثقلتَ فى الحُكمِ ميزانَكْ ؟!

حكيمٌ بشعرٍ لا بحُسْنِ سياسةٍ … لذلكَ قد ضاعفتَ فى العيشِ أحزانَكْ

فنمْ هانئاً ، بل طُفْ بدنيا جديدةٍ — مِنَ الشّعرِ وانظرْ فى خلودكَ شُهبانَكْ
وخلِّ لنا فى حكمةِ الموتِ هذه — كثيراً من الاعباء ما كُنَّ شُغلانَكْ
تَحَدَّ جَريئاً مَنْ تحدَّاكَ كى يفى — الى الادب العالى بعافاتَ حُسْبَانَكْ !
فهذا وهذا وَحْدَهُ صدقُ همَّةٍ — والا فلقِّنْ راحةَ النَّومِ أجفانَكْ !
ودع تُرَّهَاتِ الشانىءِ الساخطِ الذى — يُجَرِّدُ شعراً صُغْتَ مِنْ كل ما زانَكْ
ودعنى اكرِّرْ شكرَ قلبى وحسرتى — ووداً على الايام لم أسْلُ سُلْوَانَكْ
مَضَيْتَ كَمُلْكٍ باذخٍ هُدَّ أصلُهُ — ولكنْ له ذكرى تُصاحب إرْنَانَكْ
وخلَّفْتَ ميتاً بين قدحٍ ومدحةٍ — وحسبُكَ عُمراً حين تملأ أزمانكْ
وكم مِنْ دَعِيٍّ منكرٍ فيكَ آيةً — وغايته ألاّ يُبَلِّغَ أكفانَكْ !

احمد زكى ابو شادى



(٢) مرثية رئيس تحرير الجهاد

فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم ، (الجمعة ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥١ هجرية الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ميلادية) أو قبل هذه الساعة بدقائق استأثر الله بأمير الشعراء .

وفى هذه الساعة عادت الى بارئها تلك الروح العبقرية التى أرقصت قلوب الامم العربية جيلين من الزمان بفنونٍ من الشعر أو نفثات من السحر لاتجود الفطرة بمثلها على أصحاب المواهب إلا فى قليل من العصور .

* * *

شوقى مات ! مات كما مات أخوه حافظ ولمّا ترقأ دموع الباكين على أدبه وعلى شمائله وصفاته ، فجاء موت أمير الشعراء جرحاً دامياً على جرح لم يندمل بعد .

مات كما مات حافظ على غير مرض سابق ولا علة قديمة . وهكذا أبت الاقدار الاان تسلب العالم العربى أنضر زهرتين كان يتضوّع أريجهما فى كل بلد ينطق بالضاد، وهكذا أبت الاقدار إلا أن تسلبنا أعظم درتين فى تاج الأدب ، وأن تسلبنا اياها بغتةً وعلى غير أهبةٍ لاحتمال المصاب .

* * *

ثكلت العربية شوقى صبيحة اليوم بعد ان ثكلت حافظاً . فواحرّ قلب العربية على الفقيدين ! مات شوقى فليبكه الفتيان والشيوخ ، ولتبكه الأوانس والسيدات فى مصر وفى أخواتها العربيات ، فقد كان شعره قطعاً موسيقية بارعة من وحى العبقرية يتغنى بها أبناء هذه اللغة العزيزة وبناتها فى كل حين وفى كل مكان .

ذهب شوقى فانقضى بذهابه عهد الفحول من الشعراء الذين أحيوا فى عصرنا الحديث مجدَ الاقدمين .

مات الذى أورث العربية مجداً تالد ، وزادها فيضاً خالداً على فيض خالد . وهـذا ديوانه الفخم فى مجلدين يملآن النفوس إكباراً والقلوب بهجة بما يحتويان من بدائع القول الخالد وأشتات المعانى الرائعة وأفانين الأسلوب الممتنع الا على أمراء الصياغة المطبوعين .

وهـذه رواياته المسرحية الأخيرة يكفى بعضها برهاناً مبيناً على العظمة الباقيـة على وجه الزمان .

مات شوقى فانتظم فى سلك الخالدين . وكم يكون موت العباقرة ، نعم كم يكون فناء أشباحهم أول خطوة تخطوها أرواحهم فى سبيل الخلود بما تتوارثه الاجيـال المتعاقبة من آثارهم التى لا تفنى ولا تنساها سـلالات المستقبل مهما اسـتحالت الاحوال وتطاولت الدهور .

ولعل معانى العظمة فى شوقى لن تزداد بعد موته الا وضوحاً وجلاء : ذلك ان ورثة آثاره من أبناء هذا الجيل والاجيال القادمة سيشتغلون بشاعريته الفذّة عن شؤونه العرضيـة الاخرى ، وذلك أن الناس لن يهمهم كيف كان يأكل شـوقى ويشرب ، ولا كيف كان يلبس ويظهر بين الناس ، ولا ماذا كانت رغائبه ومطامحه ، ولا ماذا كان يحب من دنياه أو ماذا كان يكره . وانمـا الذى سيهم الوارثين لآثار شوقى من عشاق الأدب فى الامم العربيـة هو نفاسـة ما ترك من كنوز عبقريته وذخائر أدبه . فهذه هى الباقية ، أما ماعداها مما كان لشوقى او عليه فى أيام العمر الفانية فقد انقضى أمره بانقضاء الاجل . ومن فضل الله ونعمته على الناس ان يجعل أسمى ثمرات المواهب البشرية ملـكاً باقياً للانسانية لا تناله يد الفناء ، فى حين تنقضى الامور الثانوية العارضة بانقضاء أيام الحياة !

فليقل من يشاء فى دنيويات شوقى ما يشاء . ولكن للادب دولة عالية العروش سينادى منادى الخلود من فوق منارتها العليا : لقد مات أمير الشعراء غير منازع ! لقد مات شوقى ! فليبكه المصريون ، وليبكه العرب فى كل بلد عربى أويقطنه عربى ، وليبكه المسلمون فى أنحاء المعمور ، فقد كان شوقى شاعر العربية وشاعر الاسلام ، وكان أثمن درة فى تاج الادب ، وقد انتزعت هذه الدرة فى منتصف الساعة الرابعة من صباح اليوم !

الى عالم الخلود ! الى جوار حافظ ! لقد رثيته فكان مطلع مرثيتك :

قد كنتُ أوثرأن تقولَ رثائى يا مُنصفَ الموتى من الاحياءِ

والآن تنعمان باللقاء ولم يطل الفراق !

الى عالم الخلد يا أمير البيان ، تشيعك الأكباد الحرى والدموع الجارية والقلوب التى مهما خفقت بعرفان أياديك على أبناء العربية فى مدى جيلين من الزمان ، فلن تؤدّى لك ما أنتَ أهله أيها الراحل العزيز ، أيها العظيم الخالد ، من الشكر والحمد والثناء .

رحمة الله عليك ياشوقى ورضوانه وبركاته الطيبات ؟

محمد توفيق دياب



(٣) مرثية رئيس تحرير البلاغ

من أيام قليلة ودّعتْ مصر حافظاً واليوم تودّع شوقى ، فلا عجب إن هى فتّ الاسى فى عضدها وتخاذلت قواها وأحست كأن الردى يحاربها فى خير أبنائها وكأن قلبها من هذه الحرب يكاد ينخلع . وقد كان شوقى بيننا الى أمس ، بل الى شطر من الليل ، كأحسن ما يكون صحةً وأطيب ما يكون حديثاً ، تريض وزار وعقد مجالس الأدب التى يعقدها كل ليلة ، ثم عاد الى داره لا يشكو ألماً ولا يفكر إلا فى ما قد ينفح به الأدب غداً ، ثم نام هادىء النفس ونامت معه آماله فى الغد ، ثم ها نحن أولاء نفتقده فى صباح هذا الغد فيقال لنا إن الردى عدا عليه فطواه ، فما ندرى

أنبكيه أم نبكى أنفسنا ، ونجزع من دنيانا هذه الخؤون أم نزدريها! وهى فى الحق خليقة بأن تزدرى ، وشوقى خليق بأن نرسل من ورائه الدموع .

لم يكن شوقى شاعراً وكفى ، بل كان مجداً لمصر فى عصره كله . وعصره هذا يمتدّ من أخريات عهد اسماعيل باشا الى اليوم ، فهو يبسط جناحيْه على نصف قرن كامل تقلبت فيه على الشعر والأدب أطوار ، منها اللين ومنها العنف ، فما ونى شوقى فى واحد منها ، ولا كان الا السابق فيها جميعاً ، حتى اذا عقدت له رياسة الشعر بعد ذلك لم تكن هذه الرياسة مرتبة يرفع اليها بل كانت شهادة بالمرتبة التى وصل اليها. ولم تقف هذه الرياسة عند حدود مصر بل تجاوزتها الى كل بلد ، فصارت رياسته بذلك رياسة لمصر وصار مجده مجداً لمصر . وقد نبحث فى تاريخ الأدب العربى كله فلا نجد لوطننا من الرياسات فيه إلا القليل النادر ، وقد تكون رياسة شوقى أكثرها كلها إجماعاً وأشدّها بروزاً .

وقد كان شوقى فى أول نشأته شاعراً يمدح وينسب ، وكان قد تعلق بالخديو السابق فجعل أغلب شعره فيه . وكان الخديو يعمل لاذكاء الروح الوطنى فانطبع شعر شوقى بهذا الطابع وظهرت له حينئذ روائع سوف تبقى ما بقى فى الدنيا شىء يسمى الأدب . أماسيه فى ذلك العهد فهو مما يمتزج بالقلب ويجرى مجرى الامثال . وتقلبت على مصر بعد ذلك احداث وأُبعد شوقى إلى الاندلس ثم عاد فشرع يشق بالشعر طريقاً جديداً فوضع رواياته من ناحية وأغانيه من ناحية أخرى ، ففتح فى الأدب الحديث فتحين وأثبت أن الشعر العربى يستطيع أن يحاكى الشعر الافرنجى وأن يكون على المسرح لسان العاطفة والتهذيب كما هو فى القصائد لسان المدح والرثاء والنسيب . وبهذا ملأ شوقى كل جوانب الأدب ، ووضع على رأسه تاجاً لم يضعه شاعرٌ عربىٌّ قبله ، وحق لمصر أن تفخر بأن ابنها هو الذى كسب هذا التاج .

فهذا الجثمان الذى يحمله النعش اليوم هو جثمان رجل كان مجده الأدبى مدى خمسين عاماً مجداً لبلاده ، ومجداً للغته . وسوف يبقى هذا المجد لاتزيده الأيام إلا علواً ولا تزيد معدنه إلا نصوعاً ما بقى شعرٌ وأدبٌ . وسوف تتدارس الأجيال المقبلة رواياته كما يتدارس أبناء أوروبا الآن روايات شاكسبير وراسين وكورنيل . وسنذهب نحن ويذهب كل أصحاب الغنى والجاه فتطوينا الأيام جميعاً ويبقى شوقى علماً يُذكر به العصر الذى عاش فيه .

فلينم شوقى هادئاً فى قبره فقد أدّى واجبه ومرّ فى الدنيا كما لم يمر قائد ولا فاتح، وهذه الدمعة عليه دمعة آسٍ لفراقه راثٍ لفجيعة بلاده فيه . فرحمه الله وأسكنه الجنة وخفف مصابنا فيه ؟

عبد القادر حمزة



(٤) مرثية الدكتور على العنانى

ألقيت على قبر الفقيد

الدوام لله وحده ، وكلُّ نفس ذائقة الموت ، وان الى ربك الرجعى ، وفى جواره خلود الطاهرين .

مات شوقى ولا نعلم رزءاً مثل رزئنا فيه ولا حزناً كحزننا عليه .

مات شوقى فصعدت روحه السامية الى عالم السعادة المحضة والخلود ، وواريناجثمانه فى باطن هذا الثرى يتجاذبنا ألمٌ لا حدّ لقسوته بمواراة رفاته ، وشملتنا غبطة بصعود روحه الى جوار ربه فى عالم الخلد السعيد .

مات شوقى فاصبح للانسانية كهوميروس وهوراس وكتاليس وديكرت ، ولكن هؤلاء جميعاً يُذكر كل واحد منهم بانه قد ابتدأ عصراً فى الادب أو الحكمة . وشوقى ابتدأ حياته الشعرية عصراً زاهراً فى تاريخ الادب العربى وابتدأ نهايته فى هذا اليوم وفى تلك اللحظة القاسية عصراً أدبياً آخر مشبّعاً بروحه الصافية وخياله الشعرى والهامه الحكيم سيرويه التاريخ الادبى . وانا قد تلقيناه تراثاً خالداً ثميناً من شوقى العظيم تحافظ عليه وتنميه « جمعية أپولو » أو أسرة الشعر الحى ، وجميع الهيئات الأدبية فى العالم العربى وفى طليعتها « رابطة الادب الجديد » وفروعها فى الشرق .

نعم مات شوقى ! ففى ذمة الله أيها الراحل العظيم وفى وديعته يارَبّ الشعر الحىّ ويازعيم النهضة الأدبية العربية ورئيس «جمعية أپولو» وركن « رابطة الادب الجديد» . اللهمّ الهمنا فيه الصبر ، ووفّقنا لخدمة ما تركه لنا من تراث خالد ثمين فى الادب والحكمة ، وعظم الله أجركم ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ؟

على العنانى

(٥) مرثية الدكتور ناجى

(أُلقيتْ على قبر الفقيد)

قلْ للذين بكَوْا على (شوْقى) النادبين مصارعَ الشهْبِ
والهفتاهُ لمصرَ والشرْقِ ولدولةِ الاشعارِ والأدَبِ !
دنيا تَقرُّ اليومَ فى لحدِ وصحيفةٌ طُوِيَتْ من المَجْدِ
ومُسافرٌ ماضٍ الى الخُلْدِ سَبَقَتْه آلاءٌ بلاَ عَدِّ !
هذا ثرَى مصْرَ الكريمُ ، وكمْ أكرمتَهُ وأشدتَ بالذكر
يلقاكَ فى عطفِ الحبيبِ فنمْ فى النُّورِ لا فى ظُلْمَةِ القبْرِ !
كم من دفينٍ رُحتَ تُحييهِ وبعَثْتَه وكففْتَ غُرْبَتَهُ
فاحْلُلْ عليه مكرَّماً فيهِ يا طالما قدَّسْتَ تُرْبَتَهُ
يا نازلَ الصحراءِ موحِشةً ريّانةً بالصمتِ والعَدَمِ
سالتْ بها العَبَراتُ مجهشةً وجرتْ بها الاحزانُ من قِدَمِ !
هذا طريقٌ قد ألفناهُ نمْشِي وراءَ مُشَيَّعٍ غالِ
كم مِنْ حبيبٍ قد بَكَيْناهُ لم يُمْحَ من خُلْدٍ ولا بالِ
لكنَّ يومَكَ فى فجيعتهِ هو أولُ الأيّامِ فى الشجَنِ
وكأنَّما الباكى بدمعتهِ ما ذاقَ قبلكَ لوعةَ الحَزَنِ !
فاذهبْ كما ذهبَ الربيعُ مَضَى قد شيَّعَتْه مدامعُ الزَّهَرِ
واهدأْ كما هدأَ النسيمُ قَضَى فى هدأةِ الأضواءِ والشَّعَرِ
ما كنتَ الا أمةً ذهبتْ والعبقريةُ أمّةُ الامَمِ
أو شُعلةً أبصارَنا خلبتْ ومَنارةٌ نُصِبَتْ على عَلَمِ
يا راقداً قد بات فى مَثْوَى بَعُدَتْ به الدُّنْيا وما بَعُدَا
أين النجومُ أصُغْ كما أهْوَى شعراً كشعركَ خالداً أبداً ؟!
لكنَّ حُزْنى لو علمْتَ بهِ لم يُبْقِ لى صَبْراً ولا جُهْدَا
فاعذرْ الى يومٍ نفيكَ بهِ حقَّ النبوغِ ونذكرُ المَجْدَا

ابراهيم ناجى

(٦) مرثية السيد التفتازانى

(أُلقيتْ على قبر الفقيد)

اللهمّ قدرنا على مقابلة القضاء بالرضا ، وارزقنا الاجر بالصبر ، وبصرنا بجلال الموت ، وأشرقْ علينا بنور عطفك حتى ينير ما غشيته الظلمة من أبصارنا بهول هذا المصاب الصادع !

مات شوقى ، فانطوى جيلٌ من أجيال العربية ، وأغمد سيفٌ من سيوف الاسلام ، وأُنزل علمٌ من أعلام الشرق عن سارية العظمة والعبقرية ؛ فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ليس شوقى بأمير الشعراء ومقدمهم فحسب ، ولا بذلك الينبوع الذى استقت منه يوانع الجيل المزدهرة ، ولا بذلك النور الذى ملأ الدنيا ، ولكنه بلا شك المظهر الاقدس لمنة الله فى عالم الأدب ، والحسنة الخالدة لمصر فى نهضتها الادبية ، بل هو الروح التى جمعت أشتات الجسد الواحد ، فهو الرباط الوثيق بين مصر وبين جميع الناطقين بالضاد ، بل هو فوق ذلك مجمع مفاخر أمة فى رجل .

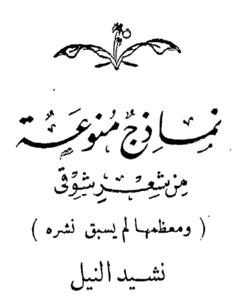
سيوفِّى الشعراء عميدَهم حقّه من رثاء وكذلك سيصنع الكتاب اذا ما استبقت اقلامهم الواجب يؤدونه لامام من أئمتهم ، ولكن موقفى أنا من شوقى ـ وقد لقى ربه ـ موقف المبشِّر له بغفران الله ، فقد كان شوقى حسيباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته الطيبة الطاهرة ، إذْ لايخلو شعره الخالد من نفحة من نفحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الاشادة بذكرى آله وعترته ، فقد شاطرهم فى نهج البردة مصابهم الخالد وصورهم فى مجمل شعره بالصورة الطبيعية لهم ، مباهياً بهم ، مفاخراً بأرومتهم ، مصوراً لمبلغ تضحياتهم فى سبيل الاسلام والمسلمين .

من هذه الناحية يعتبر أهل البيت فى انحاء الدنيا أنهم أصيبوا فى الصميم بفقدان شوقى ، فقد كان الفرد الجامع المنافح عنهم المتمسك بالعروة الوثقى فى محبتهم .

أما المسلمون فقد وجدوا فى شعر شوقى سوراً منيعاً وقاهم فى ظروف كثيرة عبثَ الهدّامين وثرثرة الدسّاسين الذين لايرقبون فى الاسلام إلاًّ ولاذمةً ، وها كم ديوان شوقى ، بل ها كم سائر شعره ، استذكروه لتروا مبلغ ما وفى به للاسلام كدين وللمسلمين كاخوان فى الله .

أمّـا أبناء العربية جميعاً ، فستعلمون مبلغ ما نـكبهم به الدهر فى هـذا المصاب الصادع ، حين تتجاوب اصداؤه فى الشام والعراق واليمن وسائر انحاء المغرب من طرابلس الى أقصى مراكش ، وسيعتبر كلُّ من لامسَ ذوق شوقى فى أدبه ، وكل مقدر لشخصيته الفذة فى هذا الجيل انه أصيب بفقدان شوقى فى سويداء القلب .

أنزله الله منازل رحمته وحشره فى عـداد من أحبهم من الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين ، وحسنَ اولئك رفيقاً .



نماذجُ منوعَـةُ
من شعـر شوقى

(ومعظمها لم يسبق نشره)

نشـيد النيل

النيلُ العذبُ هو الكوثرْ والجنّةُ شاطئُه الاخضرْ
ريّانُ الصّفحةِ والمنظرْ ما أبهى الخلدَ وما أنضرْ !

* * *

البحرُ الفيّاضُ القُدسُ السّاقى الناسَ وما غرَسُوا
وهو المنوالُ لما لَبسُوا والمنعِمُ بالقطنِ الأنورْ

* * *

جعلَ الاحسانَ له شرْعاً لم يخلُ الوادى مِنْ مرْعىَ
فترى زرعاً يتلو زرعاً وهُنا يُجنَى ، وهنا يُبذَرْ

* * *

جارٍ وُيرَى ليس بجارِ لأناةٍ فيه ووَقارِ
ينصبُّ كتلٍّ مُنهارِ ويضجُّ فتحسبه يَزْأرْ

* * *

حبشيٌّ اللونِ كجيرته مِنْ مَنْبعه وبُحَيرَته
صَبَغَ الشطّينِ بسُمْرَته لوناً كالمسكِ وكالعنبرْ!

الوطن

عُصفورتانِ فى الحجا زِ حلّتا على فَنَنْ
فى خاملٍ من الرّيا ضِ، لا ندٍ ولا حسَنْ
بينَاهما تنْتَجيا نِ سحَراً على الغُصُنْ
مرَّ على أيكهما ريحٌ سرَى من اليمَنْ
حَيَّى وقال: دُرَّتا نِ فى وعاءٍ مُمتَهنْ!
لقد رأيتُ حولَ صنْعا ءَ وفى ظلِّ عدَنْ
خمائلاً كأنّها بقيَّةٌ من ذى يَزَنْ
الحَبُّ فيها سُكّرٌ والماءُ شَهْدٌ ولَبَنْ
لم يرَها الطيرُ ولم يسمَعْ بها إلاّ افْتتنْ
هيّا اركبانى نأتِها فى ساعةٍ من الزمنْ
قالتْ له إحداهما والطيرُ منهنَّ الفَطِنْ:
ياريحُ أنت ابنُ السبيـ ـلِ، ما عرَفتَ ما السَّكنْ
هَبْ جنَّةَ الخُلْدِ اليمَنْ لا شىْء يَعدِلُ الوطَنْ!





﴿ صورة فنيّـة لشوقى بك فى أوج نضوجه الأدبى ﴾

البحر الابيض

أمِنَ البحرِ صائغٌ عبقريٌّ ... بالرِّمالِ النواعمِ البيضِ مُغرَى
طافَ تحتَ الضُّحَى عليهنَّ والجوْ ... هرُ في سوقِهِ يُباعُ ويُشرَى
جِئْنَهُ في معاصمٍ ونحورٍ ... فكسا معصماً وآخرَ عرَّى
وأبى أن يقلِّدَ الدُّرَّ واليا ... قوتَ نحراً وقلَّدَ الماسَ نحرا
وترَى خاتماً وراءَ بنانٍ ... وبناناً من الخواتمِ صِفرا
وسواراً يَزينُ زَندَ كَعابٍ ... وسواراً من زَندِ حسناءَ فرّا
وترى الغِيدَ لُؤلُؤاً ثمَّ رطباً ... وجُماناً حوالَيِ الماءِ نَثْرا
وكأنَّ السماءَ والماءَ شِقّا ... صَدَفٍ حُمِّلا رفيفاً ودُرّا
وكأنَّ السماءَ والماءَ عُرسٌ ... مُترَعُ المَهرجانِ لَمحاً وعِطرا
أو ربيعٌ من ريشةِ الفنِّ أبهى ... مِنْ ربيعِ الرُّبى وأفتنَ زَهْرا
أو تهاويلُ شاعرٍ عبقريٍّ ... طارحَ البحرَ والطبيعةَ شعرا
يا سَوادَيْ فَيروزَجٍ ولُجَيْنٍ ... بِهِما حُلِّيَتْ معاصمُ مِصرا
في شُعاعِ الضُّحَى يعودانِ ماساً ... وعلى لمحةِ الأصائلِ تِبرا
ومشَتْ فيهما النجومُ وكانت ... في حواشيهما يواقيتَ زُهرا
لكَ في الارضِ موكبٌ ليس يألو الـ ... رِّيحَ والطيرَ والشياطينَ حشرا
سرتَ فيه على كُنوزِ (سليما ... نَ) تعدُّ الخطى اختيالاً وكِبرا
وترنَّمتَ في الركابِ فقلنا ... راهبٌ طافَ في الأناجيلِ يقرا
هو لحنٌ مضيَّعٌ لا جواباً ... قد عرفنا له ولا مستَقَرّا
لكَ في طَيِّهِ حديثُ غرامٍ ... ظلَّ في خاطرِ المُلحِّنِ سِرّا
سيِّدَ الماءِ كم لنا من (صلاحٍ) ... و(عليٍّ) وراءَ مائكَ ذِكرى
كم ملأناكَ بالسَّفينِ مواقيرَ ... كشُمِّ الجبالِ جُنداً ووَفرا
شاكياتِ السلاحِ يَخرُجْنَ من مصرٍ بمَلْمُومةٍ ويَدْخُلْنَ مِصرا
شارعاتِ الجناحِ في ثَبَجِ الما ... ءِ كنَسْرٍ يشدُّ في السُّحْبِ نَسْرا
وكأنَّ اللُّجاجَ حينَ تنزَّى ... وتسدُّ الفجاجَ كرّاً وفرّا
أجَمٌ بعضُهُ لبعضٍ عدُوٌّ ... زحفَتْ غابةٌ لتمزيقِ أُخرى
قذَفَتْ ههُنا زئيراً ونابا ... ورمَتْ ههُنا عُواءً وظُفرا
أنتَ تغلي الى القيامةِ كالقِدْ ... رِ، فلاحظْ يومُها لكَ قِدْرا

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشدونَ أربعَهْ   مَرضيّةٌ سُنّتهمْ مُتّبعهْ
فى الذّكر لم يُغفَل لهم حَديثُ   وذِكرُهمْ سَيّرَهُ الحديثُ
العُمَران(١) وابنُ(٢) أرْوَى وعَلى   فى الذّروةِ الشمّاءِ والأوْجِ العَلى
خلائفُ الله أئمةُ الهُدَى   وَطَّأ للحَقّ بهمْ ومَهّدا
كلّهمو ابنُ أمسهِ ويومِهِ   عِمادُ دارهِ عَميدُ قومِهِ
هُمُ النجومُ فى سماءِ غالبِ   ومطلع الهادى المنيرِ الغالبِ
نَماهمو كما نَماهُ فِهرُ(٣)   فبينهم واشجة وصهرُ
معادنُ الوفاءِ والاخاءِ   صَحابةُ الشِّدّة والرّخاءِ
ما مَنَعوا اللهَ ولا نبيّهْ   قِيادَ نفسٍ سَمْحةٍ أبيّهْ
وما الحَوَارِيّونَ خَلْفَ عيسى   أحثَّ منهم للنجاةِ عِيسَا(٤)

* * *

رُعاةُ شاءٍ وتِجارُ مالِ   كالرُسْل فى هذا وفى الكمالِ
قد كفلوا الاسلامَ فى صباهُ   فأيّهم نادَى دَعى أباهُ
بالنفسِ والنفيس أيّدوهُ   وبالقنا والرأى شيّدوهُ
وآمّنوا ديكَ الهوى فصاحَا   وآمنوا بفجره مُنصاحَا
كلّهمو فيه المجيبُ الأوّلُ   أعطوهْ غاياتِ الرضى ونوّلوا
فاسبقْ إذا الحقُّ دعا مستنصِرا   وكنْ إذا عُدَّ الحماةُ الخِنْصَرَا
ما حَمّل النفسَ على الأشقِّ   كقائل الصدقِ وحامى الحقِّ

* * *

حتى جبا الأرضَ اليهم مَنْ جبَا   وملكوا الدنيا فكانوا أعجبَا
حدّثْ عن الخليفة الخَميصِ(٥)   والمَلِكِ المخرّقِ القميص
مثل الجوادِ زانه الاضمارُ   والشمسِ زادت حسنَها الأطهارُ
لا يعقدون فى الجباهِ العسجدَا   بل الترابَ للمليك سُجّدَا
وتحتَ أقدامهمْ التيجانُ   يندبُها اللؤلؤُ والمَرجانُ
كِسرى ببطن الأرض عطّلُ المفرقِ   وقيصرٌ يندُبُ تاجَ المشرقِ!

---

(١) ابو بكر وعمر . (٢) عثمان . (٣) هو ابو غالب سيد قريش ومن اجداد الرسول .
(٤) العيس الابل ، اى هرباً من الدنيا وطلباً للآخرة . (٥) الجائع .

اخوان الدهور

حينما قُتِلَ المغفور له بطرس غالى باشا فى مصر برصاصة من يد ابراهيم ناصيف الوردانى فى سنة ١٩١٠ هاجت النفوس واستاء كثير من الاقباط لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطى ، فأوحت ربة الشعر لشوقى بك ابياتاً فى ذلك ولكن هذه الابيات بقيت مطوية لم تعلن حينئذ ولم تنشر فيما طبع من شعره وهذا نصها :

بنى القبط إخوانَ الدهور رُوَيْدَكُمْ ... هَبُوهُ «يَسُوعاً» فى البَرِيّةِ ثانيا
حَملتُمْ لحكم الله صلبَ (ابْنِ مَرْيم) ... وهذا قضاءُ الله قد غالَ (غالياً)
سديدُ المرامى قد رماهُ مُسدَّدٌ ... وداهيةُ السوّاسِ لاقى الدواهيا
ووالله لو لم يُطلقِ النارَ مُطلقٌ ... عليه لأَوْدَى فجأةً او تداويا
قضاءٌ ومقدارٌ وآجالُ أنفسٍ ... اذا هىَ حانتْ لم تُؤخّرْ ثوانيا
نبيدُ كما بادت قبائلُ قبلَنا ... ويَبْقى الأَنامُ اثنينِ : مَيْتاً وناعيا
تعالَوْا عسى نطوى الجَفاءَ وعهدَهُ ... ونَنْبُذُ أسبابَ الشِّقاقِ نواحيا
ألَمْ تكُ (مِصْرٌ) مَهْدَنا ثم لَحْدَنا ... وبينهما كانت لكلٍّ مَغانيا
ألمْ نكُ من قبل (المسيح بن مريم) ... و(موسى) و(طهَ) نَعْبُدُ النيلَ جاريا
فهلاّ تساقيْنا على حُبّهِ الهوى ... وهلاّ فدَيْناهُ ضفافاً ووادِيا
وما زال منكم أهلُ ودٍّ ورحمةٍ ... وفى المسلمين الخيرُ ما زال باقيا
فلا يَثْنِكُمْ عن ذمّةٍ قتلُ (بطرسٍ) ... فقدْماً عَرَفْنا القَتلَ فى الناسِ فاشيا

الجدّة

لى جَدّةٌ ترأفُ بى ... أحنى علىَّ مِنْ أبى
وكلُّ شيْءٍ سرَّنى ... تذهبُ فيه مَذهبى
إنْ غَضِبَ الأهلُ ... علىَّ كُلُّهمْ لم تَغضَبِ
مَشَى أبى يوماً ... إلىَّ مِشيةَ المؤدِّبِ

غَضْبانَ قد هدّدَ بالضّربِ وإن لم يَضْرِبِ
فلم أجِدْ لى منهُ غيرَ جَدّتى مِنْ مَهْرَبِ
فجعلَتْنى خلفَها أنجو بها وأختبى
وهى تقولُ لأبى بلهجةِ المؤنّبِ :
وَيْحَ له ! وَيْحَ لهذا الوالدِ المُعذّبِ !
ألم تكُن تَصنَعُ ما يَصْنَعُ إذْ أنتَ صَبى ؟



الهرة والنظـــافة

هِرّتى جِدُّ أليفَهْ وهى للبيْتِ حليفهْ
هى ما لم تتحرّكْ دُمْيةُ البيْتِ الظريفهْ
فاذا جاءتْ وراحتْ زِيدَ فى البيْت وَصيفهْ
شُغْلُها الفارُ تُنَقِّ الرّفَّ منه والسّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهْرَ والعَصْرَ بأورادٍ شريفَهْ
ومِنَ الأثوابِ لم تَمْلِكْ سِوَى فَرْوٍ قطيفَهْ
كلّما استَوسَخَ أو آ وَى البراغيثَ المُطيفَهْ
غَسَلَتْه وكَوَتْه بأساليبَ لطيفهْ
وحّدَتْ ماهو كالحمّا مِ والماءِ وظيفهْ
صَيّرَتْ ريقَتَها الصّا بونَ والشاربَ ليفَهْ
لا تمُرّنَّ على العَينِ ولا بالأنفِ جيفهْ
وتَعَوّدْ أن تُلاقى حَسَنَ الثوبِ نظيفهْ
إنما الثّوْبُ على الانسانِ عُنوانُ الصحيفهْ

أنس الوجود

قِفْ بتلك القصورِ فى اليمِّ غَرْقَى ممسكاً بعضُها من الذعرِ بعضا

كعذارى أخفَيْنَ فى الماء بَضّاً (١) سابحاتٍ به وأبدَيْنَ بَضّا

مُشرفاتٍ على الزّوالِ وكانتْ مشرفاتٍ على الكواكبِ نَهْضا

شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا

رُبَّ نقشٍ كأنما نفضَ الصا نعُ منه اليدَيْن بالأمس نفْضا

ودهانٍ كلامعِ الزّيتِ مرَّتْ أعصُرٌ بالسراج والزيتُ وضّا (٢)

وخُطوطٍ كأنها هُدْبُ ريمٍ (٣) حَسُنَتْ صَنعَةً وطُولاً وعرْضا

وضحايا تكاد تمشى وتَرْعَى لو أصابتْ من قُدرةِ الله نبْضا

ومحاريبَ كالبروجِ بَنَتْها عزَماتٌ من عزمةِ الجِنِّ أمضَى (٤)

شيَّدَتْ بعضَها الفراعينُ زُلْفَى (٥) وبنى البعضَ أجنبٌ يترضَّى (٦)

ومَقاصيرَ أُبدلتْ بفُتاتِ الـ مسكِ تُرْباً وباليواقيت قَضّا (٧)

حَظُّها اليومَ هدَّةٌ وقديماً صُرِفَتْ فى الحُظوظِ رَفعاً وخَفْضا

سَقَتْ العالمين بالسعدِ والنحـ سِ الى أن تعاطتْ النَّحْسَ مَحْضا (٨)

صنعةٌ تُدْهِشُ العقولَ وفَنٌّ كان إتقانُهُ على القومِ فَرْضا !

***

يا قصوراً نظرتُها وهى تَقْضِى (٩) فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقضَى

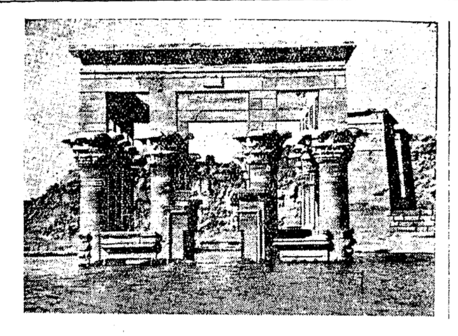
أنتِ سطرٌ ومَجْدُ مصر كتابٌ كيف سام البِلَى كتابَكِ فَضّا

وأنا المحتفى بتاريخ مصرٍ مَنْ يَصُنْ مَجْدَ قومهِ صان عِرْضا

رُبَّ سِرٍّ بجانبيكِ مُزالٍ كان حتى على الفراعين غُمْضا

---

(١) بضا ، البض : الرخص الجسد . (٢) وضا : وضاء . (٣) ريم : غزال . (٤) امضى : احد .
(٥) زلفى : تقرباً . (٦) يترضى : يطلب الرضا . (٧) قضا : حصى . (٨) محضا : خالصاً
(٩) تنهد .



هيكل اس الوجود

قُلْ لها في الدعاء لو كان يُجدي : يا سماء الجلال لا صِرْتِ أرضا !
حار فيك المهندسون عقولاً وتولَّتْ عزائمُ العلم مَرْضَى
أين مُلكٌ حيالها وفريدٌ من نظام النعيم أصبح فَضّا (١) ؟
أين فرعون في المواكب تترى يركضُ المالكين كالخيل ركْضا ؟
ساق للفتح في الممالك عَرْضاً وجلا للفخار في السلم عرضا
أين (إيزيسُ) تحتها النيلُ يجري حكمت فيه شاطئين وعَرْضا
أسدلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ في ثراها وأرسلَ الرأسَ خفضا
يُعْرَضُ المالكون أسرى عليها في قيود الهوان عانين جَرْضَى (٢)
ما لها أصبحتْ بغير مُجيرٍ تشتكي من نوائب الدهر عضّا ؟
هيَ في الأسر بين صخرٍ وبحرٍ مَلْكَةٌ في السجون فوق حضوضى (٣)
أين (هورُوسُ) بين سيفٍ ونطعٍ أبهذا في شرعهم كان يُقضَى ؟
ليت شعري قضى شهيدَ غرامٍ أم رماه الوشاةُ حقداً وبغضا ؟
رُبَّ ضربٍ من سوطِ فرعونَ مضٍّ دون فعل الفراق بالنفس مَضّا
وهلاكٍ بسيفهِ وهو قانٍ دون سيفٍ من اللواحظِ يُنضَى (٤)
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ أين راوي الحديث نثراً وقرضا ؟

(١) فضا : مفضوضاً . (٢) جرضى : مغمومين . (٣) حضوضى : جبل في البحر (٤) ينضى : يسيل .

رواية عنترة

المشهد التاسع

ضرغام: سيدَ الحيّ

مالك : ألف لبيّكَ ضِرْغامُ تكلّمْ ! أثمَّ شيءٌ تقولُ ؟

ضرغام: سيدَ الحيّ عبلةُ اختارها القلبُ فهل لى إلى الزّواجِ سَبيلُ ؟

مالك : والمهرُ يا ضِرْغامُ

ضرغام: مهـرُ عبلةَ ؟ إقترحْ تَرَهْ
قدّرْهُ أو خلّ إلى عبلةَ أن تُقَدِّرَهْ
وغاليًا ما شئْتُما فيه وُظنًا المقدرَهْ

مالك : المهرُ يا ضِرغامُ غالٍ فاجتهدْ أن تحذَرَهْ

ضرغام: سلْ تاجَ كِسرى واقترحْ عمامةَ المناذِرَهْ
سلْ سُبْحَةَ القيْصرِ اوْ فاطلُبْ صَليبَ القيْصرَهْ !

مالك : المهرُ فوقَ ذاكَ

ضرغام: قُلْهُ لا تَخفْ أن تذكُرَهْ

مالك : إسمعْ إذنْ ! أصِخْ لهُ ! المهرُ رأسُ عنترَهْ !

ضرغام: (لنفسه)
له الويلُ ماذا قالَ ؟

مالك : قد وجمَ الفتى

ضرغام: أبا عبلةَ اذكرْ هولَ ما أنت سائلُ

مالك : جبُنتَ ؟!

ضرغام: معاذ الله ما الجبنُ فى دمى

مالك : فلِمْ ضِقتَ ذَرْعاً ؟

ضرغام: مَهرُ عبلةَ هائلُ

أأمشى الى الفلْحاءِ أختَطِفُ رأسَهُ فِداهُ الذى أمشى اليه القبائلُ
كريمٌ لعمرى ، والكرامُ قدِ انقضَوْا شجاعٌ ، وشُجعانُ الرجالِ قلائلُ
إذا قال بذَّ القائلينَ رنينُهُ وما بذّهُ فى أيْكةِ البيدِ قائلُ

هزارُ البوادي طارحتْه بشجوِها رُباهُ وغنّتْ في صداهُ الخمائلَ
وما بيننا ثارٌ ولا بين أهلهِ وأهلي عداواتٌ خلتْ وطوائلُ

مالك : وعبلةُ يا ضرغامُ ؟

ضرغام : ما شأنُ عبلةٍ ؟

مالك : أليس فِداها في الحجازِ العقائلُ ؟

ضرغام :

أجلْ وفِداها الشمسُ ما التفتِ الضحى عليها وما رفّتْ عليها الأصائلُ

مالك :

أأنتَ تخافُ العبدَ ؟

مالك : لِمْ لا أخافُهُ تخافُ وتُرجى في الرجالِ الفضائلُ
وإنّ ابنَ شدادٍ وإنْ ذاعَ بأسُهُ فتىً مِلءُ بُرديه عفافٌ ونائلُ
من العُصبةِ المسطورِ في البيتِ شعرُهم قصائدُهم أستارُهُ والوصائلُ

مالك :

فمالكَ مصفرّاً كأنّك هالكٌ من الخوفِ قبلَ الطعنِ والضربِ زائلُ ؟
تعالَ زهيرُ اسمعْ حسبْناهُ حائطاً (يقبل زهير)

زهير : فما هوَ ؟

مالك : ركنٌ في العواصفِ مائلُ
وأمّلتُه سيفاً فلمّا لبستهُ إذا هو عودٌ أنكرتْهُ الحمائلُ
وقلتُ غماماً يمطِرُ الحيَّ في غدٍ فكانَ جهاماً مالنا فيهِ طائلُ
وقلتُ كليبٌ نستطيل بصهرِهِ اذا هو كلبٌ !

ضرغام : ضلَّ ما أنتَ قائلُ !
وأقسمُ لولا ظبيةٌ تحتَ خيمةٍ وغصنٌ حوتْه في الحجالِ الغلائلُ
لما رُحتَ إلا جثّةً في الثرى لقىً وغالتْك من قبلِ المغيبِ الغوائلُ !

مالك : تجرأتَ يا ضرغامُ

ضرغام : ما تلكَ جرأةٌ ولكنْ كما قد كِلتَ لي أنا كائلُ !

مالك :

كفى حسبُ يا ضرغامُ حسبُ وقاحةً فما أنتَ إلا مُكثِرُ الزهوِ خائلُ
لقد قلتَ قولاً شفّ عما وراءهُ وقامتْ على لؤمِ النِّجارِ الدلائلُ

ولا يرفعُ الابطالَ أنك مِنهمُو ... فما هذهِ للباسلين شمائلُ
وما لَكَ كالأبطالِ سيفٌ تُجيلُهُ ... ولكنْ لسانٌ بالسفاهةِ جائلُ
أيُذكَرُ عبدُ السوءِ فى كلِّ قفرةٍ ... وذكرُكَ يا ضِرغامُ فى البيدِ خامِلُ
أما أنت كالفلْحاءِ صِنديدُ قومِهِ ! ... أما لَكَ كالفلْحاءِ سيفٌ وعامِلُ ؟.
ألا حَسدٌ للعبد؟

ضرغام : لا ! لستُ حاسداً ... ولا أنا للنّارِ الأكولةِ حامِلُ
أأحسدُ مَن يحيِ العُفاةُ بمالهِ ... ويأوِى اليتامَى ظلّهُ والأرامِلُ؟
أأحسِدُ من لا يَعصِمُ البيدَ غيرهُ ... إذا زَحفتْ مَن أرض كسرى الجحافلُ
أأحسِدُ من يُرجىَ لتأليفِ قومِهِ ... اذا افترقتْ تحتَ الملوكِ القبائلُ ؟

مالك :

يؤلفنا عبدٌ، أمَا ثَمَّ سيِّدٌ ... عن العبد يغنينا ؟ ! أمَا ثَمَّ عاهِلُ؟
إذنْ فليسُمْنا الخسْفَ كسرى وقومُه ... وقيصرُ والرومُ الجفاةُ الأراذِلُ
أيمنعنا عبدٌ ؟ إذنْ نحنُ عُزّلٌ ! ... فأينَ عوالينا وأينَ المَناصِلُ؟

ضرغام :

لقد عِيلَ صبرى للّذى أنا سامعٌ

مالك : إذا الصبرُ لم ينفَدْ فما أنتَ فاعِلُ ؟

ضرغام :

عقابٌ يُنسّيكَ الوقاحةَ عاجلٌ ... وآخرُ متروكٌ الى الغَدِ آجلُ

مالك :

روَيدكَ يا ضِرغامُ ما لكَ هاذِياً ... ومالَكَ قد ضاعتْ لديْكَ المنازِلُ ؟
فما العبْدُ إلا كالدُّخانِ وإن عَلاَ ... الى النّجمِ مُنحطٌ الى الارضِ سافِلُ

ضرغام :

تعالَ ! تأهّبْ !

(يمسك بكتفيه فيهزّه هزاً)

مالك : كاهلى! خلٌّ كاهِلى!

ضرغام : أقالَبُ زُبْدِ ذاكَ أمْ ذاكَ كاهلُ؟

زهير (صائحاً):

هلُمُّوا سَراةَ الحىِّ هاتُوا رجالَكُم

مالك : الىَّ فعبسٌ فاجأتْها النوازلُ!

مالك : يا عبْسُ

(ويرى عنترة قادماً فيجرى نحو الحى هو وابنه زهير)

عنترةٌ؟

المشهد العاشر

عنترة (من وراء الستار) :لبيكَ ما بكُم؟ خوْفٌ من السيْل أم خوْفٌ من النارِ؟

أللهُ أمّنَ بالفلْحاء سِربَكمو أفْعَى الصَّريمِ وليثِ القفْرةِ الضارى

(يظهر عنترة)

المشهد الحادى عشر

مَن الفتىَ من أرى؟ ضرغامُ أنتَ هنا! أغارةٌ؟ أين عهدُ الجارِ للجارِ؟

أجئتَ تَسبى مَهاتى؟

ضرغام : جئتُ أخطُبُها

عنترة : ما أجملَ الصدْق لم يُلبَس بإنكارِ

فما جرى؟

ضرغام : نال مِنا مالكٌ وبَغَى عليْكَ بالشتم هذا العائبُ الزّارِى

حتى انصرفْتُ اليه كى أؤدّبَهُ

عنترة : يا ليتَ أدّبتَهُ تأديبَ جبّارِ

ضِرغامُ

ضرغامُ : عنترةُ

عنترة : اسمع بيننا شَرَكٌ في حبّ عبلةَ قد يدنو من الثارِ
فاجعلْ لنفسك أنثى غيرها أرَبًا فانّ عبلةَ آرابي وأوطاري

ضرغام :

وأنتَ فاعبُدْ سِواها إنني رَجلٌ جعلتُ عبلةَ أوثاني وأحجاري
تعالَ نذهبْ الى شمس النهارِ معاً تقول عبلةُ قد خُيِّرتِ فاختاري
فما ترى أنتَ ؟

عنترة : رأيي أن نَصير إلى جمالِ تضحيةٍ أو فضلِ إيثارِ
رأسي ورأسُك في الميزان قد وُضِعَا وحُكم سيفِك أوسيفي هو الجاري
مَن ماتَ منا قضى حقَّ الهوى كرماً وليس بالموتِ دون الحبِّ من عارِ

ضرغام :

رأيتَ عنترَ رأياً لستُ أتبعُهُ يأباهُ حُبِّي وإعجابي وإكباري
واللهِ لا جمعتْنا ساحةٌ

عنترة : لِمَ لا ؟ الحربُ تجمع مغواراً بمغوارِ

ضرغام :

هبْني قتلتُك

عنترة : ماذا ضرّ ؟

ضرغام : كيف إذنْ تكونُ في البيدِ أنبائي وأخباري ؟
ألستُ شِبلاً فتيّاً من شبولتها فهلْ أجرِّبُ في الرئبالِ أظفاري ؟
وكيف أفلِقُ رأساً ملؤهُ شرفٌ أحقُّ من جَبَهَاتِ الرومِ بالغار ؟
وكيف أضربُ عُنقًا في أمانتِها كرامةُ القومِ من بَدْوٍ وحُضّارِ ؟
وكيف أرمي لِساناً طالما سُقِيَتْ بشهدِهِ البيدُ من شَرْبٍ ومُمّارِ ؟

عنترة ينادي : يا عبلَ

عبلة (من وراء الستار) : لبيكَ ياابن العمّ

(تقبل عبلة)



شوقي الشاعر

هذا شاعر نبه الجيل باسمه ، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة فى الشعوب العربية ، وكانت قصائده بالأمس القريب متطلع أدباء الشرق ومرتقب كتابه وشعرائه .

شاعر تهيأ له من أسباب الشعر ما لم يتهيأ لغيره ، وحبته العناياتُ بما لم تَحْبُ به شاعراً عربياً قبله من مواهب فنية خصه الله بها ، وحظوظ سعيدة مقدرة سمت به الى منزلة سامقة من المجد وذروة شاهقة من الشهرة والصيت الذائع .

ولقد عبر شاعرنا محيط الحياة بين عبرىْ الميلاد والموت محوطاً باعجاب الكثيرين من الخاصة والعامة ، وشهد بعينه تألق نجمه فى سماء البيان، وهو ما لم يتح لأفذاذ الادباء والفنانين فى هذا الشرق العريق فى أدبه وفنه . وبلغ ببعض الصحف فى مصر منذ سنوات قلائل أن خصت كل قصيدة يختصها بنشرها بمائة من الجنيهات ، وذلك ما لم نسمع به أيضاً من عهد ملوك العرب حتى فى أوساط الغرب الأدبية وهى التى لم تضن على العلم والأدب والفن بالجليل من التقدير الأدبى أو المادى .

ولقد عجل القضاء بشوقى الى نهاية كل حى وهو لا يزال ينفح الأدب بنفحات شعره ، وحطم الموت يراعه وهو ممسك بها بين قرطاسه ومحبرته فى فترة مرض غير رفيق وضعف شيخوخة ما كدّرا من صفاء تلك القريحة اللماحة ، ولا خدشا مرآةَ ذلك الذهن المشرق الوقّاد .

وفوجئنا بنعيه بعد أيام قلائل جلسنا واياه على مائدته فى رفقة من صفوة أدباء مصر نتحدث فى شؤون الأدب ونعدّ للشعر مستقبلا ذهبيَّ الاحلام ، فراعنى نعيه وجزعت لمصابنا فيه بعد أن فقد الشرق به وبحافظ ألمع كوكبين فى سماء الشعر انكدرا متعاقبين قبل أن يتم عامٌ دورته .

ورحتُ أسائل نفسي: « هل أدىّ شوقى رسالة الشاعر الى عصره ؟ » ذاك سؤال أحاول الآن أن أضع جوابه في حيرة رجعت بأسبابها الى قصر الزمن الذى مضى على انقطاعه عنا ونحن الناس نتأثر بحياة الحى الزائل ولو إلى حين ، وقد تلابسنا من حياته الماضية القريبة أحوال يكون لهـا فى أحاديثنا وكتاباتنا أثر لا نفطن اليه اليوم وقد لا نقرّ أنفسنا فى الغد على ما أصدرناه من أحكام واستسغناه من آراء .

ورجال الأدب فى مصر لا يزالون فى مضطربٍ أفكارٍ لا تعرف هديهـا الى ما تصبو اليه من المثُل العليا ، ولا يزال معترك الجدل حامى الوطيس بين دعاة المدرستين الحديثة والقديمة بل بين أنصار المدرسة الواحدة فى تعريف مقاييس الشعر وتكييف صوره وتحديد ألوانه .

بيد أنى أدفع برأى غير فطيرٍ نمـاه شعور برىء أقرت أحكامه دراسةٌ ترجع الى أدب لا يتعصب لقديم ولا لجديد .

* * *

من دلائل الشاعرية فى الشاعر إفصـاح بيانه عن فكرته ووضوح مراميه فى شعره وأداء ألفاظه لمعانيه أداءً وافياً لا اضطراب فيه ولا غموض .

فاذا وُفِّق الى ذلك كله فى أسلوب رشيق وديباجة صافية وسياق مرتب فهو شاعر بطبعه وسليقته .

وكان شوقى رحمه الله أقدر شعراء عصره فمـا ظفر بمعنى جيد الا وأفصح عنـه بألفاظ مختارة تقع فى الأذن موقع النغم الساحر والصوت الرخيم . فاذا ما كان المعنى مبتكراً رائعاً فقد نفذ بأنغامه وموسيقية بيانه الى قرارات النفوس وشغاف القلوب وهذا ما لم يتوفر فى شعره كثيراً .

وديباجة شوقى أشرق ما تكون حتى لكأنك تقرأ المختار لفحول شعراء الجاهلية والاسلام ، وأسلوبه جامع لمحاسن الاساليب الشعرية البديعة وإن لم يبلغ شأو البارودى فى قوة الحبك ودقة الاحكام .

يترسل شعر شوقى فى سبعة جداول شعرية: (١) شعر المديح والرثاء و(٢) شعر الحب و(٣) الشعر الوصفى و (٤) الشعر الاجتماعى و(٥) الشعر التاريخى و (٦) الشعر الدينى و(٧) الشعر القصصى . ونمر على شعر المديح لأن الشاعر انقطع عنـه من أمدٍ بعيدٍ

وليس فيه ما هو جدير بالدراسة أو النقد ، وإن حوى ألواناً من الوصف والغزل والنسيب .

أما الرثاء فقد أجاد شوقي فيه وأبدع، بل لا أعدو الحقيقة اذا قلت إنه المتفرد فيه منذ كان شعرٌ عربيٌّ الى اليوم ، أما شعر الحبّ فهو شعر تضجّ له النفس ساخطة وتشارك الوجدان فى استهجانه والنفرة منه، والحق أن شوقى بعيد عن الحب بعد الباطل عن الحق وليس فى بعضه الا القليل النادر الذى يترسل مع النفس ويرضى به الوجدان، وهو لا يعد فى شعره الا بنسبة الماس الى حجارة الأرض. أما شعر الوصف فبعضه شعر تجديد والبعض الآخر شعر تقليد تغلب فيه الصنعة ويبدو التكلف واضحاً جلياً . ومن الغريب أن تجد للشاعر فى هذا الباب صورتين مختلفتين كل الاختلاف : إحداهما تمتّ ببيانها وألفاظها الى الشعر العربى القديم والاخرى تتجه بمعانيها الى الشعر الغربى ، وقصيدته فى شكسبير جمعت الصورتين فجاءت آية من آيات الشعر العصرى الحديث . بيد أن شوقى لم يوفق مرة واحدة فى وصف صورة من صور الطبيعة ، وهى فى رأيى ينبوع صفاء الشاعرية وروحانيتها والمعين الذى لا ينضب للجمال والملهم الخالد الفن الذى يجدد بريشته وأصباغه شباب الحياة ويملأ كتابها من سحره وفتونه وعبقرية خياله ، وترى فى قصيدة وصف الربيع أو غيرها ما لا تهتز له نفس زاولت مهنة الحياة الشعرية وشغفت بالفن والجمال .

أما الشعر الاجتماعى والشعر التاريخى فتفوقه فيهما تفوقه فى شعر الرثاء ، وقصيدته فى صدى الحرب العثمانية ويربو عدد ابياتها على الثلاثمائة من وزن وقافية واحدة تعدّ من معجزات الشعر الحديث . وهى ملحمة رائعة تفيض بشتى مظاهر الحماسة والوطنية والخوالج الانسانية فى بيان متين ومعان سامية وألفاظ تسيل ماء وتؤجّ ناراً .

أما قصائده فى التاريخ فلا أرى شاعراً لحق غباره فيها وقصيدته فى حوادث النيل أو سينيته الاندلسية أو قصيدة النيل أو غيرها تتحدّى الزمن بخلودها .

أما الشعر الدينى فقد كان لشوقى فيه نفحات طيبات وآيات رائعات وكثيراً ما ضمن شعره فى مناسبات جميلة إيماناً قوياً بما أنزله الله من أديان وشرائع وكم تغنى بجمال السيد المسيح وتمجيد رسالته من حب وسلام وإخاء ، وأرى أنه بزّ الأباصيرى فى قصيدته نهج البردة وله فى ميلاد النبى (صلعم) قصيدة رائعة المعانى تفيض بموسيقيتها ومعانيها جلالا وجمالا وزهادة وتصوفاً .

ويُعدّ شوقى الشاعر الموفق فى هذا النوع من الشعر مما يدلنا على صفاء قلبه وقوى ايمانه . وأما شعره القصصى فلى فيه رأى وهو ان شوقى وإن كان من البادئين بوضع الحجر الأول فى هذا النوع من الشعر فى لغة العرب إلا انه اتجه ناحية واحدة فجعل ينضح من اناء التاريخ دون غيره فاخرج لنا كليوباترا وقمبيز وعلى بك الكبير ومجنون ليلى .

وأرى أن هذا النوع من القصص لا يفيد كثيراً فى ترقية مستوى الشعر العربى ولا يكسب الأدب مادة قوية ولا يعد من نفائس التأليف ، وأرى أن الشعر القصصى المنشود ذلك الذى يستقى خياله من نبع الحياة ويستمدّ وحيه والهامه من حوادث عصره وأخلاق ناسه وصور حضاراته ، غير أنى لا أغمط شوقى فضل نبوغه فى هذا المضمار ولا انقص من عظيم جهده وكفى أنه فى طليعة من وضعوا القصة العربية شعراً وفى مقدمة من أخرجوا الرواية من سفر التاريخ .

* * *

وأرى أن شوقى قد أدّى رسالة الشاعر الى عصره بقدر ما هيأه الله وأتاح له ذكاؤه وأدبه وعلمه وشاعريته . وإنْ قصّر شوقى فى بعض النواحى الشعرية كما أسلفنا القول عنه فجاءت دواوينه الثلاث خلواً من شعر الوجدان فهذا لا يفوّت عليه حسناته فيما بقى لنا بعد ذلك من شعره . وحسبه أن يكون شاعر الاجتماع أو التاريخ فهذا رديرد كبلنج شاعر الامبراطورية البريطانية لا تجد الانسانية فى شعره ظلا تتفيؤه أو نبعاً تبل من مائه صدى أحشائها ، شعرٌ لا أثر للوجدان ولا للعاطفة الانسانية فيه ومع هذا فهو شاعر الامبراطورية وحامل جائزة نوبل . فما لنا اذن نستعدى على شوقى الأقلام وليس من شوقى كثير لدينا ؟

أجل ، كان شوقى مقلداً فى بعض شعره ولكنه كان منتجاً وقد أردناه أن يبدل نهجه فى الشعر ويبدأ من حيث بدأنا نحن ولكننا لم نذكر أننا ابتدأنا من حيث انتهى هو !

لقد أدّى شوقى رسالته إلى عصره غير مقصّر ونفض راحتيه من هذه الدنيا ، وأتم رحلته فى الحياة ، فليؤدّ كلٌ شاعر منكم رسالته ولتكونوا مخلصين للأدب والفن فان فى أعناقكم أمانة القادة فوجّهوا الجيل إلى الكمال وأنبتوا منه لمصر نباتاً صالحاً ناضج الجنى طيب الثمر ؟

علي محمود طه
المهندس

شوقي وأنداده

اذا كان الشعر حسب تعريف ليغ هنت هو موسيقى وإقناع وخيال وصور فهل هذه الاوصاف جميعها فى شعر شوقى ؟ وهل هو شاعر كامل ؟ وما نصيب مطران من هذه النواحى ؟ ثم ما نصيب حافظ أيضاً ؟

أولاً ما هى الموسيقى فى الشعر ؟ ان اول ما نصف به شعر شوقى انه موسيقى وأول ما نصف به شعر الزهاوى مثلا أنه لا موسيقية فيه . فما معنى هذا ؟ ذكرت احدى الجرائد الفرنسية مقارنة بين شوقى وبول فاليرى شاعر فرنسا الاكبر فى العصر الحاضر ، فذكرت هذه الموسيقية ، وهى على حق . ان شوقى وفاليرى اتفقا فى هاته الصفة ، ولا أعرف شاعراً سبقهما فى ذلك غير بودلير . هذه الموسيقية هى البراعة فى اختيار اللفظ ، وانسجامه ليؤدى المعنى المطلوب . قرأتُ فى ماكبث لشكسبير سطراً تقوله اللادى ماكبث ويدها ملوثة بالدم ، فشعرت ان روحها تهبط وتعلو كعاصفة ، شعرت من هذا السطر بنفس مجرمة تتنازعها الاهواء . وشعر حافظ موسيقية فقط ، والثلاثة الباقية : الاقناع والخيال والصور غير موجودة ، ومطران لا يعنى بالموسيقية كثيراً ، ويعنى بالخيال والصور .

والموسيقية من حيث أنها تحتاج الى اللفظ والصياغة والانسجام ، فهى اذاً فى حاجة الى الالمام العظيم باللغة ، هذا الى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة والى اذن تحسن الاستماع وتمييز الانغام !

ولا بدع انه ليس من موسيقية فى اللفظ كموسيقية القرآن .

أما الاقناع ، فهو قوة خاصة فى الشعر ، بحيث يضطرك الشاعر الى متابعته ، والى السير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن تُملّك ، او يشعرك انه يقودك ، وأنت تتبع ساحراً جباراً لا خلاص لك منه .

ولعل المثل الأعلى فى ذلك هو الشاعر راسين . أما شوقى فقد كان على جانب كبير من هاته القوة ، وإذا اقتنع هو نفسه ، وراح يدافع عن قضية هى جزء من حياته او حياة أمته ، وراح يصف شيئاً له فى نفسه مكانة ، فانه احياناً يبلغ الذروة ، ويصعدك معه ، الى حيث تقتنع بما رأى وتؤمن بما حدثك عنه .

اما الخيال ، فهو الناحية التى قصر فيها شوقى ، وأبدع فيها مطران وانعدمت من شعر حافظ ، ومن الخيال مايسمونه باللغة الانجليزية Fancy وفى هـذا يجود شاكسبير ويمتاز أو لايشق له غبار ، ولا أدرى مقارباً له فى الادب العربى الا فى قصيدة شوقى حيث يخاطب توت عنخ آمون شاعره بنتاآور ويشكو له ضجة الموسيقى حول قبره :

مصر الفتاة لم توقّر جدَّها دقّتْ وراء مضجعى جازبندَهَا

فهذه الروح الساخرة التى يداعب بها توت عنخ « حفيدته » مصر ويشكو بها ضجره لانها تضرب جازبندَها خلف قبره ـ هذه الروح التى تكسو الحبيب ، او البطل الذى نتكلم عنه ، ثوباً من السخر الرقيق ـ هـذه قليلة ، قلة متناهية فى الشعر العربى ، كثيرة فى شكسبير وكولردج وبيرون . على ان الخيال واطلاق العنان للتصورات العالية لا للاستعارات والكنايات اللفظية كثير فى شعر مطران ، يزخر به ويعلو الى آفاق هائلة . اما حافظ فلا خيال له وذلك لحرصه على الموسيقية فقط ، ولعدم المامه بالادب الغربى .

اما الصور الشعرية فقليلة كذلك فى شعر شوقى : نعنى بذلك انك تقرأ قطعة للشاعر فلا تملك الا ان ترى الشيء مرسوماً أمامك بوضوح مجسماً قوياً بارزاً . وشعر شوقى الاخير موفق فى ذلك ، ظاهر فى شعره المسرحىّ . أما شعره الأول فى المديح وفى الغزل الذى يبدأ به قصائده فهو بالطبع ألفاظ مرصوصة مصوغة لا تؤدى صورة ولا ترسم شيئاً . والمشهور عن شكسبير ان الفرق بينه وبين غيره من الشعراء ومؤلفى الروايات المسرحية ان كل لفظة ترسم صورة ، فما بالك بالسطر او بالقصيدة ، واننا فى اذهاننا نختزن ألفاظاً وهو يختزن ويبرز صوراً واضحة قوية ! ويقول اكبر نقاد المسارح ان المؤلف المسرحى الذى يملأ روايته بالالفاظ التى ترسم الصور بسرعة فى ذهن الجمهور هو الذى يظفر باكبر قسط من النجاح .

وهـذه الميزة كانت على أتمها فى شعر ابن الرومى : خـذ مثلا قصيدة حريق بغداد ، وفى شعر البحترى احياناً : كقصيدة الايوان .

أما مطران فى شعراء العربية فهو ممتاز فى هذا : فله قصائد منفردة منقطعة النظير فى الصور ترسمها وتنقلها الى الاذهان . خذ مثلا قصيدة فتاة الجبل الاسود ، أو قصيدة الجنين الشهيد .

فانت ترى فى الختام ان شوقى تميز بكثير من صفات الشاعر الكامل ، ولو مدّ الله فى أجله واستمر فى المنهج الذى انتهجه أخيراً لبلغ مدًى لا يُجارىَ . وبارك الله فى مطران ، وفى أدبه المشرق العالى المطبوع بطابع الخلود؟

ابراهيم ناجى

جولة فى أدب شوقى

قد تقسو الحيــاةُ على الأديب فتلفظه وتئد من نواحى عبقريته : ذلك بأن كل ذى نعمة محسود ، والناس أعداء ما جهلوا فلا يزال يتنقل فى سر من الحياة على غير مسمع من الناس يتبرم بالحياة ويزهد فى الدنيا ويتهم الفضيلة ويتجنّى على الأدب . فاذا أراد نفسه على الوصف لم يجد منها غير مرآة صدئة ونفس لاغبة وخيال لايتراءى غير أشباح مبهمة. فاذا انتقل إلى المدح لم يجد خلاقاً حسناً بين القلوب المدخولة المُضِبّة له على حقد فيأتى بالمتكلف المسترذل . والجانى عليه فى ذلك بيئته وجفاف الثرى بينه وبين قومه . على هذا النحو درج الالوف من الادباء وقضوا فما نبــه لهم ذكر ولا عظم لهم خطر .

وقد يولد الأديب فى بيئة رافهة ناعمة لا يتصل بذنابى الناس وأوشابهــم فاذا تناول بؤس الحياة وشظفها نزل إلى لُجّــةٍ لا يهتدى إلى مناطها ولا يسبر غورَها وعزت عليه الحقيقة ونضب أمامه الخيال . وهكذا تستطيع ـ لو حاولت ـ أن تتلمس للشاعر مهما سمت منزلته سقطاتٍ وهفواتٍ بل نواحى مبتورة لا يمضى فيها المجيد فى غيرها حتى يكون ناظماً متشاعراً .

أما شاعرنا فقد طُبع على غرار خاص ونشأ نشأة متباينة المنازع فواتاه التوفيق من يوم مدرجه ، وأتاه التوفيق لأنه كان أديب الخاصــة بل سمير الملوك والأقيال فنبت كما نبت ابن المعتز : بديع الوصف ، رائع التشبيه ، سامى الخيــال ، شريف العبارة ، جيد الأسلوب ، متين السبك ، تحسّ حين يطالعك شعره أنك فى حضرة العظيم . يظهر لك ذلك بوضوح حين يذكر السيدة مريم طريدة قومها فيأبى إلا أن يجعلها خيالُه السامى فى صولة ودولة وحاشية لاتجدها لغير الامراء والملوك إذ يقول:

« ضربت فى طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها وجبريل هاديهـا ، والقدس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها » . وتراه فى نجائه لأبى الهول يتصور فيه سمير الدهر ونديمه ومناجى العصور حيث يقول :

أبا الهولِ أنت نديمُ الزما نِ نجىُّ الأوانِ سميرُ العُصُرْ

ولو رجعت البصر فى رائيته فى الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد لرأيت من شوقى عظيما يستعرض اعمال عبد الحميد استعراض من يحاسبه على أعماله فى عَتْبٍ عليه كأنه ندٌّ له فى جلاله وجبروته بعد أن قدم لعتبه هذا وصفاً ليلذ قلما يتفق لشاعر مثله .

شاعرية شـوقى

ومن ينكر على العظيم عبقريته ويجحد فضله وقد نفخ فى الشعر من روحـه وأمدّه من وحيه فأيقظ الأدب العربى وخلع عليه خِلعاً غريبة موشاة بثقافة جامعة فكان الابن المتحضر البار الذى أرضى القديم وأنصف الجديد فشعر شوقى صورة ناطقة عن عبقرية مخلده . كثرةٌ فى إجادة وابتكار للمعانى المحدثة مع إصابة للرأى فى كثيرها. وهو فى قوله مصور بارع يتابع الوصف متمهلاً مترفقاً فى موضع الرفق ، ولا أدل على ذلك من شعره الغنائى الذى يكاد يسيل له صلد العواطف و تَنْماث له الجوانح مما سار وتناقله الناس وتغنوا به وهو رقيق فى عتبة حزين كل الحزن فى رثائه كأنما يواسيك بأفلاذ قلبه فتراه يناجى اسماعيل باشا صبرى نجاءً تحسّ فيه باللوعة يضطرم نارها فى قلبه يستحلفه فيها بعهوده القديمة وعوارفه إذ يقول .

قلْ لى بِسابقةِ الودادِ : أقاتلٌ هُوَ حِينَ يَنْزِلُ بالفتىَ أمْ شاف ؟

وتراه يأتى على ذكر العلة التى انتابته حين يقول :

لجَّت على الصَّدْرِ الرحيبِ وبرّحَتْ بالكاظم الغيظِ الصفوحِ العـافى
ما كانَ أقْسَى قَلْبَها مِنْ عِلةٍ عَلقَتْ باكرَم حَبَّةٍ وشِغافِ

ذلك ما تحسّ به فى وجده على أديب رِئْدٍ له .

وتراه يشتد فى موضع الشدة فيخرِج لك صوراً حسية تكاد تلمسها باليد: صوراً لها قوة الأخذ ومتين التناسق والترتيب . ولا غرو فالعقل الراجح والطبع الملهم والتمكن من القريض كل أولئك كانت عوامل مجتمعة على موافاته بالحكم الرائعة وبث الحمية واستنهاض الهمم فى أسلوب راقٍ ممتعٍ .

أذكرْ لهإن شئتَ مثال التضحية وكيف أنها أساس الحرية وبها توطد العروش:

تاجٌ تَرَى فيه إذا قَلَّبْتَهُ جُهْدَ الشريفِ وهمّةَ الصعلوكِ
خَرَزاتُه دمُ أُمَّةٍ مهضومةٍ وَجُهودُ شعبٍ مُجْهَدٍ مَنهوكِ

وتراه يبدع فى ضرب الامثال للجاهل الاحمق إذ يقول :

يا طيرُ والامثالُ تُضرَبُ لِلَّبيب الأمثَل
دُنياكَ مِنْ عاداتِها ألاَّ تَكونَ لأعزَلِ

وما أحرصه على أن يكون باحثاً عن الحقيقة ولكن فى مناط العقل ، فتراه فى وصف نابليون يبالغ ولكن فى احتراس إذْ يقول :

كِدْتَ مِنْ قتْلِ المنايا خبرةً تعلم الآجالَ أيانَ تحينْ

وإذا كان لنفس الشاعر خطرات وجموح تندّ عن الحقيقة وتعجب بالخيال لأنه الخيال فقد كان الرجل كأنما أعجب بقول القائل :

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتى أنه لتخافك النُّطَفُ التى لم تُخلق !

فكان عند هذا الخيال الشارد يجاريه بقوله :

تُعَلِّمُ حِكْمَتُه الحاضرينَ وتُسمِع فى الغابرينَ النُّطَفْ !

شوقى الأول

وما كان الفقيد ليجحد نعمة تقلب فى اكنافها وجر مطارفها فى قصر مولاه . وما كان ليرضى بولائه له كسائر رعيته فحسب دون أن يصوغ له بُرُدَ الثناء فى كل مناسبة ، بل رأى أن يقف شاعريته التى كفلها مولاه وأحاطها بحدبه ورعايته على البيت الكريم وآله .

وما كان لشاعر مهما سمت بيئته وزكت أرومته أن يتخذ لوناً واحداً فى معظم شعره يستطيع فيه أن يرازم ويباين فى عباراته ويجدد فى أساليبه حتى يأخذه الأين ويعيا بما أخذ . أما شوقى فقد خضع لهذه النظرية على الجملة فى دوره الأوّل ولكنك تحسّ بروح عالية وعبقرية وفية تطالعك فى شذرات تَقْدُرُ فيها ملكة الشاعر وتتوسم لهذا الشعر اليافع حياةً أحفل وأروع . ذلك اللون من الثناء والمدح

والوصف الراقى الذى قدّمتُ لك قد انتظم الجزء الأول من ديوانه فى جل منظوماته إذْ كان يتلمس لها السبيل ويستطرد اليها فى كل مناسبة .

شوقى الثانى

حتى اذا تطور الزمنُ وعصفت بالبلاد هوجُ الحوادث لفتّتْ فيما لفتّتْ هـذا الشاعر وكان ذلك بداءة فتح جديد لشوقى الجديد .

على أن ذلك الشيخ الشاب انما كانت تسعده الحوادث ويعده حدثان الدهر فى أخريات أيامه . وتلك فرص إن كانت لم تواته فى مقتبل حياته فانها أمْلَتْ له حتى يستجمع قواه ليخرج لنا درر المنظومات ومنظومات الدرر موسومة بطابع جديد يتلاءم مع نهضة فكرية عامية ، فما كان لشوقى الموالى للبيت الكريم وآله أن يظل قابعاً فى مجثمه والزمن يمر من حوله سراعاً دون أن ينزل منه فى المعقد والإزار . بل آثر أن يمرح فى جناب الأدب الخصيب، فتفنن ما شاءت له روحه الفياضة وما عنّت له شاعريته حيث كانت تدفعه بعنف إلى مطابقة الحياة فى ألوانها ، وإلى موافاة كل حدث جَلّ أو صغر بخلجات نفسه ووحى وجدانه وشعوره الحى نحو نهضة العالم عامة وأمته خاصة، فترى له طاقات ومجاميع من نفثات قلبه فى المؤتمر الشرقى الدولى ، فى مشروع القرش ، فى تخليد ذكرى الدرويش ، فى نجاء توت عنخ آمون ، فى خلع السلطان عبد الحميد ، فى الدستور الجديد ، فى مؤتمر الائتلاف ، فى كل لون من ألوان الحياة التى لايستوعبها الحصر .

وما كان للشاعر المفرد أن يكثر كل هذا الاكثار فتكثر عليه المآخذ وتتخلف بالرغم عنه سواقط فى عجلته هـذه ويكون من التاريخ موضع البحث والتمحيص لولا أن الفقيد لم يشأ أن يخدع العالم فى شاعريته وأن يحتجن دون الناس ما هم فى مسيس الحاجة اليه نخاض غمار الأدب مدجّجا بالعزيمة مليئاً بالثقة من نفسه يحاول أن ينهض بالأدب وحده ويؤثر أن يتحمل أعباء طوره فكان عصراً حافلا بالأدب وحده .

نثره أخيراً

على أن رَبّ القريض أنف أن يكون صاحب راية القريض بينما تخفق الراية الأخرى فى العُدْوَة الثانية لغيره . كبر عليه ذلك فرأى أن يَلِجَ بابه ولوجاء مصاباً

وارتاح إلى ثرائه وذيوع شعره وإشادة الدنيا بذكره فاستمدَّ المعونة من قريضه لمنثوره وأتى بشذرات صاغها اسماطاً وقلائد، وهى وإن كانت فى جمهرتها قوية حفيَّة بالاكبار إلا أنه كان يركب أحياناً مَتن الاعتساف فترى الماء الصافى السلسال الذى تتذوقه فى شعره يكاد يغيض، وترى نفاراً بين مسجوعه فى قوله فى الموت :

« وإذا الملك والسوقة سواء . حقيبة المنية كل يوم فى ركاب ، من مناكب ورقاب ، تحمل الشيب والشباب الى رحى البلى فى اليباب ، فيدور عليهم الدولاب ، فاذا هم حصى وتراب ! »

حفله بالحوادث التاريخية

أما اضطلاع الرجل بالتاريخ والمامته بالعلوم فكانت جل عنايته فى شعره ونثره فتراه يطالعك فى مستهل قصيدة بقوله :

اللهُ أكبرُ كم للفتحِ مِنْ عجبِ   يا خالد التُّرك جدِّدْ خالدَ العربِ

وتراه ينتقل فى موضع آخر يذكرك بحديث يوشع وشمسه بقوله :

قِفِى ياأختَ يوشع خبرينا   أحاديثَ القرونِ الغابرينا

ثم هو فى موقف آخر يبيح للعالم الضليع البحث والتمحيص، يشبهه فى ذلك بأهل بدر حيث يقول : « والعلم بدريٌّ أُحِلَّ   لأهله ما يصنعون » .

ولم ينس أن يغترف من التاريخ الحديث ما يضمنه شعره المحدث حيث يقول فى رثاء نابليون :

حول استرليز كان الملتقى   واصطدامُ النسر بالمستنسرينْ

ذلك ما نعدُّه مخلداً للتاريخ وما تعُدُّه التاريخ مخلداً له من ناحية أخرى .

إلا أنه قد يُحسُّ الشاعر بثورة فى نفسه ووخز ضميره تناله منهما اللوعة والحسرة فتفيض نفسه بالحوادث يستروح بها فى كلامه ويخفف من لواعجه فتراه يسرف فى ذكر سلسلة منها للشيء الذى يتناوله حتى ليداخلك الشك أنه موكل بذكر فذلكة تاريخية لهذا الشيء، وماذلك الا نفثة المصدور وزفرة المليء. فتراه يسرد لك فى وصف قناة السويس بعد مطلع بديع شيئاً عن اسمعيل والتقاء الأحمر بالأبيض وموسى الكليم ويوسف وروح الله والعذراء والاسكندر وعمرو بن العاص ونابليون . وتراه فى موطن آخر يسوق هذا الحشد حين يأتى على مناجاة الأهرام يقول : « فى هذا الحرم

درج عيسى صبياً ، ومن هذا الهرم خرج موسى نبياً ، وفى هذه الهالة طلع يوسف كالقمر وضياً ... »

مسرحياته

عرف الناس فى شوقى الشاعر النابه المجدد فذهبوا يلهجون بذكره ويكبرون شعره ونثره حتى ذهب بهم الغلو الى حد تقديسه وتمجيده! وكلما طالعهم بقول عدُّوه نسيج وحده وبهرتهم جدته فأنستهم قديماً قِيلَ وراعتهم صَبْوَةُ الانتصار لشوقى فرانت على قول غيره من الشعراء السابقين . وما كان ذلك إلا حافزاً للرجل يهيب به إلى الدأب والاجادة ليحقق للتاريخ ما أشاد به قومه ، فأخرج الغريب من الروايات المسرحية مما عُدَّ مفخرةَ العصر الحديث ورأى أن قد سبقه الى فكرته سيد القريض الشاعر الضليل وقفى على نسجه شاعر الحب والغزل ابن ابى ربيعة وترسم من أتى بعدهما طريقهما . رأى ذلك ثروة حازت الاعجاب فجعلت لهم ناحية مفردة فى التاريخ فعمل على ان يضيف الى هذا التراث ثروة خصبة حضرية عصرية فاستعدى على المجنون شاعريته وخياله تترضّاه فى ان يخرج من شعره الخالد قصصاً تمثيلياً مفرداً فى بابه فكان قريضاً أرضى المجنون برصانته وجدته وكثرة مائه ، وما عتم أن تابع ذلك برواية قمبيز التى قامت لها قيامة النقاد . فلم توهن من عزمته فأخرج رواية عنترة وأميرة الاندلس وما كان حين أخرج مصرع كليوباتره أو على بك الكبير إلا مخرجاً للقصة الدرامية فى مغزى رائع التأثير أَخَّاذٍ بالنفوس .

تفاعله الأدبى

قلما ينبه العظيم فيُسْعِدُ الامة بنباغته ويَسْعَدُ هو على حساب ثروته إلا أن يكون فوق اجادته لما أخذ به نازلا من أهل الأدب عند ما يرضى الناس والأدب ، وذاهباً مع الساسة والمفكرين بما يرتاح له الفكر وتصبو اليه النفس اذا فنيت فى حب الوطن . وما كان أخلق شوقى ان يكون ذلك الانسان فقد سعد لا بالثراء يحوز منه الكثير لأنه ما طمحت نفسه إلى ثراء المال وحده بل ليكون رب الدولتين ، وكأننى بروحه الجياشة بالآمال وبُهمَامَةِ نفسه التى ما فتئت تلح به ان يكون فوق ما يمكن ان يكون تدفعه دفعاً الى الغاية التى لا يقدر مناطها غيره فما وجدناه متطامناً مرتاحاً لما وصل اليه من إمارته لدولة الأدب فى جميع ألوانه ، وما قنع الناس منه على ثرائه وجدّته بما أخرج لأنهم رأوا فيه معيناً لا يَنْضُبُ فسعدوا وسعد ، وما أدوم سعادتهم وما أخلد سعادته ؟

محمد رزق الدهشان

احمد شوقى

ذكريات (١)

لقد يكون من مفاخر حياتى الصحفية أنى لقبت احمد شوقى بك فى سنة ١٨٩٩ على صفحات « الاهرام » وأنا حديث العهد بتحريرها بأمير الشعراء ووصفت قصائده « بالشوقيات » ، وكانت « الاهرام » يومئذ الميدان الوحيد لخياله الراقى . وكان المرحوم صاحبها بشارة تقلا باشا الذى رثاه احمد شوقى بالبيت المشهور الذى ذهب أحد شطريه مذهب المثل : « رجل مات والرجال قليل » من أكبر المعجبين بشوقى وبشعره وبذكائه وحصافته .

ولا أدعى جواز اطلاق هذا اللقب على شوقى أكبر شاعر فى عصرنا على ما اعتقد وقد يكون أكبر الشعراء فى العصور الخوالى أيضاً لأنه جمع بين الحضارتين القديمة والحديثة والأسلوبين العتيق والجديد ووفق بين الطارف والتليد . ولكن متابعة الكتاب والادباء للاهرام فى ذلك حتى اليوم أعطت للقب مكانته وأحلته المحل الذى أريد منه وأريد له وكذلك وصف قصائده ، ولما ظهر حافظ ابراهيم بشعره الرائع أطلقت عليه « الاهرام » لقب « شاعر النيل » فأقر الكتاب والصحف ذلك اللقب. ولا أدرى من الذى لقب خليل مطران بعد ذلك بشاعر القطرين وامام الصناعتين ولكن أدباء تلك الأيام وشعراءها كانوا يضعون احمد محرم فى هذا الصف صف الثلاثة ، وكان المرحوم اسماعيل باشا صبرى الذى كانوا يلقبونه بحق وصواب باستاذ الشعراء يتغنى بشعر هؤلاء الاربعة ويطيب له التحدث عنهم ، واذا نظم أحدهم معنى مبتكراً يهتز له طرباً ويُهزّ به مدحاً وترديداً . وكان يقول إن شيطان الشعر يحلق بشوقى حتى يغيب عن مداركنا وخيالنا . أما السبب الذى دعا الى تلقيب احمد شوقى بأمير الشعراء فهو أن الخديوى عباساً كان يهمل شوقى بعض الاهمال لاعتقاده ، بل لأنهم أدخلوا على نفسه ، أن أحمد شوقى «شاعر» فقط . وانه هو بحاجة الى رجل سياسى لما كان بينه والانكليز من الكفاح والجلاد فاجتمع لازالة هذا التوهم من صدره المرحومون بطرس باشا غالى (وقد كانت به نزعة للأدب والادباء) وبشارة باشا تقلا ومصطفى باشا

---

(١) آمل من القراء اغتفار كلمة الانانية لان مجلة (ابولو) تطلب منى ملحة ذكريات شخصية بحتة .

كامل. وكان بطرس باشا يطلب من الخديوى أن يسمح له بتوظيفه شوقى فى الخارجية بضعفى مرتبه الذى كان يتناوله من قلم الترجمة فى السراى، وكان بشارة تقلا باشا يعرض على سموه مثل هذا العرض ليواليه تحرير «الاهرام» فتأييداً لذلك وضع شوقى فى مكانه من الأدب وامارة الشعر الى أن قربه الخديوى وناط به كثيراً من المهام فقام بها خير قيام. فأولاه ثقته وقدمه على جميع رجاله وطرد من خدمته حسين زكى وزامر الذى قال صاحب «مصباح الشرق» يومئذ فى وصف خروجه من السراى: «إن خروج زامر من المعية ألذ من خروج البرغوث من الاذن». وبعد أن كان الكتاب يلقبون شوقى بأمير الشعراء أعطاه الخديوى بعد انعاماته الكثيرة التى غمره بها لقب «شاعر الأمير».

* * *

كان احمد شوقى بك يسكن داره فى حى الحنفى والشيخ زكى سند مؤسس «جماعة مكارم الاخلاق» يسكن فى حارة السقايين وكنت أسكن فى ذلك الحى. فكنا متجاورين وكنا فى كل صباح نلتقى فى الطريق فيذهب شوقى الى سراى عابدين والشيخ زكى الى مدرسة اليسوعيين للتدريس وأذهب أنا الى ادارة جريدة «المحروسة». فكان الكثيرون من الأزهريين الذين لا يصدقون ان خريجاً من خريجى مدارس فرنسا كاحمد شوقى يستطيع قرض ذلك الشعر الراقى كقصيدته فى الخديوى توفيق:

لك مصر يجرى تحت عرشك نيلُها ولك البلادُ عريضُها وطويلُها

وكقصيدته فى مؤتمر جنيف:

همتْ الفلْك واحتواها الماءُ وحداها بمن تقلّ الرجاءُ

وكلتا القصيدتين كان الطلبة يحفظونها. فكانوا يقولون أن الشيخ زكى سند صديقه هو الذى يساعده فى نظم هذه القصائد لما يرونه بين الاثنين من الصداقة ولاجتماعهما كثيراً لأنّهما من حيٍّ واحدٍ.

كان شوقى لايتعرض للسياسة فى شعره، فلما قربه الخديوى ووكل اليه الكثير من الشؤون السياسة تحولت قصائده من الخيال البحت والحكم والوصف الخ. الى السياسة التى كان يتأثر بها كمدحه السلطان عبدالحميد لأنه شاعر أمير مصر وحملته على رياض باشا فى حادثة الحدود وقد زار الخديوى الجيش وانتقد نظام إحدى الأورط فعدّ اللورد كرومر ذلك اهانة لكتشنر باشا طلب من أجلها الترضية، وكان رياض باشا رئيس الوزارة فتبرأ من عمل الخديوى وذهب الى الفيوم حيث قابل سموه واستصدر منه

تلغرافاً الى كتشنر باشا يثنى فيه عليه وعلى نظام الجيش وكحملته على هذا الوزير عند افتتاح مدرسة محمد على الصناعية لأنه ألقى خطاباً قال فيه للورد كرومر أنه يعتمد عليه فى النجاح الجمعية والمدرسة . وقبل أن يطلع صباح اليوم التالى طلع شوقى على الجمهور بقصيدته التى يقول فيها :

كبيرَ السابقين من الكرامِ برُغْمى أن أنالك بالملامِ
مقامُك فوق مازعموا ولكن رأيت الحق فوقك فى المقامِ
خطبتَ فكنت خطباً لاخطيباً أُضيفَ الى مصائبنا العظامِ !

وكقصيدته فى اللورد كرومر يوم وداعه وكانوا قد عقدوا له اجتماعاً فى الاوبرا ليتمكن من الخطابة . وحضر الاجتماع الامير حسين كامل فألقى اللورد كرومر خطابه الشديد اللهجة فذم عصر اسماعيل على مسمع من ابنه وحمل على المصريين لأنهم لم يقدروا عمله فى تحريره أصحاب الجلاليب الزرق ، فنظم شوقى قصيدته المشهور التى يقول فى مطلعها :

أيامكم أم عهد اسماعيلا أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟!

فقابلها الرأى العام بالارتياح العظيم لان اللورد كرومر آلم المصريين فى كرامتهم حتى أن السيد حسن موسى العقاد الذى كان يقف فى وجه الخديوى مستنداً الى ذراع اللورد كرومر أرسل اليه تلغرافاً وهو يركب الباخرة من بورسعيد ضمّنه أشد اللوم للورد على كلامه القارص .

ولما عاد احمد عرابى من منفاه هزت روح عودته وهو على ما كان عليه من الكبرياء شاعر السراى شوقى فقابله بقصيدته :

صغارٌ فى الذهابِ وفى الايابِ أ هذا كل شأنك يا عرابى ؟!

على أن تحول شوقى الى السياسة وتحول شعره اليها لم يحوله ولم يحول شعره عن بعض الصداقات العالقة بشغاف قلبه كصداقة المرحوم مصطفى كامل فانه رحمه الله قطع صلته بالسراى الخديوية بعد اتباع الخديوى سياسة الوفاق مع السير الدن غورست ووجه مصطفى كامل يومئذ كتاباً مفتوحاً على صفحات الصحف الى الخديوى وكان هذا الكتاب شديد اللهجة، ولكن ذلك لم يقطع ما بين شوقى ومصطفى كامل حتى أن شوقى كان المواسى الوحيد لمصطفى فى ابان مرض الموت وقصيدته فى رثائه من أروع الشعر. نظمها شوقى فى الليل ونشرت فى الصباح وذهب مذهب المثل قوله فيها :

دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له إنَّ الحياة دقائقٌ وثوانِ

كانت الحادثة من الحوادث تقع صباحاً فلا يحل المساء حتى تذاع بين الجمهور وبقصيدة شوقى لأنه كان للحوادث تأثير شديد عليه يهز اعصابه ويستثير نفسه ويحفز خياله. وكان أكثر ما ينظم الشعر وهو ماش أو واقف أو جالس الى أصحابه يغيب عنهم بذهنه وفكره. فقلما يجلس الى مكتبه للتفكير وعصر الذهن، فاذا جلس الى المكتب فلتدوين ما يكون قد نظمه واستوعبه فى ذاكرته. فبين سيكارة وأخرى يجد فكرته وبين كلمة وأخرى يجد الظرف الموافق لهيكل الفكرة وكان شديد الحذر ينتقى ألفاظه كما ينتقى معانيه، لأنه كان شاعراً سياسياً فى كل أشعاره وفى كل أطواره الشعرية.

ولو أن قصائد شوقى ومنظوماته جُمعت بالتتابع مع مراعاة زمن نظمها والظروف التى دعت الشاعر الى النظم وبيان ما فيها من اشارة وتلويح وتلميح لكان من ذلك فى نظرى وعقيدتى أجمل ديوان ولكان هذا الديوان أصدق تاريخ لحوادث مصر منذ عهد الخديوى توفيق الى اليوم. وأما جمع ديوانه على الطريقة التى جمع فيها بعض شعره فى العهد الأخير فعمل لا يفى شعر شوقى مقامه من الشعر والتاريخ معاً.

ولربما كان الامر سهلا بعض السهولة اليوم، ولكنه يصير مستحيلا بعد بضع سنين إلا إذا كان شوقى قد دون ذلك بيده كما كان يعد ما؟

داود بركات

صورة من شوقى

لست متعنتاً ولا مسرفاً اذا قلت: ان شوقى آخر حسنة فى الشعر العربى جادت بها الطبيعة، وسلبنا الموت اياها. ولم أرم بذلك القول باطلا وذلك لان الدنيا أصبحت عقيماً فى الرجال، بل استطيع أن أقول إنها تستطيع ان تلد للنبوغ أعظم من اكنر و لندنبرج وغيرهما من أفذاذ المادة، ولكن هيهات ان تطلع أفذاذاً من ابطال الروح والخيال السامى كشوقى، لان الفن الخالص من المادة قد تقلص من هذه الدنيا وطغى عليه الفن المادى، وان رجال الجمال من هذا الفن اذا اخترم الموت منهم واحداً فلن تعوضنا الدنيا عن مثله، وناهيك بشوقى الذى كان فى الطليعة من هؤلاء الرجال.

ولستُ مسرفاً اذا قلت ان قصيدة شوقى فى النيل أروع قصيدة عرفها الشعر العربى من لدن امرىء القيس بن حجر الى عصرنا هذا .

لست متعنتاً اذا حدثتك أن شوقى بزّ المتقدمين من أمثال أبى تمام و البحترى و أبى العلاء فى عيون قصائدهم .

فقد جارى الاول فى بائيته ففاته ، والثانى فى سينيته فسبقه ، والثالث فى فائيته نخلفه وراءه . وانك لجد مشدوه اذا علمت ان هذا الرجل الذى تحسّ وأنت تحادثه أنه نصف أوروبى يأتى بهذا الشعر الذى يعجز عنه هؤلاء الفحول فى عربيتهم .

عرفتُ أمير الشعراء بشعره وكنت فى الخامسة عشرة ، وكنت وقت ذاك فى اقليم من الصعيد أجلس فى أويقات الاصيل مع صديق من سنى قبالة دارنا ، وكنت أحسّ بالشعر كما يحس طفل فى سنى ، وكنت أقرأ أنا وصديقى فى الشوقيات فيفوتنى اكثرها واتفهم أقلها ، ولكنى كنت معجباً بشوقى كما يعجب الطفل بأبيه وكنت أروى منها أبياتاً لأترابى مجرّحة فى عربيتها ورويها . ولا زال اعجابى بالرجل يكبر معى حتى طرحتنى الطوارح ولزتنى السنون ، ولا زلت أذكر يومى السعيد يوم تقدمت الى أمير الشعراء للتعرف به ، وكان ذاك عقب قفوله من منفاه فى سنة ١٩٢٠ . كنت فى دار للخيالة رفقة أستاذ كريم ، من رجال الجامعة القديمة ، وكان الظلام قد بدأ يغشانا ، وقد أخذ دوىّ الآلة فى أزيزه منذراً بابتداء عرض الصور ، فاذا بصاحبى ينبهنى الى رجل قصير ضاوٍ ممسك بعروة سترته ، يسير رافع الرأس ، وخلفه ثلاثة يميلون الى الطفولة أكثر من ميلهم الى الشباب ، ويقول : شوقى ! فتشوقت فى كثير من الفضول وأدمنت النظر حتى حلّ الرجل فى كرسيه يتبعه هؤلاء الثلاثة ، ثم عم الظلام مطبقاً وعرضت الصور ولكنى لم أتبين منها شيئاً فقد ظلت نفسى منصرفةً الى هذا الداخل ، وأخذتُ أعمل الرأى ، كيف استطيع التعرف الى هذه الشخصية الفذة ؟ فقر رأيى على التقدم اليه فى نهزة الراحة بين عرض الصور ، وأخذنى زمعٌ شديد ، حتى أنى لم أكاشف صاحبى ببغيتى ، فما تكشف الظلام حتى بادرتُ اليه تاركاً صاحبى مدهوشاً ، وكشفت له عن نفسى ، وأعلنت أنى ممن ينظم الشعر ، وأود ان يسمع منى بعض ما قلت ، فتبسم رحمه الله ونظر الى كبير هؤلاء الثلاثة وقال : ياعلى ! ما مواعيد الغد ؟ فأجابه من ورقة صغيرة عنها . فالتفت الىّ وقال يسرنى ان تزورنى غداً فى الرابعة بعد الظهر فى المطرية . فسلمتُ شاكراً وعدت ، وحدثت صاحبى بما حدث فهنأنى .

أشرق عليّ الغد ، وكان يوما صائفا ، وقد بكر الحر فى شهر مايو وحل الموعد فأدركتنى حيرة : هل أتخلف لمكان هذا القيظ لانى رأيت انه لا يليق ازعاج شاعرنا العظيم فى قيلولته ، أم أبادر بحشى هذا الشوق الذى ينتابنى لمكث لحظة مع أمير شعرائنا ؟ فاعتزمت قطار الضواحى وعرجت على كرمة ابن هانى ، وأرسلت مع الخادم بطاقتى فدعانى رحمه الله الى الطابق الثانى ، فاذا أنا بهذا الشاعر الذى قد أتى بالمعجز يكاد لا يبين فى كرسيه اللين وقد انتضى عنه سترته . فرحب بى برقة أنستنى الفارق العظيم الذى بينى وبينه ، فأسمعته من نظمى قصائد استحسنها رحمه الله رقة منه وعطفاً.

ثم تحادثنا فى شؤون أخرى ، ولن اكذب الله فقد أدركنى شىء من خيبة الامل فقد كنت أحسب ان شوقى لا ينطق الا شعراً ، ولا يتحدث الا شعراً ، ولا يسير الا بالشعر فاذا به غير ذلك ، مثلى ومثلك ! اوكان يتنكب الشعر فى كلامه ولا يشير اليه فى حديث . وكنت احفظ من قصائده الكثير ، فكنت أسأله فى بعض معانى هذه القصائد فكان يجيبنى إجابة رجل لم يقل هذه القصائد ، ولم ينظمها ! فحضرتنى عند ذلك كلمة لفولتير ، قالها عن نفسه : وهى أنه عند ما كان يكتب يخيل اليه ان آخر كان يتولى ذلك عنه ، وكان يتهم نفسه عند قراءة كلامه !

ثم اتصلت بعد ذلك بشوقى اتصال ولىّ او قريب ، كنت ألقاه كل ليلة فأحسّ بروحه الشعرية تظلل المكان .

كنت اعرّج على مكتبه بين الخامسة والسادسة مساء ، حيث كنت ألقى ولديه وهما صديقان حبيبان لى ، وكنا لا نفترق ، وكانت هذه احدى حسناته الىّ رحمه الله ، فكنا نجلس يؤلفنا الشباب بمرحه ، وكنا نتنادر طوراً ونجدّ طوراً آخر حتى اذا أظلتنا السابعة طرق آذاننا صوت حذاء يحتك بالارض فنحذر جميعاً أنه هو ، فلم نلبث طويلا حتى يطل علينا ببسمة حلوة ، ما ذكرتها اليوم الا وجدت على قلبى منها غمزاً ، ثم يفيض معنا فى شؤوننا حتى نحسبه كأحدنا ، ثم ينقطع كل هذا فجأة ، ويرجع الى نفسه فيصبح كأنه ليس معنا ، فهناك تسمع غمغمة كأنها آتية من غور بعيد ، كما يقول أستاذنا مطران ، ثم لا يزال بين ذلك يمسح على جبينه بيده ، ونحن عند ذلك سكوت ، فاذا بلغ آخر مناجاة نفسه ، هبّ واقفاً وتركنا من غير ان يسلم أو يبتسم .

وكان رحمه الله لا يذكر ما نظمه من قصيد رائع فى زمنه الخالى . حدث أنى كنت أماشيه يوماً وكنت قد قرأت فى صبيحته قصيدة فى «عكاظ» نسبها صاحبها اليه وكانت القصيدة لمطران ، وهى فى بعلبك ، فحدثته فى ذلك وتلوت عليه مستهلها فقال : لا أعلم ربما تكون لى ، لأنى قد نظمت كثيراً . فقلت إنها لمطران وقد التبس على صاحبه «عكاظ» ، فأجابنى مبتسماً : لقد ضاعت على مطران المسكين ! ولم نلبث فى مسيرنا طويلا حتى طلع علينا صاحب «عكاظ» مسلماً ، فحاجه رحمه الله فى هذه القصيدة ، فأصر صاحب «عكاظ» أنها له ، وأن رقتها وسلامة لفظها أخلق به ، فأصررت أنا أنها لمطران ، وقد قرأتها فى ديوانه ، فاستطال علىّ صاحب «عكاظ» عفا الله عنه ، وألح فى تأييد رأيه ، فقال له : ياشيخ فهيم ، ارجع الى مصادر هذه القصيدة وتبينها فانى لا أحب أن أغصب أحداً حقه ؟ وانصرفنا ، فاذا بكتاب من صاحب «عكاظ» يعتذر فيه الىّ من الغد وقد أصلح ما تورط فيه من خطأ فى العدد التالى لظهور هذه القصيدة .

ولو شئت ان أعدد من حسنات شوقى الكثيرة لملأت كتباً فقد كان رحمه الله فريداً فى كل شىء ، فى خلقه وفى مروءته وفى برّه ، ولن نظفر بمثله بعده .

طيب الله ثراه ورحمه رحمة تعادل ما أحسن به الى اللغة والأدب والخيال ؟

احمد محفوظ



شوقى امام التاريخ

شخصيته وحكمته المطبوعة

تمهيد

اتفق الى أن كتبتُ فصولاً مطولة عن شعر شوقى فى سنة ١٩٢٥ وهى فصول منزهة عن الغرض يجدها القارىء فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » وكانت فرصة طيبة عرفت فيها أخلاق النقاد المعاصرين . ويعزّ علىّ أن أصرح بأن جمهرة النقاد كانت من أصحاب الصحف الأسبوعية، وكان شوقى عوّدهم التطلع الى مائدته الفاخرة وجيبه الثقيل ! وكانوا كلما احتاجوا الى « بره ومعروفه» طافوا حول شعره يتلمسون ما فيه من نقائص وعيوب ، وكان الرجل يغار على شعره غيرة الكريم على عرضه ،

فكان يخرس ألسنتهم ، ويقصف أقلامهم ، بالهدايا والهبات . وقد ظن أولئك أولئك المساكين أنى أكتب عن شعر شوقى لنفس الغرض الذى يسوقهم ويحفزهم الى الكتابة عن شعره ، فكانوا يتقدمون الىّ ناصحين ، وكان نصحهم يتلخص على اختلاف ألوانه فى هذه الكلمة الطريفة : « ان شوقى لا يحترم من ينصفه ! »

والاحترام الذى يفهمونه هو السخاء والكرم والجود ، وهذا النوع من الاحترام يبدو لعينى بغيضاً ممقوتاً لا يتطلع اليه إلا سفلة الناس . وليت شعرى كيف يحتاج الرجل الى هبات الاغنياء ورغيفٌ واحدٌ يكفيه يوماً وليلة ، وليس بطن الانسان إلا وعاء حقيراً لا يستحق أن تذل فى سبيل ملئه النفوس ! ولكن هذا هو الذى وقع لنقاد ذلك العصر مع الأسف الموجع ، وقد استطاع أولئك المرتزقون أن يشوهوا النقد الأدبى أبشع تشويه ، وأن يقلبوا الحقائق الادبية قلباً كريهاً ، وأن يروضوا الجمهور على الاعتقاد بأن الرجل لا يقول كلمة الحق إلا مأخوذاً بغرض دفين .

وقد عرفتُ بالتجربة أن شوقى كان كما وصفه أولئك الواصفون لا يحترم من ينصفه ، وتجلت لى حقيقة ذلك فى سنة ١٩٢٨ يوم قدم طاغور مصر وأقام له فى داره حفلة استقبال . كنت يومئذ مدرساً بالجامعة المصرية وكنت صديقه وكان الدكتور طه حسين من خصومه الألداء ، فدعا الدكتور طه لاستقبال طاغور فى منزله ولم يدعنى ، لأن الدكتور طه كان موظفاً فى الدرجة الثانية وكنت موظفاً فى الدرجة السادسة ، وفرق ما بين هاتين الدرجتين كان من الأمور التى يفهمها جيداً أمير الشعراء الذى عودته الحياة الرسمية أن يحترم الرسميات ! ثم وقع يومئذ ما هو أبشع من ذلك : فقد كان دعا المسيو ساروليا ثم علم أن الجمهور هاج على ذلك الاستاذ لكلمة ندّت فى محاضراته بالجامعة المصرية ، فكتب اليه شوقى ينبئه بأنه « سحب الدعوة » وانه يرجوه ان يريح نفسه من الحضور لدار الكرم والجود « كرمة ابن هانىء » على أيامها وأيامه تحية وسلام !

وكانت هذه أيضاً فرصة طيبة عرفت فيها أخلاقى : فان تلك الهفوة لم تنقص تقديرى لشوقى ، شوقى الشاعر . أما شوقى الصديق فقد ثرت عليه ثورة عنيفة ، وعدتُ لا أقابله حين ألقاه مصادفة إلا بنفس الزاهد العيوف . وقد اتفق أن تلاقينا عفواً فى بهو الكونتننتال فى ربيع سنة ١٩٢٩ وكنت مع الدكتور منصور فهمى ، فسألنى شوقى عن انصرافى عنه ، فأجبته بكلمات فيها جفاء ، فالتفت الى الدكتور منصور وقال : إن شوقى بك والد الجميع ، وأنشد :

نميــل على جوانبه كأنّا نميـل إذا نميل على أبينا
نقلّبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا

ثم توالت الأيام ، وكانت تزيد فى يقيننا بأن شوقى الشاعر شخصية منفصلة تمام الانفصال عن شوقى الذى يعرفه الناس كانسان اجتماعى يخطىء ويصيب بين الحق والواجب ، وكان أن رأيته لآخر مرة فى مسرح حديقة الازبكية يوم اجتمعنا لمعاونة الأديب محمود أبو الوفا ، وأسرعتُ اليه أحييه ، وأقبل أبو الوفا يسلم عليه . وكدت أصرخ فى وجهه : قبّـل يد الشاعر أيها الجاحد فقد شرّف قدرك بشعره ! وكانت عاطفة طبيعية : فقد كان شوقى فى ذلك اليوم وهو محطّم مهدودٌ يبدو لعينى فى وقار الصّدّيقين . ولما علمتُ أنه سيقيم حفلة شاى فى داره لأعضاء (جمعية أبولو) خطر ببالى أن أسعى لحضور تلك الحفلة ، خشية أن تكون آخر مرة يرى الناس فيها أمير الشعراء ، ولكنى رفضت أن أذهب بدون دعوة ، ثم كان ما مرّ بالبال صحيحاً ، وكانت آخر مرة يستقبل فيهـا شوقى رجال الأدب فى داره ، فياحسرتا على ما ضيّعتُ من تلك اللحظات الطيبات !

لم أسىء يوماً الى شوقى الشاعر ، والحمد لله ، وإن كنتُ بعت حظى من شوقى الصديق ، وقد عانيت فى سبيل إعجابى بشعره نكبات عديدة ، فان ناساً كانوا يودون لو هدموه ، ومن أولئك الناس رجال احترمهم وأرى فيهم مخايل العبقرية ، ولكنهم أولعوا بالنيل من ذلك الرجل ، وسلكوا الى هدمه شتى الشعاب ، وكان الرجل عظيم الشاعرية حقاً وكان أصلب من أن تنـال منـه معاولُ الهادمين ، فعادوا يتمسحون بأعتاب الخُلُق والوطنيـة ، وكانت لهم فى ذلك جولات رسم خطواتها الشيطان . والأخلاق والوطنية عكاز يتوكأ عليه كل مغرض حقودٍ ، وستظل الاخلاق والوطنية دعامة يستند اليها ضعفاء النفوس والعقول ما دام أهل الشرق يحسنون الاستماع الى أدعياء الوطنية والاخلاق !

الخُلُق لله ، والوطنية لله ، كما أن الدين لله ، فلنترك لشوقى أخلاقه ووطنيته ، ولننظر فيما أبدع من آيات الشعر البليغ ولنخص بالذكر شعر الحكمة الرائعة .

الحكمة فى شعر شوقى

اول ظاهرة واضحة فى شعر شـوقى هى التماس الشاعر لغرائب الحكمة فى جميع القصائد والمقطوعات ، وقد آثرتُ أن أقف هذا المقال التقديرى على تلك الظاهرة البارزة فى شعره وهى ليست ملحوظة فى شعر الكهولة وحده ، وانما ترجع الى ميل

فى نفس الشاعر منذ صباه . ومن الجميل أن يكون الشاعر حكيماً ، ولكن الأجمل ان ترد الحكمة عفواً بلا تكلف ولا افتعال . وقد وقع لشوقى ان عقّ اسلوب القَصَص أحياناً كثيرة فى سبيل الحكمة ، وغالب سياق القصائد رغبة فى تدوين الكلام الحكيم . من ذلك قصيدته الهمزيه التى أنشأها منذ نحو ثلاثين عاماً لتلقى فى المؤتمر الشرقى الدولى الذى انعقد فى مدينة جنيف سنة ١٨٩٤ . وهى قصيدة مطولة وصف فيها مصر وحكوماتها وأهلها منذ العهد القديم ، وجرى القصَصُ فيها مسلسلا لم يعقه الا التنقل الى الحكمة التى كانت تطرد أحياناً الى نحو خمسة أبيات مع أنه كان يكفى أن تقع فى شطر بيت لتكون لفتة طريفة لاينقطع بها سياق الحديث . مثال هذا كلامه عما لحق مصر من الذل بعد عهد فرعون ، فقد وصل به هذه الابيات :

إن ملكتَ النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاءُ
يسكن الوحشُ للوثوب من الأسـر فكيف الخلائق العقلاءُ ؟
يحسب الظالمون ان سيسودو ن وان لن يؤيَّد الضعفاءُ
والليالى جوائرٌ مثلما جا روا وللدهر مثلهم أهواءُ

ثم عاد الى القصص فنظم ثلاثة عشر بيتاً عن رمسيس وسيزوستريس الذى وصفه بالتواضع وكره الكبرياء ، ودعاه هذا الى القاء الحكمة فقال :

يُولد السيدُ المتوّج غضّاً طهّرته فى مهدها النعماءُ
لم يغيره يوم ميلاده بؤ سٌ ولا ناله وليداً شقاءُ
فاذا ما الملقون تولّو ه تولى طباعه الخيلاءُ
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو لِ يراه مستعذباً وهو داءُ
فاذا أبيضُ الهديلِ غرابٌ واذا أبلجُ الصباحِ مساءُ

وقد تطّرد الحكمة عند شوقى لغرض مقصودٍ فتأتى رائعة : مثال هذا قصيدته فى مشروع ملنر ، وهى قصيدة كان يجب بترها من الديوان لولا حرمة التاريخ ، ومشروع ملنر كان فتنة من أخطر الفتن ، وكان ناس دعوا له واستدرجوا شوقى الى الدعوة له ، فكتبت ألومه فى جريدة «المحروسة» ، فلما تلاقينا اعتذر بأنه قال القصيدة مأخوذاً بالحاح بعض الناس . والقصيدة دعوة الى الرضا بالضعف ، ولكنها من اظرف ما يُنوِّم به الضعفاء ، ولم أجد فى حياتى كلمة باطل صيغت فى مثل هذا الاسلوب الطريف :

قد صارت الحالُ الى جدّها وانتبه الغافل من لعبهِ
الليث والعالمُ من شرقه فى هيبة الليث الى غربه
قضى بأن نبنى على نابه ملك بنينا وعلى خلبه
ونبلغ المجد على عينه ونطخل العصر الى جنبه
ونصل النازل فى سلمه ونقطع الداخل فى حربه
ونصرف النيل الى رأيه يقسمه بالعدل فى شربه
يبيح أو يحمى على قدرة حق القرى والناس فى عذبه
أمر عليكم أو لكم فى غدٍ ما ساء أو ما سرّ من غبه
لا تستقلوه فما دهركم بحاتم الجود ولا كعبه
نسمع بالحق ولم نطّلع على قنى الحق ولا قضبه
يَنال باللين الفتى بعضَ ما يعجز بالشدة من غصبه
فان أنستم فليكنْ أنسكم فى الصبر للدهر وفى عتبه
وفى احتشام الأسد دون القذى اذا هى اضطرت الى شربه
قد أسقط الطفرة فى ملكه من ليس بالعاجز عن قلبه
يا رُبَّ قيدٍ لا تحبونه زمانكم لم يتقيدْ به
ومطلب فى الظن مستبعد كالصبح للناظر فى قربه
واليأسُ لا يجمل من مؤمن ما دام هذا الغيب فى حجبه

أليس يرى القارىء أن هذا باطلٌ صُوّر فى أبرع اسلوب ؟ ومع هذا فالشاعر حكيم فى طبعه حتى حين يتأنق فى تصوير الأباطيل ، فاننا مهما رميناه بالدعوة الى الضعف واللين لا نستطيع ان ننكر أنه كان أحكم الناس حين قال :

يا رُبَّ قيدٍ لا تحبونه زمانكم لم يتقيدْ بهِ

فان الزمان قد يفك القيود حين يرى فيها مغالبة لطبيعة الحياة وحقوق الاحياء كما بدأ يفعل فى معاهدة فرساى .

وكان يطيب لشوقى أحياناً أن يبدأ قصيدة بالحكمة ثم يطيل كأنما كانت الحكمة غرضه المقصود ، وأكثر ما كان يقع ذلك فى قصائد الرثاء . ومن اوضح الشواهد فى هذا ما ابتدأ به قصيدته فى كارنارفون :

في الموت ما أعيا وفى أسبابهِ كلُّ امرىء رهن بطىّ كتابهِ
أسد لعمرك من يموت بظفره عند اللقاء كمن يموت بنابه
إن نام عنك فكل طب نافع أو لم ينم فالطب من أذنابه
داء النفوس وكل داء قبله هم نسين مجيئه بذهابه
النفس حرب الموت إلا أنها أتت الحياة وشغلها من بابه !
تسع الحياة على طويل بلائها وتضيق عنه على قصير عذابه
هو منزل السارى وراحة رائح كثر النهار عليه فى إتعابه
وشقاء هذى الروح من آلامها ودواء هذا الجسم من أوصابه !

تلك ثمانية أبيات فى الحكمة يجد بعدها القارىء أحد عشر بيتاً حاول الشاعر صبغها بصبغة الكلام الحكيم ، وهذه المقدمة الطويلة تبدو لنا مستثقلة بعض الشىء لأننا نلمح فيها آثار الافتعال ، ولكننا نقف خاشعين حين نصل الى قوله فى وصف ذلك العالَم المجهول الذى يُسمَّى عالم البقاء :

يا صاحبَ الأُخرى بلغت محلةً هى من أخى الدنيا مناخُ ركابه
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى من لا يُفيق وجدّ من تلعابهِ
نام العدو لديه عن أحقاده وسلا الصديقُ به هوى أحبابهِ
الراحةُ الكبرى ملاك أديمه والسلوة الطولى قِوام ترابهِ !

وللقارىء أن يتأمل البيت الأخير فهو من أجود ما قيل فى وصف ما بعد الموت من قرار وسكون .

ولشوقى قصائد دعت اليها ظروف وقتية، ضمَّنها كذلك حِكماً وقتية ! فقصيدته فى العمال منظومة مفتعلة تحدث فيها عن الانتخابات البرلمانية لأن ظروفها اقتضت ذلك ، واسمع كيف يقول :

أيها الجمعُ لقد صر تَ من المجلس قابَا
فكنْ الحرَّ اختياراً وكن الحرَّ انتخابا
انّ للقوم لعيناً ليس تألوك ارتقابا
فتوقع أن يقولوا : مَنْ عن العمال نابا ؟
ليس بالأمر جديراً كلُّ من ألقى خطابا
أو سخا بالمال أو قدَّ مَ جاهاً وانتسابا
أو رأى أميةً فاخـ تلب الجهل اختلابا

والقوم الذين يعنيهم شوقى هم الانجليز ، والعمال مدعوون ان يراقبوا الانجليز حين ينتخبون النواب ، والمطلوب ان ينتخبوا الدكتور محجوب ثابت ! ولكن هذه المنظومة لم تخل مع ذلك من أبيات حكيمة سبقت اليها فطرة الشاعر الحكيم حين أخذ يقول :

ان لى نصحاً اليكم إن أذنتم وعتابا
فى زمان غَبِيَّ النا صحُ فيه أو تغابى
اين انتم من جدودٍ خلدوا هذا الترابا
قلدوه الأثر المعجزَ والفنَّ العجابا
وكسوه أبدَ الدهر من الفخرِ ثيابا
أتقنوا الصنعةَ حتى أخذوا الخلد اغتصابا !
انّ للمتقن عند الله والناس ثوابا
أتقنوا يحببْكمُ اللهُ ويرفعْكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مصر من الفن خرابا
بعد ما كانت سماءً للصناعات وغابا ؟

وبساطة هذا الشعر من سِمات جماله وخصوصاً اذا لاحظنا انه يخاطب به طبقات العمال ، وخطابهم يفرض اليسر واللين فى العرض والأداء .

وليس من الغلو فى شىء ان نصرح بأننا معجبون أفتن الاعجاب بقوله فى هذه القصيدة يوصى بالادّخار اتقاءً لحوادث الأيام :

انما العاقل من يجعل للدهر حسابا
فاذكروا يومَ مشيبٍ فيه تبكون الشبابا
انّ للسنّ لهمّاً حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم للشيبِ والضعف نصابا
واذكروا فى الصحة الداءَ اذا ما السقم نابا

وقد تبدو هذه الأبيات عاديةً عند من لا يتأمل فيما تشير اليه من اعقاب الشيخوخة ذات الويل والعذاب ، ولنذكر دائماً انه يخاطب العمال الذين تغلب عليهم الغفلة عن مصائر من يهرمون وهم مُعدِمون .

ولا ينبغي ان تفوتنا هذه الفرصة فنهمل التنويه بهذه الظاهرة الغريبة فى حكمة شوقى : فان الرجل فيما يظهر من شعره ومن اخلاقه الحيوية كان مأخوذاً بالحرص على طيبات العيش ، وكان مشغوفاً بمعاودة التفكير فى الأخلاق المعاشية ، والأخلاق المعاشية هذه كلمة نراها انسب ما يُصوِّر به حرص شوقى على اسباب الحياة . وانظر قوله فى النحل :

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُقٍ مصوَّرَهْ
يا أُمّا قل ملكها وما أجلَّ خطره !
قفْ سائل النحلَ به بأيِّ عقلٍ دبّره
يجبْك بالأخلاق وهى كالعقول جوهره
تُغنى قوى الأخلاق ما تُغنى القوى المفكره
ويرفع الله بها من شاء حتى الحشره !

ليتأمل القارىء فى قوله « من خُلُق مصوَّرة » ووصفه الأخلاق بأنها جوهرة كالعقول ، يريد انها هبة دقيقة خفية لا يعلم أسرارها غير علاّم الغيوب ، وهذا معنى لا يدرك الا بدقة التأمل ، فان الخلق الصالح خُلق العيش والحياة من الأسرار الخفية ، فكم ناس يُوَفَّقون فى حياتهم المعاشية ، وليست هناك أسباب ظاهرة لما رُزقوا من توفيق ، غير أن الخبير بأحوال العيش يعرف أن هناك دقائق نفسية وخلقية يتيسر بها العيش والرزق ، وإن كان أصحابها فى ظاهر الأمر من العابثين الماجنين . ولينظر القارىء ايضاً قوله :

أليس فى مملكة النحل لقومه تبصرهْ ؟
مُلكٌ بناه أهله بهمة ومجدره
لو التمست فيه بطا ل اليدين لم تره
تُقتل أو تُنفى الكسا لى فيه غير منذَره !

وهذه صورة صحيحة لحياة النحل ، وفيها عبرة لمن يرون اختلال الجماعات الانسانية ثم لا يعرفون أن أسباب ذلك الاختلال ترجع الى مهادنة اهل البطالة والفراغ.

* * *

لننتقل بعد هذا الى الحكمة الفطرية فى شعر شوقى ، ونريد بها الحكمة التى تقع فى ثنايا القصيد من غير تكلف ولا افتعال . وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله يخاطب الخليفة مهنئاً بالعيد :

أمثلك يمنع الأوطان خيراً وأنت خُلقت من خير طباعا ؟
شجاعاً كنت في يوم عصيب توقيها المحبة والدفاعا
جنحتَ الى السلام فكان حلماً وقدماً زيّن الحلمُ الشجاعا
ومن صحب الحياة بغير عقل تورّط في حوادثها اندفاعا

فان البيت الأخير وقع موقعاً طبيعياً لم يشنه تصنع الحكمة ولا اختلاق أسباب القول الحكيم .

وقصيدة نهج البردة تفيض بشواهد الحكمة الفطرية ، ولنقرأ هذه الأبيات :

رمى القضاء بعينيْ جؤذر أسداً يا ساكنَ القاع أدركْ ساكن الأجم !
لما رنا حدثتني النفس قائلة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمى
جحدتها وكتمت السهم في كبدي جرحُ الأحبة عندي غير ذي ألم
رزقتَ أسمح ما في الناس من خلق اذا رزقت التماس العذر في الشيم
يا لائمي في هواه والهوى قدَرٌ لو شفّكَ الوجد لم تعذل ولم تلم
لقد أنلتك اذناً غير داعية ورب منتصتٍ والقلب في صمم !

والأبيات الأربعة الأخيرة مضمخة بعبير الحكمة ، وأرقّها عندي وأوجزها قوله : « والهوى قدر » . وقد حدّثت الدكتور طه حسين عنها مرة فابتسم وقال : « وعدٌ مكتوب عليّ ومقدّر على الجبين ! »

ولنقرأ قوله في وصف الدنيا :

يا نفسُ دنياك تخفى كل مبكية وإنْ بدا لك منها حسن مبتسم
فضّى بتقواك فاهاً كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشاء بالثرم
مخطوبة منذ كان الناس خاطبة من أول الدهر لم ترمل ولم تئم !
يفنى الزمان ويبقى من اساءتها جرح بآدم يبكى منه في الأدم
لا تحفلى بجناها أو جنايتها الموت بالزهر مثل الموت بالفحم !

وقوله في فخار الأصل بالفرع :

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ في مظهر سنم
نموا اليه فزادوا في العلا شرفاً ورب أصل لفرع في الفخار نُمى

وقوله فى شمائل الرسول :

محبة لرسول الله أشربَها قعائد الدير والرهبان فى القمم
ان الشمائل إن رقت يكاد بها يُغرى الجماد ويُغرى كل ذى نسم

وقوله فى صاحب البردة :

مديحه فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم؟
وانما انا بعض الغابطين ، ومن يغبط وليك لا يذمم ولا يلم

وقوله فى يتم النبي :

ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتُم!

وقوله فى المفاضلة بين محمد وعيسى :

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
والموت جهل فان أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجَم

وقوله فى حرب من لم يغن فى تقويمهم السلم :

لما أتى لك عفواً كل ذى حسب تكفل السيف بالجهّال والعمَم
والشر إن تلقه بالخير ضقتَ به ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم !

وقوله فى فضل الحرب :

دعوتَهم لجهادٍ فيه سؤددهم والحرب أسّ نظام الكون والأمم
لولاه لم نر للدولات فى زمن ما طال من عَمَد أوقرّ من دعَم
تلك الشواهد تترى كل آونة فى الأعصر الغُرّ لا فى الأعصر الدهم
بالأمس مالت عروش واعتلت سُرُرٌ لولا القذائف لم تثلم ولم تُصَم

والحكمة هى قوله: « والحرب أس نظام الكون والأمم » ، ومابعدهذا الشطر جرى مجرى الشرح والتقرير ، وقوله فى فضل العدل على القوة :

واترك رعمسيس : ان الملكَ مظهرهُ فى نهضة العدل لا فى نهضة الهرَمِ

ويطول القول لو مضينا نستقصى ما اتفق لشوقى من روائع الحكمة الفطرية ، وانها لتقع لهسائغة مستطابة كالورد النمير. وانظرقوله يخاطب من شيدوا اقبر نابليون :

حصّنوا ماشئتمو موتا كمو هل وراء الموت من حصن حصين؟!

وقوله فى ذكرى دنشواى :

شهداء حكمك فى البلاد تفرقوا هيهات للشمل الشتيت نظام !

وقوله فى صلة مصر بالسودان :

فمصر الرياض ، وسودانها عيون الرياض وخلجانها
وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها

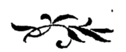
وقد جرى الشاعر فى هذه السبيل حين ألف رواياته المسرحية ، فليتصفحها القارىء ليرى صحة ما نقول .

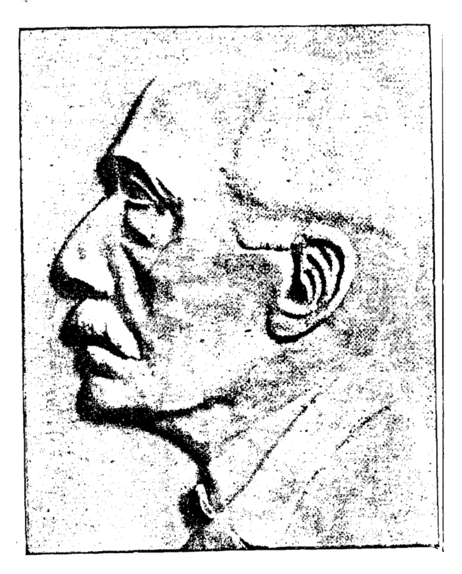
* * *

وبعد عرض هذه النماذج فى صور الحكمة ومواقعها فى شعر شوقى يحسن بنا أن نقرر ان ذلك الرجل استقى تلك الحكم من تجاريبه اكثر مما استقاها من مطالعاته: فقد عاش زمناً عيشة محرجة مضجرة لا يعرفها الا من ابتلى بمثلها أو بما يقاربها ، وماظن القارىء بمن يعاشر الملوك ويذوق ما فى كؤوس السياسة من علقم وصاب؟ لهذا نراه صادقاً غير متكلف حين يقول :

أخا الدنيا ، ارى دنياك أفعى تبدل كل آونة اهابا !
وأن الرقط ايقظ هاجعات واترع فى ظلال السم نابا
ومن عجب تشيب عاشقيها وتغنيهم وما برحت كعابا !
فمن يغتر بالدنيا فانى لبست بها فأبليت الثيابا
لها ضحك القيان الى غبى ولى ضحك اللبيب اذا تغابى !
جنيت بروضها ورداً وشوكاً وذقت بكاسها شهداً وصابا

زكى مبارك





﴿لوحة الرخام التذكارية﴾

وهى من عمل المثال المسيو سيمان وستُعَلق فى كلية الآداب بالجامعة المصرية

ذكريات

عن حياة المدرسة ومدرسة الحياة

— ١ —

أود أن أرفع جانباً يسيراً من الستار الذى أرخاه تطاول الزمان على بعض النواحى من تلك العبقرية التى تألق نورها فى سماء العروبة حيناً من الدهر ، لا يقل مداه عن ١٩٠ يوماً و١٧،٠٠٠ يوم ، أى من أول اكتوبر سنة ١٨٨٥ الى اليوم الرابع عشر من مثله فى عامنا الحاضر .

ولعلى أتمكن من إرسال شعاع ضئيل على ما أحرزه «شوقى» من سعود متواصلة، وتوفيقات متوالية ، منذ كان يتلقى العلم الى أن بويع بامارة الشعر .

سأقصر كلامى على طائفة قليلة من ذكرياتى عن الخالد « شوقى » فى حياة المدرسة وفى مدرسة الحياة .

— ٢ —

فلنرجع الى سنة ١٨٨٣ . وهى السنة التى تشرّفتُ فيها بدخولى الفرقة الرابعة (أى السنة الأولى بالاصطلاح الحديث) من مدرسة الأدارة التى صححوا (فى سنة ١٨٨٦) اسمها هذا المغلوط فجعلوه مدرسة الحقوق (وهو اسم مغلوط أيضاً . ولذلك بيان ليس هنا محله) .

كانت المدرسة قد انتقلت من مقرها القديم المعهود فى سراى مصطفى باشا فاضل (بدرب الجماميز) الى دار البدراوى الباقية الى اليوم بشارع سوق الزلط (من قسم باب الشعرية) على مقربة من دار السادة الاشراف الاماجد آل العروسى، الذين آلت الى أحدهم مشيخة الازهر .

وفى العام التالى أقبل فوج جديد من التلاميذ للحلول محلنا فى الفرقة الرابعة . وفى الذى بعده جاء فريق آخر ممن أسعدتهم المقادير بالانتظام فى سلك هذه المدرسة العالية.

من الطبيعى أن يتطلع أبناء الدار بشىء من الزهو والخيلاء الى الطارئين عليهم والمنضمين اليهم .

كان فى جملة الوافدين سنة ١٨٨٥ ، فتى نحيف نحيل ، هزيل ضئيل ، قصير القامة ، وسيم الطلعة (تقريباً) ، بعيون متألقة (تحقيقاً) ولكنها متنقلة (كثيراً) . فاذا نظر الى الارض دقيقة واحدة ، فللسماء منه دقائق متمادية . وإذا تلفت صوب اليمين ، فلا يلبث أن يرمى ببصره نحو الشمال . وهو ، مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة ، هادىء ساكن وادع كأنما يتحدث بنفسه الى نفسه أو يتلاغى مع عالم من الارواح . ما كان يلابسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمرح ، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الطعام .

هذه صورة مصغرة لاحمد شوقى عند أول عهدى به فى حياه المدرسة .

— ٣ —

كان المرحوم الشيخ محمد البسيونى البيبانى من علماء الازهر المعدودين .

وقد آتاه الله بسطة فى الجسم والعلم فكان بديناً فطيناً ، وكان قصيراً فوق قصير لانه كان طويلاً مكيراً ، لا تخطئه النكتة البارعة اللاذعة . وكان يدرس لنا فنون البلاغة فى كتاب من تصنيفه هو « حسن الصنيع فى المعانى والبيان والبديع » . أما خارج المدرسة ، فكان متخصصاً بنظم القصائد فى مدح الخديو توفيق ، كلما حلّ موسم أو أطل عيد . وكان إماماً له فى الصلوات ، إلا صلاة الفجر .

ما لبث أن رأى فى تلميذه شوقى بواكير العبقرية وبوادر المواهب الربانيـة . فأنشأ الاستاذ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها الى المعية السنية فالى « جريدة الوقائع المصرية » وغيرها من الصحف العربية . وكان شوقى ، ببساطة التلميذ الناشىء ، يشير بمحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت وتعديل ذياك الشطر . والاستاذ يغتبط بقوله وينزل على رأيه .

وأحسن ما أذكره للاستاذ البسيونى ، رحمة الله عليه ، انه كان يتحدث بذلك الينا والى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى وابوبكر يحيي باشا وعلى ثاقب باشا وشاكر بك احمد) دون أن تأخذه العزة بالاثم أو أن تغريه الكبرياء الملازمة للمدرّس ، بانكار الفضل الذى منحه الله للدارس .

فهذه أول سعادة أحرزها شوقى .

على أن الاستاذ البسيونى تحدث بهذا النبوغ الباكر الى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أثواب الصغير احمد شوقى براعة نادرة وذكاء رائعاً ، وانه خليق برعايته العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الارض ومغاربها .

وكانت هذه الشهادة من أكبر الاسباب التى حفزت الخديو توفيق فى سنة ١٨٨٧ الى إرسال شوقى على نفقته الخاصة لاتمام الدراسة العلمية فى باريس ولتغذية مواهبه الغريزية بما يراه فى الغرب من روائع البدائع . وقد تحققت له وفيه الآمال . فكانت هذه ثانية السعادات .

— ٤ —

عاد شوقى الى مصر .

فكان فى جملة المستخدمين فى ديوان المعية السنية . وظهرت له فى الخديو توفيق تلك الامداح التى سارت بها الامثال وتغنى بها الركبان .

لكن الله اختار الخديو توفيقاً الى جواره فى أواخر سنة ١٨٩١ .

وجلس على الاريكة ولده وولى عهده صاحب السمو الخديو عباس الثانى ، (فى ٨ يناير سنة ١٨٩٢) وكانت نزعته افرنكية ، لانه تلقى العلم فى « أكاديمية ترزيانوم » بعاصمة النمسا ، أُدْرِج وأمضى زمان الصبا فى ربوع أوربا. فلم يكن لصاحبنا شوقى سوق رائجة عنده ، بل أدرج فى سلة المهملات الذين يصح عليهم رأى المرحوم محمد بك عثمان جلال ، حينما كتب على باب غرفة شاعر الخديو إسماعيل : « إنما نطعمكم لوجه الله » .

هكذا ، أخذت منزلة شوقى فى التدلى وأخذ نجمه فى الأُفول . حتى انه كان كثيراً ما يطلب متى أن أُوصى به صديقى المفضال حمزه بك فهمى الذى كان انتقل من نظارة الداخلية الى رياسة « أقلام عربى ديوان خديوى » . وهو من أهل الفضل الصحيح ومن ارباب الأدب المتين ، وصل الله فى حياته .

— ٥ —

دار الزمان دورته .

وبعثت الظروف السياسية الخديو عباساً إلى أن يتذوّق الادب العربى . فعاد شوقى يتدرج فى الرجوع الى مكانته حتى وصل الى الذروة العليا ، بل الى الغاية التى

ليس وراءها غاية . فاصبح من اقـرب المقربين ومن اصحاب الـكلمة المسموعة والرأى النافذ .

وإذا بى أرى صديقى المفضال حمزة بك فهمى يخاطبنى فى استرعاء شوقى إياه ! والحياة مبادلة ، والدهر أخذ وعطاء .

— ٦ —

كان شوقى يسكن فى دار أبيه ، وهى التى انتهت اليها كل الثروة الضئيلة الباقية عن اجداده . فكان فى اول أمره يرى من تمام سعادته انه لا يجيئه الجابى اوصاحب الملك فى آخر كل شهر لمطالبته بكراء البيت ! وهذه الدار القديمة لا تزال قائمة وراء مسجد الشيخ صـالح ابى حـديد فى خـط الحنـفى . ويا بعـد ما بيـنها وبين ما أنشأه هو من كرمـة ابن هانى فى المطرية ، تتلوها الـكرمات الثلاث فى الجيزة ، الى عش البلبل فى طريق الاهرام .

وكان بجوار تلك الدار القديمة رجل من اهل الثروة واليسار ومن ارباب الفضل الصحيح والوقار التام ، هو المرحوم حسين بك شاهين . رزقه الله بثلاث بنات هن عنوان الصيانة والأدب والكمال . وكان الشباب الذهبي من « ابناء الذوات » الذين ذهبت ثروتهم بفعلهم اوبفعل آبائهم الاقربين، يتهافتون عليه . فيتأبى ويتعذر. ويقول لى وللمرحوم محرم بك رستم (صهر صديقى بل أخى الابر الاكمل لبيب بك البتانونى) ان هؤلاء المتهافتين لايخطبون الفتيات، ولـكنهم يترمقون الثروة الطويلة العريضة التى ستؤول الى كل واحدة منهن بعد حين قريب أو بعيد .

وشاء ربك ان يفوز ذلك الماجد المفضال بمصاهرة ثلاثة من افضل الناشئة المصرية :احدهم شوقى ، والثانى احمد بك عمر المهندس البارع النزيه المستقيم،وثالث الثلاثة السرىّ المرحوم يعقوب حلمى بك .

هكذا أنعم الله على شوقى بالزوجـة الصالحة بكل معانى الـكلمة . فاستراح من متاعب الحياة البيتية ، ومن مصاعب العيشة المادية.فتفرغ لاستمداد الفيض النورانى وتلقى الالهام الربانى ، حتى تفرد بالبراعة التى ليس بعدها براعة .
وانبت لمصر ، والحمدلله ، نباتاً حسناً .

— ٧ —

من السعادات التى أنعم الله بها على « شوقى » سعادة لم يشركه فيها شاعر آخر . لم يهج احداً ، ولم يقل هجراً ، وكان من أكابر أنصار العروبة ومن اعاظم خدّام

الاسلام . بذلك تنطق قصائده وتشهد مواقفه . وذلك خارج عن دائرة هـذه الذكريات ، فأترك الكلام عليه لغيرى .

بيد اننى لا أرى بأساً بالاشارة الى القصيدة التى تقرب بها الى الله والى رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام . فقد نظم « نهج البردة » ونزّهها عن خرافات القصّاص وأكاذيب المُدّاح .

طالما عارض الناس « بردة » البوصيرى فى القديم وفى الحديث بمئات ومئات من المنظومات . لكن الصيت بقى لهذه « البردة » وحدها الى الآن . على أن قصيدة شوقى ، وإنْ لم تزحزحها عن مكانتها ، فانها قد نالت شرفاً ليس له نظير . ذلك بان الاستاذ الاكبر شيخ الازهر وخاتمة المحدثين فى مصر ، الشيخ سليم البشرى رحمة الله عليه ، مع جلالة قدره وسمو مركزه ورفيع مقامه ، قد تولى بنفسه وبقلمه شرح هذه القصيدة . وقد صاغها شوقى وهو لا يزال فى سن الفتوة . لكن براعته فيها جعلت شيخ الشيوخ يعرف فضلها ويقدر ناظمها ثم يتوفر على شرحها . وما رأى الناس لذلك مثيلا قبل شوقى .

— ٨ —

عند ماجلس المغفور له السلطان حسين كامل على عرش مصر ، كان السواد الاعظم من ابنائها يعاديه ، بسبب الظروف السياسية التى احاطت ارتقاءه الى الاريكة . لكنه ما لبث بكياسته وحسن سياسته ان جعلَ كل من فى مصر مخلصاً فى ولائه ، يترنم بمحامده ، ويأسف على أن ولايته للأمر جاءت عند الاقتراب من نهاية العمر .

وتلك من نعم الله التى لا يظفر بها إلا الأقل من قليل من الناس.

فكان شوقى اشجع انسان بمصر فى ذلك العهد المملوء بالمخاوف والاهوال ، والذى كانت السلطة العسكرية البريطانية قابضة فيه بيد من حديد على كل النواصى والاقدام ، بل على الافكار والاوهام . فقد صارح شوقى السلطان حسيناً بما كان موضوع التهامس بين كل اثنين يلتقيان ، إذ أرسل اليه قصيدته المشهورة التى أشار فيها الى الحال القائمة بقوله :

(ان الرواية لم تتم فصولا)

والتى يقول فيها :

أأخون إسماعيل فى أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا ؟

قامت قيامة السلطة العسكرية البريطانية لهذا النذير واضطربت كل الاضطراب ، لانها خشيت أن تنتشر بقعة الزيت فى رقعة مصر بسبب هذه الصيحة الشوقية التى كان لها أثرٌ بعيد فى النفوس ووقع فعّال فى القلوب ،
فأمرت بنفيه . فتخير الاندلس مقاماً .

فكان فى عمل السلطة إحسانٌ له وللشعر وللعروبة من حيث قدّرت الاساءة واطفاء النور .

من هناك كاتبنى شوقى يطلب كتباً يستعين بها على تعرف مجد الاسلام وفخر العروبة فى الاندلس . فبادرتُ وارسلت اليه « نفح الطيب » و «المعجب بتلخيص أخبار المغرب » و «قلائد العقيان» وأيضاً . . . كتاب رحلتى « السفر الى المؤتمر ».
ماذا أقول عن دهشتى بعد أسبوع ؟ أعاد لى الرقيب العسكرى تلك الكتب ومعها كلمة فيها ملاحظة على أن هذا الصنيع من موظف بالحكومة قد لا يتّسق لواجبات الوظيفة !

وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة ، جاءنى الصديق عديل شوقى بك وهو احمد بك عمر لأتوسل الى المرحوم رشدى باشا حتى يسعى عند السلطة فى عدم إعادة المال الذى كان ارسله الى شوقى ليعيش به فى بلاد الغربة . فكأنها كانت تريد أن يتكفف شاعر الشرق رغم ثروته الطائلة أو أن يموت هو وأولاده من الجوع فى بلاد الغرب !
وشاء ربك تكليل مساعى رشدى باشا بالنجاح . فاخذ احمد بك عمر يبعث بشىء من مال شوقى الى شوقى فى منفاه ، ولكن فى اوقات معلومة وبمقادير محدودة .

— ٩ —

لا أريد ان اتحدث هنا عما كان المرحوم السلطان حسين يواليني به من أسباب الحفاوة والالتفات ، حتى انه اختارنى بمثابة مستشار فنى لكريمته النبيغة ، صاحبة السمو سيدتى الاميرة قدرية هانم .
لكننى أتحدث الآن عن امر يخصّ شوقى ايام منفاه .

فقد كان السلطان حسين يدعو الذين استخلصهم لوده ، فرادى وجماعات ، لتناول الغداء معه من حين الى حين فى سراى عابدين . وحسبى ان اقول إنه بعد الفراغ من الطعام ، تفضل فدعانى الى تناول القهوة بالبهو الكبير . فجلس فى الركن الشمالى الشرقى والمرحوم محمود شكرى باشا الكبير على يمينه ، وصاحب هذه الذكريات على يساره .

أخذ يتحدث عن النهضة العلمية وعن التطور فى الحركة الادبية. فاستعرض الرقى الذى حدث فى الصحافة وفى الاغانى القوميـة . ودار الـكلام بنوع خاص على المرحوم اسماعيل صبرى باشا وعلى ما أُوتى من الفتوح فى هذه الابواب التى جعلته إمام الناظمين فى كل فن من فنون العهد القديم ، وفى كل مطلب من مطالب العصر الحديث .

ثم سألنى — رحمه الله — عن ترجمة كلمات كثيرة ، ومنها لفظة Mentalité . فقلت له ان هذه الصيغة قد استحدثها القوم لمعنى خاص يقاربه فى العربية قولنا « ذهنية » ، « عقلية » .

وحينئذ ، انتقل الى الـكلام عن طرافة التفنن عند شعراء الافرنج . ثم سألنى : أيوجد بين العرب الآن من فى قدرته أن يماشيهم مع هـذه « العقلية » الجديدة وهذه « الذهنية » الحديثة ؟

فقلت : ان هذه المزية قد تفرقت فى كثير من شعراء العصر ، ولـكنها اجتمعت كلها فى شوقى . . .

وهنا ظهرت لى إشارة من المرحوم محمود شكرى باشا ، فتشجعت بها على المضىّ فى الـكلام ، وقلت لمولانا السلطان :

ان شوقى ممن تزدان بهم الدول ، وإن مثله لو كان فى زمان الخلفاء لتخاطفته دمشق وبغداد وقرطبة ...

فتكررت الغمزات من ناحية شكرى باشا ... بالموافقة والمطابقة .

فاندفعت أتغنى بمحاسن شوقى ، وبما أفاضه على العروبة والاسـلام من نفثاته ، وبما منحه للشعر والادب من نفحاته ، وان هذه وهذه حسنات باقيات وآثار خالدة.

وهنا تزايدت الاشارة الرقيقة الدقيقة من المرحوم شكرى باشا ...

فعاودت الهجوم على الموضوع ، سيما وقد آنست من السلطان ما يشعر بالرضى والقبول . فقد التزم الاطراق والاصغاء فى سكوت وسكون .

وهكذا تماديت حتى الى كلمة فيها جـراءة . شجعنى عليها ما رأيتـه من موقف السلطان . فقد قلت ما معناه بالاختصار :

أيصح أن تبقى مصر محرومة فى عهدك السعيد ، بلبلها الغريد ، وان يرفرف هذا الطائر الفريد الوحيد بجناحيه على قرطبة وطليطلة وعلى اشبلية وغرناطة ، بعد ان خرجت منهـا العروبة خروج الأرواح من الابدان ؟ ان الذى تترمقه الثقافـة

العربية والقومية المصرية من ابن اسماعيل ومولى النيل ان يعمل بالخطة الكريمة التى رسمتها اريحيته النبيلة لنفسه التى صاغها الله من الخير للخير ، فيعيد الى القاهرة رونقها المجتمع فى أثواب شوقى .

وهنا تكررت الاشارة وتوالت الغمزات من محمود باشا شكرى . فأدركت أننى قد أكون تجاوزت الحد . ولكن السلطان ما زال مصغياً ، كأنه يطلب المزيد من الكلام . وماذا عسيت أن أقول بعد أن قد استوعبت كل ما فى الصدر ، بل كل ما يجيش بالخاطر ؟ فبقيت ساكناً منتظراً تحول الحديث الى موضوع آخر من السلطان نفسه ، او صدور اشارته بالانصراف .

وقضى ربك بالخلاص من هذا المأزق .

فبعد برهة قصيرة ، وقف السلطان . فوقفنا . ثم تقدمت فقبلت يده الكريمة وانصرفت .

وقابلت فى الردهة الصديق المفضال احمد بك احسان . وفيما أنا أرفّه عن نفسى بمحادثته ، وأتنفس الصعداء لخروجى من ذيالك الموقف ، إذا بالمرحوم شكرى باشا يهرول ورائى . ثم طفق ينهال بتعنيفى على اندفاعى فى تقريظ شوقى رغم الاشارات المتوالية التى كان يبديها لى من حين الى حين للتخفيف من غلوائى فى الحديث ! فلم يكن من سبيل للاعتذار سوى ان السلطان كان مصغياً تمام الاصغاء ، وأننى فهمت من اشاراتك انك راضٍ عن صنيعى تمام الرضاء، بل أنك قد تكون سبقتنى الى تقرير هذه فهذا عذرى ، وما فعلت سوى نصح السلطان بما انطوت عليه سريرتى واستقر فى صدرى .

* * *

لست أدعى ان كلامى كان له أثر فى نفس االسلطان. ولكن الذى أعرفه ان الله سبحانه وتعالى جعله يضيف حسنة كبيرة الى حسناته الكثيرة ، فأصدر أمره بعد ايام الى المرحوم رشدى باشا ليسعى باسمه الكريم لدى السلطة فى ارجاع شوقى الى وادى النيل . وقد كان .

— ١٠ —

اكبر سعادة نالها شوقى، بل سعادة السعادات التى أفاضها الله عليه فى الثروة والجاه وكل مطالب الحياة ، ان الشعراء المتعادين فى كل زمان ومكان قد اتفقت كلمتهم فى جميع

أقطار العروبة وفى عصرنا هذا على تمجيد شوقى ومبايعته فى حياته بالامارة عليهم .

فصار باقرارهم جميعاً (أمير الشعـراء) حقـاً . وهو لقب لم ينله قبله إنسان ، وهيهات ، هيهات ان يتجدد مثل هذا الحادث فى مستقبل الايام !

فالبيعة الصحيحة بشروطها المعتبرة شرعاً وسياسـة ، قد انعدمت فى كل بلاد الشرق. ورأينا الخلفاء فى ثنايا التاريخ يتلقفون هـذا اللقب وهـذا المنصب بطريق الوراثة ، يضاف اليها صيغة صورية للبيعة ، الى ان انعدمت هـذه الصيغة الشكلية أيضاً ، باستيلاء السلطان سليم العثمانى على مصر وملحقاتها واغتصابه الخلافة فى اوائل القرن العاشر للهجرة .

ثم تمادت السنون والقرون الى ان أتاح الله لنا ان نرى البيعة فى أعلى مظاهرها ومعانيها ، وعلى اكمل مشاهـدها ومجاليهـا فى الحفـلة النـادرة المثـال التى توارد الشعراء اليها من سائر الاقطار وبايعوا فيها شوقى بك مبايعـة رسمية جهرية باعتماده اميراً لهم . فقد خاطبه حافظ عن نفسه وعنهم بقوله :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعت معى

وهذا اللقب كان قداطلقه عليه الناس قبل تلك البيعة الصحيحة بزمان طويل . ولا غرو ، فان « ألسنة الخلق اقلام الحق » .

—١١—

فى انتظـار أميرالشعر الجديد ، الذى قد لا يأتى به الزمان ، يحق للجيل الحاضر أن يفاخر الاجيال الماضية ويباهى الاجيال الآتيـة بانه حاز الشرف الاكبر بظهور امير الشعراء فيه . وفى ذلك ما فيه من معانى المجد الدائم لمصر فى هذا العصر .

وسبحان الحى الباقى لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

—١٢—

والى الله تعـالى نتوجه بقلوبنا داعين ان يديم لمصر مولانا الملك المعظم فؤاد الأول ، فقد اصبح عصره زينة العصور بما يتواثب فيه من النهضات وما يترادف من وجوه الاصـلاح فى أسباب الحياة وفيها الأدب العربى القومى . وذلك كله بعنايته العالية ، وبارشاده الكريم أقر الله عينيه بسمو ولى عهده آمين .

احمد زكى باشا

الاخلاق فى شعر شوقى

قالوا إن سيدة ذهبت لتوديع ولدها ، وقد اعتزم سفراً طويلا ، فلما تحرك القطار ودعته بأبلغ قصيدة شعرية عبّرت بها عن آلامها وتباريحها القاتلة .

على أنها لم تنظم فى هذه القصيدة الرائعة بيتاً واحداً ، ولم تنطق فيها بكلمة واحدة .

ولكن قصيدتها كانت — رغم ذلك — لا تقل عن أبلغ قصيدة قالها شكسبير أو المعرى ، ولم تكن قصيدتها تلك إلا زفرة زفرتها ودمعة ترقرقت فى عينيها .

ولا زلت أجدنى فى موقف وداع هذا النابغة الراحل إلى دار الخلود ، لاأستطيع أن أودعه بغير هذه القصيدة الصامتة التى تتلخص فى زفرة حارة ودمعة مترقرقة وذهول يستولى على النفس حتى ليكاد ينسيها كلَّ واجب .

ولقد هممتُ مراراً أن أكتب شيئاً عن الزعيم الراحل الجليل ، فلم استطع الى ذلك سبيلاً ، فان الكتابة عن شوقى وتحليل شعره ودرس أدبه تتطلب وقتاً ويقظة ودقة .

أما الوقت فأصدقائى الأدباء يعلمون بأننى أستطيع أن أظفر بكل شىء فى هذه الأيام إلا الوقت . وأما اليقظة فقد حل محلها الذهول بهذا الخطب الجلل . وأما الدقة فلا سبيل اليها فى مقام تستولى فيه الدهشة ويستبد الذهول بالعقول .

وقد هممت بكتابة كلمة عن روايات شوقى بك ثم ارجأت كتابتها إلى حين ، وهممت أن أصف آخر ليلة قضيتها مع شوقى بك فمنعنى الأسى والحزن عن كتابة شىء ، وأرجأت ذلك كله إلى الظروف والمناسبات التى أرجو أن تكون قريبة .

وقد حفزنى إلى كتابة هذه الكلمة السريعة القصيرة عن الأخلاق فى شعر شوقى بك أن كثيراً من الأدباء نعوا عليه الاكثار من ذكر الأخلاق فى شعره وعدوا ذلك عليه من المآخذ والعيوب ، وظن بعضهم أن شوقى كان يذكر الأخلاق فى شعره بمناسبة وبغير مناسبة ، وقد كان جديراً — فى زعمهم — أن يقتصر على ذكرها مرة أو مرتين . ولهم العذر فى ذلك فان أكثر من عابوا عليه ذلك قوم لايفهمون الأخلاق إلا فهماً سطحياً . ولو أنك سألت أكثرهم أن يعرف لك

الاخلاق كما يفهمها لما زاد على تعريفها بأنها مجاملة الناس وارضاؤهم والرضوخ لتقاليدهم ومصطلحاتهم الحقيرة التى يتقنها أبعد الناس عن الاخلاق .

ولو أن شوقي كان يُعنى بهذا النوع الحقير من المواضعات والمجاملات التى تعجب الناس وترضيهم لما كان لشعره أية قيمة .

بلى ان شوقي كان يشيد بذكر الاخلاق ويرى أن الأمم لا ترتقى بغيرها . ولو وقف أكثر شعره على تقرير فضل الاخلاق لما كان مبالغاً ولا مكثراً .

وليس شوقي وحده هو الذى عنّى نفسة وملأ شعره بذلك فقد شغلَ المعرى نفسه ووقف أكثر لزومياته على نعى الأخلاق ، وقلما تمر بك صفحة من اللزوميات من غير أن تسمع فيها صرخة داوية تكاد تصم الآذان فى نعى الأخلاق والتبرم بلؤم الناس وصغار نفوسهم فتراه مرة يقول :

جنوا كبائر آثام وقد زعموا … أن الصغائر تجنى الخلد فى النار !

أو يقول :

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً … لما تحصل شىء فى الغرابيل !
أوقيل للنار : «خصى من جنوا» اكلتْ … أجسادهم ، وأبت أكل السرابيل
هل ينظرون سوى الطوفان يغمرهم … — كما يقال — أو الطير الأبابيل
سبحان من ألهم الاقوام كلهم … أمراً يقود الى خبل وتخبيل !

أو يقول :

كتاب محمد ، وكتاب موسى … وانجيل ابن مريم والزبور
هدت أمماً فما قبلت ، وبارت … نصيحتها ، فكل القوم بورُ !

أو يقول :

والحق يهمس بينهم … ويقام للسوءات منبرْ

أو يقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتى … وان قلت اليقين أطلت همسى !

أو يقول :

يبغون منىّ معنىً لست أحسنه … فان صدقت عرتهم أوجهٌ عبسٌ

أو يقول :

هم أسارى منايام ، فما لهم اذا أتاهم أسيرٌ لا يفكون

أو يقول :

فأفٌ لعصريهم - نهاروحندس - وجنسى رجال منهم ونســاء

أو يقول :

ربيت شبلا ، فلما أن غدا أسداً عدا عليك ، فلولا ربه أكلك !

ثم ماذا ؟ لو شئت لملأت صفحات هذه المجلة وهى كثيرة بشعر المعرى وحده فى التبرم بأخلاق الناس ، وقد ذكرت من ذلك شيئاً فى « رسالة الغفران » ، والمعرى بعد شاعر واحد له أشباه كثيرون فى العربية وغيرها من اللغات ، فهل نرى أحداً من هؤلاء قد أسرف حين ملأ أكثر شعره بالأخلاق وتغنى بها ورأى بحقٍ أن الأمم لا بقاء لها بغير الأخلاق :

وإنما الأمم الاخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الأمم الأخلاق ! صدق شوقي بك الذى خبر عصره وبلى أخلاق معاصريه وعرف نقائصهم ورذائلهم وبرم بصغار نفوسهم وتألم من دسهم ونفاقهم وقد رأى بعض الأدباء يلتمسون معونته المادية والأدبية ، فاذا ظفروا بها فضلوه على كل شعراء الدنيا من قدماء ومحدثين ، ونحلوه أسمى ألقاب العبقرية والخلود ، فاذا انقطع عنهم فيض معونته نقضوا كل كلمة كتبوها ثناء عليه وملأوا الدنيا ازراء به وتحقيراً من غير أن يستشعروا أىَّ خجلٍ فلا غرو أن نسمع هذه الصرخة تدوى من فم شوقي فتملأ الآفاق وهو يقول :

ولا المصائب إذ يرمى الرجال بها بقاتلاتٍ اذا الاخلاقُ لم تُصب

وقد كان شوقى يؤمن إيماناً وثيقاً لا يتسرب اليه لمحة من الشك ان الاخلاق هى كل شىء ، وأن كل مصيبة مهما جلت هينة ميسورة يسهل المتغلب عليها اذا كانت عدة الامة أو الفرد الخلق المتين .

فهو يقول فى رواية « أميرة الأندلس » (ص ١٠٣) : فكم من تاجر بمنزلة أبى الحسن قد نكب فذهب عنه كل شىء الا الخلق ، ثم لم تمض مدة من الشهور أو الاعوام حتى سمع الناس وتحدثوا ان التاجر فلاناً تغلب بالخلق على نكبته فعاد دولاب تجارته

كأمس عظيم الحركة عميم البركة ، ومثل أبى الحسن فى خلقه وأمانته وشرف اسمه فى الأسواق لا يبعد أن يقوم من هذه السقطة ورجلاه فى العافية ».

على أن شوقى لم يشغل نفسه بالاخلاق فى شعره ونثره فحسب بل شغل أكثر مجالسه بالتحدث عنها .

وقد كان شوقى يرحمه الله — يحدثنى فى آخر ليلة قضيتها معه عن ألمه الشديد وحزنه العميق على فساد الاخلاق وصغار النفوس ، فأنت تراه قد شغل شعره ونثره ومجالسه بهذه الرسالة العالية التى أدّاها أحسن أداء ، ولم يغفل أداءها فى أية فرصة سنحت له ، وما أروع قوله فى نشيده الخالد :

على الاخلاق خُطوا الملكَ وابنوا فليس وراءها للعزّ ركنُ

كذلك قامت نهضات الامم الحقيقية وأفلح دعاتها وقادتها بالاخلاق ، وبالاخلاق وحدها نجحت دعوة الرسول ، فلم يتردد حين لامه عمه عبد المطلب على ثباته فى دعوته التى ألبت القبائل عليه ، فأجابه الرسول من غير تردد ولا رهبة :

« والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته » .

وبهذا الخلق المتين مدحه الله فى كتابه الكريم فقال :

« وانك لعلى خلق عظيم »

هذا الخلق العظيم هو الذى تغنى به شوقى فى شعره ونثره وردده فى نومه وصحوه ، ورأى أن نهوض الأمم لا يتحقق بدونه وان كل شعب يفقد هذه الميزة الكبرى سائر فى طريق الفناء والاضمحلال :

وليس بعامرٍ بنيان قوم اذا اخلاقهم كانت خرابا

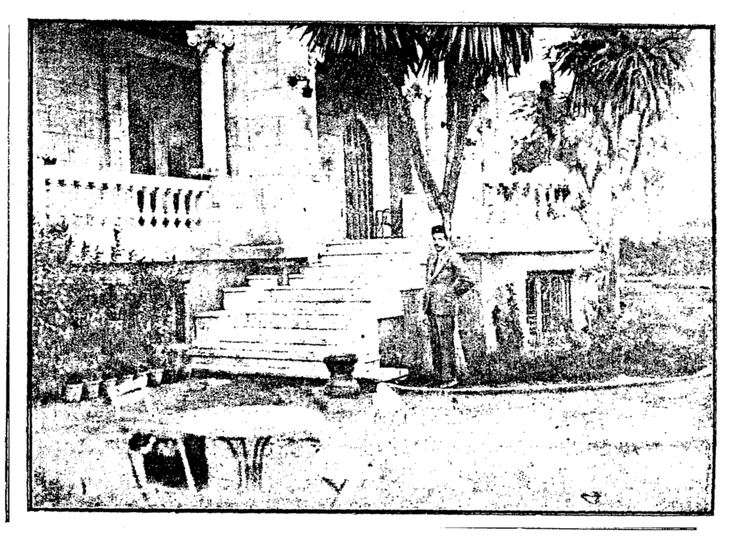
رحم الله شاعر الاخلاق رحمة واسعة ؟

كامل كيلانى

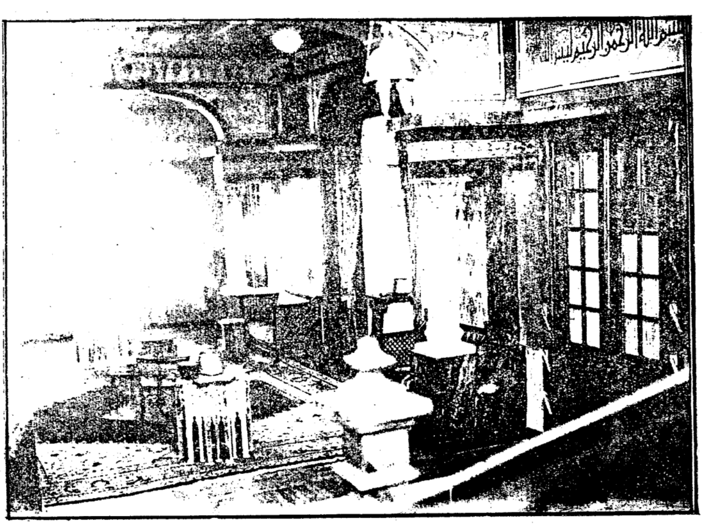
سكرتير رابطة الادب الجديد



﴿كرمة ابن هانى : منظر منزل شوقى بك من الخارج ، وهو واقع فى شارع مبرّح بن شهاب بالجيزة﴾



﴿ فى حديقة كرمة ابن هانى على ضفة النيل ﴾



﴿ البهو العربى فى كرمة ابن هانى ﴾

الشعر الفنى
فى نظم شـــــوقى بك

— ١ —

هل يستطيع الباحث الذى يعرض لشوقى بك أن يـلمّ به من كل نواحيه ؟ إننى أستبعد ذلك فان الشاعر الذى ظل فيض قريحته يملأ الشرق نيفاً واربعين سنة لاتتيسر دراسة شعره دون انقطاع طويل لهذه الدراسة لا تتهيأ أسبابه الآن لمتأدب فى مصر بل فى الشرق .

وليس من شك فى أن شوقى نظم كثيراً من ذلك الشعر فى شتى المناسبات وقد كان مقيداً فى معظمها بقيود أهونها عدم قدرته على التحلل من ظروف بيئته واتصاله ببعض الهيئات الرسمية شطراً كبيراً من حياته ، وهناك ظاهرة أخرى واضحة هى أن اتصال شـوقى بك بسواد الشعب محدود وهو لذلك لم يكن موفقاً كل التوفيق فى التعبير عن الأمانى الشعبية الخاصـة ، أما الأمانى القومية العامـة فهو فيها شاعر مصر المجلّى .

وإذا عرضتُ هنا لشعر شوقى بك فانما أعرض للجانب الفنى منه ، وحسبى درس الشعر الفنى بين ما نظمه شوقى فهو لُبُّ الشعر وغايته ، بل هو الشعر الذى يتطلبه العصر . أما شعر الحفلات والمناسبات والمجاملات فلا جدوى فنية منه ولن يبقى إلا ببقاء ذكرى مناسباته ، حينما الشعر الفنى هوشعر الخلود . وقد انتقدتُ شوقى بك مراراًفى حياته لعنايتهبشعر المناسبات والحفلات كما انتقدتُ جانباً منأساليبه ، وآرائى فى ذلك معروفةٌ ولازالت هى هى ، فلا حاجة بى الى تكرارها خصوصاً وكل مايعنينى هنا انما هو الاشادة بحسناته وجوانب شعره الفنى .

— ٢ —

وستلاقى غيرقليل منالجهد وأنت تتلمس الشعر الفنى فى « الشوقيات » . ولست أدرى كيفجاء ترتيبجمع القصائد فيه ، فلا هى جُمعت بالقافية والروى كما كانيفعل

الشعراء والناشرون القدامى ، ولا هى جمعت حسب تقسيم الموضوع كما يفعل بعض المحدثين . ولكن الواقع ان عدم نشر شعر شوقى بالترتيب التاريخى جناية أدبية على شعر شوقى ذاته ، فسيقف الذى لايعرف مناسبات شعره بعد ذلك موقف الحائر لا يدرى متى قال هذا ومتى نظم ذاك ، لأن كل شعره فى صياغته وقوة نسجه سواء .
وإننى لأذكر ــ كلما ساورتنى شبهة الترتيب التاريخى لقصيدتين من شعر شوقى ــ رأياً كان يردده سعادة احمد زكى باشا وهو :

« لا فضل لشوقى فى كل هــذا الشعر فانه رسول قوة ملهمة ، وليس للرسول أكثر من فضل أداء الرسالة » .

والواقع أن هذا الرأى جدير بالتأمل والتفكير ، فان شوقى كان شاعر أمة صاغته أمانيها وشحذته آلامها فخرج معبراً عن هذه الامانى مصوراً لتلك الآلام ، ولم يحد من ذلك غير عزلته بحكم ظروفه السياسية . خرج يؤدى رسالة العصر الذى يعيش فيه وقد لايدرى هو لماذا اختير دون غــيره لاداء تلك الرسالة ولكنه يجد فى نفسه القدرة على أدائها والسلام . وهــذا الرأى يؤيد ماذهبنا اليه من أن قوة النسج والصياغة تكاد تكون متوازنة فى شعر شوقى قديمه وحديثه ، فهو شاعر عبقرى والعبقرية هبة تجيء وتذهب على غــير مقياس تاريخى معروف ، بل لقد تنزل فى جيل لا يدرى أهله جميعاً من أمرها شيئاً !

وأذكر أن صديقاً من الادباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمه شوقى على لسان قيس فى رواية « مجنون ليلى » :

ليــلى ، منادٍ دعا ليلى فخفَّ له   نشوانُ فى جنباتِ الصدرِ عربيدُ !

وكان الصديق يلقى البيت القاءً بديعاً فذكره لشوقى وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزَّ شوقى للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وغاص فى لجة من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظة . فلما انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة هى : « لا أدرى ! »

وهذا حق ، فان شوقى لم يكن يدرى كيف هبط هــذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية !

ويذكرنى هذا بمقال جيد قرأته فى مجلة المقتطف (عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢) عن شوقى بقلم الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعى درس فيه شوقى على طريقته فى

دراسة الشعراء . والواقع أن الرافعى وُفِّق فى مقاله الى حد لم يكن يُنتظر من أحـد شعراء المدرسة القديمة . ولـكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى اعجابه ببراعة شوقى فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أوأخذه على شوقى عدم توفيقه الى ذلك . والرافعى شاعر نابه قد يكون بارعاً فى صنعته ولـكن نصيبه من الروح الفنية محدود فى رأيى ، وقد يكون استخراج المعنى وتوليده واللعب بذلك أو التفنن فيه (كما يسميه) من كمال الصنعة عنده ولـكنه ليس من كمال الشعر فى شىء ، فالشعر الفنى لا يجرى عليه مايجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج : فاننى مثلا لا أدرى تلك الصلة فى الاستخراج والتوليد بين قول شوقى

ما تراها تنـاست اسمىَ لمـا كثرت فى غرامهـا الاسماءُ !

وبين قول ابى تمام :

أتيتُ فؤادها أشـكو إليـه فلم أخلصْ إليه من الزحام !

مهما رأى الرافعى فيهما من صلة أو شبه صلة ، فليس يكفى أن يتشابه موقفان لشاعرين فى الحياة ليكون الأخير منهما مولّداً أو مستخرجاً لمعنى الثانى !

— ٣ —

وأبرز ضروب الشعر الفنى الذى نود أن ندرسه فى نظم شوقى هى الشعر القصصى والشعر التاريخى التحليلى والشعر الوصفى والشعر التمثيلى .

أما الشعر القصصى فقد عالجه شوقى فى شبابه وكانت له فيه بضع محاولات ثم انصرف عنه بعد ذلك أو لوته عنه ظروفه فلم يعد اليه ، وهى خسـارة أدبية وفنية لا تعوَّض فلو أن شوقى اسـتغلّ هذه العبقرية الشعرية الفيـاضة فى الشعر القصصى لـكان لنا منه الآن فنٌ خصبٌ آسرٌ .

وأما الشعر التـاريخى التحليلى فهـو لونٌ طريف فى الأدب الجديد ، وليس المقصود منه مجرد سرد لحوادث التاريخ لا تعتمد على أساس ، ولـكنه دراسـة لتلك الحوادث وتحليل لعناصرها ومقدماتها تحليل متفهم لمراميها مدرك لغاياتها .

وأنت ترى منها كيف يستطيع المؤرخ البارع أن يسجل حوادث التاريخ فى صدق ويستطيع مع ذلك أن يستولى على لبّـك وان يشعرك بالعطف على قضيته أو على قضية بلاده ويكسب تأييدك لها ويوجه شعورك معه : تحزن إن حزن وتفرح لفرحته . وهـكذا

كان شوقى الشاعر المؤرخ . ومن المدهش حقاً أن تعثر فى « الشوقيات » بل أن تطالعك بعد المقدمة القصيدة التى قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى جنيف سنة ١٨٩٤ والتى مطلعها :

همتْ الفلكُ واحتواها المـاءُ وحداها بمن تقلّ الرجاءُ

وإنك لتعجب إذ تقرأ هذه القصيدة بهذا النضوج المبكر لشاعرية شوقى من ناحية اللفظ والاسلوب،وتعجب بالشاعر الشاب المقيد بظروف ذلك العصر — الذى قال القصيدة فيه — كيف يتاح له أن يؤرخ لك هذه النزعة الشعرية الجديدة كأحسن ما يكتب شاعر عصرى مثقف اليوم إذا عرض لتاريخ مصر على الطريقة الحديثة . وفى الحق لقد عرف شوقى كيف يكتب تاريخ بلاده وينشر مجدها ويفخر به على العالمين :

وبَنينا فلم نُخلّ لبانٍ وَعَلَوْنا فلم يجزنا علاءُ

وملكنا فالمالكون عبيدٌ والبرايا بأسرهم أسراءُ !

فان هذه الروح القوية المدهشة جديرة بالاعجاب ، لا سيما إذا حافظت على مظاهر حيويتها حيث يقول :

قلْ لبانٍ بنى فشاد فغالى : لم يجز مصر فى الزمان بناءُ

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجـــبالُ شمّاً وان تُنال السماءُ !

ثم انظر إلى هذه الرّوعة فى قوله :

أجفل الجنُّ عن عزائم فرعو نَ ودانتْ لبأسها الآناءُ

شاد مالم يشد زمانٌ ولا انشـــأ عصرٌ ولا بنى بنّاءُ !

أو فى قوله يتحدث عن ديانات المصريين القدماء وهيا كلهم :

هيكلٌ تنثر الدياناتُ فيه فهى والناسُ والقرونُ هباءُ

وقبورٌ تحطّ فيها الليالى ويُوارَى الاصباحُ والامساءُ !

ثم يعرض لبعض النظريات التاريخية الخاطئة التى يروّجها بعض المؤرخين عن مصر وينبرى لدحضها :

فاعذر الحاسدين فيها اذا لا موا فصعبٌ على الحسود الثناءُ

زعموا أنّها دعائمُ شيدَتْ بيد البغى ملؤها ظلماءُ

دُمّر الناس والرعية فى تشـ(م) ييدها والخلائق الأُسراءُ

ثم يرد الحجة فى حماسة :

أين كان القضاء والعدل والحكـ (م) ـمةُ والرأىُ والنهى والذكاءُ
وبنو الشمس من أعزّة مصر والعلوم التى بها يُستضاءُ ؟!

ثم يعلل تسخير الفراعنة للأسرى :

ورأوا للذين سادوا وشادوا سُبّةً أن تسخّر الأعداءُ

ثم ينافر ويفخر فى قوة :

إنْ يكنْ غير ما أتوه فخارٌ فأنا منك يا فخارُ براءُ !

وهذه الروح القوية الصامدة لا يستطيع الباحث المدقق أن يردها إلى أواخر القرن الماضى ، فان روح التحليل والترتيب المنطقى فيها كثيرة على ذلك العصر .

وتسير القصيدة على هذه الوتيرة من تسجيل تاريخ الفراعنة وتمجيد أعمالهم فى تحليل وفخر حتى يصل الى غزوة الهكسوس أو الرعاة للأراضى المصرية وهزيمتهم للفراعنة واحتلالهم لمصر ، فانظر الى تمهيده البارع :

ليتَ شعرى والدّهرُ حربُ بَنيه وأياديه عندهم أفعاءُ
ما الذى داخل الليالىَ منا فى صبانا وللليالى دَهاءُ ؟!

ثم ينتقل الى سرد الوقائع فى تصدير بارع كذلك :

فعلا الدهرُ فوقَ علياء فرعو نَ وهمّتْ بملكه الأرزاءُ
أعلنت أمرَها الذئابُ وكانوا فى ثياب الرعاةِ من قبلُ جاءوا !

وتأمل الروح التى تسود هذا القول :

وأتى كلُّ شامتٍ من عِدا المـ ـلك إليهمْ وانضمّتْ الاجراءُ
ومضى المالكون إلا بقايا لَهُمُ فى ثرى الصعيد التجاءُ

وانظر الى التأسّى والحسرة البارزة التى يمهد بها لوصف الهزيمة :

فعلى دولة البناةِ سلامٌ وعلى ما بنى البناةُ العفاءُ
واذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعى السـ ـوء تُؤْذى فى نسْلِها وتساءُ

وانظر اليه يصف ظلم الفاتح الغاشم :

قد أذلّ الرجالَ فهى عبيدٌ ونفوس الرجال فهى إماءُ

وانظرْ اليه كيف يصوّر سوء السياسة والتفريق فى المعاملة :

ولقومٍ نُواله ورضاهُ ولأقوام القلى والجفاءُ

ففريق ممتعون بمصر وفريق فى أرضهم غرباءُ

ثم أنظر اليه كيف ينقد هذه السياسة وينعى سوءها ويصوّر اثرها ويتحدث عن نفسيات الشعوب :

ان ملكتَ النفوسَ فابغ رضاها فلها ثورةٌ وفيها مَضاءُ
يسكن الوحشُ للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العُقلاءُ ؟!

ويصف عهد مصر تحت نير هؤلاء الرعاة ويبرر خنوعها لاستبدادهم ويعلل ذلك فى دقة المؤرخ المتزن :

لبثتْ مصر فى الظلام الى أن قيل مات الصباحُ والاضواءُ
لم يكن ذاك من عمىً ، كلُّ عين حجب الليلُ ضوءَها عمياءُ !

ويتحدث عن نهضتها للتخلص من ذلك الأسر :

ما تراها دعا الوفاءُ بنيها وأتاهم من القبور النداءُ
ليزيحوا عنها العدا فأزاحوا وأزيحتْ عن حقها الأقذاءُ
وأعيد المجدُ القديم وقامتْ فى معالى آبائها الأبناءُ

ويتحدث بعد ذلك عن تاريخ مصر فى ذلك العهد الذى عقب خلاصها من حكم الرعاة حديثاً كله الفخر وكله الاعتداد بمفاخره التالدة :

إيهِ سيزوستريسُ ماذا ينال الو صف يوماً أو يبلغ الاطراءُ ؟
كثرت ذاتك العلية أن تحصى ثناها الألقاب والاسماءُ
لك آمونُ والهلال إذ يكبر والشمس والضحى آباءُ !
ولك الريفُ والصعيد وتاجا مصر والعرشُ عالياً والرواءُ
ولك المنشآتُ فى كلّ بحرٍ ولك البرُّ أرضه والسماءُ

ثم يتحسرُ ويتمنّى لو لم تزل هذه الايام :

ليت لم يبلك الزمان ولم يبل لملكِ البلادِ فيك رجاءُ
هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدٌّ ما لحال مع الزمان بقاءُ

وينصرف من ذلك الى الكلام على غزوة الفرس لمصر بقيادة قمبيز :

لا رعاكَ التاريخُ يا يوم قمبيز ولا طنطنتْ بك الانباءُ
دارت الدائرات فيك ونالت هذه الأمةَ اليدُ العسراءُ

ويستطرد متحدثاً فى لوعة الحزين ، ويصف أسر الملك فى حسرة الوطنى المتأسّى :

يجىء بالمالكِ العزيزِ ذليلا لم تزلزلْ فؤادَه البأساءُ

يبصر الآلَ إذْ يراح بهم فى موقف الذلّ عنوةً وبُجاءُ

ويصف أسر بنت فرعون ووضعها فى الاغلال واهانتها وتعذيبها على مشهد من أبيها :

بنت فرعون فى السلاسل تمشي أزعج الدهرَ عريُها والحفاءُ
فكأنْ لم ينهضْ بهودجها الدهـــرُ ولا سار خلفها الأمراءُ !

ويصف تعذيب فرعون واثارته بالتفنن فى وسائل الاهانة والاستثارة :

وأبوها العظيم ينظر لمّا رديت مثلما تردّى الاماءُ
أُعطيت جرةً وقيل اليك النهر قومى كما تقوم النساءُ !
فمشت تظهر الاباءَ وتحمى الدمع أن تسترقّه الضراءُ!
والاعادى شواخصٌ ، وأبوها بيد الخطب صخرةٌ صماءُ !

وأنت تحسّ ولا شك بالقدرة العظيمة على تصوير الوقائع من هذه الأبيات الرائعة ، ومن الأبيات التى تليها :

فأرادوا لينظروا دمع فرعو ن ، وفرعون دمعه العَنْقاءُ !
فأروه الصديق فى ثوب فقرٍ يسأل الجمع والسؤال بلاءُ
فبكى رحمةً وماكان مَنْ يبـــكى ولكنما أراد الوفاءُ
هكذا المُلْكُ والملوكُ وإنْ جا ر زمانٌ ورُوّعَتْ بلواءُ

ويكفى هذا القدر فالقصيدة طويلة وهى جديرة بالمطالعة والدرس لأنها من أجلّ ما نظم شوقى من الشعر الفنى بل هى جماع مظاهر فنه ، فتستطيع لو تأملتها أن تدرس فيها كل خصائص شعره الفنى وميزاته وإن كان قد طال عليها الوقت ، لأن روح شوقى لم تتغير كذلك ولم تتغير سمات شعره ولا خصائصه وإن تغيرت على مر الزمن أفكاره وآراؤه وبعض أساليبه .

وقد استطال استقراؤنا بهذه الناحية فى شوقى على غير ما يتسع المقام لأننا لا نطمع فى أن نرسم للقارىء دراسة وافية للشعر الفنى عند شوقى فى هذا الحيز المحدود ولا فى أضعافه ، ولكن كل ما نطمع فيه هو أن نثير فى نفسه الرغبة فى درس هذه الشاعرية العظيمة . فليرجع القارىء الذى يستهويه هذا الجانب ، جانب التحليل التاريخى من الشعر الفنى ، الى « الشوقيات » فانه سيجد روعته بارزة فى قصائد (صدى الحرب) و (نكبة بيروت) و (أبو الهول) وغيرها .

— ٤ —

أما الشعر الوصفى فنريد أن نسجل ـ قبل أن نتحدث عنه فى شعر شوقى ـ ان هذا الضرب من الشعر الفنى يفتقر اليه الشعر العربى كل الافتقار ، فان شعراء العرب الذين تعرضوا له ـ مع قلتهم ـ لم يتركوا لنا منه ثروة تمتع الرغبة الفنيـة ، وقد شغل أكثرهم عنه بشواغل السياسة أو الحياة أو العيش يسخرون لها الشعر ويصرفونه اليها دون الالتفات الى هذا الضرب الفنى الصرف الذى لا يرضى إلا الفن .

لا ننكر أن بين عيون الشعر العربى قصائد وصفية رائعة ولكننا نقول إن الوصف كان ـ ولو نسبياً ـ من الفنون شبه المهجورة عند شعراء العرب ، فان كنا ننعى ذلك عليهم وقد كانت حياتهم على ما نعلم من جفاف ومن تشابه مملول فكيف نحن الآن فى هـذه الحياة الزاخرة الصاخبة التى تستدعى شيئاً من الفن يرفه عن النفس بعض هذا التكالب المـادى البشع ؟!

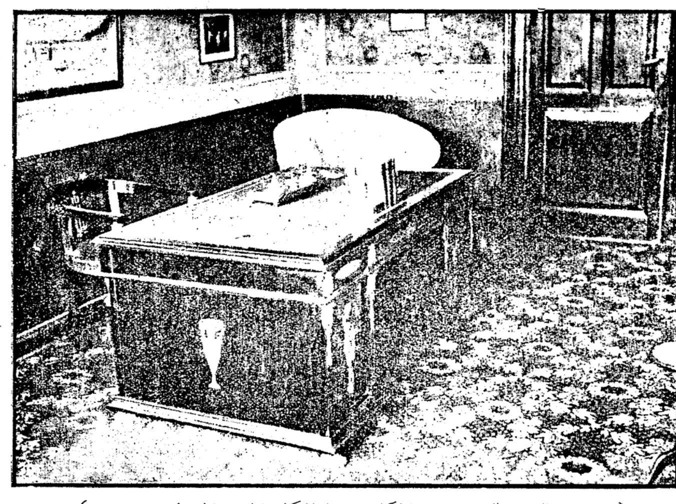
وإذا كنا نعـد القصيدة التى قالها شوقى فى المؤتمر الشرقى الدولى جماعَ شعره التاريخى التحليلى فهناك قصيدة أخرى فى شعره الوصفى لا تقل عنها روعة ورقة وجمالاً ونستطيع أن نقول مطمئنين إنها هى الأخرى جماع شعره الوصفى وان فيها جلَّ سمات وميزات هذا الضرب من شعره : هذه القصيدة هى الخاصة بحياة النحل. وان كل من لديه ولو فكرة بسيطة عن طبائع النحل ونظام معيشتها وعاداتها ليعجب من هذه الدقة التى استطاع شوقى ان يتوخاها والتى دلت على دراسته لهذه الحشرة فى سنة ١٩٢٣ (وقت نظم القصيدة) معتمداً على مطالعاته فى تأليف ميترلنك الأديب البلجيكى الشهير، فانك تدهش حين تقرأ لشوقى عن الملـكة :

تحكمهم راهـبةٌ ذكّارةٌ مغبّرهْ
عاقدةٌ زنـّارَها عن ساقها مشمّرهْ

وترى دقـّته فى وصف النحلة العاملة :

تلثّمتْ بالأرجوان وارتدته مئزَرهْ
وارتفعتْ كأنهـا شـرارة مطـيّرَةْ !
ووقعتْ لم تختـلجْ كأنهـا مسمَّرَةْ !

ثم تنظر الى هذا التصوير الدقيق لعادات النحل :



﴿ مكتب الفقيد الكريم ، وقلما كان يستعمله إذ كان يجلس ويؤلف فى حجرة نومه ﴾

تقتل أو تنفى الكسا لى فيه غير مُنْذَرَهْ
تحكم فيه قيصرَهْ فى قَوْمها موقَّرهْ
من الرجال وقيود دِ حكمهم محرَّرَهْ
لا تُورث القومَ ولو كانوا البنين البرَرَهْ!
الملكُ للاناثِ فى الـ ـدستور لا للذكَرَهْ!

وتنظر الى قوله يصف سرح العاملات لجمع الرحيق من الأزهار وعودتها الى أقراصها لخزن ما تجمعه :

وتذهب النحلُ خفا فاً وتجىء موقَرَهْ
جوالبُ الشمع من الـ خمائل المنـوَّرَهْ
جوالبُ الماذىّ من زهرِ الرياض الشيِّرَهْ

وما أوفق تسميته للمسالك بين الاقراص « بالأدورة » ووصفه لعودة النحل محملة اليها :

حتى إذا جاءتْ به جاست خلال الأَدْورَهْ
وغيَّبتهْ كالسلا ف فى الدنان المحضَرَهْ

وفى الواقع انهذه دقة لا تتاح إلا لباحث قضىفىدرسطبائع النحل وتأمل حركته وقتاً ليس بالقليل ، وهى تدل على مبلغ عناية شوقى بموضوعه واهتمامه باستيعاب كل فروعه والاطلاع على ما يتعلق به ، وهذا هو الذي تعبنا فى توجيه أنظار شعراء العربية اليه فليس يكفى أن يحفظ الشاعر طائفة من الالفاظ اللغوية وأن تطيعه أوزان الشعر ليملأ الدنيا نظماً فى غير طائل !

ولشوقى قطعة وصفية عن « روما » يصف فيها تماثيلها وهياكلها :

وتماثيلُ كالحقائق تزدا دُ وضوحاً على المدى وإبانهْ
مَنْ رآها يقول : هذى ملوك الدَّ هر ، هذا وقارُهُمْ والرَّزانهْ
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ بين أخذ البلى ودفع المتانَهْ

ولا يجوز أن يعرض باحث للشعر الوصفى عند شوقى ولا يذكر قصيدته الرائعة فى (أنس الوجود) التى يقول فيها :

قفْ بتلك القصور فى اليمّ غرْقَى ممسكاً بعضُها من الذعر بَعْضاً
كعذارَى أخفين فى الماء بضّاً سابحاتٍ به وأبدينَ بضّاً

أو قوله فى وصف جدّة نقوشها ورسومها :

رب نقشٍ كأنما نفض الصا نعُ منه اليدين بالأمسِ نَفْضَا !

ثم انظر الى دقة وصف رسوم الضحايا :

وضحايا تكاد تمشى وتَرْعَى لو أصابتْ من قوّة لله نَبْضَا

ولا يمكن أن ننسى لشوقى قوله فى وصف منظر طلوع البدر :

يادرة الغوّاص أخرجَ ظافراً يُمْنَاهُ يجلوها على النظّارِ
متهللاً فى الماء أبدى نصفَه يسمو بها والنصفُ كاسٍ عارِ

أو قوله يصف ضاحية الجزيرة بالقاهرة فى قصيدة (رحلة الاندلس) المعروفة :

لبستْ بالأصيل حلة وشى بين صنعاءَ فى الثيابِ وقَسِّ
قدّها النيلُ فاستحتْ فتوارتْ منه بالجسر بين عُرْيٍ ولُبْس

ويكفى هذا القدر من الشعر الوصفى . وفى الحق ان شوقى أضفى على الشعر العربى الوصفى خيالا جديداً رائعاً، وقد استطاع هذا الشاعر المنجب أن يدخل معانى رقيقة سامية فى ألفاظ جزلة فخمة .

— ٥ —

وقد أتحف شوقى جمهرة المتأدّبين أخيراً بهذه الروايات التمثيلية التى بدأتها رواية (مصرع كليوباترا) وأخراها فيما نعلم هى (عنترة) التى قضى رحمه الله ولمّا تخرج من المطبعة بعد . وقد كانت خطوة جريئة من شوقى أن يقدم فى كهولته بل فى شيخوخته الشعرية على مثل هذا العمل الجليل الشأن ، ولم يكن من السهل والحركة الذهنية لشوقى فى أواخر يقظتها تقريباً ولم تتعود فى نشاطها الأول إلا الغوص على معانى النظيم أن تجىء فتخلق الموضوع خلقاً تاماً وتخرج لنا رواية مؤلفة متماسكة الأجزاء تصور ببيئة خاصة وحياة خاصة وترسم شخصيات وعقليات ونفسيات جديدة. لم يكن هذا كله فى ميسور شوقى بك فى ظروفه الأخيرة فاستعان هذا الشاعر العظيم بالتاريخ ، التاريخ الذى يستطيع هو أن يهضمه وأن يتفهم دقائق مراميه فيجعل من احدى حوادثه أو انقلاباته نواة يرتكز عليها فى وضعه فكرة روايته الشعرية . وهكذا أخرج لنا شوقى (مصرع كليوباترا) و (مجنون ليلى) و (على

بك الكبير) و (عنترة) وكلها تمتّ الى التاريخ بصلة أو بشبه صلة ولكن المهم أن يتخذها الشاعر نواة يسير هو فى حبك خيالها .

وأنت ـ لهذه الطريقة المتشابهة فى روايات شوقى بك الاربع ـ تحسّ فيها كلها بروح واحدة متشابهة الأثر ، ثم ترى أن خصائص نظمها وسماته والروح الشعرية التى تسودها متشابهة كذلك لانك تستطيع أن تدرك عند اول قراءة لاحدى مقطوعاتها انها من شعر شوقى بك التمثيلى وإن لم تكن قد مرّت عليك من قبل ، ويكفى أن تقرأ رواية من روايات شوقى لتدرس فيها روحه وخياله وخصائص شعره التمثيلى جميعاً: ففى مصرع (كليوباترا) ترى هذا الشاعر يوزّع روحه وعبقريته على عدة شخصيات تتحدث كل منها فى ناحية ولكنها تتحد فى قوة الاسلوب والصياغة وإن تفاوتت أغراضها ومعانيها أحياناً .

غير أن هناك أمراً جديراً بالتأمل ، وهو أن شوقى بك كان فى بعض مواقف رواياته جريئاً على القيود الشعرية السخيفة التى فرضت على الشعر العربى فرضاً ثقيلاً وإن لم يجرأ عليها شوقى قبل ذلك فى حياته الشعرية الحافلة . وهو بذلكساير الحركة التجديدية الأخيرة ومشى فى طليعتها ، فاستحق تقدير المجددين بعد خصومتهم .

وقد بعث شوقى فى نفوس المتأدبين ميلاً جديداً إلى الشعر التمثيلى ووجه اليه عناية الحياة الأدبية وإن لم يكن أول من فعل ذلك فقد سبقته عدة محاولات كان لبعضها شىء من التوفيق وإن كان نصيبها من التوفيق دون ماتستحق ، لأنها لم تقترن بنفوذ شوقى الاجتماعى. ولكن المأثرة التى لاينساها الشعر التمثيلى الآن لشوقى بك هى أن هذا الشاعر العظيم غامر فى الواقع بشهرته الأدبية الكبيرة لما دخل هذه الحلبة ، وانه استطاع بقوة منه أن يدخل على هذا الضرب روحاً جديدة وأن يثير حوله حركة أدبية محمودة ؟

علي محمد البحراوي
سكرتير جماعة الادب المصري



قم إلى الأهرام واخشع واطرح | خيلة الصيد وزهو الفاتحين
وترفق إنما تمشي على | حرم الدهر ونادي الأولين
وارتق الأحجار واصعد منبرا | لم يشرف لأمير المؤمنين
ادع قومي من ذرى أهرامه | ينزل كالصباح المستبين
قل لهم [illegible] أمة | [illegible] الحق وقوما حاربين
حطمت النصر على ثورتكم | ونادى الناس عليها مجمعين
صرخت الليث ولما يصح من | دم غليوم وصيد آخرين
فرأى ما لم يقع في وهمه | مصر تستكبر والألمان دون
رجل تأوي إليه أمة | ووزير يتولى الثائرين
وجنود ترك الورد لها | فلقت بعضهم معرضين
وجموع نزلت ما اقترحت | تبيع بالموتى معلنين
وسواد بيض وجه الحمى | آه لو كانوا السواد الغابرين
وشباب نتذاكر مصطفى | نبعة الحق وطرفاء اليقين
وفتاة أنس أطفالهن | كان أسرى روحهم في الآخرين
زادهم سعد سنا في حيرة | كالحسام العضب والرمح الثمين
أنه شيخ أبي أكبر للصبا | أرهف الشيب ومن الناشئين

﴿ نموذج من خط شوقي بك ﴾

شوقى فى الشباب

قبس النبوغ فى الصغر

كرت ثمانية وثلاثون سنة على العام الذى قيده شوقى فى سجل تاريخ الادب العربى بقصيدته التى مطلعها :

« همتْ الفلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن تقل الرجاءُ »

وإنما رأيت أن تكون تلك القصيدة القديمة الجديدة موضوع هذا المقال ، لأن أمير الشعر قد نظمها وهو فى السادسة والعشرين ، فهى من أجل ذلك مرآة شبابه ، وشبابه المبكر ، وما نحب فى هذه الكلمة إلا أن نجلى عليك صورة الشاعر فى سن الشباب . نجليها عليك من شعره ، أو قل من قصيدته التى افتتحنا بمطلعها المقال ، والشعر كما يقولون مرآة الشاعر .

وأول ما يجب أن نلاحظه فى قصائد شوقى جميعاً أنها ذات طابع خاص ينميز به الشاعر عن سواه ، والطابع الخاص فى نثر الناثر البارع وفى شعر الشاعر الفنان يعرف من لفظه ومعناه ، ولكن طابع شوقى لا يقتصر على هذا الذى يشترك فيه الكتاب والشعراء طراً ، وإنما يضاف اليه طابع آخر جدير بالعناية والتمحيص : هذا الطابع هو الهدوء فى أدق المواقف والتعقل فى أذكاها للعاطفة ، وهدوء الرجل وتعقله يحملانه على التسامح مع من يضارونه ومن يحاسنونه ، وعلى الأخذ عن الأخلاق فى النقد والهجاء ؛ وعلى حشد ما يجب أن يحشد من المعلومات فى القصيدة التى يريد أن يخرج بها الى الناس ، ثم على ترتيبها وتبويبها وبطوالع المنطق فيها للحكمة والموعظة . هـذا هو الطابع أو تلك هى الطوابع التى يتفرد بها شوقى فى الشعراء طراً ، وهو الى ذلك يمتاز بفضيلة ثانية ما أحسب أن شاعراً فى الغرب نافسه فيها ، فلكل امرىء فى حياته أطوار وتغيرات ، وما يعقل أن تكون أخلاق المرء وعاداته فى شبابه هى أخلاقه وعاداته فى كهولته وفى شيخوخته ، ولكن شـعر شوقى فى الخامسة والعشرين هو شعره فى الستين من نواحيه جميعاً ، فما يستطيع أحد أن يفرق فى سجل الشاعر الموهوب بين ما أوحته اليه حيـاته فى الشباب وما أوحته اليه فى الشيخوخة ، وذلك لغز فى الرجل يخطىء من يعتـذر عنه بأنه عاش طوال عمره فى بحبوحة من العيش فلم تنحرف حياته أبداً .

نعم إنه لاعتذار المخطىء ، فاذا كان شاعر العصر لم تدركه علة الفقر فالغنى يدركه الكثير من العلل : يدركه الحب وهو علة ، ويدركه طيش الشباب وهو علة تصيب الثرىّ أكثر مما تصيب الفقير ، لكنّ مستوعب شعر شوقى لا يجد فيه أثراً لبرحاء الحب ولا لطيش الشباب .

ولقد أحببت أن أبحث عن تفسير لهذا اللغز ، وبدافع من هذه الرغبة اخترت قصيدته التى قرأت مطلعها عليك ، فقد أُوحى بها الى الشاعر وهو فى عهد الطيش والنزق والمغامرة من عهود الشباب ، وهى مع ذلك قطعة رصينة هادئة مرتبة يبهرك منها المعنى أولا والعلم ثانياً ، فقد رتب أمير الشعر فيها تاريخ مصر ترتيباً لا يتأتى لغير عالم فى التاريخ ، حتى الأقاصيص القديمة حشدها فيها حسبما تلزم المناسبة ، وكان ذكره للتاريخ فى إيجاز غريب لا يتأتى مع الشعر إلا إذا كان صاحبه نابغاً فذاً .

وقبل أن أرتب لك التاريخ فى هـذه التحفة الفنية الخالدة ، أنبهك الى أن الرجل قد تعلم فى أوروبا ، وتعلم المتعلم فى أوروبا لا بد أن يغير فى طابعه شيئاً ، ولكن شوقى فيما يظهر من شـعره لم يكن إلا مصرياً عربياً يهزه الشرق دون الغرب ، وستجلى عليك هذه القصيدة التى قالها بعد عودته من اوروبا بزمن قليل ، فتعرف كيف لم يتأثر الرجل بمدنية الغرب وطابعه وحيويته .

وأدعوك أيهـا القارىء إلى التريث قليلا حتى أقول لك إن شوقى — عوض الله العربية عنه خيراً — لم يكن إلا مجدداً إلى أبعد حدود التجديد ، فما عرفنا شاعراً فى العربية يدخل على شعره من العلم ما حرصت قصائد شوقى عليه ، فهو قد طوع العلم للشعر تطويعاً نادراً ، وتكلم عن التاريخ ومجد الاختراعات والمخترعين ، حتى ليتيقن من يقرأ شعره أنه قد ألف فى القرن العشرين وللقرن العشرين وحده ، وما نعرف شاعراً فى العربية قد جدد الألفاظ وصقلها وأحياها بالاستعمال كما فعل شوقى عليه رحمة الله .

والقصيدة التى اخترناها موضوعاً لهـذا الحديث قد نظمت عام أربع وتسـعين وثمانية وألف أى منذ ثمانية وثلاثين سنة ، فاذا لاحظت كيف كان نصيب مصر من المدنية على هذا العهد عرفت أن شوقى لم يكن إلا سيد المجددين .

وتتألف (كبار الحوادث فى وادى النيل) من ثلثمائة بيت إلا قليلا ، وقد رتبت من ناحية التاريخ ترتيباً غريباً فى دقته ، وكان مستهلها فى وصف البحر ، إذ قالها الشـاعر النابغ فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر من عام ١٨٩٤ وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه . وبعد الابداع عن البحر كان الابداع فى

وصف صانعه وهو الله . ثم تطرق الى الاشادة بمجد مصر القديمة وعظمة ملوكها ، وكيف شادوا الأهرام وسواه من الآثار الخالدة واتخذ من هذه المناسبة فرصة للرد على ما ادعاه بعض المؤرخين من أن هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا الظلمة المتجبرين . فلما أن تركت القصيدة هذا العهد خرجت الى الاسف على حال البلاد لما دخلها الهكسوس فهدموا آثارها وظلموا أناسها ، وأنحى باللائمة على المغتصبين فهجاهم ألذع الهجو . ثم تكلم الشاعر عن ظهور أحمس ودحره للهكسوس وإشراق المجد القديم على مصر ، حتى إذا وصل الى رمسيس مجده وذكر مآثره ومآثر جده سيتي وتكلم عن سيزوستريس والآلهة المصرية القديمة وروى عنها بعض الأقاصيص ، ولم ينس الأدب فى ذلك العهد الغابر فتكلم عن بنتاؤور .

فلما أن تجاوز الشاعر هذا العهد من عهود التاريخ ذكر فتح فارس لمصر بمليكها قمبيز ، وكيف أساء الفاتحون الى البلاد ، وتوغل فى دقائق التاريخ فذكر كيف ظلمت الأسرة الملكية المصرية إذ ذاك :

جيءَ بالمالكِ العزيزِ ذليلا	لم تزلزلْ فؤادَه البأساءُ
يبصر الآلَ إذ يراح بهم فى	موقف الذلّ عنوة ويجاءُ
بنت فرعون فى السلاسل تمشى	أزعج الدهرَ عريُها والحفاءُ
وأبوها العظيم ينظر لمّا	رديت مثلما تردّى الاماءُ
أعطيت جرةً وقيل اليك النهـ	ـر قومى كما تقوم النساءُ
فمشت تظهر الاباءَ وتحمى الدمـ	ـع أن تسترقه الضراءُ
فأرادوا لينظروا دمع فرعو	ن وفرعون دمعه العنْقاءُ !
فأروه الصديق فى ثوب فقرٍ	يسأل الجمع والسؤال بلاءُ
فبكى رحمةً وما كان من يبـ	ـكى ولكنما أراد الوفاءُ
هكذا المُلْكُ والملوكُ وإنْ جا	ر زمانٌ ورُوّعتْ بلواءُ !

هذه قصة من التاريخ القديم ساقتها المناسبة الى الشاعر سوقا ، وإنما ذكرناها كلها لتعلم منها كيف كان الرجل يذكر التاريخ فى قصيدته ، حتى الاقاصيص لم يغفلها فى سجله الرائع ، ولم يكد الرجل يختتم قصة الفرس حتى وقف أمام فتح الاسكندر لمصر وتخليصها من أيدى العجم فالبطالسة ، وما كان من حكم كليوباترة وقصتها مع أنطنيو وأوكتافيو وموتها منتحرة ، ثم دلف الى روما فمجد دولتها وأشاد بما كانت عليه من عز ومنعة .

ثم فصل فى تمجيد الله عجيب ، وفى تعقيب شوقى بتمجيد الله على ذكر مجد مصر والرومان معنى عظيم الروعة والجلال . فلقد شاء له ايمانه أن يمجد الله ما دام قد مجد مخلوقاته أولا وشاء له إخلاصه أن يعتذر عن عبادة مصر القديمة لمعبوداتها المعروفة ويبرر هذه العبودية وشاءت له عنايته بالعلم والتاريخ أن يذكر هذه المعبودات القديمة . واختار لها هذه المناسبة فاسمع :

رب شقت العباد أزمان لا كتـ ـب بها يهتـدى ولا أنبياء
ذهبوا فى الهوى مذاهب شتى جمعتهـا الحقيقة الزهراء
فاذا لقبوا قوياً إلـهاً فله بالقوى . إليك انتهـاء
وإذا آثروا جميلاً بتنز يه فان الجمـال منك حباء
وإذا أنشأوا التماثيل غراً فاليك الرموز والايمـاء
وإذا قدروا الكواكب أربا باً فمنك السنى ومنك السناء
وإذا ألهوا النبات فمن آ ثار نعماك حسنه والنمـاء
وإذا يمموا الجبال سجوداً فالمـراد الجـلالة الشماء
وإذا يُعبد الملوك فان الملك فضل تحبو به من تشاء
وإذا تُعبد البحار مع الأسمـاك والعاصفات والأنواء
وسباع السماء والأرض والأر حام والأمهات والآباء
لعلاك المذكرات عبيد خضـع والمؤنثات إماء
جمع الخلق والفضيلة سر شف عنه الحجاب فهو ضياء

وأخذ شوقى بعد ذلك يمدح آلهة مصر فتناول إيزيس وآبيس وأوزيريس. فلما أن جاء موسى استقبله بالحفاوة الشديدة وذكر قصته مع فرعون ، حتى إذا ولد عيسى هلل له وكبر ، ثم نعى للقراء دولة القياصرة وتقوض صرح روما وذهاب ريحها .

فاذا وصلت القصيدة الى النبى ألم بمولده وجهاده وسيرته عليه الصلاة والسـلام وامتدح صفاته امتداحاً رائعاً وذكر كيف اتسعت دولة الاسـلام ، فاذا امتدح الاسلام أوجب الشاعر على نفسه أن يمتدحه فى مصر فتكلم عن عمرو بن العاص ومآثره ، فصلاح الدين الأيوبى وقصة الصليبيين معـه ، فدولة المماليك ، فدخول نابليون ، فمحمد على باشا ، فسعيد ، فعباس .

ولا بد من تعليق يقتضيه المقام على هذا التاريخ فهو كتاب مفصل لتاريخ مصر

ليس أبدع منه فى ايجازه واسهابه . ومن أراد أن يلم بتاريخ مصر فعليه بهذه القصيدة العصماء التى تثبت أن العلم يطاوع الشعر ولا يعصيه ، والتى تثبت أن الشاعر قد قرأ فى حداثته الكثير المفصل عن مصر والعلم ، وهذا العلم هو الذى أبعد طيش الشباب عن شوقى فقد توفر عليه رحمه الله فى صباه حتى صرفه تقريباً عن كل ما عداه من مرح ولهو ومتاع .

* * *

وبعد ، فانا ذاكرون لك بعض الأبيات العظيمة فى هذه القصيدة التى ننصف إن نسمها ديواناً ، بل هى ديوان شعر وسجل تاريخ وكتاب علم وسفر دين كل منها رائع عجيب .

سنذكر لك بعض الأبيات وإن كان المختار يحار فى أيها أشهى للنفس ، فترى كيف كان المعنى وكيف كان اللفظ وكيف كانت الموسيقية عند شوقى وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من العمر .

نذكر لك روعة الوصف فى قوله :

ضرب البحر ذو العباب حواليها سماء قد اكبرتها السماء
ورأى المارقون من شرك الار ض شباكاً تمدها الدأماء
وجبالاً موائجاً فى جبال تتدجى كأنها الظلماء
ودوياً كما تأهبت الخيل وهاجت حماتها الهيجاء !

فهل رأيت فى وصف البحر أبرع من هذا الذى نظمته براعة فتى فى السادسة والعشرين ، وكيف ترتفع السفينه فكأنها تسير فى السماء وكيف تمد الشباك فى الدأماء (البحر) فاذا السفين يسير فيه كما تروح الروائح وتعدو العوادى فى الارض ، ثم كيف تماوج الجبال وتدوى الموجة كالجواد المسرع وتتسلسل اللجج وتتصل كالهضاب فى رمال الصحراء تتغاير كل صباح وكل ليل ! فاذا وصف السفر قال :

نازلات فى سيرها صاعدات كالهوادى يهزهن الحداء !

الله لهذا البيت الذى ينتقل بك من ضوضاء المدينة وحياتها إلى صميم الصحراء ، ويعود بك إلى ما قبل ألف سنة فاذا بحداء العربى لناقته يملأ اذنك ويطربك ، وكأنك تسمعه وتوقعه بقدميك !

ثم اسمع تسبيح الأمواج لله :

واذا ما علت فذاك قيام — وإذا ما رغت فذاك دعاء !
فاذا راعها جلالك خرت — هيبة فهى والبساط سواء !
والعريض الطويل منها كتاب — لك فيـــه تحية وثنـاء !

نعم ترتفع الموجة فيقول الشاعر ان ارتفاعها قيام للصلاة وترغى فصوت ارغائها دعاء الله ، حتى اذا هالتها عظمة سيد الكون بعد أن أخذت تستطلعها فى سيرها وارتفاعها زمناً خرت ـ والموجة تمر وتتلاشى ـ فسقوطها وانبساطها اجلال للخالق واكبار ، فاذا انبسطت فهى كتاب مفتوح ليس فيـه الا حمد لله وثناء ، فهل قال هذا شاعر من قبـل ؟ ! هل قاله وفيه هـذا الاتزان والتكافؤ والتشبيه والموسيقية واللفظ ؟؟. ثم هل قاله شاعر عربى وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين ؟

وإذا جاء ينبوع الحكمة فاقرأ :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها — فلها ثورة وفيها مضـاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسـر — فكيف الخلائق العقلاء ؟!
يحسب الظـالمون أن سيسودو — ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليـالى جوائر مثلمـا جا — روا وللدهر مثلهـم أهـواء

حكمة تقال فى كل زمان ومكان ، تقال فى الظالم وفى الدهر فتردع من يظلم ، وترد من يطغى وتذكر من غره النسيان . حكمة قدت من التجارب قداً واستلت من التاريخ استلالا ، والتاريخ موعظة وعبرة لم يغفلها شوقى ابداً ، فهو لا يرويه غراماً فى الفخر بالعلم ، وإنما يرويه ويبرز منه الحكمة فيذكرها محكمة رائعة منطبقة على كل مناسبة .

والآن نعود بك إلى قطعة ذكرناها عن ظلم الفرس للأسر المصرية المالكة فأعد قراءتها تتملك جسدك قشعريرة ، وتأخـذك الضغينة على الظالم والتفجع للمظلوم ، فهل أعظم من وصف هذا الاضطهاد مما ذكره شوقي، وإذا أسهبت كتب التاريخ فهل تستطيع أن تصل الى اعماق نفسك وتصف الحال كما وصفه هذا الشعر العتيد ؟ واليك بعد ذلك أبياتاً فى الهجاء قالها شوقي عن كليوباترة والأفعى التى لدغتها فماتت :

سلبتها الحيـاة فاعجب لرقطا — ء أراحت منها الورى رقطاء !
لم تصب بالخداع نجحاً ولكن — خـدعوها بقولهـم حسناء !
قتلت نفسها وظنت فـداء — صغرت نفسها وقل الفـداء !

هجاء ليس فيه على مرارته قبح ولا فجور ، وانما روعى فيه التجديد فما خرج فيه الشاعر عن أخلاق الرجل المهذب ، ولو انه وصف كليوباترة بالحية والحية خير ما توصف به المرأة الجميلة المغرية الخادعة ، ولو إنه قال أن قتلها لنفسها أحقر من أن يكون تكفيراً عن سيئاتها ، ثم ولو أنه أصغرها حتى عن القدرة على الخداع فقال إنها لم تخدع وإنما خدعت بالاطراء فظنت نفسها اميرة القلوب وسلطانة الهوى والغرام .

ونحيلك فى ذكر المدح على القطعة التى مجد بها الله فى هذه التحفة الرائعة والتى عرضناها عليك ، فالحق أن للناس أهواء هى التى حملت بعضهم على تأليه القوىّ ، وبعضهم على تأليه الجميل ، وتأليه الأوثان والكواكب والنبات والجبال والملوك والبحار والأسماك ولكن مرجع هذه الآلهة كلها إلى الله خالق تلك الآلهة ، فأنعم به اعتذاراً عن شتى ألوان هذه العبودية !

وإذا قرأت فى وصف شريعة عيسى عليه السلام :

لا وعيد ، لاصولة ، لا انتقام   لاحسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملك جاور التراب فلما   ملّ نابت عن التراب السماء !

أخذتك روعة ليس لجلالها حد ، ففى بيت واحد أجمل شوقي فى شريعة عيسى فأسهب وجمع ولم يترك قولا لقائل . ولقد ذكرت فى أول الحديث أن الرجل كان مسالماً متسامحاً وفى هذين البيتين دليل المسالمة والتسامح : ففى البيت الثانى مرق الشاعر بلباقة من قصة عيسى والخلاف عليها بين المسلمين والمسيحيين .

أما مدح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فاسمع منه:

فرأى الله أن تطهر بالسـ   ـيف وأن تغسل الخطايا الدماء
وكذاك النفوس وهى مراض   بعض أعضائها لبعض فداء

فلقد وجب الجهاد فى سبيل الله إذ ذاك .

أيرى العجم من بنى الظل والمـا   ـء عجيباً أن تنجب البيداء
وتثير الخيام آساد هيجا   ء تراها أسادها الهيجاء ؟

ثم يتدرج الحديث الى تاريخ مصر منذ فتحها عمرو بن العاص ، فيتكلم عن عمرو وعن صلاح الدين واشتباكه مع الصليبيين وفى ذلك يقول :

ليس للذل حيلة فى نفوس   يستوى الموت عندها والبقاء !

فهل فى الفخر والمدح أروع من هذا ؟ ضاق الذل بالمسلمين ذرعاً وهو يحاول الدخول فيهم فلا يستطيع ! وكيف يستطيع وهم قوم يستوى عندهم الموت والحياة ؟!

ثم ذكر المماليك فسجل عليهم مساوئهم حتى في جباية الضرائب ، فلما جاء نابليون استقبله الشاعر بفصل جاء فيه :

ولو استشهد الفرنسيس روما لأتتهم من رومة الأنبـاء
علمت كل دولة قد تولت أننـا سمها وأنا الوباء !

يثبت لك هذان البيتان ان الرجل فى سنه المبكر لم يقتصر فى قراءته على كتب العرب . فلقد ذكر روما وذكر الامم التى احتلت مصر جميعاً وأنبأ عن كل منها فى جمل قصيرة ، ولو أن نابليون سمع ما قيل فيه لعلم أن هناك من هو أخلد منه على الدهر ، فاسمع :

سكتت عنه يوم عيَّرها الأهرام ، لكن سكوتها استهزاء !
فهى توحى اليه : أن تلك واتر لو ! فأين الجيوش ؟ أين اللواء ؟

الأهرام تهزأ بنابليون وتعرف من أمر المستقبل ما لا يعرفه سواها . هذه المطلعة الخالدة الثابتة فى مكانها والجيوش تتحرك وتقهر وتنتهى حينما الأهرام تلقاها بالاستهزاء لأنها تعرف السر الروحى فى هذه البلاد وتعلم ما يخبئه الزمن فى جعبته !

نعم انتصر وافعل ماشئت فستخذلك فى القريب واترلو ، بل وستقبر قوتك وتطيح بفتوحك الى الأبد !

ولقد هزت الشـاعر نكبة مصر بقناة السويس ، وألهمته أبياتاً رائعة تضمنهـا الحديث عن سعيد :

جمع الزاخرين كرهاً فلا كا نا ، ولا كان فى ذلك الالتقاء !
أحمر عند أبيض للبرايا حصـة القطر منهما سوداء !

وأنا أترك لك استبانة الجمـال فى هذا الشعر ، لأقول لك فى خاتمة هذا المقال الذى نالت العجلة منه ، أنك تلمح اعتداد شوقي بنفسه وبقدرته فى أكثر قصائده ، فهو يختتم هذه القصيدة بالحديث عن عباس الثانى وعن نفسه معاً :

يا عزيز الأنام والعصر سمعاً فلقد شـاق منطق الاصـغاء
إن عصراً مولاى فيه المرجَّى أنا فيـه القريض والشعراء
هذه حكمتى ، وهـذا بيـانى لى به نحو راحتيك ارتقـاء
كيف تشقى بحب حلمى بلادٌ نحن أسيافها وحلمى المضاء ؟!

تكلم عن عباس وعن نفسه معا لأنه قضى شبابه ببابه ونال من عطفه. فالشاعر الفذ الذى يحس نبوغه وهو فى السادسة والعشرين ، هو رجل ثابت العزيمة لا بد أن يصل الى المكانة التى يريدها .

هذه كلمة عجلى عن الشاعر المجيد فى شبابه المبكر ، فهل تصلح صورة للرجل فى ذلك العهد ؟ إن تكن صورة فهى فى ملامحها وألوانها مرآة شاعر قد تسنم ذروة النبوغ شاباً ، فلو أنه مات فى السابعة والعشرين لكتب له من الخلود ما يكتب له اليوم ، وتلك ميزة الزعامة تبدو فى كل عهد وكل موطن وكل زمان ؟

محمد نذير



منزلة شوقى وأثره

تجرى حوادث الطبيعة والاجتماع على معايير تختلف قيمتها وآثارها باختلاف الوضع والزمان. وتحتكم هذه المعايير فى الحياة الانسانية فلا تفوت للانسان من حرية الاختيار الا قدراً بينه وبين الجبر الصرف فارق ضئيل لا يكاد يُرى !

أما هذه المعايير فلا ضابط لها فى تصريف حظوظ الناس : فهى تضرب فى ذلك عن غير قصد وتخبط خبط عشواء ، وترمى أحد الناس بأشد الكوارث وتحبو الآخر بمباهجها وتزوده بما فى وسع الدنيا ان تزود به الذوات الفانية من المجد والعظمة العالمية .

وأنت ترى ان فى التاريخ حوادث لا تعيد نفسها ، على الضد مما يذهب اليه البسطاء إذ يقولون أن التاريخ يعيد نفسه . فان التاريخ يتعاقب وتتشابه اجزاؤه . أما أن يعيد نفسه فوهم من الأوهام وتجريد للذهن لا أثر فيه من الحقيقة . والانسان بطبعه محتاج للاوهام شديد الميل الى التجريد والى الاشياء الخفية المقنعة يجرى وراءها ويعبدها من دون كل الاشياء التى جعلته انساناً حقيقياً بصفات الانسانية !

من الامثال التى نضربها على ذلك امثال يمكن ان نتناولها من اطراف الحياة الانسانية على اختلاف وجوهها وتلاحق صورها الشتيتة : فان غاليليو مثلا قد

ُوجد فى عالم يحتاج الى فكر مثل فكره ليكشف عن سر نظامه الفلكى وعن أن الارض هى التى تدور حول الشمس . وهذا الحادث لن يتكرر فى التاريخ ، فمرة واحدة لا أكثر يمكن ان يوجد نظام كالنظام الشمسى يحتاج فى كشف سره . ومرة واحدة تتهيأ الفرصة لانسان مثل غاليليو ليستعين بالرياضيات والبصريات ليعرف ذلك السر . كذلك كان الامر مع نيوتن فإن النظام الذى كشف عنه غاليليو كان يحتاج الى تعليل ، ومرة واحدة يوجد نظام فلكى كنظامنا الشمسى يحتاج الى تعليل ويكون من نصيب نيوتن . ومرة واحدة يحتاج نظام النشوء العضوى الى تعليل فيكون من نصيب داروين . وهذه الحوادث وأمثالها لن يعيدها التاريخ ، فانها انما تقع لاول وآخر مرة فى تاريخ الدنيا وتكون من نصيب أفراد خصوا بأرقى الكفايات ، كما خصوا بأسعد الحظوظ . ومرة واحدة أيضاً تظهر دولة كدولة المغول لا تعرف للفن قيمة ولا للآداب وزناً ولا للمدنيات حرمة ، تمضى فى سبيلها الحربى وتنوء بقواتها على الدولة العربية فتحطمها وتبيد آثارها وفنونها وتقضى على آدابها وتترك الشعر فى هذه الدولة العربية — بعد ان أتت على الطارف منها والتالد — يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة . ومرة واحدة بعد ذلك يظهر شاعر كشوقى فيتلقّى بقايا الشعر العربى الذى أبقت عليها دولة المغول فيحيى منه الموات ويصبح بحكم الظرف الذى وجد فيه ، وبحكم المواهب التى مكنته من احياء الشعر العربى ، أمير الشعراء ورافع علم الأدب العربى فى طليعة القرن العشرين . فمجد شوقى إذن يكوّنه عنصران لا ينفصلان : عبقرية غير منكورة ، وحظ باسم أبقى عليه القدر طوال قرون ليجعله من نصيب مصر وشاعرها العظيم .

فمنزلة شوقى اذن من الشعر العربى منزلة الحلقة تصل بين ماضى الشعر فى العربية وبين العصر الحاضر ، لا ليقف امرها عند هذا الحد ، بل لتتجلّى بامانة الشعر كما خرجت من أيدى القدماء ثم ليُصَبَّ فى القالب الذى سوف يَصُبُّهُ فيه المجددون من أبناء القرن العشرين فى العالم العربى . ومرةً واحدةً أيضاً تتهيأ الفرصة لعبقرى موهوب يجد فيها الشعر العربى محتاجاً للتجديد ، ومحتاجاً لاقتحام أبواب الحياة الواسعة المستفيضة ، فيخرجه من الحيز الذى حبسه القدماء فيه حتى مات على يد المغول ، ثم نفخ فيه شوقى نسمة الحياة . أما ذلك العبقرى السعيد الموهوب فمن ذا يكون ؟ القدر وحده كفيل بان يخرجه من الاصلاب الى البطون ثم الى الحياة ثم الى التراب ، بعد ان يبنى المجد بلبنات الفنون ، ويترك للشعر العربى آثاراً مخلدةً .

بجانب هذه الناحية التي يهيء فيها الزمان قليلاً من الموهوبين السعداء لظروف لن يعيدها التاريخ ليبني بتلك الظروف اعظم صرح في هيكل مجدهم ، تجرى الطبيعة على أقدارها فتظلمهم ، ويكون ظلمها متزناً مع ما هيأتهم به في ظروف الحياة السعيدة ! فان الطبيعة تلقي في قلوب الناس ان ذلك العبقرى الموهوب يجب أن يكون مجرداً عن النقائص متحلياً بكل الكمالات الانسانية . وقد يسعده الحظ حيناً فيجرى الناس على أنه ذلك الرجل ، فاذا دارت عجلة الزمان دورة أخرى ، وتخطت بالناس عصر ذلك الرجل الكبير ، وجددت الحظوظ العالمية في مراقي العلم والفن ، قيس قدر الرجال دائماً بمقدار الفارق بين الزمانين وبمقدار ما دارت عجلة الزمان على الاشياء وعلى عناصر الاشياء وعلى الفنون والآداب ، فيخرجون من جماع ذلك بما نعتبره الظلم الاكبر في وزن الرجال وتقييم أعمالهم ووزن آثارهم !

غير أن شاعرنا الكبير شوقي قد يخرج عن هذه القاعدة بعض الشيء وقد يتناوله سلطانها في أكثر الاحيان . يخرج عنها لانه أحيا قديماً ولم يبدع جديداً ، ويدخل تحت سلطانها لانك لن تستطيع ان تقيِّم شوقي وان تزنه الا بميزان تضع في احدى كفتيه الشعر القديم ، أو بالاحرى مبدعات الشعر القديم ، وفي الأخرى شعر شوقي . على أنك لا تلبث ان تفعل هذا حتى تجد ان كفة شوقي قد شالت وشارفت على السماء ، وأن كفة الشعر القديم رجحت وقاربت الأرض ! هذا اذا انت مضيت تقارن المختار من المجموع القديم الذى أفلت من تخريب المغول ، بالمختار من شعر شوقي . وانك لواجد بعد ذلك أن الدعوى العريضة التي يدعيها الذين اخذتهم صيحة المبالغة والعجز عن تقييم الآثار الادبية من أن شوقي قد جدد في أساليب الشعر وفي معانيه وتراكيبه ، دعوى لا يستطيعون أن يقيموا دليلا واحداً عليها . فان شوقي شاعر جديد بعصره وزمانه ، قديم باساليبه ومعانيه وتراكيبه ومنازعه ، وقد يشارف في بعض هذه النواحي على افق الطبقة الثانية من القدماء ، وقد ينزل في نواح أخرى الى الطبقة التي رضيت بامثال صرَّدر وأبي الشمقمق ان يكونوا شعراء ، بالمعنى الذى نفهمه من الشعر في دواوين البحترى وابي تمام وابن هانيء والمتنبي .

أما الفارق الوحيد الذى يفصل بين شوقي وبين شعراء العهد القديم فتجديده في القوالب التي صبَّ فيها الشعر العربي . وغالب الظنِّ ان عبقرية شوقي مسوقة الى هذا غير مختارة . فان روح العصر والبيئة حكماً اضطر شوقي لأن يصبَّ الشعر

القديم بأساليبه وتراكيبه ومعانيه فى قوالب يمتزج فيها روح الأدب العربى الصميم بحاجات هذا العصر ومقتضيات البيئة . ولولا هذا لما استطعنا ان نقول إن شوقي قد أحيا الشعر العربى ، لان احياء هذا الشعر معناه اقتباس الاساليب القديمة ، وصبها فى قوالب تلائم ذوق هذا العصر . وان هذا الأثر وحده لجدير بان يجعل شوقى أمير الشعراء فى عصرنا هذا ؟

اسماعيل مظهر



شعر شوقى

مضى أربعون عاماً أو نحو ذلك وشوقى يحمل لواء الشعر العربى وجعل شعراء العرب يسيرون وراءه فى جميع الاقطار العربية ، ويقرؤون شعره ويغبطونه او يحسدونه على مكانته . فكان لشوقى الفخر فى الحصول على هذه الزعامة رغم ما لقى فى سبيل ذلك ، وكان له الفضل فى أن جعل وادى النيل منبع هذا الشعر وموطنه ، وكان لمصر أن تزهو بما أوحت اليه من أخيلة لا شك فى أنها هى موردها العذب : فان ما نزل بها من حوادث وما مر بها من إحَنٍ وما بقى بها من أثر تلك الثقافة العربية المتأصلة فى نفوس أدبائها وعلمائها ومن أساليب التفكير لديهم وفى نوع الادراك والتعبير ، ثم ما يتمشى فيها من أثر الدين والاخلاق فى نفوس أبنائها ـ كل ذلك ملك من نفس شوقى وهذب من خياله وكشف له عن دقائق الافتنان حتى أصبح كما رأيناه وعرفه الناس من كبار الفنانين والشعراء واكتسب هذه القريحة النادرة التى شهد له بها جلة أدباء العرب وشعراء العربية .

ربما كان الحكم على شعر شوقى الآن عسيراً او ناقصاً او خاطئاً لأن المعاصرين لكبار الرجال لا يكادون يحكمون عليهم حكماً صحيحاً خالياً من الحقد أو مملوءاً بالاعجاب لما يكون من أثر فى النفوس بسبب الاتصال بهؤلاء الرجال بنوع من الحب أو البغض . وكثيراً ما يدفع الغرور بالناس فى بعض العصور الى الجرأة فى الحكم على المسائل الفنية الخالصة بدون علم سابق ولا دراسة صحيحة ولا ثقافة كافية ولا سيما فى الحكم على الأدب والأدباء من شعراء وكتاب وبخاصة فى أوقات الفوضى العقلية التى

تكون فى عصور الانتقال كما هى الحال فى بلاد الشرق الآن . ولكن على الرغم من ذلك فان للفنون شعاعاً يخترق حجب الظلمات ويمزق ستور الضغائن : فان الفنون سرّ من اسرار الكون ، والفنيون رسل الجمال تؤمن النفوس برسالاتهم أو هى كالعبير يعطر الاجواء ويتمشى فى ذرات الهواء . ولا يجرؤ انسان مهما علت منزلته فى الادب أن ينكر ما كان ويكون لشوقى من أثر فى الشعر العربى الحديث ومنزلة فى عالم الادب حتى كاد يكون ذلك اجماعاً . أما ما يلصقون به من عيوب وما يرمون به خياله من نقص فذلك مما لا يخلو منه انسان مهما سمت عبقريته أو خلصت نفسه أو صفا خياله ، وكثيراً ما تكون هذه الآراء ناشئة من اختلاف الناس فى تذوق المعانى وتفاوتهم فى معرفة أوجه الافتنان .

لقد تخطى شوقى أدواراً فى حياته الفنية فكان يرد فى أول أمره موارد القدماء فامتلأت نفسه بصور من شعر فطاحل الشعراء الاقدمين كأبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبي وأبى العلاء وغيرهم ممن أتى من بعدهم فتبعهم فى أساليبهم وألفاظهم ومعانيهم وأخيلتهم ، وما مدحه للخديوى توفيق ونجله عباس الا ضرب من المحاولة فى محاكاة هؤلاء الشعراء وهو ظاهر فى أسلوبه الغزلى . ألا ترى هذا فى مدح الخديوى وهو يهنئه بقدومه من الاسكندرية :

نصبن لنا فى مسرح الحدق الهدبا وجاذبننا الالباب يأخذنها غصبا !
لواهى بالسفح انحدرن الى الضحى شموساً وودّعن الأصيل به سربا
وغادرننا لا ألسن غير أعين تسائل عن أمر الخفىّ الذى دبّا

الى آخر هذا الكلام الذى ترى ديباجته وقد طال عليها القدم . وقد تقيد فى هذا النوع بأخيلة القدماء من ذكر الوشاة والعيون وأثرها وغير ذلك مما هو معروف من أوله فقال :

ان الوشاة وإن لم أحصهم عدداً تعلموا الكيد من عينيك والفندا !
لا أخلف الله ظنى فى نواظرهم ماذا رأت بىَ مما يبعث الحسدا ؟!
لولا احتراسىَ من عينيك قلت ألا فانظر بعينيك هل أبقيت لى جلدا ؟!

وهكذا كان أسلوبه فى بدء قصائد المدح بالغزل ، وله فى ذلك بدائع على نحو ماهو معروف عند القدماء من المبالغة فى الاوصاف ونسبتها الى الممدوح ، وقد دفعته الحوادث فتخطى هذا الدور الى أدوار أخرى لا يسعنا الآن ذكرها جميعاً .

ولكنه منذ نشأته وهو يميل الى الابتكار والابداع فى أسلوبه وخياله حتى لقد تقرأ فى كلامه معنى غيره فيخيل اليك أنه معنى مبتكر لم يسبق اليه . ذلك لان الشاعر الفنى كالمصور الماهر يرسم مناظر الطبيعة كما يرسمها سواه ولكنك ترى براعته تدل عليه وأسلوبه يعبر عن افتنانه وما فى نفسه من أسرار الفن وتمكن الجمال منه كما تجد المصور يرسم ما رسمه غيره ولكنه يؤلف بين اللون واللون ويبرز ما بينهما من التناسق والمشاكلة فيخيل اليك أنه شيء جديد . وهل الفن الا هذا السر الذى بثه الله فى نفوس الفنانين فيبرز كل منهم ما فى نفسه وما علق بها من ادراك وما قدر عليه من تنسيق ؟ والعجيب فى شعر شوقى أنه يمدح رجلا واحداً نحو ربع قرن بكلام كثير وقصائد طويلة ولا يكاد يشعر القارىء بالملل من قراءة هذه المعانى المتشابهة ولا بابتذال او تكرار ! واذا كبا قلمه أو ضنّ عليه خياله بشيء جديد ستر ذلك بافتنانه حتى لقد يدفع القارىء نفسه دفعاً لتذوق كلامه على الرغم مما فيه أحياناً من غموض وابتذال ! وكثيراً ما يكون ذلك فى غزله الصناعى الذى يبدأ به قصائد مدحه ومع ذلك ففى غزله الخالص صبغة خاصة به ورقة وجزالة ، فتجد وأنت تقرؤه كأنّ عاشقاً تقطعت به الاسباب فأخذ يشكو ويئن من بلواه فيقول :

علموه كيف يجفو فجفا ظالم لا قيت منه ما كفى
مسرفٌ فى هجره ما ينتهى ! أتراهم علموه السرفا ؟!
جعلوا ذنبي لديه سهرى ليت بدرى إذ درى الذنب عفا !

أما ابتكار شوقى فاظهر ما يكون فى شعره عن أسرته وأولاده وتفننه فى رسم ماكان حوله وما يجول بنفسه من شعور وحب وحنان ، وهو حادث جديد فى الشعر العربى الحديث واشبه ما يكون بشعر ابن عباد الاندلسى . وأصدق ما يكون فى الدلالة على نفس شوقى من حيث صلته باسرته وحبه أهله بل هو صورة من صور أسلوبه الفنى فى رسم الحوادث المنزلية وتصوير جزء من حياته بألوانه الحقيقية بأسلوب اخلاب جميل (بسيط) غير متكلف يرسم عطف الوالد ودلال الاولاد ثم حب هؤلاء لهم ، لا بكايات عامة جوفاء بل بسرد الحوادث ورسمها ، فاذا قرأتها فكأنك ترى الطفل يحبو أمامك ويدل على أبيه فيضحك لضحكه ويبكى لبكائه . أرأيته كيف يخاطب ابنته وهو فى موقف الرجاء وكأنها أكبر أمنية له ؟ ألا تسمع صوته يتهدج وعبراته تكاد تسيل حناناً على ابنته ؟ اسمعه يقول :

وأسأل ان تسلمي لي السنين	وان ترزقى العقل والعافيه
وان تقسمى لأبرّ الرجال	وان تلدى الانفسَ العاليه
ولكن سألتك بالوالدين	وناشدتك اللعب الغاليه
أتدرين ما مرَّ من حادث	وما كان فى السنة الماضيه
وكم بلتُ فى حلل من حرير	وكم قد كسرت من الآنيه
وكم قد خلتْ من أبيك الجيوب	وليست جيوبك بالخاليه
وكم قد مرضت فأسقمته	وقمت فكنت له شافيه
ويضحك إن جئته تضحكين	ويبكى إذا جئته باكيه ؟!

وكل ما قاله فى أولاده بديع جميل يدل على انتحائه فى الشعر ناحية واحدة لم يأخذ فيها شيئاً عن غيره ، وعلى أنه يميل الى رسم النفوس والحوادث وينظر نظراً صادقاً فيما حوله .

ومما يمتاز به شعر شوقي مابه من ثقافة جدية تظهر فى كل نواحى كلامه ، ولكن شوقي فى آخر أيامه كان أعظم ما يكون شاعراً وأبدع ما يكون مبتكراً بما أخرجه من آيات الشعر العربى فى قصصه التمثيلية . فهذا النوع جديد يحسب شوقى من أئمته ومن مبتكرى أساليبه مهما قيل فى ذلك ، وما كان لأحد أن ينكر قدرته وافتنانه ومحاكاته أساليب كورنى وراسين رغم كل نقص فنى فى هذه القصص .

ألا ترجع معى أيها القارىء الى أوائل شعره فأذكرك بنظم القصص على ألسن البهائم والطيور ، ولعل ذلك هو البذرة الأولى فى ميله الى نظم الشعر القصصى ؟ وقد ظهر فى هذا النوع ضربٌ من السهولة فى النظم ربما لا تُرضى أهل الأدب المغرمين بالصناعة والرصانة .

ولقد كانت تتقاذف شوقى الحوادث التى يمر بها فتزيد من الهاماته وخياله الشعرى لأن نفسه كانت حائرة مضطربة طلقة كنفوس جميع الفنيين، يريد أن يستمد الوحى والالهام من كل شيء يحيط به. لذلك كانت حوادث مصر الأخيرة منذ الحرب العالمية الى اليوم منبعاً من منابع شعره ، وكان هذا الاختلاف السياسى والتقلبات الاجتماعية من دواعى توليد المعانى فى نفسه .

وماذا نقول فى شوقى وشعره وما فيه من أمثال سائرة وحكم غالية ؟ لا نريد أن ننقد شعره الآن، ولا أن نذكر كل ما له وعليه ، فلنا جولة أخرى إن شاء الله .

احمد ضيف

شوقى منحة أجيال

اذا مُنح الأنسان موهبة الشعر ونزل عليه إلهـام الخيال ونال حظاً من الأدب وفقهاً فى اللغة واستعمل تلك الموهبة واستغل ذاك الخيال واستعان بحظه فى الأدب وانتفع بمعارفه فى اللغة وكان ذا ذوق سليم وشعور حى فياض واشتغل مع كل هذه المؤهلات العقلية الفنية بقرض الشعر وراض نفسه على المرانة فيه فانه ينتج شعراً طلياً جذاباً يأخذ بالقلوب ويملك المشاعر بمـا فيه من شاعرية راقية وخيال سام وجودة فى الأسلوب وملاحة فى التعبير ، وربما عُدَّ صاحب هذا الشعر اذا بلغ فيه المنزلة السامية من الفحول ووصـل به الى الانخراط فى سلك الطبقة الأولى من طبقات الشـعراء .

ويوجد من نوع هذا الشاعر كثير من الشعراء ، ولا يخلو عصر أوجيل من وجود العدد الوافر من هذا النوع . وما أكثر شعراء العربية الآن فى جميع بلاد العرب الذين تتوافر فيهم هذه الصفات ويمتاز بعضهم على بعض فى نواحى هذه النعوت .

وليس من الضرورى لهـذا النوع من الشعراء حتى المبرزين منهم النبوغ فى العـلم وسعة الاطلاع فى المعارف والخبرة العميقة فى التاريخ والوقوف على دقائق الظواهر الاجتماعية ومسائل المجتمع الانسانى والاشراف على ألغاز الطبيعة وأسـرار الوجود العام ، فكثيراً ما نجد من الشعراء الممتازين بموهبة الشعر وطلاوة النظم من لم يزد تعليمه وتهذيبه المدرسى على الدراسة الابتدائية . ومَن كان هذا شأنه فلا ننتظر من شعره الطلى العبقرى أكثر من الخيال المجرد من الأحكام العامية والنظريات الفلسفية والظواهر الدقيقة الاجتماعية وان اشتمل على نوع من الحكمة المعروفة فى شعر المتنبى وتجرد عن الفلسفة المأثورة فى شعر ابى العلاء ، والأولى ترمى الى المعنى السامى الاجتماعى فى التركيب البديع والثانية قصد بها أبو العلاء الى الفلسفة الفنية الاصطلاحية ومذاهب الفلاسفة ، والأولى تأتى الهاماً والثانية تعلماً ولا يتعلمها الا العلماء الفلاسفة المثقفون .

اذا اجتاز الشاعر دور الدراسة الابتدائيه والتربية المدرسية الأولى وانقطع عن هـذا العمل الى غيره وأربى على سنى التعليم فليس فى وسعه ولا فى طبيعته أن يستأنف بنفسه التثقف فى العلوم والفنون والحكمة ، وليس من السهل له أن يقف

على روح التاريخ مهما قرأ فى التاريخ ولاأن يفهم سلسلة المجهود العقلى الانسانى حلقة بعد حلقة مع اتصال الحلقات وإحكام الارتباط .

لهذا لاننتظر من شعر امثال هؤلاء الشعراء سوى الشاعرية الرائعة الخلابة فى الأسلوب العذب الجذاب لنتفكه بقراءته ونطرب لسماعه غير منتظرين بعد الفن اللفظى الممتع والابداع القوى فيه شيئاً من الفنون الجميلة ، أو نوعاً من العلوم القديمة والحديثة ، أو لوناً من الثقافة العقلية العامة ، أونحواً من الحكمة الاصطلاحية الفنية فى مذاهبها المختلفة التى تفسر الوجود الكلى من حيث المبدأ والتغيير والمصير .

* * *

فوق هـذا النوع من الشعراء وعلى هامة الأدب الراقى يوجد نوع آخر من طراز خاص ممتاز . وهذا النوع السامى الممتاز من الشعراء هو الذى تتوافر فيه — على وجه كامل — الصفات والنعوت والمؤهلات التى يكوّن كلها أو جلها النوع الأول الطبيعى المألوف من الشعراء ويمتاز مع ما تقدم بتربية علمية عالية وتهذيب عقلى كامل واسع يستجمع بهما فى ذهنه مع موهبة الشعر وسمو الخيال ثقافة جامعة شاملة تجعل صاحبها يشرف على اسرار الوجود الكلى وألغاز الكون العام ويفقه علوم الانشاء وروح تاريخه العام وتاريخ مجهوداته العقلية من بدء العصور الأولى حتى الآن .

هذه الثقافة الواسعة العالية هى بالطبع الينبوع السامى الجدّى الذى يغترف منه الشاعر الممتاز والامام الجليل فيجتمع له فى شعره بذلك وبسمو الخيال وطلاوة النظم وبموهبة الشعر الابداع اللفظى والمعنى الرائع الجذاب والحكم العلمى الفنى الصحيح بما يشتمل عليه شعره من علم وفن وحكمة سامية وفلسفة فنية عالية وعبرة من التاريخ الانسانى وعظة من روحه الحاكمة فيه .

ومثل هذا النوع نادر الوجود ، وعلى الاخص فى الأمم التى لم تستكمل بعد ثقافتها ولم تصل فى رقيها العلمى الا الى حد محدود ليس شائعاً فى الغالب فى كل الافراد بل فى بعضهم ، وقليل ما هم .

واذاً نحن الآن فى نهضتنا العامية لم نصل معها الا الى حالة لو قارناها بمثلها فى الرقى العلمى الأوربى لوجدناها فى درجة النهضة التى كانت عليها أوربا فى عهد الريناسنس أو احياء العلوم .

وينتج من هذا أننا لسنا فى دور ننتظر فيه من كل شعرائنا أن يكونوا — مع تمتعهم بمواهب الشعر وقوة الخيال إلى آخر ما أوردناه عند الكلام على النوع الاول من الشعراء — بالغين حدود الثقافة العامة الجامعة ، لأن هذا ليس فى طبيعة جيلنا الحاضر بالنسبة الى الشرق بل يحدث فى جملة أجيال آتية يمكن حصرها اذا قيس نهوضنا بنهوض أوربا ، وعلمنا أننا لا نصل الى ما وصلت اليه هذه القارة الآن الا بعد أجيال بعدد الاجيال التى بين عهد الريناسنس والعهد الحاضر .

* * *

اذا تقرر ذلك فلانكون مغالين اذا قلنا بأن شوقى أمير الشعراء منحة أجيال أعنى الأجيال الغابرة منذ عهد امرىء القيس إلى الآن وأجيال آتية لا ندرى عدّها وإن قدرناها بعدد الأجيال التى بين عهد الريناسنس فى أوربا والوقت الحاضر .

أجل ، شوقى أمير الشعراء منحة أجيال غابرة وآتية لأنه جمع بين اسمى موهبة للشعر وأرق خيال فيه وبين الثقافة العامة الجامعة الحديثة التى امتاز بها من بين شعراء العربية فى الماضى والحاضر . وانى لنا بمثله تجتمع فيه كل هاتيك الخلال ؟ ان هذا لعمرى لايوجد ولايتحقق إلا على غيرسنن طبيعى وفى استثناء غيراعتيادى . ومتى يسمح الدهر بغير سنته ويظهر باستثناء فى نواحيه ؟ ربما حدث هذا فى جيلنا الحاضر أو بعد أجيال .

* * *

لست فى حاجة الى ايراد أمثلة من شعرشوقى ونثره الحكيم للدلالة على أنه وهو المفرد العلم فى الذروة وفوق الهامة بالنسبة الى موهبة الشعر فيه وفى أعلى مكانة من التفوق، كما أننى لست فى حاجة أيضاً إلى أن أسوق نبذاً من انتاجه الشعرى والنثرى مستدلا بها على مدى تهذيبه العالى وثقافته العامة السامية ، فشعر شوقى كله عذب وكله رائع ونثره كله بديع وكله حكيم مع امتلائهما بالعلم والفن والفلسفة والتاريخ والارشاد والهداية والأحكام الصادقة والعظة والاعتبار . ولا يفقه شوقى ويبلغ مدى مايرمى اليه شعره ونثره الا منقف ثقافة شوقي : فهو على سهولته وعذوبة اسلوبه كنز مكنون وسر محجوب سترفع حجبه البحوث العلمية العميقة المتوالية لأرباب العقول الراجحة والمعارف الواسعة على توالى الأيام والدهور .

نعم لسنافى حاجة الى أن نتعرض هنا لشعرشوقي ونثره للدلالة على مكانة موهبته الشعرية وثقافته العامة السامية ، ولكننى استأنس بأثرين جليلين من آثاره العظيمة وتراثه

الاول الخالد أحدهما يرجع الى شاعريته والثانى الى ثقافته، والى القارىء البيان بالاجمال:

نفح شوقى اللغة العربية وأدبها والخيال العربى ومكانته فى فن الشعر التمثيلى التى خلت منه الآداب العربية الى عهد قريب دراً ثمينة وغرراً وسيمة هى رواياته: كليوبترة ومجنون ليلى وقمبيز وعلى بك أودولة المماليك وعنترة، فبرهن بهذه الروايات الأدبية على سمو الخيال العربى الذى رماه بعض النقاد بتخلفه عن مكانة الخيال الآرى لعدم انتاجه فن الشعر التمثيلى الموجود فى آداب الآريين.

وكتاب «أسواق الذهب» فى نثر شوقى الحكيم يحتوى على كلمة غالية فى وصف البحر الأبيض المتوسط ـ الأرجوحة الأولى للعقل البشرى ومهد المدنية الانسانية ونقطة اتصالها من أول وجودها حتى الآن ومستقرها الطبيعى فى المستقبل مادامت القارات قارات والبحار بحاراً.

هذه الكلمة الحكيمة الغالية اذا أنت قرأتها ونفذ فهمك الى أغراضها وألممت بما فيها من حكمة وبيان وعلم وعرفان أدركت مقدار ثقافة شوقى وعلمه الجمّ واطلاعه الواسع وحكمت معى بأنه منحة أجيال ونعمة دهور.

قال شوقي: البحر الأبيض المتوسط سيد الماء، وملك الدأماء، مهد العلية القدماء، درجت الحكمة من لججه، وخرجت العبقرية من ثبجه، ونشأت بنات الشعر فى جزره وخلجه. بدت الحقيقة للوجود من يبسه ومائه، وجرب ناهض الخيال جناحيه بين أرضه وسمائه!

العلوم نزلت مهودَها من ثراه، والفنون رَبيت فى جمال رباه، والفلسفة فى ظله وذراه، (بنتاؤر) وُلد على عِبرْه، و(هومير) مُهِّد بين سحره ونحره، ونحت الالياذة من صخره، و(هيرودوت) دون متونه على ظهره، و(الأسكندر) انتهى اليه بفتحه ونصره!

ثم قال بعد وصف ساحر خلاب على نمط ماسقناه مخاطباً ناشىء الكنانة:

لآبائك عنده ـ منذ ماجت أمواجه ولجت لجاجه، وهدر عجاجه، وانثنى للرياح شراعه وساجه ـ جوار الأكرمين، وصحبة المحسنين، وكنف السماح الخيرين. تلك اللجة ـ أيها الناشىء ـ هى من أوطانك عنوان الكتاب، ومصراع الباب، ووجه الجميلة، وظاهر المدينة، وعورة الحصن، وان قوماً لهم على البحر ملك وليس

لهم منه فلك ، لقوم دولتهم واهية السلك ، وسلطانهم وإن طال المدى الى هلك .

فلله أنت يامنحة الاجيال ونفحة الدهور ! ذكراك خالدة فى النفوس وتراثك على الدوام فخر الادب وتاجه ؟

علی العنانی



شوقی وحافظ

ليس لنا ونحن نكتب عن شوقى وحافظ الآن ، إلا أن نودّع الشاعرين الكبيرين بكلمة طيبة رضيّة ، نستخلصها من جانب القلب لتكون إكليل عطف ورحمة على قبر الفقيدين .

فقد كانا أول من قرأتُ له من شعراء العربية وحفظت من شعره ، وكانا أول من شجعنى وأنا ناشىء على المضى فى رحلتى الأدبية بقدم ثابتة بما قلدانى من شعرهما الرقيق ، فحقّ علىّ أن أوفيهما حقهما عندى وقد نزحا الى دار الخلود .

شوقى وحافظ اسمان تغنت بهما الألسنة جيلا من الزمن ، وردد شعرهما كل ناشىء فى عالم الأدب فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، فهما من الشعر كعتبتى الدار .

جاء شوقى وحافظ فى عهد نهضة أدبية جديدة ، فكانا نجمين متألقين فى سمائها . ففى نظمهما كانت تتجدد لغة العرب بعد أن رثت حبالها فى يد الزمن ، وكان هم الأدب فى عصرها أن تستعيد اللغة العربية جمالها ، ويبعث الشعر القديم من مرقده ، فرأى فيهما ضالته المنشودة وإن كانا لم ينفردا بهذا الفضل ، فالبارودى وصبرى والبكرى لم يقصر شأوهم فى ذلك عن شاعرينا الفقيدين .

لم يَسمُ نظر الجيل الماضى عن هذا الحد ، ولم يتطلع شعراؤه إلى أكثر من تلك الناحية التى ترمى الى ترسم خطى المتقدمين من شعراء الدولة العباسية وصدر الاسلام ، ولم يطالبهم أحد بأكثر من ذلك ! فجميع المشتغلين بالحركة الأدبية فى ذلك العهد كانوا يتذوقون بذوق العصور الماضية .

على أن شوقى وحافظ وإن اتفقا فى هذا المذهب ، فقد كانا يختلفان من بعض الوجوه فيما ينظمان . يرجع ذلك الى البيئة التى نشأ فيها كل من الشاعرين ، فترى فى



﴿ شوقي وحافظ ﴾

صورة تذكارية أخذت على مسرح الأوبرا بالقاهرة
في مهرجان تكريم شوقي بك سنة ١٩٢٧ م.



﴿ من أعيان الشعر في مهرجان شوقي بك ﴾
يرى الى يساره خليل مطران بك فالشيخ محمد عبدالمطلب
والى يمينه حافظ ابراهيم بك فشبلي الملاط بك



﴿ في مهرجان شوقي بك سنة ١٩٢٧ ﴾
على مسرح الاوبرا بالقاهرة

شـعر شوقى أثر النشأة الأرستقراطيه ، فهـو ربيب الحـكم وخدين الحـكام ، لم يحوله الزمن عن طبيعته ، ولم تخرجه تطورات الاحوال عن فطرته . أما حافظ فهو ابن الشعب وربيب المجتمع ، فى كنفه نشأ وبين أحضانه عاش ، فـكان يتغنى بأفراحه لأنه يشاطره إياها ، ويهتف بأشجانه لأنه ممن يكتوون بلهيبها .

فظهرت فى شعر الأول روعة وسطوة ، وفى شعر الثانى حرارة ولوعة ، وكلا الشاعرين مخلص لطبعه صادق لفطرته .

وقد عاش الشاعران حتى رأيا النهضة الحديثة يندفع سيلها فيجترف فى طريقه كلّ قديم ، وشاهدا من رجالها شعراء ونُقاداً جديدين ، مبشرين ومنذرين ، فتوالت عليهما حملات النقـد ، واشتدت عليها اقلام الـكتاب ، حتى صارا هدفاً لـكل ناقد . وهما الشاعران اللذان تنزّها فى عرف الجيل الماضى عن كل نقد ، واعتصما عن كل عيب ، وتلقّى ذلك الجيل رسالتيهما بصدر رحيب .

عانى شوقى وحافظ تلك الحملة العنيفة واصطليا نيرانهـا، فـكان حافظ يرى من السلام ان يقف عنـد حدوده ، وأن يطأطىء رأسه للزوبعة ، حتى لا يصاب منها بصائب أو يتقرب من رجالها بما عهد فيه من البشاشة واللطف فيبعدهم عنه، ولـكنه مع ذلك كان يشهد بصدق تلك الحركة ويعترف بأن للتطور سبيله فى كل شىء .

ولـكن شوقى الذى خُلعت عليه إمارة الشعر وأُجلس على عرشه ، لم يكن من السهل عليه أن يتلقى تلك الحملة فـكان يغضبه كل نقـد ويزعجه كل ناقد ، فجرد جيشاً من الـكتاب للذود عن شـعره ، وآخر لمحاربة خصومه والسهر على حراسـة عرشه . ولو علم رحمه الله لترك الامور تجرى فى مجراها ، وترك شعره للحياة ، يأخذ حظه منها كما تُقدر له. وحسب الشاعرين أنهما تبوّآ زعامة الشعر حيناً من الزمن لم يكن ينازعهما فيها منازع ، وحسب الادب انه وجد فى شعرهما قنطرة بين القديم والحديث ؟

محمد طاهر الجبلاوى



شوقى فى الاندلس

— ١ —

أما وقد صار شوقي فى ذمة التاريخ - تاركاً آثاره الأدبية يقول فيها التاريخ كلمته النزيهة التى لا تعرف الخداع ولا المجاملة ، ولا تفهم هذا الاثر المشهور «اذكروا محاسن موتاكم» هذا الفهم اللفظى السطحى الذى لا يلائم البحث العلمى ولا يناسب النقد الأدبى — فمن الحق علينا أن نقف من هذه الآثار موقف المؤرخ الذى يحاول الانصاف ولا يعنى بغير الحق والامانة لعله ينصف هذا الشاعر الجليل الذى لا يستطيع الآن دفاعاً عن نفسه إلا بتلك الآثار نفسها ، كما أن هذه الآثار مجال عزته واعتزازه ومن أجلها ذكره الناس فى حياته وهم يذكرونه بعد مماته ، وبقدر ما فيها من أسباب الجمال والقوة والخلود يبقى شوقى مذكوراً .

نحن لا نعرف شوقى مثلما نعرف آثاره ، بل لا نعرف شوقى الا بآثاره الأدبية فهى تراثه الذى ينبىء عن جهوده الحيوية ، ويصور أفكاره وعواطفه ، ويعرض علينا شخصيته مهما يكن لونها الأدبى والخلقى ، ولذلك نبادر فنسجل هنا أن هذه الشخصية ستبقى مجهولة أو على الأقل غامضة بعض الغموض حتى تتقدم الايام وتسمح الأحوال بأن يطبع شعر شوقي كله ويذاع ما لم يذع منه ومعه تاريخه وملابساته التى تعين فى فهم الشعر من ناحية ، وفى إنصاف شوقى من ناحية أخرى ، وأما تلك الأحكام التى تصدر على هذا الشاعر الجليل منذ الآن فهى فيما أرى تقريبية أو ناقصة .

أقول هذا لأنى أذكر وأكثر الناس يذكرون معى أن النقد الأدبى ليس نوعاً من المجاملة الانسانية يقوم على المديح والثناء والإشادة الفارغة بالآثار الأدبية وأصحابها ، كما يذكرون أيضاً أن ليس النقد فناً هجائياً أساسه الثلب وتتبع الاخطاء وانتحالها والوقوف من الشعراء والكتاب موقف العدو الناقم يلبس المنظار الاسود ويصدر عن شعور حاقد كلما حاول قراءة الأدب أو دراسته ، ولا ذنب على الأدب فى ذلك ، وإنما الذنب ذنب الكاتب أو الناقد أو ذنب ما بينهما من صلة العداوة والبغضاء .

ولـكن النقد الأدبي فى أصح مذاهبه مسألة استعراض الآثار الأدبية وبيـان ما فيها من المحاسن والمساوىء الفنية ، ثم رد هـذه الخواص إلى أسبابها المعقولة وعللها الواضحة . نعم ، إن كلا من التاريخ العام والخاص يعين فى فهم هذه الآثار ويلقى عليها ضوءاً يبين لونها السياسى والاجتماعى ووجهة صاحبها حين قال ، ولـكن شيئاً هاماً يسمو على التاريخ ويكاد ينفصل عنه ، هو نظرات الكاتب الثاقبة وطريقة تصويره ، نظرته العميقة التى تستمد الأفكار والعواطف من الطبيعة الانسانية الخالدة التى لا تكاد تغيرها الدهور وإن غيرت من صورها ، ثم هذا الاسلوب الفنى الذى هو مثال الشخصية الممتازة التى ينفرد بها الأديب والتى هى هو وكفى .

وأول ماعن لى ـ فى الكتابة عن شوقى الشاعر بمناسبة هذه الذكرى السريعة ـ أن اختار قصيدة من روائعه وأتبين فيها شخصيته الأدبية ، وكنت آثرت قصيدة أبى الهول لاعتقادى أنها من آثاره الممتازة ، ولـكن عدلت عن ذلك بعد حين رغبة منى فى توسيع أفق البحث وحرصاً على أن أرى هذا الشاعر حيث بدأت شاعريته الخالصة تقوى وتنمو ، وحيث وصلت إلى مستواها السامى الذى لم تـكد تتجاوزه وتعلو عليه فيما بعد ذلك إلاقليلا . وقد خيل إلى انى أستطيع رؤيته على هذه الصورة بالأندلس فى منفاه . على أنه ـ فيما يظهر لى ـ يصعب الظفر بشخصية شوقى الأدبية فى قصيدة واحدة أو فى بعض قصائد لاختلاف أطواره الحيوية والفنية كما سنرى .

— ٢ —

نشأ شوقى الشاعر فى ظل اسماعيل وولد ببابه ، وحباه هذا البيت الـكريم برعايته ناشئاً حتى شب وترعرع . فمن الحق على شوقى أن تـكون باكورة شعره عرفان هذا الجميل وتسجيله ، وهذا هو أساس اتجاه شوقى ونزعته ليكون شاعر القصر ولسان اسماعيل وآله . وقد كان ذلك كله ، فصار شوقى فى هـذا الدور الاول من حياته يعبر بشعره عن اتجاه القصر وتقاليده أكثر مما يعبر عن نفسه وشخصيته . فلبس لذلك هذا الثوب الرسمى الذى تنسجه مقتضيات الملك ونزعاته ودواعى البيئة الحاكمة . هذا من الناحية الموضوعية وأما الناحية الفنية فقد كانت تقليداً ومعارضة للشعر القديم يذهب شوقى فى نظمه مذهب شعراء الملوك ، والخلفاء فى بغداد على الخصوص ، ولا بأس على شوقى من ذلك فى أوليات عهده بالشعر ، فالفنى يبدأ حياته دائماً بالتقليد وتأثر النابهين من السلف . ولـكن الخطأ العظيم هو الفناء فى هؤلاء

السابقين والسير على مناهجهم دون الدلالة على مذهب فنى خاص أو ابتكار أسلوب يلائم قانون الرقى وتغير البيئات .

شوقى ، إذاً ، شاعر القصر . والقصر كان يومئذ متصلاً بالخلافة الاسلامية التى تشرف على أقطار شتى . فليس غريباً أن ترى الشاعر يذكر حكومة مصر وجمالها ومكانة الخلافة وجلال الآستانة ، ثم يذكر الاسلام والمسلمين ، ويتجه بنظره الى طبيعة الحكومات ومزاجها والى تقاليد القصور ورحابها دون النظر إلى طبيعة مصر ومزاج المصريين . فكان يستوحى الحكومات وأفرادها ، وقلما كان يستوحى هذا الشعب المصرى أو الاسلامى ، بل قلما عُنى بما تعرضه عليه طبيعة بلاده إلا عرضاً أو قليلا . وهكذا بقى شوقى مطمئناً إلى هذه المكانة التى وضعته فى صف المقربين إلى السماء وباعدت مابين وبينه الارض حتى حالت الاحوال وذهب إلى منفاه .

ولما عاد من الاندلس صادف بمصر نهضة ثائرة تريد حياة جديدة فى كل شىء فى السياسة والتعليم والاجتماع والاقتصاد ، وصادف مذاهب سياسية تمثل هذه النهضة فحاول مسايرة ذلك بشعره ليكون السجل الخالد لهذا التاريخ الحديث . فشوقى يتجه فى كثير من المناسبات إلى عرش البلاد يعرف له آثاره الجليلة ، ثم ينثنى إلى رجالات مصر فيسلكهم بين الابطال الفاتحين . ويتردد بين الاحزاب السياسية متغنياً بمناهجها دون أن يفرغ لاحداها ويقف عنده ودون أن يكون له هو مذهبه الخاص يقيم عليه رسالة أو يستمد وحياً والهاماً . هكذا كان شأنه مع المعاهد العلمية والنوادى الاجتماعية ، فشوقى فى الفترة الاولى شاعر القصر وهو فى الفترة الثانيــة شاعر الحكومة مع شىء غير قليل من الشاعرية الاجتماعية والفنية والتاريخية .

لم يفرغ شوقى لنفسه ولفنه فى هذين العهدين السالفين . ولم يسلم شعره من المجاملات السياسية والاجتماعية ، بل ومن الصنعة الفنية التقليدية ، فكانت آثاره مزيجاً من ألوان شتى قلما تأتلف أو تكون شخصية محدودة واضحة المعالم ، فلأتركه هنا وهناك ولأبحث لعلى أظفر بشوقى شاعر العاطفة والعبرة وإذا ظفرت بشعر العاطفة والعبرة فقد ظفرت بما أريد .

قلنا إن شوقى كان شاعر القصر أول أمره ، وكان وثيق الصلة بسمو الخديو عباس الثانى ، ولما قضت الأحوال أن يغادر الخــديو مصر وأن يتبوأ المرحوم صاحب العظمة السلطان حسين كامل عرش هذه الديار وقف شوقى مرتاعاً لهذه الحوادث

التى توالت عليه وأمامه فحالت بينه وبين سيده أو صديقه الأول وسلبته مكانته السامية ، وأورثته الحزن والأسى ، وعرضت عليه معجزت القضاء والقدر ، حتى ثارت فى نفسه عاطفة الحزن وتنبه الى الحياة وصروفها وما فيها من دواعى العظة والعبرة ، وابتدأ شوقى يستمد شعوره من نفسه هو لا من نواح تقليدية كانت تستلزمها حياته الأولى ، وهنا ظهر شوقى الشاعر : فارق سيده أو صديقه ، وهو مضطر أن يفى له فلا ينساه سراعاً ، ولكنه يجد سلطاناً جليلاً هو عم الخديو عباس يجلس على العرش ، وهذا نوع من العزاء عنده ما دام الملك فى بيت اسماعيل ويجد الانجليز يعرفون لهذا السلطان جلاله ، ويعرفون لبيت اسماعيل مكانته ، فهو مضطر إذاً أن يتئد ويحفظ التوازن بين هذه النواحى ولكنه توازن الحذر الحزين وكنى ، وهذا الحزن هو الطابع الواضح لشعر شوقى من ذلك الحين حتى نفى وعاد ، وبقيت آثاره عنده حتى مات رحمه الله .

هذا الحزن لم يكن ثورة عنيفة ، وإنما هو حزن تصحبه وتهدئه العبرة والحيطة ، وهو كذلك حزن مقسم بين ناحيتين أو نواح ثلاثة : فشوقى حزين على نفسه وتطور حياته إلى هذه الحال ، وهو حزين على صديقه أو سيده الذى غادر الديار ، وهو حزين اخر الأمر على مصر . ومهما يكن هـذا الحزن قوياً فى الاتجاه الشخصى فهو حزن جميل أوحى إلى الشاعر نغمة فنية جميلة تسمعها فى قصيدته (حسين كامل) التى قالها لما ولى العرش وهى قصيدة تتلخص كما قلت لك فى هذا الحزن يصحبه الحذر والاعتبار :

الملكُ فيكم آل إسماعيلا ... لا زال بيتكمُ يظلّ النيلا
لطف القضاء فلم يُمل لوليّكم ... ركناً ، ولم يشف الحسود غليلا
هذه أصولكمُ وتلك فروعكم ... جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم فى داره ... مَنْ ذا يريد عن الديار رحيلا
(عابدين) شُرّف بابن رافع ركنه ... عزّاً على النجم الرفيع وطولا
ما دام مغناكم فليس بسائل ... أحوى فروعاً أم أقل أصولا

شوقى يصور ناحية العزاء والسلوى ، ويضمر فى نفسه لوعة وحزنا ، ويحاول الثبات أمام القضاء والقدر صابرا راضيا ، ولكن شعره كما ترى ينم عن نفس شاعرة مرتاعة

مضطربة استطاعت أن تبدو فى هذا الأسلوب الذى لم يتحلل بعد من محفوظات الشباب ومعارضة العبارات القديمة والذى نودُّ لو كان أطبع صوغاً وأكمل اتساقاً ولكنه مع ذلك مرض مقبول . ثم يستمر شوقى فيذكر رجال هذا البيت المجيد ومآثرهم فى نشر الحضارة بوادى النيل موليا وجهه شطر الماضى يتناسى أو يدارى ما هو فيه لعله يجد منفذاً من هذا الحرج الشديد حتى يصل الى الانجليز وعرفانهم كرامة البيت المالك وتداركهم الأمر :

حلفاؤنا الأحرار إلا أنهم أرقى الشعوب عواطفا وميولا

لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحاً فى البلاد عُدولا

وأتوا بكابرها وشيخ ملوكها مَلِكاً عليها صالحاً مأمولا

ولكن الشاعر يلمس معجزة القدر ويرى النحس عابثاً بالعروش والممالك ووجه البسيطة يلبس جلد الحرباء ، فيثوب ويصطنع هذا العزاء :

سبحان مَنْ لا عزَّ إلا عزُّه يبقى ولم يك ملكه ليزولا

لا تستطيع النفسُ فى ملكوته إلا رضًى بقضائه وقبولا

ومهما يقل الشراح إنه يشير إلى ما ألم بتركيا أو بمصر فليس من شك عندى أنه يستمد من نفسه هو هذه العبرة والرضوخ للقضاء ، ثم يحاول أن ينقلب إليها مسلماً ، ثم يستمر فيذكر وفاءه ويغمسه فى ذكرى الحروب وآثارها المنحوسة . أليست الحروب سبب هذا البلاء الذى أصابه وغيره من شأنه ؟ ولكنه يتنبه لنفسه وموقفه فيعود إلى إسماعيل وبنيه :

أأخون إسماعيل فى أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا ؟!

ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جزلا وارتديت جميلا

ووجدتُ آبائى على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا

ثم يخاطب المرحوم السلطان (حسين كامل) :

إرقأ سرير أبيك والبس تاجه واكرُمْ على (القصر المشيد) نزيلا

مَرّتْ أويقاتٌ عليه مُوحِشاً كالرمس لا خُلواً ولا مأهولا

***

يا أكرمَ الأعمام حسبك أن ترى للعبرتين بوجنتيك مسيلا
مِن عثرة ابن أخيك تبكى رحمة ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
ولو استطعتَ إقالةً لعثاره من صدمةِ الأقدار كنتَ مقيلا

وفى آخر هذه القصيدة خلع شوقى شيئاً من نفسه على المصريين فدعاهم إلى التوكل والصبر على هذا البلاء فى اسلوب المتألم الذى ينتظر أحداثاً وخطوباً أخرى ولكن ذلك كله يتركز فى هذا الشعور الذى ملك نفس الشاعر فى هذه الفترة الطارئة وهو سقوط المضطرب الحزين .

— ٣ —

ولكن هذه الروح التى تسود القصيدة الآنفة ، والتى تدل على اتجاه شوقى ، ثم محاولة شوقى أن يمثل دور الوفى أو المحتاط ، كل ذلك استتبع نفيه فغادر مصر الى الأندلس .

وهنا يظهر الحزن قويا صريحاً ، ولكنه حزن على نفسه وما انتابه ، وحزن على مصر وأحداثها ، وهنا كذلك يمد شوقى بصره وبصيرته الى الحاضر والماضى يستمد منهما العبر والعظات ويفيض عليها من نفسه الحزينة التى تترك ملاعب الصبا ومهد الشباب ، وترى النكبات تهجم على البلاد وتتحكم فيها النوائب ، ولا شك أن هذه تخلق فى النفس حسرة وجلالا وتحملها على التبصرة والاعتبار. تقرأ ذلك فى قصيدته المنشورة « قناة السويس » :

« تلكما يا ابنىّ القناة ، لقومكما فيها حياة ، ذكرى اسماعيل ورياه ، وعُليا مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرجاة . . . تعبرانها اليوم على مزجاة ، كأنها فُلك النجاة خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان الكوارث، تُفَارق برّاً مغتصبه مُضرىُّ الغضبة ، قد أخذ الاهبة واستجمع كالأسد للوثبة . . . إن للنفى لروعة ، وإن للبين للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء بأن نعبر هذا الماء حين الشر مضطرم، واليأس محتدم ، والعدو منتقم ، والخصم محتكم ، وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وان لم ينسجم، نفانا حكام عُجم ، أعوان العدوان والظلم ، خلفناهم يفرحون بذهب اللُّجم ، ويمرحون فى أرسان يسمونها الحُكم » .

فقد أباح النفى للشاعر ان يسرى عن نفسه ويصرح ببغضه حكومة مصر إذ ذاك

ويرى فيها وسيلة لأغراض الاحتلال ومظاهر لارادته وسلطانه : «ضربونا بسيف لم يطبعوه ، ولم يملكوا أن يرفعوه أو يضعوه ، سامحهم فى حقوق الأفراد ، وسامحوه فى حقوق البلاد ، وما ذنب السيف إذا لم يستحى الجلاّد » .

وهنا نجد الشاعر صريح النقمة ، فاضت نفسه بشعورها كما وجدت متنفساً ، ولكنه مع هـذا بصير يشتق من الحوادث الآيات والعبر ، ويستنبط من التاريخ العظات والسور : « أنظرا تريا على العبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام ، جيش غيرنا فرسانه وقواده ، ونحن بُعرانه وعلينا أزواده ، ديك على غير جداره ، خَلا له الجو فصاح، وكلب فى غير داره ، انفرد وراء الدار بالنباح» . ومن لا يذكر سلطان الانجليز وسيطرتهم على القناة والبرية أيام الحرب العظمى ... وبعد أن أفاض الشاعر فى ذكر الحوادث التاريخية التى لابست طورسيناء ختم كلمته بقوله: « ثم انظرا اليوم تريا القناة فى يد القوم إن أمنوا ركزوها، وإن خافوا هزوها» .

لم تخل هـذه القصيدة المنثورة من عاطفة الحزن ومن التأمل والتفكير ، وهى مع ذلك تمثل حال مصر فى تلك الفترة تمثيلاً قوياً واضحاً . أما هـذا الأسلوب فليس فيه جديد ، ولا يروق أكثر الناس هذا السجع لأنه يحول بينهم وبين قراءته وتفهم معانيه ومافيه من تصوير وأفكار . وشوقى يعترف أنه قلد فى هذا الأسلوب الزمخشرى والأصبهانى ، وماذا عليه لو عمـد الى الارسال ؟ أظن نفعه كان يكون أعم ، وربما استطاع أن يخدم الكتابة الحديثة ، ولكن شوقى حريص على الموسيقى اللفظية ورنة الأسلوب .

وهنا نلاحظ أن شوقى أعرض عن ذكر الخديوى واتجه اتجاهاً تاريخياً شخصياً وستجد ذلك واضحاً جداً فى أندلسياته .

— ٤ —

وأخيراً نجد الشاعر فى الأندلس، وكم فى الاندلس من آثار عربية ، وكم تثير الأندلس من ذكريات تاريخية مجيدة ، فتلك الآثار تحدث عن دول كانت ملء الدهر ورجالات سلبوا عروشاً وفقدوا ملكاً كبيراً ، كان للأدب فى ظلالهم سوق رائجة وللفن فى رحابهم آيات رائعة خالدة ماتوا فخلدتهم الآثار،ورددت أصداءهم الأحاديث والاشعار ، وهناك ظفر شوقى بعين ثرارة تفيض عزاء وسلوى ، وتملأ النفس عبرة واعتباراً ، فاتخذ من ذلك معيناً لشعر هو الشعر فى عاطفة ، جمع فيه بين الحاضر والغابر ، ووصل بين الشرق والغرب ، ولاءم بين نفسه و نفوس غيره من الشعراء .

نزل شوقى بلاد الأندلس ، وفى نفسه ذكرى مصر ماثلة وتلك الحوادث التى أقصته عنها . فاذا به يرى الحمراء ، ويذكر فى أرجائها موقف البحترى من موائد كسرى بعد مقتل المتوكل ، ثم يذكر ابن عباد وابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن الداخل صقر قريش . وهكذا بقى يستخرج من الماضى صور الحاضر ويقول فى ذلك الشعر معارضاً الأندلسيين وغيرهم حتى ودع الاندلس وعاد إلى مأواه .

غير هذا المكان أوسع صدراً للموازنة بين البحترى وشوقى فى هذه الوقفة على آثار الماضين ، فقد يكون بينهما فى الظاهر ما يدعو الى الموازنة ، وقد يُضعف هذه الموازنة ما بين الحالين من فروق جوهرية تجعل الموازنة نوعاً من السخرية والعبث ، ولكن الواقع أن شوقى وقف بقصر الحمراء وذكر سينية البحترى :

صنتُ نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعتُ عن جدا كل جبس

وأخذ يعارضها بقصيدته « الرحلة الى الأندلس » :

اختلافُ النهار والليل يُنسى ... اذكرا لى الصبا وأيام أنسى
وصِفا لى مُلاوةً من شباب ... صُوِّرت من تصورات ومَسِّ
وسلا مصر: هل سلا القلب عنها ... أو أسى جرحه الزمان المؤسِّى ؟
كلما مرت الليالى عليه ... رقَّ ، والعهد فى الليالى تُقسِّى
مستطارٌ إذا البواخر رنَّت ... أول الليل أو عوت بعد جرس
راهبٌ فى الضلوع للسفن فطنٌ ... كلما ثرن شاعهن بنقس
يا ابنة اليم ما أبوك بخيلٌ ... ما له مُولعاً بمنع وحبس
أحرام على بلابله الدو ... حُ ، حلال للطير من كل جنس ؟!
وطنى لو شُغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى !

ثم أخذ شوقي يصف مشاهد مصر والنيل والقاهرة وضواحيها وآثارها . وهو تصوير تشترك فيه العبرة مع الحزن حتى يقول :

يا فؤادى لكل أمر قرارٌ ... فيه يبدو وينجلى بعد لُبس
عقلتْ لجَّةُ الأمور عقولا ... كانت الحوتَ طول سبح وَغَسِّ
غرقت حيثُ لا يُصاح بطاف ... أو غريق ولا يصاخُ لحِسِّ
فلك يكسف الشموس نهاراً ... وَيسومُ البُدور ليلة وكس !

ولما فرغ من الناحية المصرية انتقل إلى حيث يقيم ، فاستعرض تاريخ العرب فى الأندلس استعراض إجلال وعظة :

أين مروان فى المشارق عرشٌ أمويٌّ وفى المغارب كرسى ؟
سقمت شمسهم فردت عليها نورَها كل ثاقب الرأى نطْس
ثم غابت وكل شمس سوى هاتيك تبلى وتنطوى تحت رمس !
وعظ البحترى إيوان كسرى وشفتنى القصور من عبد شمس

واذا استمررت فى قراءة القصيدة ولا سيما هذا القسم التاريخى تلمس آثار البحترى وروحه واضحة بينة ، فانظر فى قول البحترى يذكر إيوان كسرى :

ليس يُدرَى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لانس !
غير أنى أراه يشهد أن لم يكُ بانيه فى الملوك بنكس

وهذا قول شوقي يذكر قصور قرطبة :

فتجلت لىَ القصور ومَن فيـ ـها من العزِّ فى منازل قُعْس
ماضَفَتْ قط فى الملوك على نذ لِ المعالى ولا تردّت بنجس

ويتضح ذلك جداً حين يذكر الحمراء ويوازنها بالقصر الابيض فى المدائن ثم يختم القصيدة بهذا البيت الذى يختصرها اختصاراً :

واذا فاتك التفاتٌ الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسّى !

— ٥ —

وأما معارضته ابن زيدون فى قصيدته النونية :

اضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا !

فيظهر أن شاعرنا استطاع أن يتسامى بعاطفته أو نظرته فى أول القصيدة لمَّا تحدث عن العرب والوفاء لهم ، وكم فرق بين الوفاء لمحبوبة هى ولادة بنت المستكفى بالله لدى ابن زيدون وبين الوفاء لدولة ذاهبة هى — لدى شوقى — جلال الدين والأخلاق . يستهل شوقي قصيدته بخطاب ابن عباد ويوازن بين حاليهما :

ياناثح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يداً قصت جناحك جالت فى حواشينا !
رمَى بنا البين أيكاً غير سامرنا أخا الغريب ، وظلا غير نادينا

والحق أن شوقى هنا ظاهر واضح لايتأثر مثالا ولايحاول صنعة لفظية لانه انفرد بعاطفة شاكية ربما كانت أوسع أفقاً وأسمى درجة من عاطفة ابن زيدون الفردية :

آهاً لنا نازحىْ أيكٍ بأندلس ... وإن حللنا رفيفاً من روابينا
رسمٌ وقفنا على رسمِ الوفاء له ... نجيش بالدمع ، والاجلال يثنينا
لفتية لا تنال الأرضُ أدمعَهم ... ولا مفارقهم إلا مُصَلينا
لو لم يسودوا بدين فيه مَنْبَهةٌ ... للناس كانت لهم أخلاقُهم دينا !

ويذكر مصر ويعود الى التمسك بالصنعة اللفظية ويقرب من ابن زيدون فى أسلوبه التصويرى :

ياساريَ البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لمّا ترقرق فى دمع السماء دماً ... هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد لم نهتك دياجيه ... على نيام ولم نهتف بسالينا !

* * *

ويا مُعَطّرة الوادى سرتْ سحراً ... فطاب كل طروح من مرامينا
هل من ذيولكِ مسكىٌّ نحمله ... غرائبَ الشوق وشياً من أمالينا
الى الذين وجدنا وُدَّ غيرهم ... دُنيا وودَّهم الصافى هو الدينا

وبعد الشكوى وعدم غناء الصبر يعود إلى مصر ومجدها ومشاهد النيل وآثاره ثم يعرج على حاله هو السابقة ، وكيف تنبه الدهر إليهم بعد نومه عنهم : —

ولم ندع لليالى صافياً ، فدعت ... (بأن نُغَصَّ فقال الدهر : آمينا !)
لو استطعنا لخضنا الجوَّ صاعقة ... والبرَّ نارَ وغًى ، والبحرَ غسْلينا
سعياً الى مصر، نقضى حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نسيَ الوافى وباكينا

وتنتهى قصيدته بالحنين الى والدته بحلوان .

* * *

ولشوقي نظير آخر فى الغربة والألم ولكنه ظفر بملك عتيد كان آية الشرق فى الغرب ، ذلك هو صقر قريش أو عبد الرحمن الداخل الفاتح الثانى للأندلس والمقيم فيه مجد أمية بعد أن أُديل منها لبنى هاشم فى الشرق ، وشوقى يعارض هنا لسان الدين بن الخطيب في موشحه :

جادك الغيثُ إذا الغيث همى — يازمانَ الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك الا حلما — فى الكرى أو خِلسة المختلس

قال شوقي يرحمه الله :

مَن لنضوٍ يتنزّى ألماَ — برّح الشوقُ به فى الغَلسِ
حنَّ للبان وناجى العلمَا — أين شرقُ الأرض من أندلس ؟

• • •

بلبلٌ علمه البينُ البيانْ — بات فى حبل الشجون ارتبكا
فى سماء الليل مخلوعُ العِنانْ — ضاقت الأرضُ عليه شبَكا
كلما استوحش فى ظل الجنانْ — جُنَّ فاستضحك من حيث بكى !
ارتدى بُرنُسَهُ والتَثَما — وخطا خُطوةَ شيخ مُرعَسِ
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جَثما — فإنْ ارتدَّ بدا ذا قَعَس

وفى الحق أن هذا التوشيح قصة حقة لبطل من أبطال التاريخ استطاع شوقى أن يصورها تصويراً خيالياً رائعاً ، وأن يستنهض بها همة الشباب لو صحا الشباب ، وأن يبعث بها عاطفة الإجلال لهذا الصقر ومحبته والاشفاق عليه فى جهاده الأول أو بعبارة أخصر استطاع الشاعر أن يضم الناس الى جانب هذا البطلِ العظيم . ترى فى هذا التوشيح كيف النسلّ عبد الرحمن الداخل بين الخطوب وهو يتحرق حزناً على مجد أمية الزائل، وطموحاً الى مجد آخر يعوض عليه فى الغرب ما أفلت منه فى الشرق ولكن شوقى يسايره ، ويخلع عليه من نفس الحزن والأسى :

ناحَ إذْ جفناى فى أسر النجومْ — رسفَا فى السهد ، والدمعُ طليقْ
أيها الصارخ من بحر الهمومْ — ما عسى يُغنى غريقٌ عن غريقْ
إن هذا السهم لى منه كُلومْ — كُلُّنا نازحُ أيكٍ وفريق
قلّبْ الدنيا تجدْها قِسَماً — صُرِّفتْ من أنعُمٍ أو أبؤس
وانظر الناسَ تجدْ مَنْ سَلِمَا — من سهام الدهر شجته القِسى !

ثم أخذ يعرض قصة هذا البطل فى تصوير قوى ، ويلم بما كان بين أمية والعباس وما قام به هذا البطل فى الأندلس من مجد يقوم على الخلق المتين والعزيمة الصادقة حتى مات وذهب رمسه وبقى ذكره فى ألسنة التاريخ . ولن نستطيع هنا استعراض هذا الموشح البديع وإنما نجده يتلخص كما قلت لك فى الحزن والاعتبار .

— ٦ —

وبعد لأى يودع شوقى منفاه إلى مصر، ويودع الأندلس هذا الوداع فى عاطفة وإن كان قديم المنهج تقليدىّ الأسلوب :

أنادى الرسمَ لو ملكَ الجوابا   وأجزيه بدمعى لو أثابا
وقَلّ لحقه العبرات تجرى   وإن كانت سواد القلب ذابا !
سبقن مُقَبِّلاتِ الترب عنى   وأدّين التحية والخطابا
نثرتُ الدمع فى الدمن البوالى   كنظمى فى كواعبها الشبابا !

* * *

وداعاً أرض أندلس ! وهذا   ثنائى إن رضيتِ به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علم   وكم من جاهل أثنى فعابا
تخذتك موئلا فحللتُ أندى   ذراً من وائل وأعزّ غابا

* * *

أحقٌّ كنت للزهراء ساحاً   وكنت لساكن الزاهى رحابا ؟
ولم تكُ (جورُ) أبهى منكِ ورداً   ولم تك (بابلٌ) أشهى شرابا ؟
وأن المجد فى الدنيا رحيق   إذا طال الزمان عليه طابا ؟

وليس من شك عندى أن هذه القصيدة تتكشف عن عاطفة فرحة تخلو أو تكاد من ذلك الحزن الذي كان يغشى شعر شوقى وهو فى صميم النفى وفى الأندلس ، فلا تحسّ هنا إلا الوفاء وعرفان الجميل والسرور بالعودة الى الوطن :

ويا وطنى لقيتكَ بعد يأس   كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما   إذا رُزق السلامة والإيابا
ولو أنى دعيتُ لكنتَ دينى   عليه أقابل الحتمَ المجابا !

وقد عاد شوقى الى وطنه وأخذ منذ وصوله يتصل بالحياة الاجتماعية لمصر والمصريين ،وحسبك أن هذه القصيدة أنشدت فى اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ م.) أيام كان الغلاء آخذاً بالخناق والحياة المادية حرجة مضطربة وقد تناول الشاعر ذلك فى القسم الثانى من هذه القصيدة .

لست أزعم أن هذا كل ماقال شوقى فى الأندلس ، بل ربما كان الأرجح بل

الواقع أن لشوقى شعراً كثيراً قاله هناك لم يتيسر نشره للآن ، ومهما يكن الأمر فاننا نستطيع من هذا القسم الصغير الذى أشرنا إليه فى هذه السطور أن نتمثل شوقى فى هذه الفترة من حياته تمثّلاً أدبياً ممتازاً :

(١) فأول ما نلاحظ أنه لم يكن لشوقى مذهب اجتماعى أوفلسفى أو فكرة خاصة عن الحياة وكيف تكون ، لأن شوقى لم يكن إلى هذا العهد من شعراء الفكرة الذين يدعون الى مبدإ محدود معين ، فعهده الأول عهد ثناء على القصر ورجاله ثم تصوير ما يلابسه من مظاهر الملك وجلاله ، وهذا المذهب قديم شاع بين كثير من شعراء العرب فى القرون الأولى أيام كانوا يتخذون الشعر وسيلة للحياة المادية يوزعونه بين المديح والهجاء ، دون أن يكون هو نفسه غاية لجماله ولتصوير المشاعر والعواطف ، ودون أن يكون الشعر وسيلة لأداء ما يسمى الرسالة الحيوية للشاعر كالوطنية والاستقلال والاشتراكية والحرية وما إلى ذلك ، وربما كان من الغبن والإرهاق أن نطلب ذلك الى شوقى فى تلك البيئة العامة أو الخاصة التى كانت تحيط به، فقد كان يوجّه إلى مدحة الخديو أو الخليفة لا لفكرة الوطنية أو الزعامة الشرقية. وإنما كان ذلك كله لهذه الصلة بين شوقى وبين هذه النواحى العليا ، وهى صلة رسمية ليس غير عتادها الأشكال والمظاهر لا العقائد والمبادىء . فلم يكن شعره فى أوليات حياته — على أنه شعر المبتدىء — ممتازاً عن الشعر القديم فى موضوعه ومنهجه .

ولما نُفى انبعثت فى نفسه معانى حب الوطن ، وعدم الاغترار بالأيام ، والاعجاب بالبطولة ، ووجوب التبصر والاعتبار ، وكل تلك معان جزئية عامة لا تكوّن مذهباً إجتماعياً عاماً ، ولا تتضام فكرة فلسفية وعقيدة ممتازة يحيا بها الشاعر ، بل ربما كانت معانى طارئة بسبب هذا النفى ذهبت حدّتها بذهابه وإن بقيت أثارة منها فى شعره آخر حياته .

والحق أنك لا تجد هذه الخاصة إلا فى عدد قليل جداً من شعراء العربية كالمعرى والمتنبي وأبى نواس وطرفة وجميل ، وإن كان لأكثر شعرائها شخصيات فنية واضحة ولكن شعر المبادىء والعقائد عندنا قليل إلا إذا رأينا فى النفعية مبدأ فنياً !

واذا كان لابد لنا من ذكر فكرة كان شوقى يدور حولها أيام المنفى فهى العودة الى مصر وكفى .

(٢) وأما عواطفه التى سادت شعره واستأثرت به فى أول الأمر فالغالب انها

كانت عواطف شخصية ، وقلما كانت تتناول الناحية الاسلامية العامـة أو الصالح المصرى . هى فى الغالب تلك المشاعر التى تتجه الى شخصه وما يصله بهذه الجهات العليا ، وقد رأينا فيما استعرضنا من شعره آنفاً أن عاطفة الحزن تملكته فى منفاه وربما لم يكن من المبالغة اذا اعتبرناه حزناً على نفسه وبعده عن مصر وعن آله وخاصة أمه (بحلوان) :

كنز (بحلوان) عند الله نطلبه ... خيرَ الودائع مِن خير المؤدِّينا
لو غاب كلُّ عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوقُ إلا من نواحينـا
إذا حملنا لمصر أو له شجناً ... لم ندرِ أىُّ هوى الامَّين شاجينا

وربما كان من الحق أيضاً أن ما صحب هذا الحزن من العبرة والبصر فى التاريخ واستنباط المواعظ واستعراض الآيات ، كل ذلك كان خير ما امتاز به منفاه . فقد جعله شاعراً مديد البصر والبصيرة يشرف على الحياة ويصل بين الماضى والحاضر ، وسِرُّ ذلك الشعور هو ما ألمَّ به وما حدث حوله :

فى بُرهة يذر (الأسِرّةَ) نحسُها ... مثلَ النجوم طوالعاً وأفولا

فإذا كتب لشوقي أن يُقرأ شعره الأندلسى فقد يكون ذلك لما فيه من هذه الناحية التاريخية . ولا سيما (صقر قريش) و (الأندلس) . ففى هاتين تغلب العاطفة العامة السامية التى تجد النفوس فيها مجال الروعة والإيناس .

(٣) لاتجد لشوقى خيالاً مبتكراً إلا فى النادر ، وطريقة تصويره البيانى ، ليست إلا تأثراً لأساتذته من الشعراء السابقين. فالرسم والوفاء له. والوقوف عليه والتشبث به . وإرواؤه بالدموع ، والمواقف المحجلة ، والرمس الخالى ، وصنعاء وقس والعقيق والعرصات وغيرها ،كل تلك يستخدمها شوقى فى تصوير معانيه المتصلة بالحوادث العصرية . نعم يحاول شوقى عند ما يصف الآثار المصرية ومشـاهد النيل أن يتحلل من هذه الصور تحللا لفظياً ويسدل عليها شيئا من حزن نفسه كما كان يفعل البحترى وابن زيدون وغيرهمـا :

وأرى (الجيزةَ) الحزينة ثكلى ... لم تُفق بعدُ من مناحة (رمسى)

والحق أنه هو الحزين :ــ

أكثرت ضجةَ السواقي عليه ... وسؤالَ اليراع عنه بهمس!

وقيامَ النخيل ضفّرن شعراً وتجردنَ غيرَ طوقٍ وسَلسِ
وكأن الاهرامَ ميزانُ فرعو نَ بيومٍ على الجبابرِ نحسِ !

(٤) اسلوب شوقى هو اسلوب البحترى والمتنبي وابن زيدون والشريف وغيرهم من تلك المثل التى احتذاها الشاعر ورأى فيها القوة والجمال والرصانة والموسيقى مما هو أليق بمعانيه ونزعته فى المحافظة على لغة القرآن كما هى بلاغة وقوة ، وكم كان يكره شوقي هذه الميول الى تنوع القافية فى القصيدة أو النزول الى ليان الأسلوب وهلهلته ، بل كان يعجب دائماً بهذا الرنين الموسيقى الذى يقرع الأسماع ويضمن له التأثير والاعجاب مهما يكن مداه طولاً وقصراً .

واذا كان لابد من اختصار ذلك كله فى كلمة واحدة فلا شك عندى أن شوقي كان يتجه فى شعره الى الماضى اكثر من الحاضر، واذا استطعنا أن نقول بأن حافظاً كان شاعر (مصر المظلومة) فقد كان شوقى ... ماذا ؟ ؟

احمد الشايب



شوقى والمتنبى

فى ثوبٍ

أتيح لى منذ عشرسنوات ان أتصفح كتاباً ألفه ابوسعيد محمد بن احمد العبيدى وسماه « الابانة عن سرقات المتنبي » . وكنت وقتئذ متشبعاً بالاعجاب بالقدماء واكبارهم وتقديسهم، وأرى أن كل من اوغل فى القدم من الشعراء كان اجود شعراً وأعلى كعباً فى اللغة والأدب . وقد تأثرت بفكرة : « ما غادر الأول للآخر شيئاً» او كما قال « عنترة » فى معلقته :

هل غادر الشعراء من متردمِ أم هل رفعت الدارَ بعد توهمِ ؟

فلما وقع بيدى هذا الكتاب قلت إن ذلك ليس بالجديد ، فالمتنبي شاعر القرن الرابع الهجرى وقد سبقه عدد غير قليل من الشعراء الاسلاميين والمخضرمين ، بل سبقه اكثر من مائة وخمسين شاعراً هم فحول شعراء الجاهلية الذين كانت القبائل

تعتز بهم وتفاخر بنبوغهم ، فليس بعيداً ان يكون المتنبي قد أخذ عن بعض هؤلاء الشعراء شيئاً ، خصوصاً فى أوائل عهده وفى مطلع حياته الشعرية .

وشرعت أتصفح الكتاب متمعناً فيما يحويه ، فألفيت صاحبه يتبرأ فى مقدمته من الظلم ، ويتشيع للعدل والانصاف ، ثم هو ينعى على ادباء زمانه ومتأدبيه حالة ننعيها نحن على متأدبى زماننا وناشئته ، إذ يأخذون بالشهرة فى الادب ، ولا يحكّمون الفهم والادراك أو القواعد الادبية فيما يقرأون أو يسمعون . فهم يتشيعون للشاعر أو الكاتب متى كان اسمه معروفاً وفى المجالس بالشهرة محفوفاً . فاذا قرءوا لشاعر من هذا الطراز قصيداً ، او طالعوا لكاتب مشهور مقالا حكموا له بالسبق والتقديم . وتحدثوا معجبين ببلاغته وفصاحته وما له من سمو الفكرة وسعة الخيال واصابة المرمى ، وما الى ذلك مما لا ينهض به كل قصيد او مقال من القصائد والمقالات التى تزدان بامضاء أديب مشهور .

وقد حدثنى أديب مجهول أنه كتب مرة قطعة أدبية فى رثاء والدته ، وكتب عليها أنها ترجمة لقطعة وضعها «أناتول فرانس» يرثى بها والدته . ثم قدم الأديب المجهول قطعته لاحدى المجلات العربية الكبرى فحازت إعجاباً كبيراً لدى رئيس هذه المجلة وعنى بنشرها بين المقالات الأولى فى مجلته !

وما ذلك الا لأن أناتول فرانس قد حاز من الشهرة ما جعل كل شىء ينسب اليه محبوباً مقبولا . ويظهر أن الشهرة تعمى عن العيوب ، فهى تقرب الشخص إلى الناس بحيث ينسون نقائصه ولا يرون زلاته ، ويتمثلونه دمية بريئة من كل عيب ونقص ـ استغفر الله ـ بل انهم يتمثلونه صنماً لا يبحثون فى حقيقته، ولا يجيزون لانفسهم يوماً أن ينقدوه أو يذموه، وأغلب الظن انهم كذلك يعمون عن محامده ! واذا كانت له ناحية أو نواح جديرة بأن تفرد بالتقدير والاعجاب طمت الشهرة عليها، فاغرقتها بين سائر النواحى التى يتشيع لها الجهلة والطغام . وكذلك الشهرة فى زماننا وفى الزمان الذى شكا منه صاحب كتاب « سرقات المتنبي » بل فى كل زمان تضعف فيه الثقافة ويعدم فيه جمهرة المتعلمين سعة الاطلاع ، وامعان النظر ، وكثرة الدرس، وتحكيم الفهم والادراك .

وقد ظننت أن صاحب « سرقات المتنبي » سينهج لنفسه منهجاً حسناً خصوصاً بعد ما قدمه فى مقدمته من التبرؤ من الظلم والتشيع للعدل والانصاف ، ولكن الرجل

ـ على ما يظهر ـ كان موغر الصدر على المتنبي ، وكان حاقداً عليه كل الحقد لشهرته التى حازها واصبحت كالقدر الذى لا يغالب ! وقد حفزه على وضع كتابه هذا كلمة سمعها من اديب متشيع للمتنبي فى أحد مجالس الرؤساء ، خلاصتها : «سبحان من ختم بهذا الفاضل (يعنى المتنبي) الفحول من الشعراء واكرمه ، وجعل له من المحاسن ما يعثر فيه كل من تقدمه . ولو أُنصِف لعلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة » .

فردّ عليه ابو سعيد بكلام لوابى لاذع اثبته فى مقدمة كتابه . وهو من أجود مايرد به على خصم ، وينتقص به مقدار شاعر قد امتلكت شهرته القلوب والاذهان واصبح لا حيلة لحاقد عليه الا أن أن يتمحل عند ذمه فى ثنائه ، ويستعير محامده لاظهار نقائصه ، ويستخدم دلائل قوته لاشهار مواطن ضعفه بأسلوب أدبى أظن لوعنينا بدرسه فى هذه الايام لأغنانا عن الأساليب المنحطة التى يستخدمها بعض الكتاب فى المهاترات الأدبية والسياسية ، ولكان لنا من ذلك أسلوب فنى يلذ لكل أديب ومحب للأدب أن يقرأه للفن فقط ولو لم يكن له صلة بموضوعه .

على أن أبا سعيد قد ذكر للمتنبي سرقات هى أبعد ما تكون عن وصف السرقة ، بل أن بعضها يشهد بفضله ، ويدل على أن أبا سعيد قد بالغ وتجاوز حدّ أوصاف السرقة والسالخ والمسخ والنسخ التى يذكرها علماء البديع ، وأوغل فى ذلك كله حتى ترى ان الرجل قد لجّ فى غلوائه ، وتجنّى على المتنبي فى كثير من الابيات التى ادعى أنها مسروقة . وما رأيك فى قول أبى سعيد من أن أبا الطيب المتنبي قد أخذ هذا البيت :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

من قول محمد البيدق الشيبانى :

الظلم طبعك والعفاف تكلف والطبع أقوى والتكلف أضعف

وما رأيك أيضاً فى قول المتنبي :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

هل ترى كما رأى أبو سعيد أنه مأخوذ من قول محمد البجلى الكوفى :

هذا الزمان شئومُ كما تراه غشومُ
الجهل فيه جليل والعقل غثٌّ ملوم
والمال طيفٌ ولكنْ على اللئام يحوم .

تقول هل ترى كما رأى ابو سعيد مع أن معنى بيت المتنبي يخالف معنى البيت الثانى من هذه الابيات الثلاثة وهو الذى يشير ابوسعيد أن المتنبي سطا عليه فسلبه معناه؟ هذا فضلا عن اختلاف الصياغة التى هى فى الحقيقة أهم ما يعول عليه الناقد النزيه ، والتى هى الميزة التى تنفرد بها شخصيته كل شاعر وكل أديب . أما المعانى فهى شائعة على افواه العامة اكثر من شيوعها على افواه الأدباء ، وهى تتوارد على خواطر الكبار والصغار والعلماء والجهلاء . والفضل فى أن يكون الانسان له ملكة يستطيع بها التعبير عن هذه المعانى . وتختلف منازل الادباء باختلاف القدرة فى اجادة التعبير وحسن البيان وقوة التأثير . وان الامىّ الجاهل ليلهج من المعانى بما لو صيغ صياغة فنية لكان آية من آيات البلاغة ومعجزة من معجزات البيان .

لذلك لا ارى ان السرقة الادبية لا تكون سرقة حقيقية الا اذا سطا الاديب او الشاعر على صياغة شاعر من الشعراء وعلى خياله وانتحل شخصيته فى تعبيره الذى يميزه عمن سواه مع الاخذ من معناه أولفظه . أما اخذ المعنى مجرداً وصوغة صياغة فنية أخرى يبثّ فيها الشاعر روحه ، ويطبعها بطابعه ، فليس ذلك بسرقة . وانما مثل الشاعرين فى هذه الحال كمثل مصوِّرين وقفا امام منظر واحد من مناظر الطبيعة المشاعة بين الجميع ، فرسم كل منهما له صورة تتسق مع ذوقه ، وتتفق واحساسه بالجمال ، ومقدار تأثره به . فترى لكل منهما طابعاً خاصاً مع وحدة المنظر ، وتطالع فى كل صورة منهما روحاً تختلف عن الأخرى ، وذوقاً يخالف ذوق الآخر . ويمكنك فى هذه الحال ان تحكم أيهما أبرع فى التصوير ، واقدر على استخدام موهبته أحسن استخدام .

وهذا ما أريد ان اقرره بين شوقى والمتنبي. فشوقى بدأ حياته بالنسج على منوال المتنبي واستمر على هذا المنوال طول حياته ، وكأنه تشبع بروح المتنبي من الصغر فلازمته هذه الروح ، وأخذ فى كثير من الاحيان يقلد صياغة المتنبي ويحذو حذوه ويعارضه . وله فى هذا الاحتذاء وتلك المعارضة كثير من القصائد .

على ان احتذاء المتنبي ومعارضته ليستا من السهولة بحيث يغفل الناقد عندها ما وهب شاعر كشوقى من مقدرة على إحكام الاحتذاء والتقليد ، وما منح من ملكة خصبة تساعده على ان يعارض شاعراً من اكبر شعراء العربية ويجيد فى تلك المعارضة الى حد جدير بالتقدير ، وإن كبا فى بعض الاحيان أو غلبه ضعفه امام قوة المتنبي .

لقد تقرأ القصيدة من قصائد شوقى التى يعارض او يحاكى فيها قصائد المتنبي فتحس فيها بتلك القوة التى امتاز بها المتنبي ، وتشاهد من فيض المعانى والحكم مايقنعك بانه شاعر فياض . فاذا رجعتَ الى قصيدة المتنبي وجدتها بمثابة الدليل الذى يرشد شوقى ، والقائد الذى يقوده ، ولكنك تجده فى بعض الاحيان يسبق الدليل اوالقائد بخطوات كثيرة ويزيد عليه وترى مظهرهذه الزيادة فى عدد الابيات والاغراض المتعددة التى يقتضيها الموضوع .

ولنضرب لذلك مثلاً فى هذه العجالة قصيدة شوقى « صدى الحرب » فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية . فان عدد ابياتها ٢٦٠ بيتاً تناول فيها مدح السلطان عبد الحميد ، وعيد جلوسه ، ومعجزات الجنود على الحدود ، والحالة فى بحر الروم ، ومنعة السواحل العثمانية ، وزينب المتطوعة فى الموقعة ، ومضيق ملونا ، والقائد عبد الازل باشا ، وهزيمة طرناد ، والتلاقى على سهل فرسالا ، وغصب دوموقو ، وأحلام اليونان ، وعفو السلطان ، والتماس القبول .

فهذه القصيدة هى عدة قصائد مجتمعة قد اختلفت اغراضها وصورها وان اتحدت فى الوزن والقافية ، وهذا ما ساعده على اطالتها الى هذا الحد .

فاذا قارناها ببائية المتنبي التى يمدح فيها كافوراً والتى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب ... وأعجب من ذا الهجر والوصل اعجب !

وجدنا أن شوقى قد اتخذ هذه القصيدة كالدليل فى نظم قصيدته . ولم يكتف بذلك بل انه عمد الى سلخ تراكيبها ومعانيها وسطا على نحو عشرين بيتاً من ابياتها . نقول سطا وسرق نحو عشرين بيتاً من سبعة وأربعين وهى عدد أبيات قصيدة المتنبي ، وادخلها بصياغتها فى قصيدته . وقد كنا ننزهه عن السرقة لو انه أخذ معنى هذه الابيات دون الصياغة التى هى طابع الشاعر ومظهرشخصيته . ولكنه لم يتورع عن أن يغتصب ابياتاً شادها المتنبي بقوة سليقته ، ومتانة طبعه وقدرته على تصريف القول بما لم يستطع احد قبله ان يصرفه حتى غالبت ملكته القوية جميع انداده من الشعراء وظهرت عليهم وجعلته يقول :

ودع كل صوت غير صوتى فاننى ... انا الصائح المحكىُّ والآخر الصدى

لم يتورع « شوقى » فأخذ عشرين أو اكثر من العشرين بيتاً ، وبدأ قصيدته بالصياغة التى بدأ بها المتنبي قصيدته فقال :

(بسيفك يعلو الحق والحق اغلب) وينصر دين الله ايان تضرب

كما قال المتنبي فى مطلع قصيدته :

(اغالب فيك الشوق والشوق اغلب) واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

يأبى شوقى إلاأن يأخذ الشطر الآخر من بيت المتنبي ، فيقول فى موضع آخر :

تبالغ بالرامى وتزهو بما رمى (وتعجب بالقواد والجند أعجب)

وهذا نفس ما فعله شوقى فى مطلع قصيدة أخرى ، بل فى مطلع عدة قصائد . من ذلك قصيدته فى مدح الخديو السابق الذى يقول فى مطلعها :

(يود من الارواح ما لا توده) ويفتك فيها مسرفاً وهى جنده)

فقد اخذه من مطالع قصيدة المتنبي فى مدح كافور وهو :

(أود من الايام ما لا توده) وأشكو اليها بيننا وهى جنده)

ولست أريد أن أتوسع فى هذا الباب ، فقد اعددت له كتاباً خاصاً . وحسبي فى هذا المقال أن أتحدث عن قصيدة « صدى الحرب » التى نحن بصددها ، والتى كان شوقى نفسه يفاخر بها فى أيامه الأخيرة ، وقد جعلها ثالث قصيدة فى الجزء الأول من ديوانه الجديد .

قال شوقى فى مطلع هذه القصيدة أيضا :

(وينصر دين الله أيان تضرب)

وهل تحسب أنه عبر هذا التعبير لو لم يكن المتنبي قال فى بعض أبياته :

(أراقب فيه الشمس أيان تغرب)

وقد يحسب بعضهم أننا نتجنّى على شوقى حينما نقول أنه سرق الصياغة ، ولكن الواقع أنه سرق أو على الأقل اهتدى بتعبير المتنبي لكى يفصح عما فى ضميره . وهذا اذا لم يكن سرقة فهو احتذاء وتقليد .

ويقول شوقى :

ومملكة اليونان محلولة العرى (رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب)

وقد أخذه من قول المتنبي :

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية (فجودك يكسونى ، وشغلك يسلب)

ويقول شوقي :

تروح المنايا الزُّرق فيه وتغتدى (وما هى إلا الموج يأتى ويذهب)

فأخذه من المتنبي وسلخ خياله فجعله للبحر بدل الفرس فى قول المتنبى يصف فرسه:

له فضلة عن جسمه فى اهابه (تجيء على صدر رحيب وتذهب)

ويقول المتنبي فى وصف فرسه بعد البيت السابق :

(شققت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مراداً فيلعب)

(وأصرع أيَّ الوحش قفَّيته به وأنزل عنه مثله حين أركب)

فيأتى شوقى ويسطو على هذا الوصف ويقول فى وصف الحاج عبد الأزل باشا وفرسه :

اذا شهداها جدّدا هزة الصبا كما يتصابى ذو الثمانين يطرب

(فيهتز هذا كالحسام وينثنى وينفر هذا كالغزال ويلعب)

الى أن يقول :

(ذرونى وشأنى والوغى لا مبالياً إلى الموت أمشى أم الى الموت أركب)

وأنت إذا قارنت هذا البيت والذى سبقه ببيتى المتنبي تجد أن شوقى قد سطا على خيالها سطواً واضحاً ، ورأى أن لا مفر من أخذ كلمتى « يلعب » و « أركب » مع أخذه من خيال المتنبي معناه .

وانظر الى شوقى إذ يقول :

(فقبلت كفاً كان بالسيف ضارباً وقبلت سيفاً كان بالكف يضرب)

ثم أقرأ بعد ذلك قول المتنبي :

(إذا ضربت فى الحرب بالسيف كفه تبينت أن السيف بالكف يضرب)

ولا والله ، لو أن شوقى أخذ المعنى وصاغه صياغة أخرى تسمو عن صياغة المتنبي أو لو أنه وضعه وضعاً أقوى من وضع المتنبي ونفث فيه من شاعريته لما بخلتُ عليه بالتقدير والاعجاب ، لأنه يكون قد أتعب نفسه وأتى من عنده بشيء ينبغى أن يكافَأ عليه بالتقدير والاعجاب .

ولكن شوقى رحمه الله كان مغرماً بالتقليد الى حد كبير . وهذا التقليد تلحظه فى عدة نواح من آثاره التى خلفها حتى فى رواياته وكتابه النثرى (أسواق الذهب)

الذى وضعه على نسق (أطواق الذهب) للزمخشرى ، (وأطباق الذهب) للأصفهانى، وليس هنا مجال واسع للافاضة فى هذا الموضوع .

واسمعه وقد أراد أن يعارض المتنبي وهو يخاطب كافوراً ويقول له :

(سللتَ سيوفاً علمتْ كل خاطب على كل عود كيف يدعو ويخطب)

فيأتى شوقى ويقول ـ معارضاً أو محاكياً أو محاذياً أو غاصباً أو ماشئت فقل ـ وهو يخاطب السلطان عبد الحميد :

(حسامك من سقراط فى الخطب أخطب وعودك من عود المنابر أصلب)

وهذا مسخ ما بعده مسخ لبيت المتنبي . وما أشبه هذا التعبير بقول القائل : « طربوشك أحسن من طربوشه ، وعصاك أجمد من عصاه » ، على أنه فضلاعن هذا التقليد والتعبير الممسوخ قد وقع فى خطأ نحوى فى هذا البيت حيث قدم « من » والمفضول : « من سقراط » و « من عود المنابر » على أفعل التفضيل : « أخطب » و « أصلب » ، والصحيح أن يقال :حسامك أخطب من سقراط ، وعودك أصلب من عود المنابر .

وقد وقع فى مثل هذا الخطأ فى البيت الذى يليه :

(وعزمك من هومير أمضى بديهة وأجلى بياناً فى القلوب وأعذب)

وأراد أن يغطى السرقة فى الشطر الثانى فقال أجلى (بالجيم) بدل أحلى وفى القلوب بدل فى الفؤاد كما قال المتنبي :

(فان لم يكن الا أبو المسك أو همُ فانك أحلى فى الفؤاد وأعذب)

وفى هذا التغيير بين أحلى وأجلى ، وفى الفؤاد وفى القلوب،مايدل على أن السرقة والتلاعب مقصودان .

وقد أخطأ شوقى ايضاً فى قوله :

فلما دجى داجى العوان وأطبقت (تبلج والنصرَ الهلالُ المحجّبُ)

و (النصر) فى هذا البيت مفعول معه و (الهلالُ) مصحوبه . وقد تقدم هنا المفعول معه على مصحوبه ، وهذا خطأ نحوى لانه من المقرر عند علماء النحو ألاّ يتقدم المفعول معه على عامله فلا تقول « والنيلَ سرتُ » ولا على مصحوبه فلا تقول : « أقبل والجيشَ الاميرُ » . وما فى هذا البيت ينطبق على هذا المثال . والصواب أن يقال فيه : تبلج الهلالُ والنصرَ .

نرجع فنقول إن شوقي أبى الا أن يوغل فى الاخذ من قصيدة المتنبي غير هيَّاب ولا وجل ، وكأنها مباحة له ، فاذا قال المتنبي :

ولو جاز ان يحووا علاك وهبتها (ولكنْ من الاشياء ماليس يوهب)

تبعه شوقى فقال :

فلولا سيوف الترك جرَّب غيركم (ولكنْ من الاشياء ما لا يجرَّب)

واذا قال المتنبي :

واظلم اهل الظلم من بات حاسداً (لمن بات فى نعمائه يتقلب)

انتحل شوقى الشطر الثانى من هذا البيت فقال :

سلاماً (ملونا) واحتفاظاً وعصمة (لمن بات فى عالى الرضا يتقلب)

واذا قال المتنبي :

وكل امرىء يولى الجميل محبب (وكل مكان ينبت العزَّ طيب)

حسده شوقى فابى ألا ان يأخذه لنفسه أو يأخذ صياغة الشطر الثانى ويصيغها فى شعره بلا تورع ولا إباء ، فيقول :

وهل انت الا الشمس فى كل أمة (فكل لسان فى مديحك طيب)

وانك لتجد فى بيت شوقى تخلخلاً وعدم ارتباط لأن الشطر الثانى غير منسجم مع الأول كانسجامه فى بيت المتنبي الموضوع فيه وضعاً طبيعياً .

وكذلك اذا قال المتنبي :

(وأخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم أشأ تُملى علىَّ وأكتب)

يأتى شوقى فيحسب انه سيلحق المتنبي فى هذا المعنى وفى هذا الوضع القوى المحكم المملوء قوة وشعوراً والذى يصل الى الغرض من اقرب طريق . نقول يأتى فيقول مخاطباً السلطان :

(مدحتك والدنيا لسانٌ واهلها جميعاً لسانٌ يمليان وأكتب)

ويقول المتنبي مخاطباً كافور بعد البيت السابق :

(اذا ترك الانسان اهلاً وراءه ويمم كافوراً فما يتغرب)

فيقول شوقى :

(يلاقى بعيد الاهل عندك اهله ويمرح فى أوطانه المتغرب)

لا أريد ان أطيل فى ايراد الامثلة من قصيدة واحدة أودع فيها شوقى كثيراً من صياغات المتنبي وتعبيراته واخيلته ومعانيه . ولقد جرت بينى وأحد الاصدقاء مناقشة فى هذا الصدد فكان اعتذار هذا الصديق عن شوقى انه قال هذه القصيدة فى مفتتح حياته مع انه قالها فى اوج نضوجه الشعرى وفى عهد كهولته . على انه اذا كانت هذه القصيدة ليست من عيون الشوقيات التى يفاخر بها شوقى فلماذا وضعها فى صدر الجزء الاول من ديوانه الجديد ، ولماذا لم يحذف الابيات التى انتحلها من المتنبي وغيره ؟ ثم لماذا بدت هذه الروح فى كثير من اشعار شوقى حتى فى قصائده الأخيرة بل فى آخر مرثية له ، وهى التى رثا بها حافظ ابراهيم ؟ ونذكر هنا على سبيل المثال قوله :

وودتُ لو أنى فداك من الردى والكاذبون المرجفون فدائى !

فقد نسجه من قول المتنبي :

تطيع الحاسدين وأنت مرءٌ جُعلتُ فداءه وهمُ فدائى !

ونستطيع ان نأتى بكثير من الشواهد على ذلك حتى من قصائده الاخيرة التى لم يمض عليها غير بضع سنوات . أليس شوقى هو الذى حذا حذو المتنبي فى مطلع قصيدته التى مدح بها على بن منصور الحاجب ، والتى بدأها بالغزل فقال :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا
المنهبات قلوبنا وعقولنا وجناتهن الناهبات الناهبا
الناعمات القاتلات المحييا ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقباً فوضعن ايديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه من حر انفاسى ، فكنت الذائبا !

واستمر فى هذا الغزل الى ان تخلص الى ممدوحه :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الىَّ منها تائبا

فجاء شوقى على هذا المنوال وعلى هذه الصياغة نفسها وان اختلفت المعانى فقال:

بأبى وروحى الناعمات الغيدا الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرانيات بكل أحور فاترٍ يذر الخلىَّ من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجراً الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً الراتعات مع النسيم قدودا

أقبلن فى ذهب الأصيل ووشيه   ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا

إلى آخـر ماقال . . . .

وأحسب أننى لو أطلت فى هذا الباب لما اتسع له نطاق هذه المجلة . ولست أريد أن أظلم شوقى أو أتجنى عليه خصوصاً بعد أن خلا ميدانه واصبح فكرة بين طيات الزمن بعد أن كان شخصاً مجسماً له مطامعه التى كان لا يألو جهداً فى ارضائها بما جُبلت عليه نفسه من حب الشهرة والغرام بها والسعى اليها من كل سبيل .

نعم لا أريد أن أظلمه ولا أتجنى عليه ، وأنا أعلم أن له من القصائد العصماء ماتكفى الواحدة منها لأن تخلد ذكره ، وأن له من الفضل فى النهضة الأدبية الأخيرة مايجب أن يعترف به كل من يتصدى للكتابة عنه ، ولكننى أقصد فيما أكتبه فى هذه المجلة وما كتبته فى مجلات أخرى ، وما سوف أكتبه فى كتاب خاص، الى أن أتحرى خدمة الحقيقة والأدب نفسه ، لأنى أتشيع للأسماء والألقاب مهما بلغت هذه الأسماء والألقاب من شهرة وخطر ؟

طاهر الطناحى



معارضات شوقى فى المرآة

البردتان — الداليتان — المينيتان

وجلست لأكتب عن شوقى بعـد ما مضى عليه فى جوار ربه اكثر من أربعين نهاراً وأصبح هو وشعره أمانة فى يد التاريخ الذى لا يغبن ولا يحابى .

وكان بودى أن يواتينى الفراغ فأتناول ناحية من شعره بنوع من الدرس والتحليل تطمئن اليه نفسى ونفوس القراء . ولكن الشواغل وما أكثرها والظروف وماأقساها أبت إلا أن يجىء بحث اليوم قاصراً على دراسـة قصائد ثلاث هى فى الحق عرائس شعره . عارض فيها ثلاثة شعراء يشهد التاريخ أنهم كانوا من أعلام الشعر وحاملى لوائه فى عصورهم : ونعنى بهم أبا عبيـد الله البوصـيرى فى بردته — وأبا اسحاق الحصرى فى داليته — وأبا عبادة البحترى فى سينيته . بَيْـد أنى أعـلم أنَّ قصيدة واحدة من هذه القصائد الثلاث التى نحاول اليوم دراستها لو شئنا تحليلها والموازنة

العادلة الدقيقة بينها وبين مقابلتها لما وسعنا هذا العدد بأكمله ولذلك سنقتصر فى دراستنا لها على المقابلة السريعة بينها والاشارة الى المعانى التى اشترك فيها الشاعران والتى انفرد بها كل منهما ، وهل كان الثانى مبتكراً فى معارضته أومقلداً ، وإذا كان مقلداً فما مبلغ نجاحه وتوفيقه فى هذا التقليد .

البردتان

كان أبو عبد الله صاحب البردة تقياً صالحاً مشغوفاً بالعبادة متفانياً فى حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن هذا الحب الطافح فاضت هذه المنظومة الطويلة فهى فى الحق صورة لنفسه الطاهرة ومرآة لاحساسه نحو الرسول وآل بيته. وحسبك أن تعلم أنه كان مريضاً فشفى بفضل نظمها وإنشادها وأنه كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم خلال نظمه لها وأنه قد أتمَّ لابى عبد الله فى نومه بحثاً كان قد استعصى عليه إتمامه .

فهل كان شوقي كذلك ؟ وهل كان متعلقاً بالرسول مشغولاً به كما كان صاحبه ؟ وهل كانت له بالرسول تلك الصلة العالية التى اجتمعت لابى عبيد الله وتحدث عنها جلّ المؤرخين ؟ هذا ما لانستطع تحديده ولانريد الخوض فيه حينما نحن نجله عن أن يكون قد نظمها لتنازع بردة صاحبه مكانتها أمام الموتى وهو القائل :

أرى زمراً مشيعةً وأسمع أيَّما صَوْت
ولو عَقَلوُا لما نطقُوا جَلالُ الموْتِ فى الموْتِ

ولكن الذى أعتقده ولا أومن بسواه أن شوقى رحمه الله انما نظمها حباً وطمعاً فى الشهرة التى نالها صاحبه ، وهذا الغرض وحده هو الذى حداه الى إخراجها واخراج أخواتها على ما سترى .

وكأنى به قد أراد أن يشتهر فى جميع الأوساط ويتعرف الى كل الطبقات فنظم هذه القصيدة الدينية التى قربت بحق ما بينه وبين المتدينين والمتصوفين فى هذا البلد ولهذا لاتتراءى لك فى بردة شوقى تلك العاطفة الفياضة التى تكاد تلمسها فى بردة البوصيرى ولا تلمح فيها الروعة والجلال اللذين تلمحهما فى أختها ، لا لأنها أقل منها بلاغة وانسجاماً ولكن لانه يعبر فيها عن شعور غيره ، وليست النائحة كالثكلى. ونعود الى البوصيرى فنجده قد قسم بردته قسمة تقريبية الى عشرة أقسام بدأها بالغزل وشكوى

الزمان ، ثم التحذير من النفس ، ثم المدح ، وحاكاه شوقى فى ذلك وإن كان قد زاد فى بعض النواحى وأوجز فى بعضها الآخر .

وقد طرّق البوصيرى لمدح الرسول وهو بيت القصيد بأكثر من خمسة وعشرين بيتاً،وأسرف فى ذلك شاعرنا حتى أوصل مقدمته الى خمسين بيتاً ، وسننظر أأحسن فى ذلك أم أساء .

يقول البوصيرى فى مطلع بردته :

أمِنْ تَذَكّرِ جيرانٍ بذى سلمٍ مزجتَ دمعاً جرَى من مقلةٍ بدمِ

ويقول أمير الشعراء :

ريمٌ على القاع بين البانِ والعلمِ أحلّ سفْكَ دمى فى الأشهُرِ الحُرُمِ

وأنا أعتقد أنّ شاعرنا قد وُفّق كثيراً فى اختيار هذا المطلع الموسيقى الرائع وكان أبرع من صاحبه استهلالا وأحسن ابتداءً . ولو أنه استعمل شطر البيت الخامس من بردته فى بناء ذلك المطلع الذى تراه فوق ما يبدو فيه من حسن السبك وائتلاف الألفاظ يحمل بين طيّاته معانى جديدة سامية حينما لم يزد صاحبه على هذا المعنى المطروق ونعنى به بكاء الانسان على فراق أحبته ولم يخرجه هذا الاستفهام الذى له مكانته من البيت عن كونه مبالغة غير مقبولة .

وقد ترى ذلك التقليد الذى حدثتك عنه واضحاً جلياً اذا قرأت للبوصيرى هذا البيت :

محضتنى النصحَ لكن لست أسمعهُ إن المحبّ عن العذّالِ فى صممِ

وقرأت الى جانبه قول شوقى :

لقد أنلْتك اذناً غير واعية وربّ منتصتٍ والقلبُ فى صممِ

ويدرك مقدار عجزه عن مداناته .

وتخلص البوصيرى من ذلك الى ذم النّفْس والتحذير من هواها بالبيت الآتى :

فانّ أمّارتى بالسُّوء ما اتعظتْ من جهلها بنذير الشيب والهرَمِ

ولو قرأت ما قبله وما بعده لرأيت أنه انتقال طبيعى لا يكاد يدرك بينما ترى شاعرنا ــ حين لم يوفق الى بيت يتخلص به من الغزل الى ما يريد ــ ينتقل انتقالا جديداً لا صلة بينه وبين ما قبله ويفصل ما بين المعنيين بحرف النداء فيقول :

لم اغش مغناك إلا فى غضون كرىً مغناك أبعدُ للمشتاق من إرم
يانفسُ دنياك تخفى كل مبكية وإن بدا لك منها حُسْنُ مبتسم

وقد ذكر البوصيرى فى هذا الصَّدَد أكثر من خمسة عشر بيتاً ضَمَّن كل بيت حكمة خالدة قُدِّر لها الذيوع فسارت مسير الشمس فى الآفاق ــ وكذلك فعل شوقى وزاد عليه فى رائع الحكم وبالغ العظات .

ولقد تخلص بعد ذلك كل منهما إلى مدح الرسول وهو قوام هذه المنظومة ، فقال البوصيرى :

ولا تزوَّدتُ قبل الموت نافلةً ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصُمِ
ظلمتُ سنّة من أحيا الظلامَ الى أن اشتكت قدماه الضرَّ من ورمِ

وقال شاعرنا :

وإن تقدم ذو تقوى بصالحة قدَّمتُ بين يديه عبرةَ الندمِ
لزمتُ باب أمير الأنبياء ومن يمسكْ بمفتاح باب الله يعتصمِ

وكلاهما قد أحسن التخلص وأجاد الانتقال ، وإن كان الانسجام فى الأصل أظهرَ والاتصالُ أشدَّ وأوضحَ . وإخالك لا تجهل أن (أمير الأنبياء) الذى ورد فى هذا البيت تعبير جديد لم يُسبق اليه الشاعر .

وقد تحدَّث كل من الشاعرين بعد ذلك عن مولد الرسول ، فقال الأول :

أبانَ مولدُه عن طيب عنصرِه ياطيبَ مبتدأ منه ومختتم

وقال الثانى :

أسرتْ بشائر بالهادى ومولده فى الشَّرق والغَرب مَسْرى النور فى الظلم

وأنت ترى أن البيت الثانى وإن كان أبلغ فى التصوير وأوضح فى الاتساق فان الأول يتجلَّى فيه حبُّ المادح الممدوح وتفانيه فى شخصه ــ فضلا عما يحمله الشطر الأول من المعانى السامية التى لا تخفى على اللبيب .

وقد قال الأول بعد البيت السابق :

وبات إيوانُ كسرى وهو منصدع كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

وأراد شاعرنا أن يحاكيه فى ذلك فقال :

ريعت لها شُرفُ الايوان فانصدعت من صدمة الحق لامن صدمة العدم

وبهذا التشبيه الجميل استطاع الأول أن يصف لك حالتين : حال ايوان كسرى وحال الفرس عند مولد الرسول كل منهما فى شطر من البيت حينما لم يستطع شاعرنا بعد الجهد أن يعبر ببيته إلاّ عن المعنى الأول منهما ، مع ما بينهما من بون شاسع تستطيع أن تلمحه فى الفرق بين قول الأول : انصدع الايوان ، وقول الثانى : ريعت الشرفات .

ولقد أسهب شوقى بعد ذلك فى ذكر معجزات الرسول ، فذكر الاسراء والمعراج والهجرة ثم انتقل إلى الغزو والجهاد وشرف القرآن ، وذكر فى ذلك أكثر من مائة بيت ولعل السبب الذى مكنه من ذلك انما هو اتساع نواحى الفضل عند الرسول وكثرة ما أثر عنه من حميد الصفات وجليل الأعمال . ولقد تعرض البوصيرى فى بردته لوصف القرآن الكريم وعجز العرب عن معارضته وذكر فى ذلك فصلا كاملا يستريح اليه الباحث وأجمل ذلك شاعرنا فى أبيات قلائل ليس فيها ما يستحق الاعجاب ويستأهل الثناء سوى هذا البيت :

آياته كلما طال المدى جدد يزينهنّ جلالُ العتق والقِدَم

أما الغزو والجهاد فى سبيل الله فقد تحدّث عنه كل منهما كما أسلفنا وإن كان البوصيرى قد اقتصر على وصف المسلمين وانتصاراتهم وبسالتهم فى الحروب وما شابه ذلك حينما شوقى لم يقف عند هذا الحد بل تراه يتحدث اليك عن سر الفتح الاسلامى ، وحال الناس قبل الاسلام ، وفائدة الحروب والدولات التى قضى عليها الاسلام ، ويبسط أمامك صفحة خالدة من تاريخ المسلمين فى حياتهم الأولى ، وهذه محمدة لأمير الشعراء وميزة له لانستطيع اغفالها .

وبعد هذا ترى البوصيرى يناجى الرسول صلى الله عليه وسلم فى عدة ابيات ضمنها الاعتراف بالذنب وطلب المغفرة والتوسل بالرسول وتعليق الآمال عليه والتشرف بتسميته باسمه ، ويقلده شوقى فى كل ذلك فيبدع ويجيد ولا سيما فى المعنى الأخير حيث يقول :

يا أحمد الخير لى جاهٌ بتسميتى وكيف لا يتسامى بالرسول سَمِى

وإن كان لم يقل فى ذلك اكثر من بيتين اثنين مما جعلنا نشك فى اخلاصه فيما يقول . ثم يختتم الاول بردته بعرض مطالبه وبسط آماله والضراعة الى الله وطلب الرحمة والمغفرة ، وكذلك يختتم شاعرنا بردته بالصلاة على الرسول وآل بيته الطيبين الطاهرين .

بعد هذه الموازنة السريعة بين البردتين نستطيع ان نقرر ما يأتى :

أولاً : أن شوقى قد طرق فى بردته نواحى عدة لم يطرقها صاحبه وقد أجاد فيها حتى لنكاد نعتقد أن الاول لوتحدث عنها لما بلغ مبلغه . من ذلك وصف الشريعة الاسلامية وأثرها فى نفوس العرب ومبلغ حب العجم لها واقبالهم عليها ، واستمع اليه إذ يقول فى ذلك :

شريعة لك فجرتَ العقول بها عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها كالحلى للسيف أو كالوشى للعلم

ومن ذلك الخلفاء الراشدون ومبلغ علمهم واخلاصهم وغيرتهم على الاسلام والمسلمين ويصف لك شيئاً مما حدث لعمر عند موت الرسول ، واليك بعض ما قاله فى (على و عثمان) رضى الله عنهما :

من كالامام إذا ما فضَّ مزدحماً بمدمع فى مآقى القوم مزدحم
الذاخرُ العذب فى علم وفى أدب والناصرُ الندْبُ فى حرب وفى سلم
أو كابن عفان والقرآن فى يده يحنو عليه كما يحنو على الفطم
ويجمع الآى ترتيباً وينظمها عقداً بجيد الليالى غير منفصم

وثانياً : أن بردة شوقى قد انتظمت طائفة من الحكم الخالدة ابتكر بعضها واقتبس بعضها الآخر من الأصل الذى عارضه . وقد تصرف فى هذا الذى اقتبسه تصرفاً محموداً ميَّزه وأظهر فضله فيه — هذا الى ما تمتاز به من جزالة الألفاظ وتنوع المفردات واستقرارها مما يدل على ثراء الشاعر وانقياد العربية اليه .

أما بردة البوصيرى فمن الاشياء الجلية التى تمتاز بها أنها :

أولا صورة صادقة لنفس صاحبها كما حدثتك وترجمان ناطق بما يحسه نحو ممدوحه بخلاف بردة شوقى فانها محض ترسم واقتفاء وتقليد لا صلة فيها بين المادح والممدوح إذا قيست بالأصل المعارض ، اللهم إلا صلة العقيدة التى لا يستطيع تحديدها غير صاحبها. ولعل هذا الاخلاص والصلاح اللذين توفرا لصاحبها هما اللذان قدرا لها الذيوع والرواج بين آلاف من نوعها .

وما كان شوقى رحمه الله لينكر على صاحبه مكانته من الرسول أو ينافسه حبه له وتعلقه به وهو القائل فى أدب الفضلاء وتواضع العظماء يخاطب الرسول :

مديحه فيك حبٌ خالص وهوى وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد انى لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم

وثالثاً : انك تلمح فيها المعانى مرتبة متصلا بعضها ببعض حتى لتكاد تحسبها فصولا مستقلة كل فصل له مطلعه ومقطعه ، بينما ترى بردة شوقى قد اختلطت فيها المعانى بحيث ينتقل من توسل الى مديح ثم إلى وصف ومناجاة ثم يعود بك إلى التوسل ويستطرد فيذكرلك شيئاً من الصفات على حسب ورودها فى ذهنه من غير ترتيب ولا نظام .

ورابعاً حسن الانتقال حتى لتكاد تقرأ القصيدة كلها فلا تحس فيها بتخلص أو انتقال وهذا لم يتوفر لشوقى لأن أبياته التى اختارها لتكون واسطة انتقال كانت تائهة غريبة لا صلة لها بسابقها ولا علاقة لها بتاليها ولهذا أثره فى تجزئة المعانى وعدم ارتباطها وتآلفها فى ذهن القارىء والسامع .

هذه موازنة اجمالية بين البردتين وسنعود اليهما فى فرصة أخرى بالتحليل الجزئى والمقابلة الكاملة .

الداليتـان

نستطيع أن نقول بعد الذى قدمناه إن شوقى بك قد عارض ميمية البوصيرى فى جملتها ولكنا سنراه فى هذه القصيدة قد أمسك بريشته ونصب الأصل المعارض أمامه وأخذ ينقل منه ويستمليه جزءاً جزءاً كما يجلس المثال إلى صورة عهد اليه صنعها. وهذا النوع من المعارضة على مافيه من تكلف واعتناء لو أجاد فيه الشاعر لوجد من الاعجاب والتقدير مايرضيه وقلما تخفى الفوارق أو تجهل الحسنات فى مثل هذا النوع

وقد قدر لهذه القصيدة التى نحن بصددها الرواج والانتشار حتى أصبحت تعرف بمطلعها « ياليلَ الصب » كما تعرف معلقة إمرىء القيس بقفانبك ولها فى الأدب العربى وتاريخه مكانة سامية ولهـذا تصدى لمعارضتها اكثر من اثنى عشر شاعراً كان من أفضلهم أمير الشعراء الذى نعالج دراسة معارضته اليوم ـ وسنمر فى موازنتنا بالاصل وتابعه سراعاً لننظر الى أى حد أصاب شاعرنا فى معارضته .

يقول الحصرى فى مطلع قصيدته.

يا ليل الصبِّ متى غـدُهُ ؟ أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ ؟

ويقول شاعرنا :

مضْناكَ جفاه مرقـدُه وبـكاهُ ورحَّمَ عُوَّدُهُ

وأنت ترى أن شوقى فضـلاً عن اقتبـاسه هذا المطلع من مطلع نجم الدين القمراوى إذ يقول فى معارضته لهذه القصيدة .

قد مل مريضك عوّدُه ورثى لأسيرك حسَّدُهُ

ومن أحد أبيات الحصرى إذ يقول .

لم يبق هواك له رمقاً فليبك عليه عوّدُه

فضلاً عن ذلك فانه لم يصل فى رأينا الى ما وصل اليه صاحبه من الدلالة على طول الليل وما يعانيه المحب المهجور فيه .ويقول الحصرى بعد ذلك .

فبكاه النجمُ ورقّ له ممّا يرعاهُ ويرْصُدُه

ويحاكيه شوقى فيقول :

ويناجى النجمَ ويتبعُه ويقيم الليل ويُقْعِدُه

ولا اخالك تجهل الفرق بين مناجاة النجم ومتابعته للسّاهد وبين رقته له وبكائه من أجله ولا ريب أن البيت الأول يشتمل على ما تضمنه الثانى ويزيد عليه هذا الابتكار الجميل . ويتحدث ابو اسحاق عن الحبيب ودَلّه ونفوره فيقول .

أصبت عيْناى له شركاً فى النّوم فعزّ تصيُّدُه

فاذا ماجاء شاعرنا ليعارضه فى ذلك قال :

كم مد لطيفك من شركٍ وتأدّبَ لا يتصيَّدُه

وهذه مبالغة ممقوتة عكست المعنى الذى عبر عنه صاحبه وأصبح بيته عاجزاً عن أن يتضمن أكثر من أنه نام ليرى طيف الحبيب حتى إذا تراءى له لم يشأ أن يراه أو تأدّب عن أن يراهاوعلى هذا المعنى يتضح لك التناقض الذى وقع فيه الشاعر إذا قرأت الى جانب ذلك البيت الذى يليه مباشرة :

فعساك بغمْض مسعفُه ولعل خيالك مُسْعِدُه ؟!

ولست أدرى بعد ذلك لم يتمنى النوم وهو الشرك الذى يريد أن يتصيد به الحبيب إذا كان يتحرج من تصيده فيه ؟ ! وأنّى للخيال أن يسعده وهو يتردد فى الاستمتاع به ؟ !

ويقول البوصيرى :

خدّاك قدْ اعترفا بدمى فعلام جُفونك تجْحدُه

ويجىء شاعرناليعارضه فى ذلك فيقول :

جحدتْ عينـاكَ زكيّ دمى أكذلك خدكَ يجحدُه

وأنت ترى أن كل ما عمله انما هو قلب الاصل وجعل الصدر عجزاً والعجز صدراً ، وفضلا عن أن هذا ليس من المعارضة فى شىء فان الاول يثبت اعتراف الخدود بدمه والثانى يشك فى ذلك ويتساءل عنه !

من هذه الموازنة السريعة نستطيع أن نقول إن المعانى المشتركة بين الشاعرين وما اكثرها كان الاول أبعد فيها منالا وأحسن اختياراً وأسمى مأخذاً . ولم نر معنى قد اقتبسه شاعرنا فتصرف فيه على النحو الذى رأيناه فى البردة وصقله صقلا يميزه ويدل على ما فيه من مجهود وابتكار. ولقد اسهب كل منهما فى ناحية غير التى أسهب فيها صاحبه . وفى اعتقادى أن المعانى التى انفرد بها شوقى كانت مثلاً أعلى فى سمو الخيال ودقة التصوير واتساق الالفاظ ، ولو تعرض لها ابواسحاق لما تسنى له أن يأتى بأبلغ منها واليك طرفاً من هذه الابيات التى انفرد بها وهى تصور لك الحب فى أعلا درجاته :

ما بال العاذل يفتحُ لى باب السلوان وأوصدُه !

ويقول تكاد تجنّ به فأقول وأوشك أعبُدُه !

مولاى وروحى فى يده قد ضيّعها سلمتْ يَدُه

السينيتان

لقد كان من السهل علينا أن نوازن بين القصيدتين السابقتين وبين نظيرتيهما لأن شوقى فيهما كما رأيت كان يسير هو وصاحب الأصل الذى يعارضه فى اتجاه واحد وكان إما أن يقلّد ذلك الأصل أو ينسج على منواله. أما هاتان القصيدتان فان الشاعرين لم يتفقا فيهما إلا فى الوزن والقافية وطفق كل بعد ذلك يتغنى بليلاه ـ فعكف البحترى على وصف الايوان وما على حوائطه من صور ونقوش وتماثيل : وصفه وهو كذلك فى عنفوان الدولة وشبابها ، ثم وصفه بعد أن زالت الدولة واقفرت جنباته وعبثت به الأيام ومشت عليه يد الزمن الجائر فمحت طلاوته ومسحت رونقه ورواءه — ثم وصف فى طريقه الخمر ومجالسها وأثرها فى النفوس ورأينا شوقى يحن الى مصر وساكنيها فيذكر الجزيرة وجمال موقعها ويخلع عليها من رائع التشبيهات وجمال الصفات ما لم يجر به لسان شاعر من قبل— ثم يتحدث عن الجيزة وحقولها ومزارعها وعن الاهرام وأبى الهول وغيرهما من مفاخر مصر .

وبعد ذلك ينتقل بذهنه الجبار طفرة الى الاندلس فيصف لك ديار بنى الأحمر ويتحدث عن حصن غرناطة وقصر الحمراء وأبهائه وقبابه ونقوشه وتهاويله ، ثم ينتقل بك بعد ذلك الى وصف شبه الجزيرة وجوها الصافى وهوائها العليل ويتحدث عن رياضها وحراجها وحقولها وجنانها ويذكر بعد كل ذلك فضلها عليه وعلى بنيه .

هذه نظرة عامة فى القصيدتين وسنعرج عليهما مسرعين لنتبين مبلغ توفيق كل منهما وإصابته .

لقد ذكر البحترى اكثر من عشرة أبيات فى شكوى الزمان وبث ما يعانيه من بؤس وعناء ثم تخلص إلى غرضه وهو وصف الإيوان بهذا البيت الجميل :

حضرت رحْلِىَ الهموم فوجَّهـــــتُ إلى أبيض المدائن عنسى

وتخلص شاعرنا الى الحنين الى وطنه بهذا البيت الرائع :

وطنى لو شُغلتُ بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهذا البيت فضلا عن انّه وصلة مناسبة بين ما قبله وما بعده فانه بيت خالد جمع الى جزالة اللفظ شرف المعنى واصبح مثلا سائراً فى حب الوطن والحنين اليه .

ولقد تسمع مطلع البحترى :

صُنتُ نفسى عمّا يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جبس

وتسمع الى جانبه مطلع شوقى :

اختلافُ النهار والليل ينسى اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

فتحس فى الأخير روعة وجلال وترى فوق ذلك المناسبة القوية بينه وبين المعانى التى يريد أن يتحدث عنها وهى الحنين والذكرى ـ وقد زاده هذا الالتفات البديع رونقاً وجمالا .

وبعد ، فان الحق يقضى علينا أن نعترف لشوقى فى هذه القصيدة بالاجادة والابداع ، وقد لانكون مغالين إذا قلنا انه قد فاق صاحبه وفضله فى نواحٍ كثيرة لأنه هنا إنما يعبر بحق عن إحساس فياض ويترجم عن عاطفة متقدة ويصور لنا شعوراً صادقاً نحو وطنه ومستقر أهله وعشيرته إن لم يَسْمُ على شعور أبى عبادة نحو كسرى وايوانه فانه لايقل عنه قوة وأسراً ولايتردد شوقى فى أن يصرح لنا بذلك فيقول :

وعظ البحترى إيوان كسرى وشفتنى القصور من عبد شمس

وقد تمتاز سينية شوقى إلى جانب ما تقدم بحسن السبك ومجانبة الإغراب وانسجام الألفاظ وسهولتها ويندر أن تعثر فيها بأ كملها على مثل قول البحترى يصف الايوان:

مغلق بابه على جبل القبق   إلى دارتىْ خلاطٍ ومكس

حلل لم تكن كاطلال سعدى   فى قفار من البسابس ملس

وقد حملت هذه القصيدة بين طياتها كثيراً من المعانى الخالدة التى لم يسبق إليها الشاعر وضمنها غير قليل من الحكم البالغة والأمثال الرائعة والأجزاء التى تصدى لوصفها من وادى النيل قد أزرى فيها بايوان كسرى وواصفيه ـ وتأمل حسن التعليل وروعة التصوير فى قوله يصف الجيزة :

وأرى الجيزة الحزينة ثكلى   لم تفق بعدُ من مناحة رمسى

أكثرت ضجة السَّواقى عليه   وسؤال اليراع عنهُ بهمس

وقيام النخيل ضفرن شعراً   وتجردن غير طوق وسلس

ثم انظر إلى هذا الثوب الجميل الذى خلعه على الجزيرة وموقعها من النيل حيث يقول

هى بلقيسُ فى الخمائل صرحٌ   من عبابٍ وصاحب غير نكسِ

حسبُها أن تكون للنيل عرساً   قبلها لم يجنَّ يوماً بعرسِ

لبستْ بالأصيل حلةَ وشيٍ   بين صنعاء فى الثياب وقسٍّ

قدَّها النيلُ فاستحت فتوارت   منه بالجسر بين عُرْى ولُبسِ

وهذا البيت الاخير له من نفسى مكانة خاصة، وما مررت به إلا استرعانى ما فيه من جلال وجمال .

وما أشد اعجابى بشوقى وعبقريته إذا رأيته يزفر زفرة الألم على فرقة ذلك الوطن العزيز ويترجم عن حزنه الكامن وحنينه الطافح بتلك الأبيات الخالدة :

يا ابنة اليمّ ما أبوك بخيلٌ   ما له مولعاً بمنعى وحبسى ؟

أحرامٌ على بلابله الدَّو   حُ ، حلالٌ للطير من كل جنس ؟

كل دارٍ أحقٌّ بالأهل إلا   فى خبيث من المذاهب رجس

نفسى مرجلٌ وقلبى شراع   بهما فى الدَّموع سيرى وأرسى

وإذا انتقلت معه الى حيث يصف قصر الحمراء بعد أن لعبت به يد البلى ومحت جدَّته حادثات الزمان ، رأت صفاء الفكر ودقة الملاحظة وعرفت كيف كانت منزلة

هذه الاطلال المتداعية والرسوم الدراسة من نفس الشاعر تملى عليه فيكتب وتوحى اليه فيقول :

مشت الحادثات فى غرف الحمـ ـراء مشى النَّعى فى دار عُرس
هتكت عزة الحجاب وفضّت سِدّةَ الباب من سمير وأنس
عرصاتٌ تخلتْ الخيلُ عنها واستراحت من احتراس وعسِّ

ثم نراه بعد ذلك يشرف بخياله الفسيح على شبه الجزيرة ويلقى عليها نظرةً جامعة تصور لك صفاء سمائها واخضرار أرضها وجمال رباها،ويقف منها فى النهاية موقف المتواضع المعترف بالجميل ويناجيها قائلا :

يا دياراً نزلت كالخلد ظلاً وجنى دانياً وسلسال أُنس
محسنات الفصول لا ناجرٌ فيـ ـها بقيظٍ ولا جمادى بقرْس
لا تحس العيون فوق رباها غير حور حوِّ المرشف لُعس
كسيتْ أفرخى بظلك ريشاً ونما فى رباك واشتد غرسى

ثم يختتم قصيدته بتلك الحكمة الخالدة :

وإذا فاتك التفاتٌ الى الما ضى فقد غاب عنك وجه التأسِّى

حينما يختتم البحترى قصيدته بهذا البيت الغريب الذى لايشعر بالانتهاء فيقول :

وأرانى من بعدُ أكلف بالاشرا ف طراً من كل سنخٍ وأنس

تلك إلمامة وجيزة عن هذه الفرائد الثلاث التى هى فيما نعتقد من أروع ما جادت به قريحة شوقى : تلمح فيها التحبير والتأنق فى تخير الالفاظ واصطفاء المعانى — ولا نستطيع أن نقول اننا بهذه النظرة الخاطفة قد استوعبناها دراسة وتحليلا ، فذلك ما لايسمح به فراغنا وفراغ هذه الصفحات كما أسلفنا، ولا يزال كل بيت من أبياتها كنزاً مملوءاً بالنفائس من أية ناحية أتيته عثرت فيه على جديد وسنفرد فى المستقبل لكل واحدة من هذه القصائد فصلا خاصاً نتناولها فيه بالتحليل والتمحيص ونقف القارىء على ما لا نستطيع وقوفه عليه فى هذه العجالة .

ونعتقد أن شعر شوقى فى مجموعه ثروة عقلية لا يستطيع النشء الانتفاع بها إلا إذا درسها الادباء والمحققون دراسة تجلى غامضها وترشد الى مواضع الجمال منها ، ولا عجب فقد تهيأ لصاحبها من الثقافة العالمية والتهذيب الفكرى والنبوغ الشخصى ما يندر اجتماعه لغيره وسيظل هذا الميراث الذى قدر لمصر أن تحتويه خالداً

ملحوظ المكانة لايقل روعة وجلالا عماحملته اليناصحائف التاريخ من تراث الشعراء في مختلف العصور .

ولئن كان مصاب الشرق فيه عظيما وخطب مصر فيه أليماً فلهما في هذا التراث الخالد عزاء وسلوان ؟

طه محمد عبده



استعداد شوقي

لعلنا لا نغلو اذا قلنا إنه لم يتهيأ لشاعر أيّ شاعر من البيئات المكونة والعوامل المواتية ما تهيأ لشوقي في اخراج شاعريته وانضاج عبقريته : فقد نشأ في بحبوحة من العيش الوارف الظلال ، البعيد ما بين جنبات النعيم ، فشبّ وترعرع تحوطه النعمة السابغة وتحدوه السعادة الكاملة وتلحظه عناية بيت اسماعيل ، وما أدراك ما بيت اسماعيل . فكان من هذه الناحية على ما كان عليه ابن المعتز الشاعر الخليفة من بني العباس ، ولهذا من الأثر في توسيع ميدان الشعر وتعديد متناول الوصف ما يجعل الشاعر طائر الخيال ساحر البيان . وهذا ما كان عليه فقيدنا العزيز فقد تفجر فيه الشعر عن نبع فياض مكث يفيض على الشعب العربي نصف قرن كامل نميراً صافياً وسلسبيلاً جارياً ، وكلما نهل منه وعلّ اشتد ظمؤه والتهب أواره ، فلله أنت يا شوقي ولك الله أيها الشعب الحزين !

من عادة الشعراء أن يكون لكلٍّ هوًى يحسن أن يقول فيه . فاذا ما قصد الى غيره بان نقصه وضعفت شاعريته ، ولكن شاء الله جلت قدرته أن يركب شوقي على غير ما ركب الشعراء فلم يجعل له نفساً واحدة كما جعل لكل شاعر ، وانما أودع بين جنبيه نفوساً لكل غرض من الشعر نفس اذا أراد حملها فبلغ بها ما يريد وفوق الذي يريد ، أو هو جعل له نفساً واحدة ولكنها ذات اصباغ وألوان وذات قدرة معجزة على التشكل بما يطلب من أشكال: فهي كالماء الصافي يتلون بتلون الاناء، أو هي كالعجينة المرنة تطيع المصور لها أنى شاء . ولست أرى لذلك في شوقي من مصدر بعد الذي ذكرت من سعة الخيال إلا وفاءه لكل ذي صلة به وفاء ليس يعدله وفاء .

نعم وفى شوقى لكل ذى صلة به ، وكلما كانت الصلة عامة اشتد تأثيرها فيه على عكس المعروف فى طبيعة الانسان ، حتى أصبح كالسلك الكهربائى يتموج لأدنى اهتزاز فترى لتموجاته من الاثر البالغ ما يحرك سواكن الاشياء ويبدد غياهب الظلماء فاذا الناس فى دهشة منه مأخوذون ! وفى شوقى للطبيعة فى جميع مظاهرها فوصفها فى جميع أثوابها . ووفى لنفسه فأعطاها حقها وحفظ لها حريتها وقدسها . ووفى لاسرته فكان الحاكم بغير صولجان المطاع المحبب الى كل جنان . ووفى لاصدقائه فكان لأصغرهم الأب الشفيق ولوسطهم الأخ الشقيق ولأكبرهم الابن الحقيق . ووفى لبيت اسماعيل فصاغ له من حبات قلبه ماصاغ وأبدع فى ذلك ما شاء له الابداع . ووفى لمصر أم الجميع فكان قيثارتها المرتلة لبشائر افراحها فى غير بطر ولا أشر المرددة لألحان أتراحها فى غير يأس ولا ضجر منذ كانت مصر والتاريخ لم يكن الى ان اختاره الله لجواره كان الله له وأحسن عزاءنا فيه .

ولقد أبى وفاؤه رحمه الله أن يقف به عند هذا الوطن الخاص فتعداه الى غيره من أوطان ذات ضروب وانسان . تعداه الى الوطن العربى فحمل لواء لغته وآخى شعوبه فكان السبّاق الى حيث لم تقف به غاية ولم تحد منه نهاية ، والى الوطن الاسلامى فأرسل فى روحية الاسلام وفى صاحب دعوته من رصين الشعر ما علا به الى السماء حتى جاوز الجوزاء . ثم الى الوطن التركى العثمانى معقد الخلافة ومشرق التاج فربط بينه وبين كل ما تقدم من أوطان رباطاً وثيقاً ليس فى مقدور غيره من انسان . بل الى العالم جميعه فيما تدعو اليه الأديان وتريده قضية السلام والوئام فكان رسول الانسانية الصادق التعبير وداعية الأخلاق الشديدة التأثير ، وبهذا الاستعداد وهذه المواهب وهذا الاتجاه خلق شوقى لذكره مكانة الخلود ؟

السباعى السباعى



أين شوقي من الوطنية

ان الفجيعة فى أمير الشعراء حملتنى المساهمة فى تكريم تلك العبقرية الفذة وتخليد ذكر صاحبها العظيم بالكشف عن ناحية من نواحيها المتفرقة .

وبعد لأى أخذتُ الناحية الوطنية فى تلك الروح العالية . وقبل الخوض فيها هل لك ياعزيزى القارىء أن تصاحبنى فى الطواف بها لا على أن تكون كفتى موسى بل نتبادل الرأى ونتعاون على الفهم ونغلق وراءنا كل باب نلجه إلى أن نصل إلى قرار أقرك وتقرنى عليه ؟ أظنك لا تمانع . وقبل كل شىء رأيت التحقق من ماهية الوطنية، وإنى أرى وترى معى أن الرأى الذى يصفها بشعور خفى يحمل الفرد دائماً على خدمة وطنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا هو أقرب الأقوال لتفهم ماهيتها . إذنْ فلنمسك بتلابيبه ونطبقه على الراحل الكريم لنعرف إلى أى مدى وصل فى ذلك المنحى . ولما كانت الوطنية وليدة للوطن أخذت أبحث عن التحديد العلمى له فوجدت أن صاحبنا شذّ عن ذلك التحديد وكوّن لشخصيته الجبارة وطنين أحدهما خاص به وهو مصر وثانيهما عام وهو البقاع التى يقطنها الناطقون بالضاد .

من أجل ذلك وجهت دفة القلم ناحية وطنيته المنبعثة من وطنه الخاص تاركاً قسمها الآخر لأعلام الأدب لاخراجها بما يلائمها من روعة وجلال إذ هم أجدر الخلق بتصويرها . ولا اخالك أيها القارىء تخالفنى فى ذلك .

نفى أمير الشعر فأحسّ بروعة النفى وشُتت فى بلاد نائية عن الآل والصحب والولد فلمس لوعة النأى . أتدرى لماذا نفى ولأى أمر شرد ؟ لأن له وطنية ضايقت المستعمرين وتحققوا خطرها على مركزهم فى مصر . من أجل ذلك كتب عليه النفى وسجل عليه التشريد فقاوم ما فيهما من روعة ولوعة برباطة جأش وصبر جميل بالرغم من انتقام العدو وتحكم الخصم وابتسام الشامت . يا لله ما سبب هذا البلاء ؟ وطنية صادقة وعاطفة نبيلة تحت تأثيرها قام بما تشاهده معى فى هذه الأبيات من غرسه حب الوطن فى نفوس الشعب وافتدائه بالغالى والنفيس بل ذهب إلى جعله ديناً للأحرار :

لنا وطنٌ بأنفسنا نقيهِ وبالدنيا العريضةِ نفتديهِ !

لا تلوموها ! أليست حرة ... وهوى الأوطان للأحراردين؟

ثم اسمع اليه يحن إلى وطنه حنيناً ليس له مثيل فيما سبقه :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه ... نازعتنى اليه فى الخلد نفسى !

وهفا بالفؤاد فى سلسبيلٍ ... ظمأ للسواد من عين شمس

شهد اللهلم يغب عن جفونى ... شخصه ساعةً ولم يخل حسى

ثم لاحظ معى تجسم هذا الحب فى قوله :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس ... كأنى قد لقيت بك الشبابا

ولو أنى دعيت لكنت دينى ... عليه أقابل الحتم المجابا

أدير اليك قبل البيت وجهى ... اذا فهت الشهادة والمتابا

انى أحب وإن شقيت به ... وطنى وأوثره على الخلدِ

لعلك تقرنى أيها السيد على أن هذا أولى خدماته لوطنه . ثم تعال ننتحى ناحية غير هذه تجد أن شوقى رأى أن حياة الجماعات لا تكون قويمة الا اذا كان أساسها العلم فدعا اليه وطالب به بقوله :

ربوا على الانصاف فتيان الحمى ... تجدوهمو كهف الحقوق كهولا

فربَّ صغير قوم علموه ... سما وحمى المسومة العرابا

وكان لقومه نفعاً وفخراً ... ولو تركوه كان اذاً وعابا

فعلم ما استطعت لعل جيلا ... سيأتى يحدث العجب العجابا

ثم أصغ اليه فى خطاب المتطلعين إلى المعالى :

ياطالباً لمعالى الملك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبن ملكٌ على جهل واقلال

ولم يغمط المرأة التى يصفها بحجر الأساس فى الأسرة وقواعد المجتمع وأركانه منذ قام الى يوم ينفض حقَّها من التعليم بل أوجب تعلميها ضارباً أحسن الأمثال برسول الله عليه السلام وبنسائه الشريفات:

هذا رسول الله لم ... ينقص حقوق الأمهاتِ

العلم كان شريعة لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسياسة والشؤون الأخريات

ولم يسكت على ذلك بل وخم عاقبة جهلها :

وإذا النساء نشأن فى أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ثم اتجه ناحية الشباب مخاطباً دماءهم الحارة عن أهميه العلم لمطامحهم ومركزه من أمتهم :

هل علمتم أمة فى جهلها ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الاناء
فخذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكم واحتفظوا بفصيح جاءكم من فصحاء
واحكموا الدنيابسلطان فما خلقت نصرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان هى ضاقت فاطلبوه فى السماء ا

ثم ختم بنتائج الجهل وشؤمه على الامم :

الجهل لا تحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدىْ عزريلا

بذلك نخرج من هذا الباب بسلام مقرين تلك الخدمة أيضاً ثم لنبحث عن باب آخر نلجه : نرى أن شوقى لاحظ أن لا أمة بلا خلق :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وبدونها لا مدنية ولا حضارة .

وليس بعامر بنيان قوم اذا أخلاقهم كانت خرابا
وإذا ما أصاب بنيانَ قوم وهى خلقٍ فانه دهى اسّ

ثم اتجه ناحية العمال مخاطباً بلغة المعلم الحكيم :

أيها العمال افنوا العمر كداً واكتساباً
واعمروا الارض فلولا سعيكم أمست يباباً
اتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
واهجروا الخمر تطيعوا الله او ترضوا الكتابا
انها رجس فطوبى لامرىء كف وتابا
ترعش الايدى ، ومن يرعش من الصناع خابا

ثم قال مشيداً بالطموح :

شباب قُنَّعٌ لا خير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

ثم تجهم مظهر بساطة الحياة ووجوب العمل :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثان

بعد ذلك الوعيد حبب اليهم الحياة لانها سلم الخلود :

ومن سرَّه ألا يموت فبالعلا خلد الرجال وبالفعال النابه

ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه

ثم يزيد فى الترغيب :

وروموا النبوغ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف

إمرة الناس همة لا تأتى لجبان ولا تسنى لجبس

ألا ترى معى أن شوقى قام بقسطه فى حمل لواء النهضة المصرية كشاعر قومى؟ لقد استنهض الأمة وأرشدها الى صلاحها وشجع شبانها وبث فيهم روح النشاط وقوى من قوائمهم وحثهم على الرقى ورفعة الوطن . أظنك أسبق منى فى الايمان بما آمنت . إذن لنجعل خاتمة المطاف ما قام به شخصيا لاعلاء شأن وطنه لأنى أشعر بسحابة من النصب كادت تقاربك أيها الصاحب العزيز .

إن تلك العاطفة المتأججة فى نفس شوقى خلقت منه بطلا شجاعاً جالد أترابه الشعراء ونازل لداته إخوان القوافى الى أن حملهم على مبايعته بالامارة فى ملأ من الناس قال فيه منافسه « شاعر النيل » :

أمير القوافى قد أتيت مبايعاً وهذى جموع الشعر قد بايعت معى

وبذلك وضع تاج إمارة الشعر على هامة وطنه الذى يحبه ويتعشقه كما عرفت مستولياً عليه وسالباً إياه من موطنه الذى ظهر ونبغ وعاش فيه. والى هنا يا سيدى القارىء الكريم لا أستطيع حبس عبرة تترقرق فى مآقىَّ فاسمح لى بذرفها على رجل هذا شأنه وعز عليه أن يترك ذلك التاج دون هيل وهيلمان فاتجه الى المسرح وأنشأ له الروايات المعروفه ولم ينس فن الغناء فقام بترقيته بما تسمعه من الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب . بذلك تم له ما أراد وترك وراءه تاجاً مرصعاً بأنفس اللآلىء الفنية . فرحمتك اللهم بهذا الراقد فى مهد الأبد ؟

محمد على فرج الله

المراثى الشعرية

نماذج مختارة

(وسنتبعها فى العـدد القادم بغيرها مما أتحفنا به حضرات الشعراء)
وضاق عنه نطاق هذا العدد

الصبح الداجى

سبق الصباحُ إلى المغيب مبكراً — مَنْ ذا رأى شمساً تغيبُ صباحَا!!
يا يومَ (شوقى) قد عصفتَ بروضةٍ — وسلبتَ مصرَ الهاتفَ الصدّاحَا
غادرتَ أقلام البيـان هوامداً — وتركت ألسنة الدُّموعِ فصاحَا
وحجبتَ روحاً كان مشرق نورها — بسنـا المعـالى يَبعثُ الأرواحَا
من كان لا يَنسَى بفقدِكَ صبره — نسىَ السُّرورَ وودَّع الأفراحَا

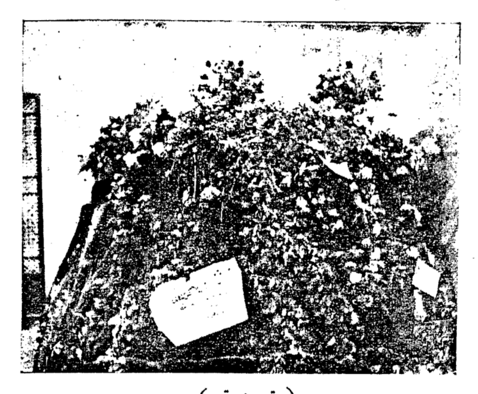
الصاوى على شعلان

قبر العبقرية

(أُلقيت عند ضريح الفقيد فى الجمعة الأولى لوفاته)

طُوفُوا بقـبر العبقرية وانشقوا — أرَجَ الخُلودِ الساطعِ الفوّاحِ
طوفُوا به وتنسَّموا مِنْ رُوحهِ — ما كانَ مِنْ نُبْلٍ به وسماحِ
يَثْوِى هنا (شوقى) الذى لو يُفتَدَى — لفـداه خـيرُ النـاسِ بالأرواحِ
يَثْوِى هنا (شوقى) العظيمُ فيا له — قَبرٌ حَوَى جيلاً من الاصلاحِ
(شوقى) يزاملُكَ الخلودُ بنوره — والذكرُ كلَّ عشيةٍ وصَباحِ
نمْ فى جوارِ اللهِ ، يحمدْكَ السّرى — وانزلْ من الجنَّاتِ خيرَ جناحِ
سيظلّ اسمُكَ للبيانِ كأنّه — فى جبهةِ الأيامِ نجمٌ ضاحِ

محمود ابو الوفا



﴿ قبر شوقى ﴾

يامؤنسَ القبر حين القبرُ موحشُنا ... ومَنْ يُرامُ برغم الموتِ ايناسُهْ
كنا نبادلُه الاحساسَ فى طَرَبٍ ... واليومَ احساسُنا فى الموتِ احساسُهْ

ابوشادى



(الشعراء والأدباء عند قبر شوقى فى الجمعة الأولى لوفاته)

وقفة على قبر شوقي

(ألقيت في اجتماع الأدباء والشعراء يوم الجمعة الأولى لوفاته)

أسرةُ الشعر وحرّاسُ الأدبْ قدموا اليوم ليقضوا ما يجب
كلّلوا الشعر بريحان الرُّبى وسقوه بدموعٍ وحَدَبْ
فانفضْ التربَ وأنشِدْهم كما عهدوا لحناً على السمع عَذُبْ
أوْ صِفْ الخلدَ لهم وصفَ امرئ لم يخالطْ قولَه يوماً كَذِبْ
قد عمرتَ الدهرَ حيناً ، أفهلْ آن أن تعمرَ ذا الربعَ الخَرِبْ ؟
كنت للأحياءِ فخراً ، أفهلْ آنَ أن يفخر سكانُ التُّرُبْ ؟
غلب الموتُ شجاعاً طالما صارعَ الدهر وحيداً فغلبْ
ليس في الموت عجيبٌ ، إنما غفلةُ الناس عن الموت العجبْ !
غرباءٌ نحن في الدنيا ، ولا بدَّ يوماً أن يؤوب المغتربْ
أيها القبر أتعلمُ أن فيك رفاتاً هو ميراثُ العربْ
فيكَ يا قبرُ أمانٍ طالما سهر الجيلُ عليها وتعبْ
فيكَ ياقبرُ دفينٌ خالد كان بالأمس الى المجد يثبْ
فيكَ ياقبرُ أنيسٌ ساحرٌ فَكِهُ المحضرِ بسّامٌ طربْ
فيكَ فخرُ النيلِ يا قبرُ فتهْ وافخرْ اليومَ على الدنيا وطِبْ !

* * *

مستنيرُ الشهبِ في الأفق خبا ومعينُ الضادِ في التربِ نضبْ
طالما رُوِّيَ منه ظامئ طاف في الأرض وأعياه النصبْ

* * *

إيه يا شوقي وقد كنت لنا خيرَ عونٍ في فجيعات النُّوَبْ
ترسل القولَ وفي طياته سلوةُ الباكي وأنس المكتئبْ
جلَّ فيك الرزءُ حتى ما نعي أيَّ قولٍ كان في الرزءِ يجبْ !

شَغل الشاعرَ عن نظم الرِّثا ... وثنى الكاتب عن نسج الخُطَبْ
ليتَ ناعيك تخطّاك إلى ... عشرات من جرائيم الأَدَبْ !
زبدُ الناس على الدَّهر ثوى ... وأرى ما ينفع الناسَ ذهَبْ !
هكذا الدهر وهذا شأنه ... كلُّ ما فيه مثيرٌ للعجبْ !

طلبه محمد عبده

هبة السماء

راحوا بأرواح ظماءْ ... يتهافتون على الفناءْ
جفَّتْ حلوقٌ بعدهم ... لم تلقَ دونهمُ رَوَاءْ
واهاً لكأس كالخلود ... ومنهلٍ فيه الشفاءْ
كنّا اذا ضَجَّ الفؤادُ ... وضاقَ بالدُّنيا وناءْ
نَمْضى اليهِ فنستقى ... ونعُبُّ منه كما نشاءْ
فاليومَ إذْ شَطَّ المزَارُ ... بكمْ وقد عزَّ اللقاءْ
وبَخَلْتُمُ بُخْلَ الضَّنينِ ... فحَسْبُنَا قَطَراتُ ماءْ !

***

أين الأمينُ على الامارةِ ... والحريصُ على اللِّواءْ ؟!
قبَسٌ أضاء العالمين ... كما تُضيءُ لهمْ ذُكاءْ
ثم اختفىَ خلفَ الغُيوبِ ... مخلّفاً ظُلَمَ المسَاءْ
فكأنما هبةٌ السماء ... قد استردَّتْها السَّماءْ !

***

جَزَعُ الرِّياضِ لطائرٍ ... غنَّى فأبدعَ فى الغناءْ
حتى اذا خَلَبَ العقولَ ... وقيل سِحْرٌ لا مِراءْ !
ولَّى عن الايكِ الفخور ... به الى عَرْضِ الفَضاءْ
فكأنه والسُّحْبُ تَطويهِ ... فيمعنُ فى الخفَاءْ
دُنْيا من الأَمَلِ الجميلِ ... قد استبدَّ بها العَفاءْ !
ووراءها شفَقٌ مِن الذكرى ... كجرحٍ ذى دماءْ !

وتسائلُ الدُّنيا التى ناطتْ به كلَّ الرَّجاءْ
عن أىِّ سرٍّ طارَ عَنْ هذى الرُّبى وعلامَ جاءْ ؟!
قُمْ يا فقيدَ الشِّعرِ وانْظرْ أىَّ حفلٍ للرثاءْ!
أُممٌ يُصبِّرُ بعضُها بعضاً ، وَهيهاتَ العزاءْ !
هذى الجموعُ الباكياتُ الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتَها أشجانَها ووفيتَ ما شاءَ الوفاءْ
أوَلمْ تجدْكَ لسانَها الشاكى إذا احتدمَ البلاءْ ؟
أوَلمْ تكنْ غِرِّيدَها ونديمَها عند الصفاءْ ؟
لِمَ لا تُوقِّيكَ الجميلَ وتستقلّ لك الفِداءْ ؟ !

* * *

ومُنعَّمٍ بينَ القصورِ قد استتمَّ له الثَّراءْ
ما بالهُ حَملَ الهمومَ وجشَّمَ القلبَ العناءْ ؟ !
وينوءُ بالعبءِ الذى هو عن أذاه فى غَناءْ !
ويحَ الذكاءِ وما يكلّفُه من الثمنِ الذّكاءْ !
أضنَى قواه ولم يدعْ من جسمهِ الا ذماءْ
والمجدُ يُوغلُ فى حنايا روحهِ ، والمجدُ دَاءْ !

* * *

صَرحٌ من الادبِ الصميمِ له على الدنيا البقاءْ
الدَّهرُ يحمى ركنَه والفنُّ فى روح البناءْ

* * *

(شوقى) ! على رغم التفرّدِ والتفوّقِ والعلاءْ
ذاكَ الرقادُ بساحةٍ كلّ الرجال بها سواءْ
وبرغم ذهنٍ كالفراشة حولَ مصباحٍ أضاءْ
مثواكَ لا تشكو السكونَ ولا تملّ من الثواءْ

ابراهيم ناجى

رثاء الموسيقيين

فى اربعين شوقى

(بمسرح حديقة الازبكية)

رُفع الستار عن منظومة كبيرة من الموسيقيين والمغنين يتوسطهم الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ، واهتزت الأوتار جميعاً بنغم حنون من (الصبا) الشجىّ الحزين الراسى الى قراره ، واذا بصوت عبد الوهاب ينشج ويتهدّج بقوله :

حطّموا الاقداحْ مثلَ ما حطَّمتْ حُزناً قدَحى !
ودّعوا الافراحْ طُوِىَ اليومَ بساطُ الفَرَحِ !

« • »

ماتَ خيرُ الشعراءْ فابكِ يا قلبي! فذا وقتُ البكاءْ!

« • »

خلدوا ذكراهُ فى كلّ القلوبْ — خلّدوها !
مجّدوا ذكراهُ شباناً وشيبْ — مجّدوها !

« • »

عاش كالزهرةِ عطراً ونَدَا وكسا الفنَّ جلالاً خالدَا
لن تردّوا بعضَ ما أسداكمُ أبداً ، مهما فعلتمْ أبدَا
انّ دمعى يتكلمْ ! فاسمعونى ! انَّ قلبي يتحطمْ ! فاعذرونى !

« • »

مات خيرُ الشعراءْ فابكِ يا قلبي! فذا وقتُ البكاءْ!

وسمع الحاضرون ما يقول عبد الوهاب والقلوب تنافس الاسماعَ وعياً وتأثراً . وأسدل الستر وانصرف الحضور يجدّد بعضهم لبعض العزاء إن استطيع ، وتمت حفلة الفنانين بذكرى من غذّى الفنّ وأرضاه .

﴿ تعليقات سعادة احمد زكى باشا ﴾

لقد اختص الله أمير الشعراء بسعادات وتوفيقات قد شرحنا بعضها فى مقام آخر (ص٣٨١) ولكن اجلالى لهذه المجلة جعلنى استجيب طلب ولدى النجيب وسميّى الأبرع فى كتابة هذا الفصل لمجلته المحبوبة . وكلامى هنا مقصور على الناحية الفنية بالمعنى الحديث ، على اننى لا أريد التبسط فيما نفح به الأغانى القومية والموسيقى الشرقية ثم المسرح العربى . كل اولئك قد أفاض عليه روحاً يماشى عصرنا الذى نعيش فيه ، ولكن مع ربط التطور الحديث بما كان للغة من فخر قديم وللعروبة من مجد تليد .

فعلى غيرى أن يتحدث عن هذا الروح السارى فى هالة من الانوار .

أما الآية التى جاء بها شوقى للشرق وللفن فى حالة وجوده ، والتى ما يزال ينفخ فيها الحياة بعد وفاته ، فهى الناطقة ببرهان الالحان ، الماثلة للعيان بألوان الأنغام فى شخص محمد عبد الوهاب .

نظر شوقى بنور الله الى النبوغ الكامن فى حنجرة هذا المراهق الناشىء ، فاستخلصه لنفسه ، وقربه من صحبه ، ثم افاض عليه سجال الثروة حساً ومعنى ، ونفث فى فيه سحر الشعر ، وصاغ لفنه جواهر القول ، حتى طلع علينا بذاك الصوت الباهر الساحر ، وأصبح وله ذياك الصيت النادر الطائر . فكان عبد الوهاب وتبارك الله ! وكان له يد فى تهذيب الرنين الموسيقى فى تلك النفحات الشوقية . فكأن شأنهما معاً فى هذا المجال — وفى هذا المجال وحده — كالبحر يمطره السحاب .

وبهذه المناسبة أرى التنويه بحادث شهدته منذ بضعة أيام وفيه البرهان على أن عرفان الجميل من مكارم الأخلاق .

نال شوقى وهو يدب على ظهر الارض كل ما يتمنى من سعادات مادية وأدبية وكان من احسان الله اليه أن الشرق كله قام وقعد عند ما نعاه الناعى . وما زالت الجرائد والمجلات — حتى الاعجمية — تعرب عن فضائله الى اليوم ، وستتحدث الى ما بعد اليوم بزمان طويل عن أمير الشعراء .

وتلك سعادة لم يظفر بها أسعد السعداء . هذه امصار الشرق قد تسابقت الى تكريم ذكراه فى سلسلة من حفلات التأبين ، بل اننا فى المصر الواحد وفى القاهرة بنوع التخصيص رأينا القوم يتنافسون فى اقامة حفلات متوازية ومتوالية . وما أكثر

ولد سنة ١٨٦٨
دخل مكتب الشيخ صالح
سنة ١٨٧٣
خرج من المدرسة الخديوية
ودخل مدرسة الحقوق
سنة ١٨٨٥



سافر الى اوروبا لتتمة الدراسة
سنة ١٨٨٧
عاد الى مصر من اوروبا
سنة ١٨٩١
نفى الى اسبانيا سنة ١٩١٥
عاد الى مصر من منفاه
فى خريف سنة ١٩١٩

﴿ شوقى فى صباه ﴾
الشخصية الشعريه المحبوبة التى كان يتهافت عليها الاقران حينئذ
وقد كان الفقيد مشغوفاً بالموسيقي والشعر منذ نعومة أظفاره



﴿ شوقى وصفيه الموسيقار الفنان محمد عبد الوهاب ﴾
ورأينا ان شوقى وُلد ليكون موسيقاراً فصار شاعراً ألحانه نظمه

الحق فان أكثرها يرمى الى نوع من طلب الشهرة والتهريج ، أو الى لون من ألوان الاستغلال والترويج ، والاقل من القليل من هذه الحفلات خالص لله وللفن والعبقرية .

ومن طراز هـذا النزر اليسير ، تلك الحفلة التى اقامها عبد الوهاب ، بل عبد الاحسان ، بل سيد العارفين بالجميل .

ففيها تمثل الوفاء بما ترضاه محامد الأخلاق ، وفيها رأيتُ العجبَ العجابَ !

هل أتاكم حديث آلات الطرب : ان الأوتار المشدودة والمعادن المطروقة والمسبوكة والمصبوبة والعيدان المنشورة والمربوطة والمشقوقة ، كانت كلها فى اتساق واتزان ، وفى تناسب وتجانس ، وهندام تترنم ... ثم تتكلم ... ثم تترحَّم ! وبين الآهات والنبرات زفير يترجم عن الأنين ، الى شهيق يعبر عن البكاء الذى يبعث البكاء ، ولـكن ... كانت الابصار شاخصة ، والقلوب واجفة ، والألسن منعقدة ، والرؤوس مطرقة . كل ذلك السكون التام وكل ذلك السكوت العميق لئلا تنفر الملائكة التى تنزلت من سماوات العلا واستقرت كأنها الطير على تلك الرؤوس ! فلم تـكن تسمع للقوم رجزاً ولا همساً ، ولا تـكاد تصدق ان فيهم حركة أو حساً . . . الى ان انتهى التلحين الحزين ، ومن العجب العاجب ان انساناً واحداً لم يسمح لنفسه بالتصدية والتصفيق ! فقد تمادى الناس على حبس الايدى والانفاس خوفاً من التشويش على ما بقى من اثر ذلك الترتيل فى التسبيح الذى انزله الله على قلوب من جنات الفراديس .

هذه الظاهرة الفريدة فى بابها جعلتنى استغرق فى الذكرى وارجع الى التاريخ الاسلامى فرأيت فيه حادثتين يشبهانها وإن كانت هى اكثر روعة منهما : احداهما فى عهد الامويين والثانية فى عهد العباسيين ، وهكذا نرى التاريخ يعيد نفسه .

وقعت الأولى فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك والثانية فى أيام هارون الرشيد .

كان الخليفة الاموى قد عهد الى معبد امام المغنين فى عصره بأن يلقن الالحان والانغام الى جاريته المشهورة وهى سلامة القس . وكان الاستاذ وتلميذته فى عسكر الوليد (أخى الخليفة) ، وهناك وافاه الحمام فتـكفل الوليد بحفلة الجنازة حتى اذا حمل القوم سرير الجنازة على الأعناق ، خرجت الجارية من خدرها وقبضت على السرير بيدها وأخذت تبكى وهى تنشد آخر شعر علمه لها باللحن الذى تلقته عنه وهو قول الأحوص :

قد لعمرى بتّ ليلى ... كأخى الداء الوجيعِ
ونجىّ الهمّ منى ... بات أدنى من ضجيعِ
كلما ابصرتُ ربعاً ... خالياً فاضت دموعى
قد خلا من سيد كا ... ن لنا غير مطيعِ
لا تلمنـــا إن خشعنا ... اوهممنـــا بالنشوعِ

فانصرف الناس عن النظر اليها واضربوا عن الاهتمام بأخى الخليفة وهو قائد العسكر الأعلى – (عن الاغانى) .

أما الحادثة التى وقعت فى أيام الرشيد فخلاصتها ان الشاعر ابن مناذر مات له صديق هو عبد المجيد بن عبد الوهاب . وكان عبد الوهاب هذا محدثاً جليلا ، فقـال الشاعر يرثية بقوله :

لأُقيمنّ مأتماً كنجوم الـــليل زهراً يلطمن حرّ الخدود
موجعات يبكين للكبد الحـــرى عليه وللفؤاد العميد

فلما بلغ هـذا الشعر امّ المتوفى قالت وانى لأبرنّ بقسمه ! فأقامت مع اخوانه وجواريه مأتما وقامت تصيح فيه : «واى ويه،واى ويه» ! فـكانت على ما قيل اول من أحدث ذلك « الصوات » فى دولة الآلام . ولـكن الشاعر ابن مناذر رأى ان ذلك النواح غير مستقيم فى الوزن واللحن فقال لصاحب له : لا أرى نسـاء ثقيف ينحن على عبدالمجيد على استواء (أى فى النغم) . قال له صاحبه : وما تحب ؟ قال أتخرج معى اطارحك ؟

وفى الخلاء تطارحا القصيدة ، التى نظمها فى رثاء عبد المجيد حتى حفظها صـاحبه ثم وضعا لها لحناً .

فلما جاء ميعاد المناحة خرجا الى المسجد وبعد تأدية الفريضة وقفا تحت دار المأتم وكان النساء على سطحها يندبن ، حتى اذا جاء ميعاد الراحـة لزمن السكوت فحينئـذ اندفع ابن مناذر وصاحبه فى تلحين القصيدة ومنها :

كلّ حى لاقى الحمـــام فمود ... ما لحىّ مؤمّلٍ من خلود
لا تهـاب المنون شيئاً ولا تبـــقى على والد ولا مولود
ان عبد المجيـــد يوم تولّى ... هدّ ركنا ما كان بالمهدود
هدّ عبد المجيد ركنى وقد كنت بركن انوء منه شديد
ما درى نعشُه ولا حاملوه ... ما على النعشِ من عفافٍ وجود

الى شاعر الخلود

ناحتْ عليك أبولُّو !...

ما أطلعتْ مثلَ (شوقى) أمَّـةُ العرَبِ ... شمسٌ من الشرق فوق السبعةِ الشهُبِ
مِنْ جَبهة الفلكِ الوهَّاج شَعَّ هُدًى ... ما زال من قُطُبٍ يمشى إلى قُطُبِ
ضاحى السبيل على (سيناءَ) سُدَّتُهُ ... مرصَّعُ العرش فى تاجٍ من الذّهبِ
هىَ العروشُ على الأسياف قائمةٌ ... وعرشُ (شوقى) على الأقلام والكتبِ
رفَّتْ على هامة (الجوزاء) رايتـه ... فى موكبٍ كشعاع الفجر ملتهبِ
كرسيُّهُ السُحبُ مثلَ الشهْب نيِّرةٌ ... والوحىُ يخفق بين الشهْبِ والسُّحُبِ
سَلِ البلاغةَ كم ألقت مقالدَها ... والعبقريةَ فى محرابهِ الأشبِ
رُواة أبياته فى كلّ حاضرةٍ ... وجُندُ آياتهِ فى كل مُغتربِ
فاضت على ضفةِ (الوادى) جداولهُ ... فيا لنيلٍ حيال (النيل) منسكبِ
قالت قوافيهِ للأهرام هامسةً : ... كم بيننا فى خلود الذكر من نَسَبِ !
شعرٌ تنزَّل عن وحىٍ وعاطفة ... من سِدرة المنتهى مِنْ أرفع القُبَبِ
بَنَى فمكَّن حتى صانَ دولتَهُ ... جرى فغبَّر حتى فاز بالقصبِ
مشى معَ (المتنبى) فى روائعهِ ... ونال عن (شكسبير) رايةَ الغلبِ
أعاد خيمة (ليلى) فهىَ خافقةٌ ... بقلب (قيس الهوى) مشدودةِ الطنبِ
وهزّ قلبَ (كلوبطرا) وصاحبَها ... كأنَّ عهدَهما عن مصر لم يغبِ
عصرٌ لشوقى : تساوى فى أوائلهِ ... وفى أواخرهِ ما جاءَ من عجبِ
قال : « انتهيتُ ! » وأنَّى ينتهى؟ ولهُ ... مُلكٌ عريضٌ وجاهٌ واسعُ الحسَبِ
فتحٌ مبينٌ وأيَّامٌ محجَّلةٌ ... والفتحُ بالكتبِ مثل الفتح بالقضُبِ !

***

لله يومُكَ والأشجانُ فى صُعُد ... لمَّا نُعيتَ وعينُ الشرق فى صَبَبِ
ناحت عليك(أبولُّو)!.. فهىَ ذارفةٌ ... على ترابك دمعَ آبنٍ لفقد أبِ
وصوَّحتْ « كرمةُ الإلهام » إذ نَضبتْ ... أغصانُها الخُضْرُ من سَلْسالكَ السكِبِ
أرى « الخليل » وهولُ الخطبِ روَّعهُ ... ترويعَ صَبٍّ على إلفَيْهِ[1] منتحب

(١) شوقى وحافظ .

تلفتت نحـوهُ الفصحى معزّيةً — هيهاتَ أن يتعزّى قلبُ مكتئبِ
كانوا ثلاثةَ أطيـارٍ على فَنَنٍ — نَضْر الأزاهر حَولَ المرتع الخصبِ
فسدّد الدهرُ سهماً من كنانته — على (الكنانةِ) أصمى مهجة العربِ !

* * *

أبا عليٍّ ! . . سقاك الغيثُ عن بلدٍ — طيّبتَهُ بشذاً من ذلك الأدبِ
بنتُ البقاع شجاها موتُ نابغـة — رنّت قصائدهُ فى السهل والهضبِ
كسوتَها بُردةً كالارز زاهيـة — لا تستبيح حواشيها يدُ النُّوَبِ
سقْياً لعهدك والأيام باسمـةٌ — والقوم حولك مثلُ الجحفل اللجبِ
والدهرُ يكتب والاجيال منصتةٌ — والناسُ فى مرح والنهر[1] فى صخبِ
واها لها ذكريات كيف أنشرها — وقد طواها قضاءُ الله بالحجُبِ
أتيتُ عن (جارة الوادى) وبى ظمأٌ — ولو إلى نهلة من وِردكَ العذبِ
سقيتَها من كؤوس الخلد مترعةً — هيهات تفرغ فى الوادى على الحقب
أغنيّةٌ رَجّع الحادى شواردَها — شوقية الروح والانفاسِ والطرَبِ

* * *

يا شاعرَ الخلدِ ! . . والدنيا تشيّعُهُ — أنشدْ قصيدتَك الكبرى على الشُّحُبِ
أذكر لنا ما وراءَ القبر من عِبرٍ — وابعثْ ضياءَ الهدى من ظلمة الترَبِ
أسامعٌ أنت خلف الغيب أنّتنا — أم أنت فى ركْبٍ منْ نودِى ولم يجبِ
أسالمٌ ثَمَّ من واشٍ ومنتقد — أعالمٌ ما ستلقى (الضاد) من نَصَبِ
وهل رأيت الالى خلَّدت ذكرُهم — من مالكٍ فاتحٍ أو سيدٍ أربِ
وهل شهدتَ (ندىَّ الشعر) محتشداً — وهل جلستَ إلى أترابك النُّجُبِ
تَسقى وتُسقَى على ظلٍّ وحاشيةٍ — من خمرةِ الشعر لا من خمرة العنبِ
قلْ ما تشاءُ وصفْ واشرح حقائقها — واكشِفْ لنا عن خفايا الشكِّ والريب

* * *

حنّتْ اليكَ عذارى الخلد واستبقتْ — عرائسُ المجد فى أثوابها القشُبِ
والتاجُ لاح على فودَيْك مؤتلقاً — كالشمس فى موكب الأنوار واللهَبِ
كأنّ (صبرى[2]) وحادى الوجد لجّ به — فهبَّ يسعى الى لقياك عن كثبِ

---

(١) البردونى : نهر زحلة المشهور . (٢) شيخ شعراء مصر المرحوم اسماعيل باشا صبرى .

يصيح بالملأ الأعلى : ألا آستمعوا — ما قاله (حافظٌ) فى خالد الخطَب :
إن الامارة لم تُسلس أعنّتها — فى الشرق الا لذاك الشاعر العربى !

حليم دموس

النيل الخالد

عجباً ! أتوحشُنى وأنت إزائى — وضياء وجهك مالئ سَوْدائى ؟!
لكن جرى قدرٌ وإنْ أبَتِ المُنَى — بنوى أحِبَّتِنا لغير لقاء
جرحوا صميمَ القلب حين تحمَّلوا — الله فى جُرحٍ عزيزِ شفاء
الطيِّبُ المحمودُ من عمرى مضى — والمفتدَى بالروح من خُلصائى
لا بل هما مِنِّىَ جَنَاحا طائر — رُمِيَا ولم يكُ نافعى إخطائى
الصاحبان الاكرمان تولَّيا — فعَلامَ بعد الصاحبين بقائى ؟
لم يتركا بردَاهما غيرَ الأسى — لأخيهما ما دامَ فى الاحياء
وحِيالىَ الخلطاءُ إلا أننى — متغرِّبٌ بالعهد فى خُلطائى
أيرادُ لى من فضل ما مَجَدا به — إرثٌ ؟ اذنْ جَهِلَ الزمانُ وفائى !
إنْ تحىَ بالذكرى فلا تبديلَ فى — صِفَةٍ ، ولا تغييرَ فى الأسماء
يا صاحبىَّ غدوتُ منذُ نأيتُما — أجِدُ الحياةَ ثقيلةَ الأعباء
لا ليلُ عافيةٍ هَجَعْتُ به ، ولا — يومٌ نشِطْتُ به من الإعياء
انا واحدٌ فى الجازعين عليكما — وكأنما ذاك البلاءُ بلائى
فاذا بدا لكما قصورى فاعذرا — او شَفِّعا لى مُسْلَفَاتِ ولائى

***

مَهْلاً أميرَ الشعر غير مدافعٍ — ومُعِزَّ دولته بغير مِراء
كم أمَّةٍ كانت على قَدْرِ الهوى — ترجوكَ ما شاءتْ لطول بقاء
متمكناً من نفسها إيمانها — أن لم تكن مِمَّنْ حَيُوا لفَناء
فاذا المنايا لم تَزَلْ حَرْبَ المُنَى — وإذا الرزيئة فوق كل عزاء

فى مصرَ بل فى الشرق منها لوعةٌ ... سَدَّت على السُّلوانِ كلَّ فَضاءِ!
أتُرى مُوَيْجاتِ الأثيرِ كأنها ... حَسْرى بما تُزجى من الانباء؟!
بَعَثَ الشَّرارُ بها ثقالاً لو بدا ... ما حُمِّلَتْ لبدت نِطافُ دماءِ!
جَزِعَ الكنانةِ كاد لا يَعدو أسًى ... أمَّ القرى ومناحةَ الفَيحاءِ
وبحضرموتَ على تنائى دارها ... شكوى كشكوى تونسَ الخضراءِ
بالامس كان هواكَ يجمع شَمْلَها ... فى فُرْقَةِ النَّزَعاتِ والاهواءِ
واليومَ فَتَّ رَدَاكَ فى أعضادِها ... ما أجْلَبَ البأساءَ للبأساءِ!

* * *

أفدحْ بما يلقاه آلُكَ إنْ يكنْ ... حُزنُ الأباعدِ جَلَّ عن تأساءِ
حُرموا أبًا بَرًّا نَموا وترعرعوا ... من جاهِهِ فى أسمحِ الافياءِ
وكفقدِهم فَقَدَ الغرانيقُ العُلى ... عَلَمَ الهُدى للفتيةِ النُّجباءِ
وكَرُزئهم رُزِئَ الرجالُ مُرَجَّباً ... عَفَّ اللسانِ مهذَّبَ الايماءِ
يتناولون من الصحائفِ وَحْيَهُ ... فتكون كلُّ صحيفةٍ كَلِواءِ!
ما عشتَ فيهم ظلْتَ بُلْبُلَ أيكِهم ... فى الأمْنِ، والرِّئبالَ فى اللأواءِ
لك جَوُّكَ الرَّحْبُ الذى تخلو به ... متفرِّداً والناسُ فى أجواءِ
عذلوكَ فى ذاك التَعزُّلِ ضَلَّةً ... إنَّ التعزُّلَ شيمةُ النُّزَهاءِ
ما كان شغلُكَ لو دَرَوا الاَّ بهم ... لكن كَرِهتَ مشاغلَ السُّفهاءِ
ولَعلَّ أعطفَهم عليهم مَن دنا ... بالنفعِ منهم وهو عنهم ناءِ
أنزلْتَ نفسَكَ عند نفسِكَ مُنْزَلاً ... يَأبَى عليها الخَسْفَ كلَّ إباءِ
فرعَيتَ نِعْمَتَكَ التى أثَّلتَها ... ورعَيتَ فيها جانبَ الفقراءِ
تَقْنِى حياءَكَ عالماً عن خِبْرَةٍ ... أنَّ الخصاصةَ آفةُ الأُدباءِ
وترى الزَّكاةَ لذى الثَّراءِ مَبَرَّةً ... منهُ بهِ ووسيلةً لِزَكاءِ
كم من يدٍ أسديتَها وكسوتَها ... متأنِّقاً لُطفَ اليدِ البيضاءِ

* * *

عصرٌ تقضَّى كنتَ مِلءَ عيونه ... فى اربعينَ بما أفَدْتَ مِلاءِ
يجلو نبوغُكَ كلَّ يوم آيةً ... عذراءَ من آياتهِ الغرَّاءِ
كالشمس ما آبت أتت بمجدَّدٍ ... متنوِّعٍ من زينةٍ وضياءِ
هِبَةٌ بها ضَنَّ الزمانُ فلم تتحْ ... الاَّ لافذاذٍ من النُّبغاءِ

يأتون فى الفترات بُوعِدَ بينها ... لِتَهيُّؤ الاسباب فى الأثناء
كالانبياء ومَن تأثّرَ إثرَهم ... من عِلْيَةِ العلماء والحكماء
رفعتك بالذكرى الى أعلى الذرى ... فى الخُلْد بين اولئكَ العظماء
مَنْ مُسْعِدى فى وَصْفها او مُصعِدِى ... دَرَجاتِ تلك العزة القَعْساء
ومُطَوّعٌ لى من بيانى ما عصى ... فاقولَ فيك كما تُحِبُّ رِثائى
لى فيك من غُرَرِ المديح شواردٌ ... أدّتْ حقوقَ علاك كلَّ أداء
ووفتْ قوافيها بما أمْلى على ... قلمى خُلوصُ تجِلّتى وإخائى
ما ذا دهانى اليومَ حتى لا أرى ... إلا مكانَ تفجعى وبكائى ؟!

* * *

(شوقىُ) لا تبعدْ وإنْ تك نِيّةٌ ... ستطولُ وَحْشتُها على الرُّقباء
تالله شمسُك لن تغيبَ ، وإنها ... لَتُنيرُ فى الإصباح والإمساء
هى فى الخواطرِ والسّرائرِ تنجلى ... ابداً ، وتَغمُرُهن باللألاء
والذُّخْرُ أغلى الذخرِ ما خلفتَه ... من فاخرِ الآثار للأبناء
هو حاجة الاوطان ما دالت بها ... دُوَلٌ من السّرّاء والضراء
سَيُعاد ثم يعاد ما طالَ المدى ... ويظلّ خَيرَ مآثر الآباء
يكفى بيانَك أن بلغتَ مُوَفَّقاً ... فيه أعزّ مَبالغ القدماء
بَوّأتَ مصرَ به مكاناً نافست ... فيه مكانَ دِمشقَ والزّوراء
ورددتَ موقفَها الاخيرَ مُقدّماً ... فى المجد بين مَواقف النُّظراء
لك فى قريضك خُطّةٌ آثرتَها ... عَزّتْ على الفُصحاء والبُلَغاء
من أىّ بحرٍ دُرّهُ متصيّدٌ ... وسَناهُ من تنزيل أىّ سَماء
ظهرت شمائلُ مصرَ فيه بما بها ... من رِقّةٍ ونُعومَةٍ ونَقاء
ترخيمُها فى لحنه متسامَعٌ ... ونَعيمُها فى وَشْيه مُتراء
شعرٌ سرَى مسرَى النّسيم بلطفه ... وصفا بروْعته صَفاءَ الماء
تَردُ العيونُ عُيونَه مشتفّةً ... ويُصيبُ فيه السمعُ رِىَّ ظَماء
ويكادُ يُلمَسُ فيه مشهودُ الرُّؤَى ... ويُحَسُّ همْسُ الظنّ فى الحوْباء
فى الجوّ يؤنس من يحلق طائرٌ ... والدوّ يؤنس راكبَ الوجناء
عجباً لما صرّفتَ فيه فُنونَه ... من فِطْنةٍ خلّابةٍ وذكاء

فلكلٍّ لفظٍ رونقٌ متجدِّدٌ ولكلٍّ قافيةٍ جديدٌ رُواء
تُجلى الجمالُ به كأبدع ما انجلت صُوَرٌ حسانٌ فى حسانِ مراء
ولربما راعَ الحقيقةَ رسمُها فيه فما اعتصمتْ من الخيلاء!

* * *

حيَّاكَ ربك فى الذين سَموا إلى أمَلٍ فأبلَوْا فيه خيرَ بلاء
مِنْ مُلْهَمٍ أدى امانة وَحْيِه بعزيمةٍ غلّابةٍ ومضاء
متجشّمٌ بالصبر دونَ أدائها ماسِيمَ من عَنَتٍ وفرط عَناء
للعبقريةِ قوةٌ عُلْوِيّةٌ فى نَجْوَةٍ من نفسه عَصماء
كم أخرجت لأولى البصائر حكمةً مما ألمَّ به من الأرزاء
حتى اذا اشتعل المشيبُ برأسه ما زادَ جُذْوَتَها سوى إذكاء
فالداء يُنحِلُ جسمَه ونشاطَها يُخفى بروعته نشاطَ الدّاء
جسمٌ يقوِّضُهُ السّقامُ ، وَهَمُّها متعلق بالخلقِ والإنشاء
عَجباً لعامَيْه اللذين قضاهما فى السكَدِّ قبل الضَّجعة النَّكراء
عاما نزاعٍ لم تُهادِنْ فيهما نُذُرُ الرّدَى وشواغلُ البُرَحاء
حَفلا بما لم يَتّسِعْ عُمرٌ له من باهر الإبداع والإبداء
فَتْحٌ يلى فتحاً ، وصرحٌ باذخٌ فى إثره صرحٌ وَطيدُ بناء
هذا إلى فِطَنٍ يقصر دونها مجهودُ طائفة من الفُطناء
من تحفةٍ منظومةٍ لفكاهة او طُرْفَةٍ منظومة لغناء
او سِيرَةٍ سِيقتْ مساقَ رواية لمواقف التمثيل والإلقاء
تجرى وقائعها فتجلو للنُّهى منها مَغازىَ كُنَّ طَىَّ خفاء
فاذا الحياةُ عَهيدُها وعَتيدُها مَزْجٌ كمزجِ الماء والصَّهباء
تَطْفُو حقائقُها على اوهامها وتَسُوغُ خالصةً من الأقذاء

* * *

يا مَن صَحِبْتُ العُمْرَ أشهدُ ما نحا فى الشعر من متباين الأنحاء
إنى لَيحضُرُنى بصادقِ حالهِ ماضيك فيه كأنه تلقائى
مِن بدئه وحِجاكَ يفتحُ فَتحَهُ لِلحِقْبةِ الأدَبيّةِ الزّهْراء
حَتّى الختامِ ومِن مفاخر مجده ما لم يُتَحْ لِسِواكَ فى الشعراء

فأرى مثالاً رائعاً فى صورة ... للنيل تملأُ منه عينَ الرائى
النيلُ يجرى فى عقيقٍ دافقٍ ... من حيثُ ينبعُ فى الربى الشمّاء
يَسقى سهولَ الريفِ بعد حُزونِه ... ويُديلُ عمراناً من الإقواء
ما يعترضهُ من الحواجز يعدُهُ ... ويعدْ الى الإحياء والإرواء
حتى إذا رَدَّ الفَيافىَ جَنَّةً ... فيما عَلا ودَنا من الأرجاء
أوفى على السدّ الاخير ودُونَهُ ... قُرْبُ المصيرِ الى محيطٍ عَفاء
فطغى وشارَفَ من خلافٍ زاخراً ... كالبحر ذى الإزباد والإرغاء
ثمَّ ارتمى بفيوضهِ من حالقٍ ... فى المَهْبِطِ الصّادى من الجرعاء
فتحدَّرتْ وكأنَّ مُنْهَمِراتِها ... خُصَلٌ من الأنوارِ والأنداء
مسموعةُ الإيقاعِ فى أقصى مدًى ... جَذْلى بما تُهدِى من الآلاء
إنْ أخْطأتْ قَطْراً مواقِعُ غيثِها ... أخْطَتهُ بالنّفحاتِ والأصداء!

* * *

لله دَرُّ قريحةٍ كانت لها ... هذى النهايةُ من سَنًى وسناء
رَفَعَتْكَ من علياءَ فانيةٍ الى ... ما ليسَ بالفانى من العلياء!

خليل مطران



الشعر

بعد كبيره وأميره

الشعر بعد مُصابهِ بكبيره ... فى مصرَ جلَّ مصابهُ بأميرهِ
بيناهُ يبكى حافظاً بشهيقهِ ... إذْ قام يبكى أحمداً بزفيرهِ
لم يَقضِ بعض حِدادِهِ لنصيرهِ ... حتى أحدَّ أسىً لفقد مُجيرهِ
ما إنْ خَبَتْ فى الأفقِ شُعْلةُ نارهِ ... حتى انطوتْ فى الجوِّ لمعةُ نورهِ
بالأمس ظلَّ مُرَزّأً بمُبينهِ ... واليومَ بات مفجَّعاً بمُنيرهِ
أخذت فرزدقَهُ المنون وضاعفتْ ... جُلّى مصيبتهِ بأخْذِ جريرهِ
رُزآنِ ملتهبان قد نَضَحَتْهما ... عَينُ العُلى من دمعها بغزيرهِ

فالشعر بعدهما استطالَ بكاؤهُ ... وتموَّجَتْ بالحزن كلُّ بحورِهِ
وَهزارِهُ ترك الصداحَ وليثُه ... أحِنَتْ أعاديه سَماعَ زئيرِهِ

* * *

يا نَيّراً نجْمِ القريض بموته ... فبكَتْه عينُ وَزِينهِ وكسيرِهِ
وَخلتْ سماءُ الشعر بعد افولهِ ... من مشرقات شموسهِ وبدورِهِ
ومُؤمَّراً لم تنتقضْ بوفاته ... فى الشعر بيعتُهُ على تأميرِهِ
لك فى الخلود مكانةٌ ما نالها ... فرعون فى ديماسهِ وحفيرِهِ
إنّ الدفين مضمّخاً بحنوطه ... دون الدفين محنّطاً بشعورهِ
إنّ المتوّج فوق عرش ذكائه ... يعلو المتوّجَ فوق عرش سريرِهِ
ما مات من تركت لنا أقلامهُ ... صُوَراً خوالدَ من بنات ضميرِهِ
صوراً تمثل ذاتَهُ وصفاتَهُ ... حتى يَقُمْنَ لنا مقامَ نشورهِ
فكأنه وهو الدفين بقبرهِ ... حيٌّ يعيش بحزنهِ وسرورهِ
وكأنه فى القومِ ساعةَ حَفلهم ... متكلمٌ بنظيمهِ ونثيرِهِ !

* * *

لابى علىٍّ من قريحة شعرهِ ... وحىٌ أتى من جبرئيل شعورهِ
كم قد رمى الغيبَ الخفىَّ فؤادُهُ ... بذكائه فأصاب كشف ستورِهِ
وتَصوّر المعنى الدقيق فردّه ... كالصبح منفلقاً أوانَ ظهورهِ
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى ... من وشي سندس لفظه وحريرِهِ
فالشعر قد دُكت جبالُ فنونه ... إذ موتُ شوقي كان نفخةَ صُورِهِ
يا راحلا ترك القوافى بعده ... محتاجة المحيا الى تفكيرهِ
لَهْفِى على ذيالك القلم الذى ... يتطرَّب الأرواحَ لحنُ صريرِهِ
الشعر كنت أميرَهُ وسميرَهُ ... فمن المسامرُ بعد فَقْد سميرِهِ
حرّرته من رِقّ كلّ تصنّعٍ ... فبَدَتْ فنونُ الحسن فى تحريرِهِ
سخّرتَ من أوتاره ما لم يكنْ ... ليطيعَ غيركَ قطّ فى تسخيرِهِ
ولكم شَدَوْتَ بنغمة من بمّه ... ولكم صَدَحْتَ بنغمة من زيرِهِ
تمايل الأبدانُ فى إنشاده ... طَرَباً وليس يُملّ من تكريرِهِ

* * *

يا أهلَ مصر عزاءكم ، فمصابكم أمرٌ قضاهُ الله فى تقديرهِ
الشعر قد ثُلَّتْ بمصر عروشهُ بوفاة سيّدهِ وموت أميرهِ
عَلمَان من أعلامه كانا بهِ يتنازعان السَّبْقَ فى تحبيرهِ
لكليهما الهرَمان قد خشعا أسًى والنيل مدَّ أنينه بخريرهِ !

معروف الرصافى

أروع مرثية لشوقى

رثاؤه لوالدته

لانرى أنسبَ فى ختام شعر المراثى من نشر المرثية الفريدة التى فاضت بها شاعرية شوقى فى ندب والدته التى كان يحبها الى درجة العبادة ، وكأنه فى كثير من أبياتها يرثى نفسه ويبكى مآلَ الانسانية . وقد نظم الفقيدُ الكريمُ هذه المرثية الرائعة فى ظروفٍ مشجيةٍ حقّاً : وذلك على أثر اعلان الهدنة بينما كان يعلل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله وصحبه وفى مقدمتهم والدته الحبيبة . فما كاد يداعب هذا الأمل حتى وافاه البرق بنعى أحبّ الناس اليه ، فأثر هذا المصاب الجلل فى نفسه تأثيراً بليغاً ، وبعد ساعة كتب هذه المرثية الرائعة التى تحاشى مراجعتها ونشرها من فرط تأثره ، فبقيت مستورة بين أوراقه الخاصة .

* * *

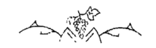
الى اللهِ أشكو مِنْ عوادي النوى سَهْمَا أصابَ سويداءَ الفؤاد وما أَصْمَى
من الهاتكاتِ القلبَ أولَ وهلةٍ وما داخلتْ لحماً ولا لامستْ عظما
توارد والناعى فأوجستُ رنةً كلاماً على سمعى وفى كبدى كلما
فما هتفا حتى نزا الجنبُ وانزوى فيا ويحَ جنبى كم يَسيلُ وكم يَدمَى
طوى الشرقَ نحو الغربِ والماءَ للثرى الىَّ ولم يركب بساطاً ولا يَمَّا

أبان ولم يَنْبُسْ ، وأدّى ولم يَفُه … وأدمى وما داوَى ، وأوهى وما رَمَّا
اذا طُويتْ بالشهبِ والدّهمِ شقّةٌ … طوى الشهبَ أو جابَ الغدافية الدّهما !
ولم أر كالاحداث سهماً اذا جرتْ … ولا كالليالى رامياً يُبعد المَرْمَى !
ولم أرَ حكماً كالمقادير نافذاً … ولا كلقاء الموت من بينها حَتْما
الى حيث آباء الفتى يَذهبُ الفتى … سبيلٌ يدين العالمون بها قِدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظل روحه … ولا الموت الا الروح فارقتْ الجسما
ولا خلدَ حتى تملأ الدهرَ حكمةً … على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو علْما
زجرتُ تصاريفَ الزمانِ فما يَقعْ … لىَ اليوم منها كان بالأمس لى وَهْما
وقدّرتُ (للنعمان) يوماً وضدّه … فما اغترّتْ البوسى ولا غرّتْ النعمى
شربتُ الاسى مصروفةً لو تعرضتْ … بأنفاسِها بالفم لم يستفق غمّا
فانزعْ وناولْ يازمانُ ! فانما … نديمُكَ (سقراطُ) الذى ابتدع السُّما !
قتلتُكَ حتى ما أبالى أدرتَ لى … بكأسك نجماً أم أدرتَ بها رَجْما !
لكِ الله من مطعونةٍ بقنا النوى … شهيدة حربٍ لم تقارفْ لها إثما
مدلهةٍ أركى من النار ظفرةً … وأنزه من دمع الحيا عبرةً سجما
سقاها بشيرى وهى تبكى صبابةً … فلم يقو مغناها على صوبه رسْما
أستْ جُرْحَها الانباءُ غيرَ رفيقةٍ … وكم نازعٍ سهماً فكان هو السهما !
تغارُ على الحىّ الفضائلُ والعلا … لما قبّلتْ منها وما ضمّت الحمّى !
أكانت تمنّاها وتهوى لقاءها … اذا هى ممّاها بذى الأرض مَنْ سمى؟!
ألمّتْ عليها واتّقتْ ثمراتها … فلما وُقوا الاسواءَ لم ترها دمّا
فيا حسرتا ألاّ تراهم أهلةً … اذا أقصر البدر التمام مضوا قدما
رياحين فى أنف الولىّ وما لها … عدوٌ تراهم فى معاطسه رغما
وألاّ يطوفوا خُشّعاً حولَ نعشها … ولا يُشبعوا الركن استلاماً ولا لثما
حلفتُ بما أسلفتِ فى المهد من يدٍ … وأوليتِ جثمانى من المنّة العظمى
وقبرٍ منوطٍ بالجلال مقلدٍ … تليدَ الخلال الكُثْر والطارفَ الجمّا
وبالغاديات الساقيات نزيله … من الصلوات الخمس والآىَ والاسما
لما كان لى فى الحرب رأىٌ ولا هوىً … ولا رمتُ هذا الشكلَ للناس واليتما
ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرقّ لى رضاً … فكيف رضائى أن يرى البشرَ الظلما؟!
ولم آلُ شبانَ البرية رقّةً … كأنّ ثمارَ القلب من ولدى ثمّا

وكنتُ على نهجٍ من الرأى واضحٍ ... أرى الناس صنفين : الذئابَ أو البُهْمَا
وما الحكم إلا فى أولى البأس دولة ... ولا العدل إلا حائط يعصم الحكما

* * *

نزلتُ رُبى الدنيا وجناتِ عدنِها ... فما وجدتْ نفسى لأنهارها طعما !
أريج أريجَ المسك فى عَرصاتها ... وان لم أرح « مروان » فيها ولا « لخما »
اذا ضحكتْ زهواً الىَّ سماؤها ... بكيتُ الندى فى الارض والبأسَ والحزْما
أطيفُ برسمٍ أو ألمُّ بدمنةٍ ... اخال القصورَ الزهرَ والغرَف الشُّمّا
فما برحتْ من خاطرى « مصرُ » ساعة ... ولا أنتِ فى ذى الدار زايلتِ لى وهْما
اذا جنّنى الليلُ اهتززتُ اليكما ... لجنحاً الى سعدى وجنحاً الى سلمى
فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى ... وأبصر فيه ذو البصيرة والأعمى
وقرّتْ سيوفُ الهند وارتكز القنا ... وأقلعتْ البلوى وأقشعتْ الغُمَّى
وحنَّتْ نواقيسٌ ورنَّت مآذنٌ ... ورفتّ وجوهُ الأرض تستقبل السّلما
أتى الدهرُ من دون الهناء ولم يزلْ ... ولوعاً ببنيان الرجاء اذا تمَّا !
اذا جال فى الأعيادِ حلّ نظامَها ... أو العُرسِ أبلى فى معالمه هَدْما
لئن فاتَ ما أمّلتِه من مُواكِبٍ ... فدونك هذا الحشدَ والموكبَ الضخما !
رثيتُ به ذاتَ التُّقى ونظمتُه ... لعنصره الازكى وجوهره الاسمى
نمتكِ مناجيبُ العلى ونميتها ... فلم تُلحَقى بنتاً ولم تسبقى أمّا
وكنتِ اذا هذى السماء تخايلتْ ... تواضعتِ لكنْ بعد ما فتِّها نجما !
أتيتِ به لم ينظمْ الشعرَ مثله ... وجئتِ لاخلاق الكرامِ به نظما
ولو نهضتْ عنه السماء ومخّضتْ ... به الارضُ كان المزنَ والتبرَ والكرْما !



كلمة ختامية

والآن نتأهَّب لتُلقي القلم بعد اشرافه على هذه الذكرى لفقيدنا العظيم ـ نلقية بشعور من الألم الدفين والتردّد الحزين ، والخاطرُ المكلومُ يردّد :

ليتَنِي ما خُلِقْتُ فى الناسِ حَتّى	لا أرى غايةَ العظائمِ مَوْتا
والجَنانَ الذى تألّقَ وَحْيا	بين عُمْرٍ مُقَيَّدٍ ليس يُحْيَا
والحكيمَ الذى يُناضِلُ جيلاً	ناصرَ العقلِ قد تَرَدَّى قتيلاَ
قَتَلَتْهُ الأيّامُ رغمَ انتباهٍ	رغمَ طبٍّ ورغمَ مالٍ وجاهٍ
وتُرِكْنا نرى (الحياةَ) السّخافهْ	ونرى (الموتَ) بَعْدَها كالخرافهْ !

ونُشفق على وجداننا من ثورة اليأس فنعود نتلمس العزاء فى صور من التفاؤل بمآل الانسانية ، وببقاء الجوهر دون العرض ، وبالذخيرة النفيسة من الأدب العالى التى تركتها لنا تلك المواهبُ العزيزة المفقودة . وننتهى أخيراً فى عجز وتعثر الى الايمان بأنّ الأثر هو ظلّ الأصل بل توأمهُ ، وأن خلودَه خلودٌ لمصدره ! وهكذا نصطنع العزاء ، ونعكف على دراسة هذا الأثر ، ونعتبر فى ذلك رمزَ الاكبار للفقيد الكريم ومعنى الاعتبار للأحياء .

وقد رأى مجلس (جمعية أبولو) أنّ فى هذه الدراسة تقديراً أجدَى مراراً من حفلات التأبين المألوفة ، وإنْ كان قد لبّى دعوةَ وزارة المعارف لاقامة حفلة تأبين شاملة باسم جميع الهيئات الأدبية ، واشترك فى تنظيم الحفلة وفى القيام بالتأبين ذاته بواسطة مندوبيه وفى مقدمتهم رئيس الجمعية ووكيلاها وسكرتيرها ، كما أخذت الجمعية تحت رعايتها حفلة طلبة الجامعه المصرية ، وبعثت بأعضائها من الشعراء لتعزيز غيرها من الحفلات التأبينية ، وهكذا قام الشعراء بواجبهم نحو الراحل العظيم منذ اللحظة الأولى لهذه الفجيعة المروعة . ولكن اهتمام الجمعية الأكبر دام موجّهاً الى واجب الذكرى الدراسية ، ولا نعد هذا العدد الخاص من (أبولو) الا تمهيداً له ما بعده من بحوث جليلةِ الشأن نؤثرها على المراثى الشعرية .

وقد رأى القرّاء أننا جعلنا مبدانا الشامل لتحقيق هذه الغاية روحَ الانصاف فما حجرنا على شىء اعتقدنا أن الاخلاص يمليه ، وسمحنا بنشر النقد الأدبى النزيه

حتى لا يعتبر هذا الأثر من قبيل المجاملات الواهية التى لها مناسباتها ثم تنقضى .

وعندنا أن مرثية رئيس تحرير « الجهاد » التى نُشرتْ يوم الوفاة من خير ماقيل فى تحديد واجب الناقد الأدبى . فقد كان مباحاً فى حياة الفقيد تناول شتّى العوامل المحيطة به حتى بعض ما يعتبر من العناصر الشخصية الخاصة ، ولكن جلّ هذا إن لم يكن كله مما يُتناسى بعد وفاته لأن الغرض الاصلاحى قد انتهى بوفاة الشاعر ، ولا يعبأ الناقد المنصف فى أغلب الأحوال بعد ذلك الاّ بالأثر الأدبى وحده وبالملابسات التى تفاعلت معه حقيقة وبينها طباع الشاعر وظروف بيئته التى كيفت شاعريته .

ومن الانصاف لمن يريد أن يضع شوقى بك موضعه من العبقرية أن يذكر حالة الشعر العربى حينما نبغت شاعرية الفقيد على حداثة سنه ، وحينئذ يقدّر جراءته فى مناحيه التجديدية . وتلك دراسةٌ يجب أن تقترن بآثار مطران فى ذلك العهد وهى آثار رائعة أشاد بقيمتها شوقى بك نفسه وقد كانا من أصفى الاصدقاء .

ونرى أن حياة الفقيد الرسمية لم تَحُلْ فى ذاتها دون قرضه الشعر العالى ، وإنما البيئة فى ذلك العهد لم تكن منبهةً للشعر الفنى الذى تجلّى أخيراً وحفز اليه الشعراء الشبانُ المثقفون تثقيفاً أوروبياً ، فسار الفقيد فى معظم الاحوال فى طليعة الحركة التجديدية إذ لم يكنْ يرضى أبداً أن يتخلّف عن أىّ نهضة حديثة ولو تردّد أولاً . ونعدّ أنّ التخلّى عن مركزه الرسمى وبأسهِ القديم لم يحرّره تحريراً فنياً فقد كان حراً دائماً من هذه الوجهة ، بل جعله يسعى لتعويض صولة الماضى عن طريق العظمة الفنية بانتاجه الوافر الممتاز ، فكان له فى ذلك عزاء خاصٌ الى جانب استمتاعه الفنّى ، وهو تطوّر لا بدّ أن يؤمّن عليه خاصة الأدباء النقّاد وكل باحث نفسانى دقيق .

ولعلّ أظهرَ ميزةٍ لشعر شوقى حلاوته الساحرة ، وعندنا أنه لو لم يكن شاعراً لكان موسيقياً ، فهو بفطرته طروبُ النفس موسيقىُّ الرّوح ، فلا عجب إنْ سحرَ بأنغامه العالمَ العربىّ بأسره حتى فى المواقف التى قد لا تبلغ فيها جودة شعره الدرجة المعهودة منه وحتى فى نماذج شعره التقليدى الذى تتراءى فيه معانى المتقدمين وأخيلتهم أو المعانى السائرة فى عصره .

هذا هو مفتاح الاعجاز فى شعر شوقى — هو موسيقيته الفريدة النابعة من حسٍّ رقيق وطبعٍ مصقول . وهى التى خلبت الألباب و كان من ردّ فعلها أن

نشأت مدرسةٌ محافظة كادت تكفر بالمعانى الشعرية الرائعة وبأسمى الشعر الفنّى وتجرى وراء الرنين الموسيقى وحده ، وهذا من العجب بمكان !

كان شوقى بك فى العهد الخديوى ذا نفوذ عظيم وكانت البواعث للشعر الفنّى محدودة جداً كما ذكرنا ، فلما دال ذلك العهد وذاق شوقى بك مرارة النفى — وإن كان قد رحّب به أولا فراراً من الجوّ السياسى الموبوء — وهى مرارة حدّثنا عنها شخصياً فيما بعد وألمع اليها فى شعره الأندلسى ، لم يكن له عزاء الاّ فى الانهماك الأدبى ، وهذا سر انتاجه الأخير الذى نما وتضاعف بحافز المنافسة الأدبية التى قويت فى العهد الحديث وانزوى أمامها غيرُ واحدٍ من مشهورى شعرائنا المحافظين الذين نبهوا فى الجيل السابق . وكما أنّ الأمير مؤمَّر على رعاياه جميعاً فكذلك كانت نفسية شوقى بك تنزع الى أن يضرب فى كل باب من أبواب الشعر بسهم ، فكان شاعر النهضة العربية وشاعر الاسلام وشاعر الوطنية وشاعر الفنون الوصفية وشاعر الحب والأغانى الخ . حتى يشمل انتاجه جميعَ ميادين الشعر أو ما يُظَنّ أنها ميادين الشعر ، وهو مدين بهذه الروح لنشأته الرسمية وفى سبيلها لبث يكافح الى آخر لحظة من حياته . وقد حدثنا رئيس تحرير «الأهرام» عن شوقى بك فقال آسفاً إنه ما كان ينبغى له أن يعمل فى أواخر عمره ، ونسب الى هذا المجهود العنيف تدهور صحته أخيراً . ولكنْ بغضّ النظر عن الأسباب الطبيعية التى آلت الى إعيائه — وفى مقدمتها انهماكه فى التدخين حتى وهو فى مرض الموت — فاننا لا ندرى كيف كان من المستطاع لذهنٍ وقّادٍ كذهن شوقى أن يقنع بالهمود اذا كان فى طاقته أن يشتعل ويضىء .

ومما لا جدال فيه أن شاعرنا العظيم أجاد إجادةً فذّةً فى اكثر من ضرب من ضروب الشعر ولا سيما فى الشعر الوصفى والشعر التاريخى الذى ينقلك الى قرون خلت فتعيش بين أهلها الأحياء ، وما نشك لحظة ان جاهه ونفوذه ساعداه كثيراً على احياء اسمه وصيته ، ولولا هذا الجاه والنفوذ لما ظهرت له رواية تمثيلية واحدة على خشبة المسرح نظراً لجمود مسارحنا المصرية . وقد عيب عليه أن رواياته لا يتجلّى فيها فنّ التمثيل ، ولكنّ العائبين أو معظمهم لا ينكرون أنّ شعره فى نفس هذه الروايات من أرقى الشعر العربى الحديث . وآيةُ العجبِ انّ شوقى فى شيخوخته أبى إباءً أن يسبقه الشبان الى أىّ انجابٍ جديدٍ لا يُساهم فيه ، فحفزه هذا الى وضع رواياته الشعرية التمثيلية وله من مطالعاته ومشاهداته ومن ذاكرته القوية كنز زاخر بالمرائى والتجاريب وأسرار اللغة يستمدّ منه العون . وكان فى أول الأمر ينزع الى الاوبرات ثم آثر

عليها الدرامات الشعرية ففتح الباب الذى أُغلق بوفاة المرحومين نجيب الحداد واسماعيل عاصم . ومهما يكن من شأن رواياته التمثيلية فلا نزاع فى أنها أتاحت له فرصاً بديعة لتصوير ألوان الحياة والموت أيضاً ، ذلك التصوير الخلاَّب الذى لم تفارقه سلاسته المعهودة ودقته الآسرة . ومَنْ ذا الذى لايتأثر بقول كليوباطرة الناعمة اليائسة وهى تتهيأ للانتحار :

يامَوْتُ طفْ بالرُّوحِ واسرقْها كما سرقَ الكرَى عينَ الخليِّ السالى
حتى أموتَ كما حييتُ كأننى بيتُ الخيال ودُميةُ المثَّالِ
وكأنَّ إغماضَ الجفونِ تَنَاعُسٌ وكأنَّ رَقدَتِىَ اضطجاعُ دلالِ

وهذه الابيات يقولها شيخ فى الستين من عمره ! هنا دقة التصوير وجراءة الخيال وحلاوة اللغة الفاتنة . وفى الحق أن شوقى كان فنَّاناً فى لغته ، ولو لم يجامل المحافظين ويسترضيهم بأساليب لغوية عتيقة أحياناً لما ارتفع صوتٌ بمؤاخذته . ومع هذا فقد طوَّع اللغة تطويعاً ببراعته فى مواقف شتى ، وكان طبعه الموسيقى يتغلب على التنافر الذى يعترضه فى معظم الأحوال . ولكنه حاول أن يرضى جميع المدارس الأدبية بمثل محاولته أن يكتسح جميع ميادين الشعر الجليل والصغير منها على السواء ، ولا نعتقد أنه أصاب بهـذا التصرف الذى لم يكن ليتفق مع طبيعته فكانت له من ورائه عثرات وسقطات . كذلك لا نراه على صواب فى مجاراة العامة بنظم الأغانى العاميه وإن سمت معانيها ، فقـد كانت هناك ندحة له عن ذلك وهو حارس لغـة القرآن والشاعر الذى تذوب عربيته السليمه رقة ويقبل عليها الجميع ، ولا نؤمن بأية دعوى عن ترقيته للأغانى فانه — طيب الله ثراه — لم يحـاول أن ينهض بالجماهير بل آثر أن ينزل الى مستواهم اللغوى ، ولو أنه حاول أن يسمو بهم لجاءت محاولته هذه قدوة الجيل ولا نساق خلفه كثيرون من مؤلفى الأغانى . أما الحال الآن فعكس ذلك تماماً ، وقد تجرأ تبعاً لذلك غير واحد من شعرائنا النابهين على وضع الأغانى العامية والمباهاة بها مادام شوقى قـد سبقهم الى مثل ذلك ، وكأنما لا شخصية لهم ! وهذه مؤاخذة ردّدناها على مسمع الفقيـد فى حياته وكان كلُّ دفاعه أنه أراد أن تكون الاغانى شعبية وأنه لم ينس نصيب العربية السليمة من شعر للغناء ، وقد نظم بناء على على هـذا النقد قصيدتيه الاخيرتين للآنسة ملك ، وكان فى وسعه أن ينظم شتى المواويل والأدوار العربية السليمة التى تصلح على مدى الزمن للعالم العربى بأسره

لا لعامة مصر وحدهم ، كما هو شأن رواياته الشعرية التمثيلية وما تضمنته من شعر بديع رائع جدير بأن يُستشهد به فى شتى المواقف .

فُـتِن شوقى بك بالتاريخ كما فُتن بالوصف التصويرىّ فكانت له بدافع هذا الميل روائع شعرية خالدة ، كما تجلّت شواهد التاريخ وعظاتُه فى الكثير من شعره وبينها ثلاث ملاحم فى وقت نسى الشعرُ العربىُّ الملحمةَ وتكييفها ، وهذه مفخرة له لا يجوز ان ينساها أىُّ مؤرخ . وفُـتن بالمتنبي عن طبع مشغوف بالحكمة وعن صفات مشتركة بينهما فكان متنبي عصره ، وإن ساقه الغلو التقريرى أحياناً الى نماذج من النظم لا هى فى الشعر الفنى الخالص ولا هى من شواهد الحكمة العميقة . مثال ذلك مطلع آخر قصيدة له :

المُلكُ بالمالِ والرجالِ لم يُبنَ مُـلكٌ بغير مالِ

وحتى بيته المشهور :

وانما الأُمَمُ الاخـلاقُ مابَقِيتْ فانْ همو ذهَـبَتْ أخلاقُهمْ ذهبُوا

ليس من الشعر فى شىء ، وإن كانـ آيةً من الحكمة الساذجة . ولكنّ الشعر والحكمة تجتمعان فى مثل قول شوقى :

دقّـاتُ قلبِ المرء قائـلةٌ له إنّ الحيـاة دقائقٌ وثوانى

وقوله :

فما العبدُ إلاّ كالدخان وإنْ علا الى النجم منحطٌ الى الأرض سافل

وقوله :

ومنْ تبسمْ الدُّنيا اليه فيغترْ يَمت كقتيلِ الغيدِ بالبَسَماتِ !

وتوجد نماذج للحكم الشعرية أخرى نفيسة فى « شـوقياته » كما يوجد بجانبها غير قليلٍ من النظم الخبرى التقريرى الذى لا نعده من الفلسفة الشعرية فى شىء.

وما كان شوقى بك بطبيعته وبظروف بيئته الأولى الشاعر الاجتماعى ، ولكن بيئته الثانية بعد الحرب وتعلّقه الجديد بالجمهور خلق منه الشاعر الاجتماعى المؤثر فى ظروف جمّـةٍ ، وإن كان كثيراً ما تردّد وتحوّل بحكم اعتباراته السياسية الخاصة مما دعا الى مؤاخذته الشعرية . وعندنا أنه انتزع هذه المكانة انتزاعاً من حافظ ابراهيم بك ، لأن حافظ كانت تنقصه الوثبات القوية الأخّاذة والخيال الرائع المحبوب وقدرة التصوير الفنى المتجلية فى شعر شوقى مهما يكنْ من استجابة حافظ لعواطف الشعب

استجابة فطرية ، وهكذا تمّت لشوقى بك الفتوح فى ميادين متعدّدة حتى فى الميدان الذى كان من اختصاص منافسه الكبير الذى كاد يعتزل الشعر اعتزالاً قبل وفاته بزمن خلافاً لشوقى بك الذى أخذ يناضل عن صولجانه الى آخر رمق من حياته وكان يستفيد من النقد وإن امتعض منه دائماً .

وقد كان الفقيد العزيز مثالاً لوداعة النفس بين أصدقائه ومريديه — وداعة الأديب المهذّب ، وكان وفياً جداً لآله ، ولولا انه اعتاد ان يجعل شعره أساساً للصداقة والخصومة لشمل وفاؤه الجميع ولما كان هنالك تناقض غريب فى طباعه وفى أوصاف المؤرخين له . وكان بطبيعته يميل الى الإصغاء اكثر من ميله الى الكلام ولكننا ننكر أنه كان اعتياديّ الحديث ، اللهم إلا بين من لا تربطهم به وشائج الصداقة القوية فكان يضن ضناً بحديثه وبعلمه وأسراره . وقد كان حاضر الفكاهة سريع الخاطر حيثما لم يوجد مجالٌ للكلفة . زرناه قبيل وفاته بأربعة أيام وذكرنا له ان العدد الثانى من (أبولو) كان عاطلاً لأنه حرمه شِعرَهُ فابتسم وقال على الفور : وأنا كذلك كنت عاطلاً ! (يشير الى مرضه) . وعلاقاتنا الودية به التى ترجع الى أكثر من ربع قرن كانت فى ذاتها شفيعاً دائماً فى رفع أية كلفة بيننا ، وفى أخذ آرائه الصريحة الحكيمة فى شتى المسائل بغير تردد منه ، وفى مجابهته بنقدنا وان ساءه . نقول ذلك دفعاً لما سمعناه وقرأناه عن نزول حديثه دون المستوى المعتاد ، بعكس الحال لشعره الخالد . والحقيقة انّ حديثه على صورتين : منه ما يخصّ به صفوة خلصائه ، ومنه ما يقتصد فيه كثيراً بين زائريه ، وقد علمتْه تجاريب الايام أن يكون على حرص وحذر ، وهو بهذا الدافع أبى أن يدون مذكراته الشخصية كما اقترحنا عليه وكان بين أعذاره أن الناس ينفرون من الحق المؤلم وهو لا يريد أن يقول غير معتقده .

وفى هذا السجل التاريخى الأدبى المهدَى الى ذكراه لم يسعْ غير واحد من مريديه الأفاضل إلا أن يشير الى طبيعة الفقيد الكريم فى الحرص الشديد على مكانته الأدبية وكيف أن المتجرين بالأدب استغلوا هذه الطبيعة اسوأ استغلال ، وما زال نفر منهم الى الآن يريد ان يعلن عن نفسه على حساب الفقيد ويريد أن يتظاهر بانه ملكىٌّ أكثر من الملك ، ومن هذين الظرفين نشأت خصومات ومنافسات متعددة ما كان يجوز مطلقاً أن تنشأ لو أن الفقيد الكريم لم يحفل بشىء من ذلك ، فان

التاريخ خيرُ منصفٍ على مدى الزمن ، ولا يجوز للرجل العظيم أن يأبه لتحامل المتحاملين أو أن يستدرجه أيّ اعتبار لمنافسات غير مقبولة ، فلكل فنان طبيعته وآثاره وحسناته ، ومن خير الادب وكرامته أن يطلق لكل متفنن الحرية والتشجيع لانجاب أروع حسناته ، ومن غنم الادب ان نظفر بمجموع الحسنات لشتى الرجال .

وعلى هذا المبدأ السامى قامت (جمعية أبولو) التى توّج الفقيد العزيز مآثره برئاسته لها ومده يد التعاون الأخوى لاعضائها الشعراء ونقاد الشعر بعد أن كان مشهوراً بفرديته ، وكان هذا مبدأ تطور جديد عظيم الأثر فى الحياة الأدبية بمصر . ولذلك صدق سكرتير «جماعة الادب المصرى» حينما ذكر فى مقاله (ص ٢٧٨) إن فجيعة جمعية « أبولو » بفقده عظيمة فوق مصاب العالم العربى بأسره ، وقد سبقنا حضرته الى ملاحظات سديدة نوافقه على معظمها وربما عدنا الى بعضها فى المستقبل.

وكانت الصراحة سائدة فى هذه البيئة الشعرية العائلية حتى ان الفقيد الكريم لم يسؤه أخيراً أن يشدّد عليه فى التخلى عن شعر الحفلات والاكتفاء بالشعر الفنى وحده . وهذه صورة جدّ مختلفة عما شاع وذاع عنه فى سالف السنين .

وقد نوّه أستاذانا سعادة احمد زكى باشا وحضرة خليل مطران بك بوداعة المرحوم شوقى بك وظرفه وتجرّده عن الهجو فى شعره ، ولم يُنكرا فى الوقت ذاته أن حاشية الفقيد كانت مسؤولةً عن أقسى الحملات المغرضة على الكثيرين من الأدباء وعن اثارة حرب طاحنة ما كان يجب أن تثار مطلقاً فى بيئة تريد ان تخدم الأدب لوجه الأدب . فما علة ذلك وما تفسيره ؟ هذه نقطةٌ لن يفلت منها أىُّ مؤرخٍ نزيه . وعندنا ان الفقيد العزيز دمثُ الخلق بطبيعته ولكنه يتأثر ببيئته الى حد كبير (subjective) ، حتى أنك لتجد دائماً شعره متأثراً بآخر مطالعاته ومجالسه ونظراته ، وإن اصطبغ بموسيقيته أو بنزعةٍ لغويةٍ خاصةٍ أو نحو ذلك ، فكأنه مرآءٍ متعددة . وهذا لا ينافى فى الوقت ذاته ان عبقريته منبعثة من نفسه خلافاً لحافظ ابراهيم بك الذى كان مرآة فخمة لمشاعر أمته وكان نبوغه من وحى امته لا من ذاتيته هو ، وهو رأىُ أستاذنا مطران أيضاً . ويتصدّى للتأريخ الأدبى فى هذه الآونة مستمرين فى حملاتهم الغاشمة على المدارس الأدبية فى مصر وناشدين الشهرة الفانية على حساب الفقيد نفسُ المتملقين الذين أساءوا الى كرامة زملائه من الشعراء والأدباء بما اختطوه من خطةِ الملق له والانتقاص من زملائه وأنداده فى حياته . ولكن اليقظة الأدبية الأخيرة فى الجمهور أخذت تستنكر تصرّفهم هذا أشدّ الاستنكار

وأضعافَ استنكارها ذلك فى حياة الفقيد العزيز الذى يجب أن يتآلف الجميعُ حول ذكراه فى محبةٍ وتعاونٍ كما تجلّى ويتجلى ذلك فى (جمعية ابولو) .

واذا كان لانسانٍ أن يودّع الحياةَ قريراً على أكمل وأهنأ صورة ، فهكذا ودّعها شوقى بك بعد أن أدّى رسالته فى شتّى النواحى وترك من الذخائر الأدبية ما لاينال منه الفناء مهما طحنها النقد وغربلتها الأحداث وتلقفتها العوادى . وقد كان كفيلا لذكائه النادر وعبقريته الفذة باستبقاء مذهبه الشعرى وجهوده حيةً بحياته ولكن من المستبعد جداً أن ينشأ ندٌّ له يستطيع أن يقيم له علماً خفاقاً مثل علمه بعد ان تطوّرتْ المناحى والأذواق والأساليب الشعرية فى العهد الأخير تطوّراً عظيماً هزّ شوقى بك نفسه فلم يثبت قدميه إلا اتجاهه العظيم وكفاحه ومواهبه الساحرة . ففى ذمة التاريخ ما أنجبَ وما أبدعَ لخدمة الشعر والعالم العربى حتى رفعَ اسمَ مصر فى شتى الممالك الى جانب ما بلغه من الصيت الرفيع والشهرة الذائعة لنفسه . واذا كان لشعراء الشباب أن يستفيدوا من حياته العظيمة — وهو الواجب عليهم — فهذه الصحائف المتقدمة بمثابة تمهيد لذلك : فلهم أن يستفيدوا من عوامل التفوّق، وعليهم أن يتجنبوا دواعى المؤاخذة ، وما كان التفوق إلا فى خدمة الشعر للشعر وفى التعاون الفنى الباهر الكفيل باظهار أجمل المواهب وتساندها لرفعة هذا الفنّ الجميل .

جمعياتنا الادبية

سألنا غيرُ واحدٍ من القراء عن صلاتنا بالجمعيات الأدبية ومبلغ ارتباط (جمعية أبولو) بها ، لمناسبة ورود ذكر بعضها فى تأبين المغفور له شوقى بك . وجوابنا على ذلك أنها صلات حبية تعاونية ، وفيما عدا ذلك فجمعية أبولو مستقلة تمام الاستقلال ولها مهمتها الخاصة ألا وهى خدمة الشعر والشعراء . وأشهر هذه الجمعيات هى :—

(١) « رابطة الأدب الجديد » ومركزها العام ميدان حليم رقم ٥ بالقاهرة ، ولها فروع فى العواصم المصرية وفى عواصم العالم العربى . والغاية منها تنتهى الى غرضين أساسيين : التعاون الفكرى الأدبى والتآخى الاجتماعى، فهى جمعية أممية لها فوائدها الأدبية كما لها فوائدها الاجتماعية، وهى فى دائرة اختصاصها تشبه من بعض الوجوه حركة جمعيات الشبان المسيحيين .

(٢) « جماعة الأدب المصرى » ومركزها شارع المسافرخانة رقم ١٥ برأس التين باسكندرية وهى متخصصة لدراسة الأدب المصرى قديمه وحديثه بشتّى وسائل الدراسة،

وتسدّ بوجودها فراغا من وجهة منزعها الخاص الذى كان مهملا الى حدّ كبير .

(٣) « جماعة نشر الثقافة » ومركزها نقابة الموظفين بالاسكندرية . وهى هيئة تعمل للحركة التهذيبية العامة ولها معهد خاص باسم « معهد الثقافة » وتتناول بحوثها شتّى المعارف العامة والدراسات الأدبية . وغايتها تثقيف الجمهور ورفع مستوى التفكير الأدبى .

(٤) « جماعة الإسيست » (Les Essayistes) ومركزها شارع المناخ رقم ١٥ بالقاهرة . وهى ترمى الى نشر روائع الأدب العالمى وتبادل الثقافتين العربية والغربية ولا سيما الثقافة الفرنسية ، ولها مجلة ممتازة تصدر باللغة الفرنسية .

وجميع هذه الهيئات قامت وتقوم بواجبها خير قيام نحو فقيدىْ العربية والشعر العربى المغفور لهما محمد حافظ ابراهيم بك و أحمد شوقى بك ، فحق علينا التنويه فى هذا المقام بغيرة أعضائها الأفاضل وحرصهم على التآزر مع (جمعية أبولّو) فى خدمة الشعر وتقدير أعلامه .

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٩	٧	الأوئل	الأوائل
٣٢٣	١	اثنى عشر	اثنا عشر
٣٢٣	٢٣	المكال	الكامل
٣٢٩	٨	أن	كأن
٣٣٧	١٢	ربان	ريان
٣٤٠	٢٧	زئبراً	زئيراً
٣٤١	٢٢	للميك	للمليك
٣٨٣	٢٠	متى	منّى
٣٩٢	٢	يفكون	يفكونه
٤١٠	١٨	وبطوالع	وبتطويع
٤١٥	١٠	جاء	جاد
٤٣٣	٢٥	البغصاء	البغضاء
٤٣٦	٢	معجزت	معجزات

وربما فاتتنا أخطاء أخرى ومعظمها مما يسهل تقديره وادراكه ، ولكننا على أى حال نرحّب دائماً بمعاونة الادباء وحرصهم على الدقّة فى صفحات هذه المجلة .

أپولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

تنبيهات الادارة

(ابتداء من يناير سنة ١٩٣٣)

الاشتراكات

٣٠ قرشاً مصرياً فى مصر والسودان ، و ٥٠ قرشاً فى الامبراطورية البريطانية وأمريكا ، و ٤٠ قرشا للعالم العربى والممالك الاخرى تدفع مقدماً. ونظراً لتكبير حجم المجلة وزيادة تكاليف البريد لا يمكن تخفيض بدل هذا الاشتراك . وثمن العدد الواحد من المجلة خارج القطر المصرى إذا طلب من الادارة مباشرة خمسة وأربعون مليماً . والادارة غير مسؤولة عن ضياع الأعداد بالبريد .

الرسائل

تعنون الرسائل بعنوان إدارة المجلة بضاحية المطرية بالقاهرة . والادارة غير ملزمة برد المقالات والقصائد إذا لم تنشر . ولا يقبل للنشر إلا ما يُرسل خاصاً للمجلة.

توريد المجلة

(١) يمكن الحصول على هذه المجلة جملةً من الادارة بسعر النسخة ٢٠ مليماً إذا كان المطلوب مائة نسخة أو أكثر ، وبسعر ٢٥ مليماً إذا كان المشترى منها أقل من مائة نسخة وذلك خلاف أجرة البريد . ونظراً لازدياد حجم المجلة وازدياد تكاليفها بدرجة محسوسة تبعاً لذلك فلا يمكننا اجراء أى استثناء فى هذه الأسعار سواء داخل مصر أو خارجها .

(٢) تُضاف عند المحاسبة الى الأسعار السابقة أجرة البريد (كيفما كانت) الى البلاد الخارجية ، وهذه تختلف بين قطر وآخر كما تختلف بالنسبة لوزن المجلة فلا يمكن تعيينها هنا ، وإنما نذكرها فى الحساب الشهرى بعد كل رسالة .

(٣) ثمن المجلة فى مصر والسوان هو ٣٠ مليماً ، وفى الخارج يختلف الثمن بين قطر وآخر حسب رسوم البريد .

(٤) ليس للمجلة وكلاء للتحصيل ، وحيثما وُجد متعهدون لبيع المجلة وتوريدها فمعاملاتهم للجمهور قاصرة على ذلك وتحت مسؤوليتهم . وسننشر فى العدد الآتى أسماء المكاتب والمتعهدين والمحلات التجارية التى تتولى بيع المجلة .

(٥) يُتفق مع الادارة على التأمين إذا كان المطلوب من المجلة شهرياً عدداً كبيراً وهو فى المعتاد ما يوازى مطلوب شهرين مع اشتراط الحساب شهرياً .



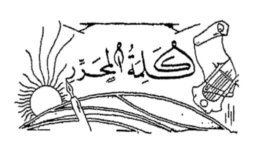
تراجم ودراسات

المراثى الشعرية





المجلد
الأول
العدد
الخامس
أپولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة فى كل شهر
يناير سنة ١٩٣٣
صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أحمد زكى أبوشادى
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
١١٩٦ زيتون
و ٤٠٤٥٦



لقد كان رزء العربيــة بفقد زعيمي شعرها الـكلاسيكي محمد حافظ ابراهيم بك وأحمد شوقى بك من أقسى الأحـداث فى تاريخها الأدبى . وقد تفجرت عيون الشعر بالرثاء الحار فى الاقطار العربية المختلفة كما تجمعت طائفة من الدراسات القيمة الموهوبة الى روحي الشاعرين العظيمين .

ولم يفت (جمعية أبولو) أن تقوم بالواجب الأدبي نحو ذكراها العزيزة ووقفت العدد الماضى من هذه المجلة على ذكرى المغفور له شوقى بك وهى تتمنى أن يساعدها أصدقاء المرحوم حافظ ابراهيم بك على إصدار نظير هذا العدد خاصاً بذكراه كذلك.

بيد أن ما أخرجته أقلام المؤرخين والنقــاد وما أوحت به خواطر الشعراء المتازين ـ غير ما نُشر فى مجلات وصحف خاصة كالمقتطف والهلال والملحق الأدبى لجريدة السياسة ـ يجمع صفوة رائعة من نماذج الأدب العصري لا يجوز إغفالها .

ولمـا كانت هــذه المجـلة متخصصة للشعر ونقده فهى أولى المجلات بتسجيل مختارات من هــذه النماذج التى سوف تصبح تاريخية بعـد حين . ولهذا رأينا أن نخصص جانباً من (أبولو) لنشر نخب منها فى هذا العدد وفى الأعداد التالية . وهى نُخب متنوعة الألوان لا نقول إن فيها الغث والسمين بل نقول إنها تمثل شتى الاذواق الفنية والصور . ونحن ننزه هذه المجلة دائمـاً عن نشر أي شيء غث فيها كيفما كان مصدره ويطيب لنا أن نرد على أى نقد معين يوجه الى ما ننشره ، ولـكننا نأبى أن تُقصَر المجلة على لونٍ واحدٍ من الأدب الشعرى خصوصاً فى دور الانتقال الحالى من النزعة الـكلاسيكية الى النزعة الرومانطيقية ، إذ يساعد نشرُ النماذج المختلفة على

المقارنة المفيدة وعلى التعرّف الى المدارس الشعرية المتنوّعة القائمة فى العالم العربى ، وهو تمهيد لابدّ منـه وعلى الاخصّ فى العام الأول من حياة هذه المجلة قبل أن يجتذب المجددون من أنصارها أعيانَ الشعر الى الوجهة الخاصـة التى تنطق بهـا مبادؤها وروحُها الفنية .

بقى علينا أن نذكر أنّنا تلقّينا الكثير من الشعر والدراسات وأن ما اخترناه منها للنشر وفير ، فازاء هذا الواقع نرجو من حضرات الشعراء والأدباء ألاّ يفسّروا التأخير الاضطرارى المؤقت فى نشر ما تجمع لدنيا من ذخائر أدبهم تفسيراً يخالف تقديرنا لمواهبهم وعرفاننا لعنايتهم بمؤازرتنا .



ذكرى شوقي

في ربى الخلد

قف في ربى الخُلْد واهتف باسم شاعره ... فسِدْرةُ المُنتهى أدنى منابرِه
وامسحْ جبينك بالركن الذي انبلجتْ ... أشعةُ الوحي شعراً من منائرِه
إلهةُ الشعرِ قامت عن ميامنِه ... وربّةُ النثر قامت عن مياسرِه
والحُورُ قصّتْ شذوراً من غدائرها ... وأرسلتْها بديلاً من ستائرِه
أترابُ مريمَ تلهو في خمائلِه ... ورهطُ جبريلَ يحبو في مقاصرِه
والملهمون بنو هوميرَ ما تركوا ... لمّا أهلَّ لهم سجْعاً لطائرِه!

***

قال الملائكُ: مَنْ هذا؟ فقيل لهم: ... هذا هوى الشرق، هذا ضوءُ ناظرِه
هذا الذي لمسَ الأرواحَ فانتظمتْ ... عِقداً من الحُبّ، سلكٌ من خواطرِه
هـذا الذي رفعَ الأهرامَ من أدبٍ ... وكان في تاجها أغلى جواهرِه
هـذا الذي لمسَ الآلامَ فابتسمتْ ... جراحُها ثم ذابتْ في محاجرِه
كم في ثغور العذارى من بوارقِه ... وفي جفونِ اليتامى من مواطرِه!

***

سلْ جنّةَ الخُلدِ كم ودّتْ أزاهرُها ... لو استحالتْ عبيراً في مجامرِه
وصادحَ الطير لو سالت حناجرُها ... مع الصباح نشيداً في مزاهرِه
والزهرَ لو كنّ أزراراً مفضّضةً ... على الذيولِ الضوافي من مآزرِه!

***

شوقي!.. سلْ الأفق هل ثارت عجاجتُه ... لمّا ثوى المتنبّي في حفائرِه
شوقي!.. سلوا البحرَ هل جُنّتْ عواصفُه ... لمّا كبا بابن سينا جدُّ عاثرِه
شوقي!.. سلوا الليلَ هل كانت كواكبُه ... لمّا قضى غيرَ شوكٍ في نواظرِه!؟

في مأتم الشعرِ والاقلامُ مطرقةٌ ... فانْ ارادتْه غُصَّتْ في محابرِه !

* * *

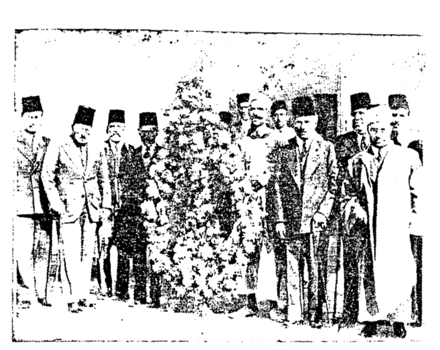
ما بلدةٌ سعدتْ بالنهر يغمرُها ... بكلِّ ازهرَ حالي العودِ ناضرِه
بالبلبلِ المتغنّي في ملاعبهِ ... والسنبل المتثنّي في غدائرِه
بالحقل ترعى به القطعانُ هائمةً ... والنحلُ يرضعُ من ثديَيْ ازاهرِه



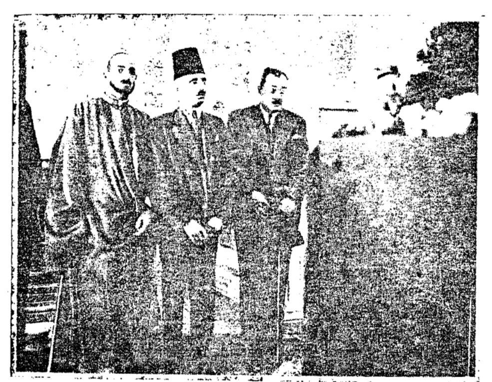
بشارة الخوري
(صاحب « البرق »)

يستقبل الفجرَ أهلوها بغُرَّتهِ ... ويُغرقون الليالي في سرائرِه
ناموا على سُرُرِ الاعراسِ ، وانتبهوا ... على صباحٍ بكيِّ الطرفِ غائرِه
على مأتمٍ من طيرٍ ومن شجرٍ ... خرساءَ كالقبرِ غرْقَى في دياجرِه
يالرزية !... غالَ النهرَ غائلةٌ ... وغارَ في لهَوَاتٍ من هواجرِه
فلا الصباحُ ضحوكٌ في شواطئهِ ... ولا المساءُ لعوبٌ في جزائرِه
وأسلم الزهرُ أجياداً مُنضّرةً ... للشوكِ جفَّتْ على دامي أظافرِه
والناسُ في غمرةٍ عمياء لا وترٌ ... لناشديهِ ، ولا نجمٌ لسامرِه
ما الخطبُ بالنهر مجرى الروح في بلدٍ ... فردٍ رقيقٍ حواشي الذكرِ دائرِه
كالخطبِ يذوي له كونٌ بجملتهِ ... اذا أصابَ الردى شعْباً بشاعرِه !

* * *



﴿ اكاليل العالم العربى ﴾
يضعه مندوبوه على قبر شوقى



﴿ على قبر شوقى ﴾
مندوبا لبنان (ابراهيم سليم نجار وبشارة الخورى)
ومعهما السيد محمد الغنيمى التفتازانى

ما للملاعبِ فى لُبنانَ مُقفرةً والمناهل عُطْلا من حرائرِهِ
وللمآذن فى الفَيحاء كاسفةً كخاشع السَّرْوِ فى داجى مقابرهِ
وللأصائل والأسحار أثخنَها عاتٍ من الريح إرهاقاً بحافرهِ
وللجداولِ أناتٌ مُجرَّحةٌ كأنها حَمَلٌ فى كفِّ ناحرهِ
وللندى فى الثرى جَهشٌ ووَسْوَسةٌ كأنها هَمَساتٌ فى ضمائرهِ
أودى القريضُ فللأحزانِ ما لبستْ على سليلِ الدرارى مِن عباقرهِ

* * *

تَغرَّب الحُسْنُ والاحسانُ فالتمسا وجهاً من الأرض هشّاشاً لزائرهِ
لا يستوى المجدُ الا فى مفارقهِ ولا يصفّق الا فى ضفائرهِ
ما غادرا بلداً الاّ الى بلدٍ والحَرُّ يُلهبُ مِن خدَّىْ مُسافرهِ
حتى أطلاّ على مصرٍ فراعهما ما زخرَفَ النيلُ من إبداعِ ساحرهِ
فألقيا بعصا الترحالِ واعتصما بضفتيهِ وهاما فى حواضرهِ
فأُطعِمَ الجودُ من كَفّىْ قساورهِ وأُشرِبَ الحسنُ من عَينىْ جآذرهِ!

* * *

يا مصرُ ما انفتحت عينٌ على حسَنٍ الا وأطلعتِ ألفاً من نظائرهِ
ولا تفتّقتْ الأفكارُ عن أدبٍ الا وأنبَتِّ روضاً من بواكرهِ
لبنانُ يا مصرُ مِصرٌ فى مآتمهِ كما علمتِ، ومِصرٌ فى بشائرهِ
هل كان قلبُكِ الاّ فى جوانحهِ أو كان دمعُكِ الاّ فى محاجرهِ
أو كان مَنْبِتُ مصرٍ غيرَ مَنْبِتهِ أو كان شاعرُ مصرٍ غيرَ شاعرهِ؟!

* * *

شوقى! أتذكرُ إذْ «عاليه» موعدُنا نِمْنا وما نامَ دهرٌ عن مَقادرهِ
وإذْ طلعتَ علينا أصفراً وَجِلاً كالنجمِ خلْفَ رقيقٍ من ستائرهِ
ونحنُ حولك عُكّافٌ على صنمٍ فى الجاهليةِ ماضى البطش قاهرهِ
وأنت تحت يد الآسى ورأفتهِ وبين كل ضعيف القلبِ خائرهِ
ولابتسامتِك الصفراء رَجْفَتُها فى مثلها من كليل الطرفِ حائرهِ؟
سألتنيهِ رثاءً... خُذْهُ من كبدى! لا يُؤخذُ الشيءُ إلاّ من مصادرهِ

* * *

قيثارةَ النيلِ كم غنّيْت قافيةً في مسمع الدهر مَسراها وخاطرِهِ
لو عاد فِرْعونُ كانت من ذخائرِهِ أو خُتِّم الخلدُ كانت في خناصرِهِ
لكنْ ربِّكَ لم يُؤْثِر بها أحداً سوى (فؤادِ) عمادِ الملك ناصرِهِ
إرثٌ لفاروق صان الله مهجتَهُ وطائرٌ كم حكى عن سعد طائرِهِ .

بشارة الخوري
(الأخطل الصغير)

شاعر الدنيا

لا الأمس يسلبك الخلودَ ولا الغدُ هيهات انت على الزمان مخلَّدُ
تتجدد الدنيا وقلبك وحده دنيا تعيد شبابها وتجدّد
لك من خيالك عالم متناسق بهج تنمق خلقه وتجوّد
أما البسيطة فهى فيه خميلة ولع الربيعُ بها ورحت تغرد
وسكبت فى الانغام قلبك دمعة لا كالدموع ورحمة تتنهد
خلع الحياة على البلى فكأنه للبعث من قبل الأوان يمهد
قيس وليلى[1] بعد طول كراهما ثغر يرفُّ ووجنة تتورد
بعثا كعدهما القديم فمن رأى تلك العيون يجول فيها الأغيد!

* * *

فى كل قافية حياة تُجتلى ومُنًى تضوع وزفرة تترددُ
صور الجزيرة ما جلوت من العلا والحسن لا ما أوّلته الحسَّد
الحب والخِيمُ المنيفة والقرى ولبانة عند الكثيب وموعد
وسكينة الصحراء الاّ هازجاً طرباً يعيد حداءه ويردّد!

* * *

(١) اشارة الى رواية (مجنون ليلى) .

يا شـاعر الدنيا لقد أسكرتها ماذا تغنيها وماذا تنشد ؟!
خفَّت بزينتها اليك مشوقة سكرى تداعب كأسها وتعربد !
وجلت على الشعراء قبلك حسنها لـكن أراك شهدت ما لم يشهدوا
نظروا الى خير الوجود وحسنه شزراً كما نظر الضياءَ الأرمد
الزاهدين بها ولو كشفت لهم سرَّ الحياة المشتهى لم يزهدوا
أطريت فتنتها فدع فى غيه من راح يعذل حسنها ويفند
العبقرية شعلة من نارها حمراء ناضرة اللظى تتوقد
والشعر والنغم الشهى ورحمة تسع الوجود ونقمة تتوعد
يا فتنة الدنيا يذمك معشر والخير كل الخير فى أن يحمدوا
ألهبْ نبوغك بالحيـاة وحبها وانا الضمين بانه لا يخمد
الـكنز بين يديك فانثر دره انى أراه يزيد حين يُبدَّد !

* * *

يا شـاعر الدنيا نديُّك حافل والجمع مصغ والمواكب حشد
يتنظرون السحر منْ جباره هيهات دون السحر باب موصد
يُشكى اليك وانت رهن منية وتزار فى عنت الخطوب وتقصد
ولقد يرجّى السيف وهو مثلم ولقد يهاب الليث وهو مصفد
فاذهبْ كما ذهب الربيع على الربى منه يدٌ وعلى النفوس له يد
ولك الامارة فى البيان يقرها امس الزمان ولا يضيق بها الغد
يعلى ابو الفاروق من بنيانها ويصون عرة ملكها ويؤيد

محمد سليمان الاحمر

(بدوي الجبل)



الفلسفة فى شعر شوقى

للدكتور منصور فهمى
استاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية

حرصت الفلسفة فى مختلف ادوارها ونواحيها على ذلك المعنى السامى الذى أسماه شوقى « عبقرية الطبيعة » واراد به الجمال . وقد تغلغل هـذا المعنى فى شعره منذ تغنى به الى ان نزل بشاعرنا القضاء المحتوم .

فمنذ القديم عنيت الفلسفة بجمال الأفكار ونسقها، وعنيت بجمال العمل وخيريّته ، وعنيت بتذوق الجمال فى الوجود الظاهر ، وعنيت بدقائق الحركة النفسية ورشاقة النفس فى تجمعها وتركزها وامتدادها وانبساطها لتتصل بعالمى الباطن والظاهر ، ولتشرف تارة على روعة الغيب وتارة أخرى على جمال النواميس .

ومنذ القديم حرصت الفلسفة على ان تلم باشتات العـلم ، وان تتلمس مختلف المعارف لتردّ ذلك المجموع الى اصـول تحصر وكليات تمتلك . وقد يكون فى ذلك الحرص دليل على ان الافهام تتطلع الى تخليص معانى الوحـدة المضيئة من غيوم الـكثرة المتلبدة .

ولقد كان شوقى حريصاً على أن يجمع فى شعره الحـكيم الكليات السامية التى كانت تخلص له من جزئيات العلم ، وتحقيقات التاريخ ، وعبر الحياة الاجتماعية ودقائق حوال النفس. فكان يقول: «ان الشعر ابن ابوين ـ التاريخ والطبيعة» وكان يقول:

والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيعٌ واوزانُ

وعلى اساس النزعة الفلسفية من التوجُّـه الى الكليات ، وعلى هـذا النحو من تحديده الشعر ، بث شوقى فى تشبيهه ، ووصفه ، واجتماعياته ، وزهادته ، وتدينه ، وتأثره ، كلّ الأصول التى تتكشف عن الجمـال فى روعته ، والحكمة فى سـلطانها ، والفلسفة فى روحها ، ـــ والشواهد على ذلك كثيرة .

* * *

ومنذ القديم راضت الفلسفة اهلها على عادات من التواضع العلمي له اساليبه حتى ان الجزم والقطع اكره الى اكثرهم من التردد والحيرة ، وبخاصة اذا استطالت اذهانهم الى اعقد المسائل : كالنفس ، والموت ، والحياة ، والحقيقة ، والحكم على قيم الأمور .



الدكتور منصور فهمي

وقد يبدو ذلك التواضع العلمي ويلوح ذلك التحير العقلي فى شعر شوقى عن هذه المسائل فيقدر مشاق البحث ويعلن العجز عن الوصول الى ادراك تلك الاسرار . ويظهر ذلك فى مخاطبته للنفس إذ يقول :

ضُمّي قناعك يا سعادُ او ارفعي هذي المحاسن ما خُلقن لبرقع
الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال وبُعدُ شأوِ المطلع

* * *

ذهب « ابن سينا » لم يفز بك ساعة وتولت الحكماء لم تتمتع
هذا مقام كل عز دونه شمس النهار بمثله لم تطمع
ما بال « احمد » عَيَّ عنك بيانه بل ما « لعيسى » لم يقل او يدّعِ

واذا مست عبقريته مسألة الموت تحتضن الحـيرة شعره وترضعه روعة ووداعة وتسليماً فيقول :

في الموت ما أعيـا وفي اسبابه كلُّ امرئٍ رهن بطي كتابه

وكذلك يقول :

يا صاحب العصر الخالي ألا خـبرٌ عن عالم الموت يرويه الألبّـاء ؟
أمّا الحياة فأمر قد وصفت لنـا فهل لمـا بعـد تمثيل وإدناء ؟
بمن أماتك قل لي : كيف جمجمة غـبراء في ظلمات الارض جوفاء ؟

وعند ما يتحدث عن سر الحياة فيما نقرأ له من نثر أو شعر تتحدث معه الحيرة الفلسفية في قلق وصفاء فيقول في الحياة : « قل لمن اطال التفكير ، وبالغ في النكير ، وكدَّ باله ، ومدَّ بلباله ، واحترق احتراق الذبالة :

خلِّ اهتمامَك ناحيةً وخذ الحياة كما هِيَهْ ! »

كذلك يقول : « الحق ان افتئات الفلسفة على ضنائن الله سفه . وان علم الحياة عند الذي يهبها ويستردها ، والذي يقصرها ويمدها ، والذي يخلقها ويستجدُّهـا ، والذي كل حي سواه يموت ، وكل شيء ما خلاه يفوت » .

ويقول عند ما يفكر في كنه الحقيقة : « أتينا العناصر من عنصرها ، ورددنا الجواهر الى جوهرها . اطرحنا فاسترحنا ، وسلمنا فسلمنا ، وآمنا فأمنا . وما الفرق بيننا وبينك الا انك قد عجزت فقلت : سر من الاسرار ، وعجزنا نحن فقلنا : الله وراء كل ستار ! »

واذا نظر شوقي الى مسافة تقدير القيم وهي من اهم مسائل الفلسـفة الحديثـة يبدو تحيره فيما تواضع الناس على رفع قيمته حتى أن عواطفه وتفكيره قد تشككه احياناً في قيمة العلم ومظاهره فيقول :

فأفٍّ على العـلم الذي تدّعونه اذا كان في علم النفوس رداها !

ويقول : « لو طلب الى الناس ان يحذفوا اللهو وفضـول القول من كلامهم لـكاد السكوت في مجالسهم يحل محل الكلام ! ولو طلب اليهم ان ينقوا مكاتبهم من تافه الـكتب وعقيمها ، وألاّ يدخروا فيها الا القيم العبقري من الاسفار ، لما بقي لهم من كل ألف رق الا رق ! »

على ان لا هل الفلسفة اكثر من اسلوب فى استعراض مسائل الكون والحياة وفهمها : فنهم من يستخدم عقله الخالص فى شدته وعنفوانه لينظر الى الأمور من جهة الواقع المستقل عن العقل ووجوده . ومنهم من يستخدم قوى نفسه جميعاً بما تشمله نفسه من حدة الحساسية ودقة التفكير ولطف الوجدان لينظر الى الامور نظرة تنطبع عليها مسحته النفسية ويربط بين ادراك الامور وبين حدة حساسيته ولطف وجدانه . وقد يبدو للناظر ان هذا الصنف من النظر موضع للتناقض ، ولكن لو أنصف الناظر لرأى ان للعقل الخالص الجبار اسلوبه الخاص الصالح ، وللنفس الحساسة اسلوبها المميز الكريم : فمنطق العقل الخالص يتحاشى التناقض ومظاهره ، وأما منطق النفس والعاطفة فيسير مترنحاً طروباً ويبدو مضطرباً ولكنه بالرغم من مظاهر الاضطراب فنصيبه التوفيق والصواب . وفلاسفة هذا الاسلوب الثانى انما يدركون الحياة وآثارها النفسية فى صورها المتغيرة بتغير شؤونها وثقافاتها وحضاراتها .

وكان شوقى كهؤلاء الفلاسفة يحسّ بجمال الوجود والحياة المنبث فى نواحى متقابلة فيخيل للرائى أن ثم تناقضاً حيث لا تناقض .

فقد تسمعه يترنم بنغمة المسالم المستسلم الذى يدع الامور لتصاريف الزمان فيقول :

فدعْ كلَّ طاغيــة للرما ن فان الزمان يقيم الصَّعَرْ

وقد تسمعه فى نغمة المستأسد فيقول :

يا طيرُ والامثالُ تُضـ ـرَبُ للبيب الامثـلِ
دنيـاك من عاداتها ألاَّ تكون لاعـزلِ
جُعلت لحرٍّ يُبتـلى فى ذى الحيـاة ويَبتلى
يُرمى ويَرمى فى جها د العيش غيرَ مغفل
مستجمعٌ كالليث إن يجهل عليه يجهـل

وقد نجد شوقى لايترفق بمن ينكرون قديمهم فيقول :

لا تحذُ حذوَ عصابةٍ مفتونة يجدون كل قديم شىء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا من مات من آبائهم او عمَّرا !

ثم يقول من ناحية أخرى ليحضّ بشتى الاساليب على السبق الى التجديد :

قلْ للشباب زمانكم متحركٌ هل تأخذون القسط من دورانهِ ؟

ويقول :

مصرُ تجدّد مجدَها . بنسائها المتجددات
النافرات من الجمو د كأنه شبح المماتِ !

وشوقي يجهر بلذائذ الحياة ونعيمها فيقول :

روّحوا القلبَ بلذّات الصبا فكفى الشيب مجالا للكدرْ
فصبا الخلد كثيرٌ دائم وصبا الدنيا عزيز مختصرْ

وينشد للزهادة والصدّ عن الدنيا فيقول :

ليت شعرى الى مَ تقتتل النا سُ على ذى الدنيَّةِ الفتانهْ
عالم قُلَّبٌ واحلام خلقٍ يتبارى غباوةً وفطانهْ

ويقول على قبر نابليون :

يا كثيرَ الصيد للصيد العلا قمْ! تأملْ كيف صادتك المنون !
قمْ ترَ الدنيا كما غادرتها منزل الغدر وماء الخادعين

وشوقي يمجد المال ويعلى شأنه فيقول :

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يُبن ملك على جهل واقلالِ
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأياً لرأيٍ ، ومثقالا لمثقالِ

ثم يعارض ذلك بقوله :

ولم أر مثل جمع المال داءً ولا مثلَ البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوتُه وزنْها كما تزن الطعامَ أو الشرابا

وقد يترنم الشاعر الكبير بجمال القوة فيقول :

ولكن على الجيش ترقى البلادُ وبالعلمِ تنشد اركانَها

وقد يغرد للسلام فيقول :

« جبريلُ » أنت هُدى السما ء وانت برهانُ العنايهْ
أبسطْ جناحيْك اللتيـ ن هما الطهارةُ والهدايهْ
وزدْ « الهلال» من الكرا مةِ و« الصليبَ » من الرعايه
فهما لربك راية والحرب للشيطان رايه

* * *

يتبين جلياً مما قدمنا ان نفس شوقي الشاعر كانت تتوثب الى كل ما فى الوجود من متنوّع المعانى ، وكان يستفزها معنى الجمال حيث كان فى أيّها ، ومهما تعددت لديها سبله فقرارها عند الجمال ومرجعها اليه .

ومثل الشـاعر فى ذلك مثل الفيلسوف الذي ينفسح له افق الفروض والآراء فيتسع صـدره لمختلف المـذاهب وهو يشخص دائماً الى الحقيقة ، وكلاهما يحيره نسق الجمال ونسق الحق ، وكلاهما يرنو للوجود من أنبل ناحيتيه أو من ناحية واحدة : من ناحية ذلك النسق الواسع الابدي الازلى ، من ناحية الله .

إذن كان شوقى يشجى من كل نغمة : يشجى اذا هو انشد للزهد ، ويشجى اذ انشد للنعومة . يشجى اذا هو تغنى للحرب ، واذا هو تغنى للسلام . يشجى اذا هو حيا الغابر ، ويشجى اذا هو حيا الحاضر .

على اننا اذا ذكرنا موجزين عدة نواحٍ من شعر شوقى يبدو فيها معنى الجمـال ونزعاته الفلسفية ، فمن الحق ان نشير اشارة خاصة الى شعره الذى تبدو فيه معـانى الذكريات ، تلك المعانى التى تسمى عند الفلاسفة بالزمن النفسى . ولعلى لا أسرف اذا قلت إن مايتجلى منها فى شعر شوقي إنما هو صفوة من الشعر الانسانى يهتز له القلب لانه يفصح عن اخطر ما يضمر الزمان وعن اصفى ما يمكث من التاريخ :

قم ناج جلق وانشدْ رسم مَنْ بانوا ... مشتْ على الرسم احداثٌ وأزمانُ
هذا الاديم كتاب لا كفاء له ... رثّ الصحائف باقٍ منه عنوانُ

* * *

مررتُ بالمسجد المحزون اسأله : ... هل فى المصلى أو المحراب مروان ؟!
تغيَّر المسجدُ المحزونُ واختلفت ... على المنابر أحرارٌ وعبدانُ
فلا الأذان أذانٌ فى منارته ... اذا تعالى ، ولا الآذان آذانُ !

فنى ذمة الخلد انت ايهـا المتغنى بالجمال ! وفى ذمة الله ياشاعر الطبيعة والوصف والوجد والذكريات ! نذكرك وليت لنا مواهبك فى احياء الذكرى . نذكرك ذكر من قدرك واعجب بك وتذوق ودك الجميل وكان خليقاً بأن يقابل ذلك الود بتحية صادقة . نذكرك ونحن نوقن أن ما تركت من الذخائر الأدبية الخالدة ستظل متاعاً عزيزاً وأنساً للأجيال ومفخرة من مفاخر الشرق العربى ، فعلى روحك السلام !

شاعر الكون

شاعِرَ الكونِ عزَّ فيك عزائى   كيف مثلى يَفيكَ حقَّ الرثاء ؟!
انت أحرى بأن تُؤدَّى لك الرُّو   حُ فداءً إن صحَّ معنى الفداء
يا بنات القريض قد مات شوقى   قُمْنَ فاندُبْنَ نكبه الأُدباء
وأطِلْنَ البكاءَ دهراً طويلاً   ذا أوانُ النحيبِ والبُرَحاء
كم أعزَّ القريضَ إذْ حملَ الرا   يةَ فاعتزَّ جانبُ الشعراء

« • »

يا أميرَ البيانِ نظماً ونثراً   وسرىَّ الخيالِ خلفَ المرائى
لكَ روحٌ كم حلقتْ فى عُلاها   وصلت بيننا وبين السماء
لك وصفٌ يدقّ عن كل وصف   دونه الرسمُ غاية فى الجلاء
ومَعانٍ كأنها الوحىُ تولى   لرسول من نخبة الانبياء
فى فصيحِ الالفاظ تنظم كالدرّ   فيبدو القصيدُ جمَّ الرواء
وأناشيدُ فى المحافل سارت   كسير الرّياح فى الأجواء
كم تغنى بها (محمد)[1] حتى   لقبوه بها أميرَ الغناء
وأقاصيصُ للمسارح تبقى   أبدَ الدهر مُبْتَغَى كلّ راء
فى سبيل الخلود (شوقى) وقد كنـ   ـتَ بحق مخلد العظماء
كم نفحتَ العظيمَ منك رثاءً   فغدا بالرثاء فى الاحياء
روحُ عيسى فى روحك الحىّ تبدو   فتردّ الحياةَ بالإيماء !

« • »

أيها الشرقُ مات (شوقى) فرجِّعْ   نَغَم الحزن واحتفلْ بالبكاء
مات قلبٌ عليك فاضَ حنيناً   فانظمْ الدمعَ آيةً للوفاء
لك يا مصرُ كلَّ يومٍ مُصابٌ   فتى يأذن الأسى بانتهاء ؟
ما فرغنا من يوم (حافظ) حتى   مات (شوقى)... فياهول القضاء!

هاشم عبد الحى

---

(١) محمد عبد الوهاب الموسيقار الشهير.

نبي الشعر

جلَّ الالَـهُ (أبولّو) فى مراقيهِ وجلَّ من جبل (الأولمبِ[1]) كرسيه
وقُدِّسَتْ حكمةٌ فى الشعر مرسلةً جاءت منظمةً كالدرِّ من فيه
له التصرفُ فى وجدانِنا وله حقُّ التصرف أنَّى شاء يُزْجيه
إن شاءَ يُطربنا غَـنَّى فتلْبسُنا روحٌ من الوجد أو روحٌ من التِّيه
أو شاءَ يُحزننا فالعُودُ فى يده يُـبدِّلُ النَّـغْمَ أو يُرخى أواخيه[2]
فليس يلحقه عَتْبٌ على عمـلٍ باتت مشيئتُهُ فى الخلْق تُجريه !

* * *

بالأمس خَصَّ نبيَّ[3] الشعر مَرْتبةً واليومَ يَرفعهُ عنَّا ويُعليه
قد جاءَ منْ وطنِ الالهامِ يُبَـلِّغُنا رسالةَ الشِّعر فى أسمى مَعانيه
ويَمَّمَ (النيلَ) فاستوحى الحَمَامُ به روحَ الحيـاة على شدوٍ يغنّـيه
وبثَّ فى الزهرِ أنفاساً يُرَدِّدُها عند الصباح وَحُسناً فيه ما فيه
وهبَّ للبحرِ يُملى ما يُرَدِّدُه وأرسَلَ الريحَ تَروى عن أواذيه[4]
وفى جناح الدجى أرْسَى سكينَـته وعلَّمَ الغصْنَ صوتاً فى تثنيه !

* * *

تِـلكم جنودُ الهوَى تُوفى مُسَخَّرَةً ما كانَ يودِعُهُ فيها ويُوليهِ
الحبُّ باطنها ، والشعر مظهرها والكونُ مسرحُها أو ما تناجيه !

* * *

واليومَ أكمل ما أوحى الالَـهُ به وتلكَ دعوتُهُ فرضٌ يؤدّيهِ
مَن للحياةِ اذا غاضتْ يفجِّرها ؟ مَـن للشعور اذا ما مات يُحييه ؟
(أبولّو) أنت الذى ولَّـيْتَه علَماً فـكيف تأخذ منه ما تُوَلِّـيه ؟
هى الحياةُ تبدَّتْ فى دُجُنَّـتِها وضاعَ فى الكون صوتٌ لا يؤاتيه !

الخرطوم — (كلية غوردون) محمد عثمان محجوب

(١) جبل أولمبوس فى بلاد اليونان ، وكان يعتقد قدماؤهم ان قنه الجللة بالسحب مسكن الالـهة
(٢) أوتاره . (٣) شوق . (٤) امواجه .



﴿ قبر فقيد الغناء والتمثيل ﴾

المرحوم الشيخ سلامه حجازى

الذى أنشأه مريدوه ، وهو مثالٌ نبيلٌ لما ينبغى عمله لشوقى وحافظ ولغيرهما من أعلام الفن والأدب والعلم فى مصر





احمد شوقى بك

صورة المنتوحى الشارد اللبّ

أمير البيان

إحتفى التاريخُ بالسفرِ الجليلِ ... مرجعِ الآدابِ من جيلٍ لجيلِ
وارتقى الراحلُ شأواً خالداً ... قد بنى منزله قبل الرحيلِ؟!
يا أميرَ الشعرِ هل يأسى الذى ... ساهمَ الأبطالَ فى المجد الأثيلِ؟!
إنما الروعةُ فينا والأسى ... ما لنا نحو التأسّى من سبيلِ

« • »

بكت الضادُ ، فهل بارقة ... منكَ تهدينا الى الصبر الجميل؟
أم مضى العهدُ ودالت للبلى ... قوةٌ أوحتْ بياناً لرسولِ؟
إنه الموت تحدّى لغةً ... فى صميم القلب بالكَلْمِ الوبيلِ
فلحاً للموت مما آدنا ... ورثاءٌ لبيانٍ مستحيلِ

« • »

مبدعَ القصةِ فى الشعر وما ... كان فى الفصحى لها ضوءُ فتيلِ
نهضةٌ أجدتْ علينا مسرحاً ... عربيَّ اللفظِ والروحِ النبيلِ
تزدهى الآدابُ فى باقته ... بُدّلتْ فيها ازدهاراً بذبولِ

« • »

ذى (كلوبترا) وما أروعها ... لمحةُ الماضى وترجيعُ الهديلِ
أُنصفَ التاريخ فيها وامّحتْ ... لوثةُ الذام وارجافُ الدخيلِ
قد تلالا فى سناها أفقٌ ... زاهرُ المجدِ على العهد الطويلِ
صورةٌ من مصر فى نشوتها ... تبعث الأيامَ من وادٍ ظليلِ
شاهداها الشمسُ والنيلُ ، وما ... أصدق الأشهاد من شمسٍ ونيلِ
زهتْ الأولى على عرش (مِنا) ... وجرى الثانى بماءٍ سلسبيلِ
مجدُ العزةَ فيها والهوى ... والجنانَ الثّبْتَ فى الخطبِ المهيلِ
وترى الملكةَ فيها لبأةً ... تفتدى الوادى بايثارِ الأفولِ
(الحياة الحبُّ) من ألحانها ... متعةُ النفسِ وتأساءُ الخليلِ

وذِهِ (مجنونُ) ليلى أثرٌ ... من حياةِ البدوِ مقطوع المثيلِ
رام (قيس) قرب (ليلى) ومضى ... فى فنـاءٍ من هواها وذهولِ
يتلقّى الوحْىَ عن شيطانه ... فيجيدُ الوصفَ فى الشعر الذلولِ
يذكر (الغيلَ) وما أمتعه ... من لقاءٍ ورجاءٍ يوم (غيلِ)
يملأ البيدَ بها مقتحماً ... عادة القَوْمِ وَمرْعىً الأصولِ
وهى تجزيه عن الحبِّ هوى ... حازمَ العطفِ رحيماً بالعليلِ
لكنْ العرفُ وما أنتجه ... عبثُ المجنون من قالٍ وقيلِ
منعاها قربَ (قيسٍ) وقضت ... فى هواه وقضى بعد قليلِ
قطعةٌ رائعةٌ فى فنّها ... صورةُ البيد وعاداتُ القبيلِ
قد تلتها دررٌ منضودةٌ ... كنتَ فى إبداعها خيرَ كفيلِ

« • »

والأغانىٌّ التى هذّبْتَها ... برقيق اللفظ والمعْنى الجزيلِ
عزْفُ موسيقى وسحرٌ عجَبٌ ... وسموٌّ بقلوبٍ وعقولِ
يسلك (الليلُ) بها سيرته ... بين شدو الطير أو بين العويلِ
ها هنا شجوٌ وفى الدوح أسًى ... وهناك الوجد فى القلب الكليلِ
وعيونٌ ساهداتٌ فى الهوى ... وعيونٌ ساهياتٌ فى سدولِ
يلمحُ الفجر على هدأتها ... كبياضٍ لاح من طرف كحيلِ
فتوارى لوعة الليل الى ... أن توارى الشمس فى اليوم النزيلِ

« • »

وترى (البلبلَ حيرانَ) به ... شغفُ المفتونِ بالورد البليلِ
أسكرته منه أنفاسُ الرضا ... وسبتهُ حمرةُ الخدِّ الأسيلِ
يلعب الليلُ به من فَنَنٍ ... ناعس الطرف إلى فرعٍ نحيلِ
مال نحو الورد ما نبَّهَهُ ... وخزُ شوكٍ أو جراحاتُ نصولِ
هام بالقرب فغنَّى طرباً ... ثم ذاق الحتفَ فى دمع الذليل

« • »

خطواتٌ خالداتٌ قد نضتْ ... عن نواحي الفكرِ أثوابَ الخمولِ

وفنونٌ صعد الشعرُ بها ... وأصابتْ منكَ إرواءَ الغليلِ

« • »

تلك (شوقى) قـلةٌ من كثرةٍ ... وضئيلٌ عُـدَّ من ارثٍ جليلِ
ثروةٌ حافـلةٌ أودعتَها ... حكمةَ الدهر واصحـاحَ النقولِ
انتقيتَ الدرَّ فى جـوهرها ... وخلقتَ النَّبت فى الأرض المحولِ
فاسترحْ فى جنةٍ راضيةٍ ... بجوارِ الحـقِّ مكفولَ القبولِ

محمد فريد عبد القادر

عرش يتهدم

ثُلَّ عرشُ القريض من أركانِهْ ... وتخلى كسراه عن إيوانِهْ
وطوى الموتُ دولةً من بيانٍ ... لم يشدها الرشيدُ فى بغدانه
أيها الموت ! مَن نعيتَ ؟ رويداً ! ... كاد قلبي يكفُّ عن خفقانه !
حين قالوا : قضى أميرُ القوافى ... حل يوم الحســاب قبل أوانه !
لا روى النيل بعد شوقى حزيناً ... قلبه لا يسيل من أجفانه !

« • »

فُجِعَ الشعر بعده فى ابن حجرٍ ... وأصيب البيانُ فى سحبانِهْ
لا لعمرى ، ما بات ينصف شوقى ... من يرى السابقين من أقرانه
إن شوقى عنوانُ خير زمانٍ ... فاستبينوا الكتابَ من عنوانه
ما ونى فى خطاه بل سار يقفو ... عصرَه وهو آخذٌ بعنانه
وكذا الشاعر الأريب تراه ... صورةً حيةً لأهل زمانه

« • »

أمَّ الشرق أرهفت أذنيها   تستعيد الغناء من كروانه
قلْ لهم: قد رماه سهمُ المنايا   وهو يشدو فمال عن غصن بانه
بعد أن جاب شعرُه كلَّ أفق   وسرى كالنسيم فى سريانه
ربّ ركبٍ حدا به ، ربّ خدر   دار فيه على لســـان حسانه



محمود غنيم

ربّ تلميذ قد أكبَّ عليه   مثل اكبابه على قرآنه
هو نجوى الخلىّ إذ يتغنى   وهو سلوى الحزين فى أحزانه
هو ينبوع تستقى الوعظ منه   مثلما تستقيه من لقمانه

« ٥ »

جاء شوقى فوجَّه الشعر أنى   شاء كالفلكِ فى يدىْ ربانه
فكأنّ القريض كان عييّاً   وهو قد حلّ عقدةً من لسانه
ربّ حاكٍ أمدّه بأغانٍ   هى مثل النمير فى جريانه
كلما مرّت الشباة عليها   حنّ قلبى فذاب فى تحنانه
فكأن الفؤاد إذ ذاك طير   ذو جناحين ضل عن أغصانه
أتراه أقام فى كل قلب   فرأى ما استكنَّ من أشجانه ؟!
كم زمانٍ أعاده بعد طىٍّ   فكأنى أعيش فى ابّانه

لـكأنى بخيل قمبيز جاءت فأذلّت فرعونَ فى طغيانهْ
وبقيسٍ أمسى يهيم بليلى مع وحش الفلاة فى قيعانه
وكأنى بقيصر الروم صبّاً لاهياً بالغرام عن سلطانه
وكأنى أرى المماليك حولى وفتى عبس فوق ظهر حصانه !

« • »

يامحيطاً طغى على واصفيه فانثنوا غارقين فى طوفانهْ
قسماً ما توغلوا فيه لـكن هو بحرٌ مشوا على شطآنه !
مثلوا ساحليه للناس لـكنْ لم يغوصوا على يتيم جمانه
ليت شيطانه أفاض عليهم بعض إعجازه وسحر بيانه
فلقد كان حين يرثى دفيناً كاد يسرى الصدى الى آذانه !
ربَّ نجمٍ هوى فلما رثاه عاد من فوره الى دورانه !
فـكأنّ المسيح ينفخ فيه فتعود الحياة فى جثمانه !
قد تحدّى المصورين بما لم يستطعه مصوِّرٌ ببنانه
ببيان يصـوِّر الصمتَ والصو تَ وضوء الشهاب فى لمعانه
ويراع لو كان فى عهد موسى خاف من سحره على ثعبانه !
وخيال الى عطارد يسمو فيقصّ الأخبار عن سكّانه
ويجوب المحيط شـرقاً وغرباً ثم يروى للناس عن حيتانه
ويزيح الستار عن كل صدر فيرى ما انطوى على كتمانه
شاعر لم يقف بباب أمير آمـلاً أن يصيب من إحسانه
لايقول القريضَ زلفى ، ولـكنْ هـو فنٌ يُوحَى الى فنانه
لا رعى الله من يتاجر بالشعـ ـر ويرضى بالبخس من أثمانه
إنّ حرص الفتى على فنه من بعض حرص الفتى على إيمانه !

« • »

مات شوقى فنى سبيل المعـالى مهجةٌ قـد أسالهـا فى بيانِهْ
ليس شعراً ماليس ينحته الشا عـرُ نحتاً من قلبه وجَنانه
كلٌّ بيت لشاعر قطرة مـن دمـه قـد تدفقت من لسانه
مات شوقي وخـلدته القوافى فأطلّوا عليـه من ديوانه !

محمود غنيم

الفجيعة المخرسة

أحقاً رمى الموتُ فى مصرَ (شوقى)   فرُوِّعَ من موته كلُّ شَرْقِ ؟

لقد حُرِمَ الشعرُ قمريّه   فأظلم من نوره كلُّ أفق

فمن مُبْلِغٌ الشمسَ أن ضحاها   ثَوى فى سواد الثرى طىّ شقّ ؟

ومن مُبْلِغٌ الزّهْرَ أن سناها   عَرَتْهُ يد الموت رهناً بحَقّ ؟

إذا لَبَدَتْ فى غد قطعة   من الليل توفى عليها بحقّ

لقد كان (شوقى) يصوغ ضياها   ويُحْلِي به كل وجه وعنق

وينسج أبراده من سناها   تضىء على لابسٍ مستحقّ

وكم شاد (شوقى) عن الطير شعراً   وعن مِزْهرٍ ومثانٍ و « رقّ »

وكم صاغ شوقى من الزّهر نظماً   يهبّ أريجاً على كل أفق

يرى فى الطبيعة وجهَ جمالٍ   فيذكى على حسنه قلب عشق

وينظر فى الكون منظرَ حُكْمٍ   فيُخرج من صمتها آىَ نطق

ويبحث فى مصر عما اجتلاها   وعما ابتلاها ، فينمى ، ويُنقى

فأما عن الخُلق فهو رسولٌ   إلى الخُلق يصلحه أو يُرقّى

فكم صاح فى مصر (شوقى) ونادى   بأنّ عُلاها على ركنِ خُلْق

وحثّ على العلم فهو سراجٌ   وقاد إليه الشباب بحِذق

وأحيا لشبّانها نهضةً   وربى عليها الطباعَ برفق

وغذّى على الشعر ألبابَهم   فكانوا لنهضتها لُسْنَ صدق

فإن ذُكِرَ الشعرُ ألفيت (شوقى)   أميرَ القوافى جديراً بسَبْقٌ

فكم للأمير فرائدُ عينٌ   تفيض بحكم وفنٍّ وذوق

تقصّ حياة الأواخر شعراً   وتحكى سطور الأوالى بنَسْق

يشاطر (هوميرَ) نظمَ الحياة   فهذا بشقٍّ وذاك بشقّ

صدًى لفم الدهر فى الشرق ينعى   ويقضى فيُفنى ، ويُطرى فيبقى

فرائدُ لمّا يسعنى سوى أن   أشير إليها ، وذلك طوق

لعمركَ ما إن وفيتُ بشىءٍ   فلم يوفِ (شوقى) سوى شعر (شوقى)!

فرحات عبد الخالق

الشعر الفنى
فى نظم شوقى بك

يقول الفاضل على محمد البحراوى سكرتير (جماعة الأدب المصرى) فى مقاله هذا المنشور فى العدد الخاص من « أبولو » صفحة ٣٩٨ : « وأذكر أن صديقاً من الأدباء الممتازين كان واضح الاعجاب بالمعنى الذى تضمنه البيت الآتى الذى نظمه شوقى على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

لَبَّيْكِ ، منادٍ دعا ليلى فخفَّ له نشوانُ فى جنباتِ الصدر عربيدُ !

وكان الصديق يلقى البيت إلقاءً بديعاً فذكره لشوقى وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع . فاهتزَّ شوقى للبيت لدى سماعه اهتزازنا له وغاص فى لجَّةٍ من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظةً .. فلمّا انتبه وذكر السؤال بادر الى الجواب ولم يكن إلا كلمة واحدة : لا أدرى ! » قال الكاتب : « وهذا حقٌّ ، فان شوقى لم يكن يدرى كيف هبط هذا المعنى عليه ، فهو وحى العبقرية ! »

ثم أشار الكاتب الى مقالى الذى نشره « المقتطف » عن شوقى رحمه الله وزعم أنى وُفِّقتُ فى هذا المقال الى حدٍّ لم يكن يُنتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة... قال : « ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث : تلك هى اعجابه ببراعة شوقى فى استخراج المعانى وتوليدها من معانى غيره من الشعراء المتقدمين أو أخذه على شوقى عدم توفيقه الى ذلك » . ثم تفضل علينا حضرته بثناء عظيم هو أن نصيبنا من الروح الفنّية محدودٌ فى رأى حضرته ، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح . ثم زعم ان الشعر الفنّى لا يجرى عليه ما يجرى على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج ، الخ .

وكأن الكاتب يذهب الى مناقضتنا ويحتج ببيت شوقى الذى هبط عليه وحى العبقرية ، لأن هذا الوحى فى رأيه يجعل المواقف متشابهة فى الحياة . وأظنه لو سئل مثلاً على ذلك لقال : كما يتشابه الناسُ فى الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية ... فلا يقال إن أحداً قلّد أحداً فى ذلك !

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلتُ له إن شوقى لم يصدق فى قوله : « لا أدرى ! »

وإن الكاتب نفسه لم يصدق فى قوله : « وهذا حق فان شوقى لم يكن يدرى الخ... » ؟
ان شوقى كان يدرى تخدع سائله ، وانك أنت لم تدر تخدعتَ قراءك ، لأن ذلك المعنى الذى تقول إنه رائع وانه وحى العبقرية وهو قول شوقى :

لَيْلَى ، منادٍ دعا ليلى تخفّ له نشوانُ فى جنباتِ الصّدر عربيدُ !

هو بعينه قول المجنون :

دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما أطار بليلى طائراً كان فى صَدرِى !

وبيت المجنون أشد امتلاءً بالحسن وأبدع تصويراً للمعنى وأسلم فى عباراته من التكلف وأبعد عن التلفيق الذى يجعل القلب نشوان عربيداً كأنه ليس فى أضلاع صاحبه بل فى حانة بولاناكى ...!

وفى بيت شوقى غلطة نحوية يجب أن لا تخفى على أيّ أديب ؟

مصطفى صادق الرافعى

* * *

(سننشر مختارات أخرى من المراثى والدراسات فى العدد الآتى)





الناي المحترق

كم مرةٍ يا حبيبي ... والليلُ يَغشى البرايا
أهيم وحدى وما فى الـ ... ـظلام شاكٍ سوايا
أُصيِّر الدمعَ لحناً ... وأجعل الشعر نايا
ما أتعس الناىَ بين الـ ... ـمنى وبين المنايا !
أظلُّ اطلب منه ... سلوى تبلّ صدايا !
وهل يلبّى حطامٌ ... أشعلته بجوايا
النارُ توغل فيه ... والريحُ تذرو البقايا
مازال يشدو حزيناً ... مرجِّعاً شكوايا
مستعطفاً مَنْ طوينا ... على هواه الطوايا
حتى سرى لى خيالٌ ... عرفتُه فى صبايا
أدنو اليه وتدنو ... لثغرِهِ شفتاىَ
إذا بحلمٍ كذوب ... واستيقظتْ عيناىَ
ورُحتُ أُصغى وأُصغى ... لم أُلفِ إلاّ صدايا !

ابراهيم ناجي



الامل الطائح

أيها الهاوى الى وادى الفناء أملى المعسولُ فى واديكَ طاحْ
شدتُ صرحاً من تمنٍّ ورجاء فاذا صرحِىَ تذروه الرياحْ

* * *

كيف بالعيش اذا ضاع الأملْ ؟ اسبحى يا نفسُ فى لُججّ الخيالِ
لاتقولى «ليس» بلقولى «لعلْ» وتعالى نئد اليأسَ تعالى

* * *

لكأنّى قمتُ أجتاح الجبالْ أو تعلقتُ بأسباب القمرْ
أوطلبت الدفءَ فى قطب الشمالْ وافتقدتُ الشمس فى وقتالسحرْ!

* * *

لا لعمرى ! أنا ما رمتُ محالاَ غير أن الناس فى الدنيا طباعُ
كلفتنى بسطةُ العيش ابتذالاَ وأديم الوجه غالٍ لا يباعُ

* * *

ليس أغلى من إبائى فى يديَّا فليمدَّ الدهرُ للباقى يديْهِ
أنا لا أطلب غيرَ القوت شيّاً واذا ماعزَّ لا أبكى عليهِ

* * *

ها هو العالم من عينى قريبُ غير أنى لىَ دينٌ وهو دينْ
فكأنى فى الورى خلقٌ غريبُ أتُرانى لستُ من ماءٍ وطينْ ؟ !

محمود غنيم

قرة العين

يَهلُّ الوليـدُ مَـهَلَّ القمرْ فيجلو سناه ضياءَ البصرْ
لقَد كان فى الغيب ريْبَ أبيه فما بين أنثى وبين ذكرْ
وقد كان فى القلب حلوَ رجاءٍ فأصبح فى العين مجلى النظرْ
تجيش الأمانى على ذكره ويحلو على شفتيه السَّمَرْ
إذا صاح فى البيت هزَّ صداه جوانبَه كاهتزاز الشجرْ !
كأن صداه صدى العندليب إذا العندليب شدا فى السحرْ
يُهرِّج من غير ما كلفةٍ فيضحكُ غير الثغور الحجرْ !
فيجعل من بيته مسرحاً ففيه «الكوميديا» وفيه الصُّوَرْ[1]
فتلهو به الأمُّ حين الفراغ كَلَهْوِ الوليد بضرب الأكرْ
فلولاه كان الفراغ مريراً وكانت حياة البيوت أمَرّ
يروح أبوه وفى جيده حبالُ الرزايا عليه تزُرّ
فما هو إلا عناق لذيذ يحل عراها كحل الشَّعرْ
تذوب الهمومُ على قبلةٍ من الفم حلو اللمى والأشرْ
وتصفو الحياة على بسمةٍ تضىء دجى النفس إذْ تعتكرْ
وتذكو المحبة فى نظرةٍ من العين انسانها والحوَرْ
ولكنَّ — سبحان ربى — إذا حَبا الشَّهد فى النحل أعطى الابرْ !
فهذا الذى يستدرّ النعيمَ لأهليه يورى لهم بالشررْ !
اذا صحّ طفلك أصبح نفعاً وإن هو ضُرَّ فذاك الضررْ
فأنت الذى دونه قد غدا عليلاً اذا اعتلَّ منه ظُفُرْ !
إلى أن يُبلّ فأنت عليل وحتى ينام فأنت السَّهر !
تودّ لو أن الذى ساءه يسوؤك وهو صحيح يُسَرّ
ويا ربما كنت ذا شقوة وطفلك لا يستبين الخبرْ
وتؤثره بالذى كنتَ قد تضنّ به عن جميع البشرْ
تموت ليحيى ، وتشقى ليبقى سعيدَ الفؤاد قريرَ البصرْ
تريد الخلودَ برغم الردى فيحمل طفلك منك الأثرْ !

فرحات عبد الخالق

(١) يريد الصور المتحركة اى الخيالة « السينما ».

الآمال الخـــادعة

إنى أرى الآمالَ لوحةَ راسمٍ ... تُمْحَى فتُمْحِى صفحةُ الرسَّامِ
زَبَدٌ من الأمواج يعلو فى الدُّنا ... كالآلِ يبعـد باقتراب الظـامى
هاتِ الكئوسَ نَعُبُّ مما خبّأت ... ذكرى الشبابِ وخمرةَ الأحلامِ
فأصوغ مما أحتسى شعرَ الأسى ... وأردّد الأوزانَ من آلامى
وأسِحُّ بالدمعِ الثمّينِ ، وليس لى ... أملٌ سوى أملٍ يزيد سقامى !

حسن محمد محمود



فى القرية

أو

أبنـــاء الطبيعة

رونقٌ شـاع فى الثرى وعلى الـــرّوضةِ لطفٌ من السما مسكوبُ
ما أرقَّ الأصيلَ سال بشفّـا ... فِ شعاعٍ منه الفضاءُ الرحيب !
كلُّ شىء تحت السماء بلونٍ ... شـــفقىّ موردٌ مخضوب
وكأن الآفاق تحتضن الأر ... ض بآصالها اطار ذهيب
متّعْ العينَ ! انّ حسناً تراه الـ ... آنَ من بعد برهة منهوب
والذى يخلع الأصيـل على الأر ... ض بكفّ الدجى أخيذ سليب

منظر للحقول إذْ تشرق الشمـ ـسُ جميلٌ وإذْ يحين الغروب
ولقد هزّنى مسيلُ غديرٍ وعلى جانبيه روضٌ عشيب
يظهر الشيء ضـدّه وتجارى بسواها محاسنٌ وعيوب
وكذاك المرعى الخصيب يجلّـيـ ـه الى الناظرين مرعى جديبُ

« • »

ثم دبّ المساء تقدُمه الأطيا رُ مرعوبةً وريحٌ جنوبُ
وغناءٌ يتـلو غنـاءً ورعيا نُ بقطعانهم تضيق الدروب
يحبس العينَ لانتشار الدياجى فى السما منظرٌ لطيف مهيب
شـفقٌ رائع رويداً رويداً تحت جنحٍ من الظلام يذوب
وترى السحبَ طيةً تلو أخرى قد أجيد التنسيق والترتيب
وتراها وشعلةُ الشفق الأحـ ـمر تبدو اثناءها وتغيب
كرمادٍ خلاه وانزاح عنه قبسٌ وسط غابةٍ مشبوب !

« • »

ثم سدّ الأفقَ الدخانُ تعالى من بيوت للنار فيها شبوب
انه يبعث الفراهةَ والأنـ ـسَ لقلب الفلاّح حين يؤوب
يعرف اللقمة الهنيئة فى البيـــــت مجدٌّ طولَ النهار دؤوب
برهة ربثما انقضى سمرٌ تقْـ ـطرُ لطفاً أطرافُهُ وتطيب
واستقلّ السريرَ أو حرمةَ القـــــشّ يريد استراحةً متعوب
سكنت كلُّ ناقة واستقرّت واستفر الأسماع حتى الدبيب
واحتواهم كالموت نومٌ عميقٌ وتغشّاهمُو سكونٌ رهيب
ولقد تخرق الهدوء شويّاتٌ وديكٌ يدعو وديكٌ يجيب !
أو نداءاتُ حارسٍ وهو فى الـ أشباح يبـدو لعينه ما يريب
أو صدى طلقة يبيت عليها أحد الجانبين وهو حريب

« • »

ترك الزارعُ المزارعَ للـكلب فاضحى خلالهنّ يجوب
شامخٌ كالذى يناط به الحـــــكم ، له جيئة بها وذهوب !
انّ جهدَ الفلاح خفف عنه جهده فهو مستكنٌّ اديب

وهو فى الليل غيره الصبح وحش ... هائج ضيق الفؤاد غضوب
فاحص ظفره ونابيه ، أحلى ... ما لديه اظفاره والنيوب
انه عن رعاية الحقل مشؤو ... لٌ وفى ترك أمره معتوب
وكثيراً ما سره انه را ... ح جريحاً ورأسه مشجوب !
ليرى السيد الذى ناب عنه ... ان حيوانه شجاع اريب
ولكيلا يرى مسامحة منه ... فيختار غيره وينيب !

« • »

للقرويات عالم مستقل ... هو عن عالم سواه غريب
يتساوى غروبهم وركود النفـ ... ـس منهم ونجمهم والهبوب
كطيور السماء همهم الأو ... حد زرع يرعونه وحبوب
يلحظون الآفاق آناً فآناً ... ضحكهم طوع أمرها والقطوب !
أترى الجو هادئاً أم عصوفاً ... أتصوب السماء أم لا تصوب ؟
ان يوم الفلاح مهما اكتسى حسـ ... ـناً بغير الغيوم يوم عصيب
وهو بالغيم يخنق الأفق والقلـ ... ـب جميل فى عينه محبوب
للقرى روعة وللقرويـ ... ـين اذا صاب ارضهم شؤبوب
تبصر الكل ثم حتى الصبايا ... فوق سيماهم هناء وطيب
يفرح البيت انه سوف تمسى ... بقرات فيه وعنز حلوب !
ويرى الطفل ان حصته إذ ... يخصب الوالدان ثوب قشيب
اذكياء عيونهم تسبق الالسـ ... ـن عما ترومه وتجيب
والذى يستمد من عالم القر ... ية وحياً وعيشة للبيب
مطمئنون يحلمون بأن الـ ... ـخير والشر كله مكتوب
لا يطيرون من سرور ولا حز ... ن شعاعاً لانه محسوب !

محمد مهدى الجواهرى



وصف ممثل

مثَّل الوجدَ بيننا والشجونَا وأرانا من الحياةِ فنونَا
ودعانا ونحن شتَّى فسوَّت آيةٌ منه بيننا أجمعينا
فاذا الكلُّ هادئاً أو صخوباً واذا الكلُّ ضاحكاً أو حزينا
صُوَرٌ للزمان جدَّد منها فاستعارت من فنّهِ تلوينا



محمد طاهر الجبلاوى
(بريشة الفنان صلاح الدين طاهر)

ومعانٍ له تمثَّل فيها لم تغادر شعورَنا المكنونا
لستَ تدرى أمسرحٌ يستبينا أم حياة فى مسرح يحتوينا ؟!
وقفاتٌ له تملكتْ اللبَّ حسبنا الخيالَ فيها يقينا!

* * *

إيهِ يامنطقَ الفنونِ شهدنا بِدَعاً منك لم تزل تشجينَا

ووعينا خلائقا ودروساً تملأ النفس روعة وحنينا
فكأنّ الأيام بين يدينا ماثلات أحداثها والسنينا
وكأنّ القلوب ألقت قياداً لك فى ذلك المجال مكينا
صرخةُ المستجير فى الروع كدنا نترامى وراءها منجدينا
وأنينٌ أخذت فيه علينا سبلَ الحسّ فاستطبنا الأنينا
ذلك الشعر غير انى أراه يملأ السمعَ روحه والعيونا
رائحاً غادياً على مسرح والفنّ يبثُ الحياة كالسحر فينا ! !

محمد طاهر الجبلاوى

مسينا

(كما رأيتُهُ)

جبلٌ ثائرٌ يُطلّ على البحـ ـر كنسر يُطلُّ مِنْ عليائِه
قد رأيناه يستضىء من الفجـ ـر فيُلقى عليه بعض ضيائه !
تتراءى خــلاله لمعاتٌ كالشعاع الهشيم حين استوائه!
قـد جلوناه فى الصباح جميلا كيف يبدو لنا جمالُ مسائه ؟
عبرت ماءه « لا مارتينُ » تمشى فى هـدوء الخليج لا ضوضائِه

« • »

هى دنيا من الحياة وعيشٌ قـد ظفرنا بحُسنه وروائِه
قـد أتيحتْ لنا حظوظٌ فكنا أسبقَ الركب فى مراكب مائه
جبلٌ شامخٌ أطلّ على الأر ض وفاض الغمام فوق سمائه
يتعالى على البسيطة كبراً كتعالى العظيم فى كبريائه
أدركتنى على السفين حظوظٌ من سنا صبحه وطيب هوائه
وصفا جوُّه فكان كقلبى فى نقاء الهوى وحسن صفائِه !

اكستر — انجلترا   محمد عبد الغنى حسن



القلب الهائم

يامُوحِيَ الشعر جَمِّعْ مِنْ شوارده   قلبي ، فقد قسَّمته الرُّوحُ ألحانا
ووقَّعتْها على أوتارها نَغَماً   بدائعُ الكونِ حتى ذاب تحنانا
ومرَّتْ النسماتُ الهائماتُ به   على الحِمَى فلأنَّ الجوَّ آذانا !

« • »

يا مُوحِيَ الشعر ، قلبي طاف في كلمي   عوالماً ، فتلقَّتْ منهُ أوزانا
هي الحياةُ التي أرسلْتُها نَفَساً   يتلو سواهُ ... وكلٌّ ذاب أشجانا
فهل من الصعب أن يرتدَّ لي نَفَسي ؟   أو أن يُجَمَّعَ قلبي مثلما كانا ؟!

« • »

قلبٌ تفتح في عهد الربيع ولم   يغمضْ ليطبق منهُ اليأسُ أجفانا
صحا على الحب . . . ثم اهتزَّ مضطرباً   ساعاتِ حزنٍ ، ولكن طار جذلانا
وعاد يرسل شجواً مِن مشاعره   آناً . . . ويرسل شدواً مطرباً آنا
وصلَّ عن نفسه في عالم جَمَعتْ   أطرافُهُ من نواحي الأرض أوطانا
هيمان ، يبحث عن شيء يجاذبهُ . .   حتى مَ ياوَحْيُ يبقى القلبُ هَيْمانا ؟!
على جناحيْ خيالٍ ظلَّ مرتفعاً   في الجوِّ يحمل من دنياه ألوانا
تفرَّدَ القلبُ في أجوائه صُعُداً   ولم أزلْ أنا فوق الأرض حيرانا !
فهل يعود وفيهِ من عوالمها   ما يملأُ النفس إيماناً وسلوانا ؟
وهل يعود ولم تسلبْهُ رِحْلَتُه   بعضاً من الوَتَر الحسَّاس وجدانا ؟

« • »

يا مُوحِى الشعر ، ناجِ القلب انّ له ... لذاذة تتجلى فيه تبيانا
يلذّهُ أنْ تناديه وتنشدَه ... ما كان يسمع فى الأحلام أحيانا !

حسن كامل الصيرفى

مناجاة

يا مَنْ أتانى طيفهُ فى المنامْ ... يبدى لى الاعذارَ عن بُعدهِ
لكنّنى آلمتهُ بالملامْ ... إذ زاد طولُ النأى عن حدّه
اللهَ فى صب غدَا للسقامْ ... نهباً وطال السهدُ فى وجده
أينتْ عهودٌ للهوى والودادْ ... يا هاجرى فى بُعده النائى ؟
ألقاك فى الأحلام رغمَ البعادْ ... فاسمحْ بوصلٍ منك للرائى
يامن أراه دائماً فى الخيالْ ... محلقا فى وده الصافى
حتى اذا طالبتُه بالوصالْ ... ازداد هجراً رغم إلحافى
ومن غدتْ لقياه عينَ المحالْ ... ولم يرم فى النأى انصافى
هل من لقاء بعد هذا الجفاءْ ... فالنأىُ سيفٌ حدُّه مرهفْ
هل اغتدى فى الهجر رهنَ الشقاءْ ... وأنت نعم المشفقُ المنصفْ ؟
يا من له فى عقلىَ الباطنِ ... طيفٌ أراه دائماً فى المنامْ
لا تجفنى فى عيشىَ الآمنِ ... ولا تكنْ لى كالسحاب الجهامْ
يا حبذا لو صحّ يا فاتنى ... حُلمى وأضحى الودُّ رمز السلامْ
انْ كنت لا ألقاكِ ياهاجرى ... فى يقظتى فالنأىُ صعب أليمْ
هيهات أن أنساك من خاطرى ... وطيفك المحبوب بادٍ مقيمْ
يا مَن له فى القلب حبٌ عميقْ ... ومَن له فى الحسن وجه جميلْ
ومَن له كالرمح قدٌ رشيقْ ... ومَن له طبع كريم نبيلْ
ومَن له قلب رقيق شفيقْ ... هل من لقاء او وصال قليلْ ؟
يا ما لكا قلباً غدا فى التياعْ ... ولابساً تاجَ الهوى والعفافْ
إن كنتِ لا تبغى سوى الانقطاعْ ... عنى فحبى ليس فيه انحرافْ

متولى نجيب

لحد الحب

يا مهدَ الحب أيا مَهْدَهْ | أصبحتَ على زمن لحدَهْ !
وغدوتَ لذكراه طفلا | يجرى دمعى أبداً عندهْ
أقفرتَ مِن الآمال ومِن | نورٍ كمْ أذكرَنى عهدهْ
وجرى عمرى فى الحزن فما | أسطيع وقد ولّى ردَّهْ
وشبابى جذوتُه خمدتْ | لا كابدَ من شيبى بردهْ
يا مهدَ الحب أيا مهده | لم تُبقِ لنضرتنا جِدَّهْ
هل ترجع أيامٌ سلفت | أم هى ليست بالمرتدَّهْ ؟
وحبيبى يصدقنى وعدَهْ | فيها أو يخلفنى وعدهْ
والزهر يفتّح عن طرب | فالنحل جنى منه شهدهْ
ونسيم الصبح وبهجته | وغروب الشمس وما بعدهْ
أين الاحباب فانهمو | تركوا من يهواهم وحدهْ ؟
ومضت أيامٌ وفؤادى | ما ذاق بها الا وجده
وجرت دنيايَ بصحبتها | فلها خيلٌ ولها عُدَّهْ
ودفنتُ الحبَّ وأحزننى | يومٌ ابصرت به لحدهْ
ونسيتُ الحبَّ وبهجته | يا مهد الحب أيا مهدهْ !
لا بدَّ لمن ينساه العمر | له من يأسٍ لا بدَّهْ
ويئسنا من تلك الدنيا | مِن لينٍ فيها او شدَّهْ
وعرفناها إن أبصرنا | خيراً أبصرناها ضدهْ
متناقضةً لا يأمنها | إلاّ مَن سلبها رُشدَهْ !

عثمان حلمى

سراب الامل (١)

قد بكينا على هوًى وأمانٍ عالجتها الأقدارُ نشراً وطيّا
وأرى عالقَ الرّجاءِ بكفّيّ (م) هباءً ، لم أنلْ منه شيّا!
آهِ ... لو تغسلُ الدموعُ جراحاً آهِ ... لو ينفع البكاءُ شجيّا
لفّها الدّهرُ فى حنادس يأسٍ لا أرى للمُنى بصيصاً مُضيّا



توفيق احمد البكرى

وأمدُّ الكفّين ، أحسبُ انّى واجدٌ فى الظلام منها خبيّا
واخالُ الأشباحَ تجرى أمامى صُوَراً من مُناىَ خلْقاً زريّا!
ظلماتٌ يحجُبن وَهْمَ خيالى ان يرى بينها طريقاً سويّا
أينَ ... - لا أين - لليقينِ سبيلٌ ؟ قد ضللْتُ الصَّوابَ شكّاً وعيّا

(١) الى صديقى الاديب محمد رشاد رشدى القصصى الناشىء والناقد الحدث فهو اعرف الناس بظروف هذه القصيدة .

وَهوايَ الطهورُ لم يَعْدُ نفسى شابَ من خيبةِ الصُّدُودِ فتيّـا
والأمانى الحسـانُ كالنغم الحلـــــوِ اذا ضاع فى الرياح ذَرِيّـا !

« • »

فاملئى كأسَكِ الدهاقَ وهاتيـهــــــا ، أروِّى بها فؤاداً صديّـا
واترُكى فى قرارها قُبـلاتٍ خالدٌ بردُهُنّ فى شفتيّـا !
فاذا الموتُ ضمَّنى فى فنـاءٍ رحمـةً ما لقيتُ رَوْحاً وريّـا
كلما رُمتُ للهناءِ شراباً سقطت كأسُ نشوتى مِن يَديّـا !

نوفمبر احمد البكرى

حب وأمل

أعنـدكَ أنّ لى قلبـاً يذوبُ وأنى رغـم ذلك لا أتوبُ ؟!
وأنى قـد دعوتُ وبُحَّ صـوتى وأنك لا ترقّ ولا تجيب ؟!

« • »

فؤادى ـ لا رأيتَ جوى فؤادى ـ جريحٌ ، ظامىء ، عانٍ ، سليبُ
يشيّب بعضُ ما ألقى البـرايا فهـل أغراكَ انى لا أشيب ؟
طبيبى أنت ياسرَّ اعتـلالى ومِن عجب يؤرّقـنى الطبيب !
كتمتـك ما يلاقيـه فؤادى تحـدَّثَ عن تألمـه الوجيب
فكنتُ إذا كبحتُ جماحَ شعرى رأيت الدمع عن شعرى ينوب
اذا أخفيتُ ما بالقلب حيناً اذاع لهيبَ مهجتىَ اللهـيب
فواقلباه من قلـبى وعينى يصيب من الدواهى ما يصيب !

« • »

ذنوبى أننى قـد ذبتُ وجـداً وهـل حِبّيكَ ياروحى ذنوبُ ؟

فكم حركتُ أشعارى فطاشت سهامُ تصبّبى وهوى النسيب
سهامى وهى ألفاظ جفاء وسهمُكَ وهو قتّال مصيب



طاهر محمد ابو فاشا

تغيب وأنت ثاوٍ فى فؤادى حبيبى مَنْ يَغيب ولا يغيب
يقدّمنى له حبٌّ صدوقٌ ويغرينى به أملٌ كذوب

طاهر محمد أبو فاشا

الامل فى الارجوحة

آذنتنى بنواها وتمادتْ
ليتها حين أتاحتْ لى هواها ما أتاحتْ!

« ١ »

ما دها البلبلَ يعتاضُ عن الأيكِ مكانا؟
ما ثنى العصفورَ عن وكر يرى فيه الأمانا؟

ما نهى النحلةَ عن زهرٍ دوتْ فيه زمانا ؟

ما عسى رابَ ملاكى في وفائى ؟
ألعلِّى كنتُ أدعو لملاكى بولائى ؟!

« • »

اذكري الليلَ ونجوانا عن العهدِ العتيدِ
اذكري النجمَ ومسرانا الى وادى الخلودِ
اذكرى الوردَ وما أدَّتْ رسالاتُ الورودِ

اذكرى حلوَ الأمانى اذكرينى !
اذكرى وصفكِ فى عذبِ الاغانى وارحمينى !

« • »

هل تجدِّين فتمحين من القلب الرجاءْ ؟
أو تعودين تعيدين الى النفس الصفاءْ ؟
أحفظت العهدَ أم صرتِ من الحب خلاءْ ؟

أنصفى دمعَ عيونى برضـاكِ !
واسمعى فى زفرة القلب أنينى من جواكِ !

« • »

لكأنّى قد تناسيتُ مع الحبِّ الدلالاَ
إن للدّلِّ من الإذلال بالهجر نكالاَ
فعساها الآنَ تستبدل بالنأيِ وصالاَ

وكفانى ما تجنَّتْ وكفاها !
ليت آمالى تداعتْ أو تظلَّتْ فى حماها !

محمد فريد عبد القادر



زهرة فى حديقة

زهرةٌ من فاتناتِ البشَر
أُولعتْ بالجنى جنىِ الزَّهَرِ
هل شَمَمْنَا مِنْ شَذاها
وهى ملء العين ملء الفِكَرِ ؟

* * *

طَالَعَتْ فى زهرِها صورتَها
ما ترَى الزَّهرَ علا وجنتَها
فغدتْ فى الرَّوضِ من أنضرِهِ
فتنةٌ فى الكونِ ما أثبتَها !

* * *

هى تَجْنِى من زهورٍ وورودْ
ومنانا فى ورودٍ بالخدودْ
مَنَعَتْنَا سطوةُ الحسنِ جَناها
أكذاكَ العدلُ يا زيْنَ الوجودْ ؟!

* * *

أنتِ كالروضةِ والروضُ كريمْ
يَنْفَحُ العطرَ شفاءً للسقيمْ
فليكنْ ياحسنُ جودٌ وسخاءْ
لحبيبٍ فى حمى الحسن يُقيمْ !

* * *

نحن جُدنا بقلوبٍ ودموعْ
قدَّمتْ للحسنِ قربانَ الخضوعْ

غير أن الحسنَ ما قدّرها
رحمةَ اللهِ لقربانٍ يضيعْ !

* * *

رأفة بالقلبِ ، يكفى ضجَرى
وارحميهِ مثلَ ذاوِى الزّهَر
عطفك السامى وما أنبلهُ
أنعشَ الزهرَ ببعضِ النظرِ !

ام درمان — السودان محمد أحمد محجوب



قصرٌ معطل

لمن القصرُ غارقاً فى الظلامِ كسفينٍ رسَتْ ببحرٍ طامى ؟
بين دَوْح يُخال أشباحَ جنٍّ قائماتٍ بين الثرى والغمام
يصدم الريحَ فى سراها فما تسمع الا أنينها المترامى !
ونباحَ الكلاب تحميه ليلاً حبذا الكلبُ فى الدجى من حامى
هى سكانُه وقد نزح السكانُ عنه فى غابر الأيام
ما تَرى فيه مِنْ سِراجٍ وإنْ كانَ مِن النجمِ فى سراجٍ سامى

قال لى صاحبي وكان دليلي … بين تلك الدروبِ والآكام :
ها هنا مربط الخيول ولا خيلُ … وهذى منازل الخُدّام
وعرينٌ للسبع لا سبع فيه … وبروجَ الحمام دون حَمام
ثم هذى حظائرٌ تُطلِع الاز … هارَ قبل الاوان فى إرغام
وهنا كان للغوانى غديرٌ … يتيمّمنه للاستحمام
واثباتٍ اليه فوق أراجيـ … حَ أُقيمتْ عليه فى إحكام
قلتُ حسبي الذى أرى قال بل دَعْـ … نى أريك الغلوّ فى الأحلام
ثم أسرى بنا الى حيث تسري … ربّةُ الشعر بالخيال النامى
فى عِراشٍ مِن الكروم دوانٍ … بين وشى الورود والأكمام
وتماثيل تحسب الروحَ فيها … وتراها جديرةً بالسلام !
وقبابٍ يدور مِن حولها الما … ءُ كما دار عابدٌ بالمقام !
وخدورٍ جلا النقابُ عليها … معجزاتٍ من ريشة الرسّام
غرفٌ اصبحت ملاعبَ لِلجنّ … وكانت ملاعبَ الآرام
خلع الليلُ والخرابُ عليها … وحشةَ الدور شُيّدت مِن عظام !
قلت هذا النعيم اجمع ياقو … م ، سجيناً هنا بلا اجرام
أفرجوا عنه يظفر الناس منه … بالذى يشتهون من أوهام
كيف يمضى هذا النعيم هباءً … بينما بعضه مُنى أقوام ؟
أفيبقى معطلا مثلُ هذا القصر … والكوخُ مُتخَمٌ بزحام ؟!
مَن تُرى ربّه وكيف تولّى … عنه فى غير حسرةٍ ومَلام ؟
قيل هذا لمُترفٍ قد بناه … لمتاعٍ محلّلٍ أو حرام
جامعاً فيه للسعادة أسبا … باً يراها خليقةً بالدوام
ثم زالت نعماه عنه فلم يلبـ … ـثْ به غير لحظةٍ كالمنام
قلت : إن الشقاءَ أحذق مِن أن … يُتّقَى بالقصور والآكام !
وهو إن يُزمعْ الإغارةَ فالنّسـ … ـرُ أسيرٌ له وفرخُ النعام
قل لمن يحسب السعادةَ رهناً … بحطامٍ : اكبرتَ شأنَ الحطام
انما هذى السعادةُ حقٌّ … لضميرٍ فى راحةٍ وسلام
غاب هذا الضميرُ فى ثوب مَلْكٍ … أو بثوب القصّاب والفحام !

محمود عماد

عاصفة فى سكون الليل

أشرقى كالصبح غراءَ الجبين • وانشري نوركِ يهدى العالمين •
واطلعى فى ليل حزنى كوكباً • تعصمينى من ضلال العاشقين
واطرحى فى قفر عمرى زهرة • عَلَّها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمى تبسمْ لنا بيضُ المنى • واضحكى تضحك لنا غرُّ السنين
واهتفى تستيقظْ الروح التى • طالما غنتك باللحن الحزين

« • »

ها هو الليل كما كان بدا • يحمل الحزن لقلبي والحنين
هيكل الأحزان(١) فى مذبحه • قرَّب العشاق قربان العيون(٢)
رتَّل الشمَّاس(٣) فيه لحنه • وصدى ترتيله هذى الشجون
عطره(٤) أحزانُ أزهار الربى ! • ونداه عبراتُ البائسين
وسرىّ النَّسم فى أحشائه • مهج ذابت وأرواح فنين
كل شيء هان فى شرع الهوى • ياملاكى ، والهوى ليس يهون !

« • »

لم ير الليل سوى بنت هوًى • قرأتْ ماستعانى فى الجبين
لبست فى بدئه ثوبَ الهوى • وبأخراه ثيابَ النادمين !

« • »

وعميدٍ بات مطويَّ الحشا • فى سكون الليل مبحوحَ الأنين
قام فيه مثلَ طيفٍ غابر • وكأن الليل محرابُ القرون !

« • »

ومغنٍ غلب الحزن على • وترٍ اللهو لديه والمجون
ليس يدري فكرُه ما لحنه • وهو رجع السحر من ماضٍ شطون !

« • »

(١) الهيكل المعبد والمراد بذلك الليل . (٢) قربان العيون الدموع والنوم . (٣) المراد بالشماس هنا الموت (٤) اى العطر الذي يلفه الليل هو احزان الازهار .

وأليفٍ سامر الليل على ذكر عهد من عهود الغائبين
كلهم خفَّ ... ولم تبق سوى ذكريات أرعشت أفقَ الجفون

« • »

أيها الليل أتينا نشتكى فاستمع شكوى الحزانى المتعبين !
هدَّنا الحزنُ ، وأضنانا الأسى وبرانا الوجد فى دنيا الشجون
قد شكوناك وجئنا نشتكى لك شيئاً فى خيال الذاهلين

« • »



محمد عبد المعطى الهمشرى

اننى يا ليل أحكى غنوةً فنيتْ فيك على مرِّ السنين
واستحالت فى البلى قبّرة تتغنى فى دجى وادي المنون!
إننى يا ليلُ أحكى حزمةً من شعاع فى سماء الحالمين[1]
ضمَّها محوك فكرٌ هائلٌ أزعج الأرباب بين الثائرين !

(١) لان الاحلام ترسم الاشياء اجمل من حقيقتها .

واستحالت عندها من غضبٍ زهرةً فى عالم غيرِ مبين
تنفح الموت ... وتدلى عودهـا نحو أشباح المنايا العابرين!

« • »

إننى عاطفةٌ قد غالهـا منك فكرٌ طيه الموت دفين
حاولت تعرف أسرار الأسى منك يا ليلُ وأسرارَ الأنين
فاستحالت جـدولاً تعبره فزعاتُ الموت ليلا فى سفين[1] !

« • »

هـذه أغنيتى رتلتها لكِ يا دنيايَ فى ديرِ السكون[2] !
لحنها أنتِ ، وحزنى وقعها ونذير الموت بعض السامعين!
لا تلومى ما بهـا من حزن إنما الأحزان موسيقى الحزين
أعذب الألحان لحن أفرغتْ فيه أنات الأسى طىّ الحنين
عانقينى فى الدجى !... اقتربى ! إننى أفزع ممـا تفزعين
قرّبى خدّك !... ضمينى إلى صدرك الحانى !... الثمى هذا الجبين!
أتركينى فيك أفنى مثلما فنيتْ فى الله روح الناسكين !

« • »

إنما نحن كركبٍ ضلّ فى تيهِ صحراء بقومٍ تائهين
قد نسينا كل ما كان لنا وتركنا فى غدٍ ما سيكون !

كلية الآداب بالجامعة المصرية

م. ع. الهمشرى



(١) المراد بهذه التشبيهات تفسير ما تلاقيه روح الشاعر من حزن وألم فى الحياة .
(٢) دير السكون هو الليل .



صفاته ومميزاته

يمتاز الشعر الغنائى بكونه سهل الميزان سلس الأسلوب قوىّ المعنى يمكن فهمه بسهولة . ويجب أن يكون هذا الشعر خلواً من كل تعقيد لفظى أو معنوى حتى يمكن فهمه بمجرد سماعه .

ولا يجب أن تكثر فى الشعر الغنائى الجمل الاعتراضية ، فقد تكون هذه الجمل جميلة فى الشعر غير الغنائى إذا وضعت فى موضع حسن إلا أنها فى الشعر الغنائى كثيراً ما تكون سبباً فى عدم فهم المعنى وخصوصاً اذا لم يكن للملحن أن يتحاشى ذلك أثناء تلحينه .

وإن الاكثار من الاقتباس والاستشهاد بالحِكم لهو من أصعب الأمور على الملحن — إذا أراد إبراز المعنى — وقد سئل الموسيقى برنارد عما يصعب عليه تلحينه من معانى الشعر، فقال إن معانى الشعر عنده كلها سواء ، أما ما يصعب إظهار معناه فى التلحين فهو استشهاد الشاعر بقولٍ مأثور .

وأحسن الشعر الغنائى ما كان طويل المدّ قصير المقاطع حتى يسهل للملحن أن يطيل فى النغم من غير ان يضطر إلى تجزئة الجمل فلا يضيع المعنى .

وقد كتب أحد الشعراء فى المجلة الموسيقية التركية فى السنة الماضية نبذة عن الشعر الغنائى ذكر فيها انه لا يمكن تلحين أى شعر إلا اذا كان غنائياً . وقد حكم هذا الشاعر على الشعر غير الغنائى حكماً قاسياً — وانه لمن الأسف أن نسمع مثل ذلك من كثير من الموسيقيين المصريين فى العصر الحاضر — فليس معنى كون الشعر غير غنائى أنه لا يمكن تلحينه. فموسيقى الألفاظ موجودة فى كل شعر، ويدلنا على ذلك ما نسمعه فى كل يوم فى المسارح والابهاء من الاشعار الملحنة التى لا تمتّ الى الشعر الغنائى بأية صلة . ففى مقدور الملحن أن يجعل من الشعر غير الغنائى أغنية

جميلة . وقد لحن الموسيقار محمد عبد الوهاب عدة قصائد غير غنائية ومع ذلك فقد أخرجها إخراجاً بديعاً . وليس الشعر فقط هو الممكن تلحينه بل قد يلحّن النثر أيضاً، وقد لحن الموسيقار حسين صالح قطعة نثرية تلحيناً يشكر عليه. وليس الموسيقار حسين صالح بأول من وضع لحناً لنثر بل ان المرحوم جاليو الموسيقى الهندى وضع لحناً لقطعة حماسية نثرية سنة ١٩٢٥ فكان أول لحن لنثر بعد العصر العباسى ، إذ كان فى ذلك العصر كثير من الألحان الموضوعة لقطع نثرية .

ويظن البعض الآن أن الشعر الغنائى يجب أن يكون غزلا أو ما يشابه ذلك ، غير أن هذا الرأى لم يكن معمولا به الا بعد أيام المماليك ، بل وليس معمولا به الآن الا فى مصر، أما فى الخارج فتوضع الألحان لكل معانى الشعر ويوضع الشعر الغنائى فى جميع الأغراض .

وليس فى مصر للشعر الغنائى منزلة عظيمة لتفشّى العامية ولاستعمال الزجل فى معظم الأغانى العصرية ؟

محمود حلمى

القاهرة : (رئيس لجنة التأليف والنشر الموسيقية)



ما أعظم الهم !

(أغنية للشاعر توماس هاردى)

ما أعظمَ الهمّ فى عمرى وأكثرَهُ ... وما أقلّ مسراتى وأفراحى !
مِن يوم أنْ خُمَّ للعينين أن تقعا ... على جبينٍ كقرنِ الشمس وضّاحِ !

أكلُّ هذى الليالى فى تباطئها لمَّا تُبِنْ لك ياهمى بإيضاح :
«ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره وما أقلَّ مسراتى وأفراحى »
أما أعادتْ لك الذكرى مُصوَّرة تلك الليالى التى مرت كأشباحِ ؟ !



احمد كامل عبد السلام

ألم يساعفْكِ عطفٌ منكِ يرحمنى فتسمعى من لسانٍ منه مِفصاح :
« ما أعظمَ الهمَّ فى عمرى وأكثره وما أقلَّ مسراتى وأفراحى »
«مِن يوم أن حُمَّ للعينين أن تقعَا على جبينٍ كقرن الشمس وضَّاح »

احمد كامل عبد السلام



الطفل النائم

مترجمة عن فيكتور هوجو من ديوانه (أوراق الخريف)

فى الغرفة المظلمة ،
بجانب مذبح صغير ،
ينام الطفلُ فى ظلٍّ
فراشِ والدته .
بينما هو نائمٌ
فتح جفنَـه الوردىّ
من جانب الأرض الكثيفة
إلى السماء .

* * *

كان يرى أحلاماً كثيرة ،
يرى فى هذه اللحظة
رمالاً من الآكام
مملوءة بالماس ،
يرى شموساً ملتهبة
وسيدات جميلات
تحمل أرواحاً
بين أذرعها الفاتنة .

* * *

رؤيا سَحَرَتْهُ ..!
إنه يرى قنواتٍ من الماء
يخرج من قراراتها
صوتٌ يغنى
ويرى شقيقاته أكثر جمالا
ووالده بجوارهن
ووالدته ذات أجنحة
مثل الطيور .

* * *

إنه يرى ألفَ شىء
أكثر جمالاً أيضاً ،
يرى زنبقاً ووردا
يملأ الردهة
وبِركاً وبحيراتٍ
ينزلق فيها السمك
ويرى الموجة تجرى
الى قصبٍ من الذهب .

* * *

بدون عنايةٍ وبدون اجتهادٍ
أنت تنام فى الطريق ،
وإنَّ الهمومَ
— بيدها الباردة
وبظفرها اليابس
على جبهتك الساذجة
التى ليس بها أى تجعيد —
لا تكتب : الغد !

* * *

إنه ينام بريئاً !
وإن الملائكة الأبرار
الذين يعرفون تقدم
النوع الإنسانى ،
عند ما رأوه أعزلَ
وبدون خوفٍ وبدون حيطةٍ
قبلوا — وعيونهم دامعة —
يديه الصغيرتين .

* * *

ومسّتْ شفاهُهُمْ
شفتيه الشَّهْدِيَّتَيْن
والطفلُ يراهم كأنهم يبكون
وهو ينادى : جبرائيل !

ولكنَّ الملاكَ لمسَهُ
وبينما يهزّ فراشه
وضع إحدى يديه على فمه

* * *

والأخرى تجاه السماء
ومع ذلك فإن امَّهُ
أسرعتْ عند هزّ الفراش
معتقدة أن وحشاً وهمياً
كان يضغط عليه .
دهشتْ مُتَبَاهِيةً
لمَّا سمعته يتنهد
وجعلته يتبسم
بقبلة منها .

كلية الحقوق — الجامعة المصرية

اقبال بدراند

أغنية لفيكتور هيجو

ما زلتِ نائمةً والفجر قد وُلِدَا — وبابُ غرفتك الزهراء مقفولُ
وكيف تَغفينَ والوردُ الجميلُ صحَا — فاستيقظى إننى بالحبّ متبولُ . .
يا فتنتى انتبهى — واصغى لمحبوبكْ

يشدو بلحن الغرامْ
يبكى الضنى والسّقامْ . . !

الكلُّ يطرق باب السحر فى فرَحٍ — فالفجر قال : أنا نورُ النهار بدَا
والطيرُ قالت : أنا الألحانُ أجمعها — وقال قلبي : أنا الحبُّ الذي عهدَا
يا فتنتىُ انتبهى — واصغى لمحبوبكْ

يشدو بلحن الغرام
يبكى الضنى والسقام . . !



مختار الوكيل

إنى لأعبدُ فيكِ الحسنَ يا أملى ولستُ أدري أخودٌ أنتِ أم حورُ ؟
ربى الذى ضمَّ روحينا بقوّته يا مُنيتى، صاغ طرفى وهو مسحورا
يا فتنتى انتبهى واصغى لمحبوبك

يشدو بلحن الغرام
يبكى الضّنى والسقام . . !

مختار الوكيل





الشمس والكون

بين الشروق والغروب

أشرقت في حياء ذات سوار قد بدا المجد والجلال عليها
ألفت الكون موحشاً ومسجّى ساهماً يبعث الشكاة اليها
صبّها شفّه النوى، وبراه موقف البين والوداع لديها
وانثنى في ارتقابها بعزاء أنّه أمس قام بين يديها!

***



محمد زكي ابراهيم

روعة الذلّ والهيام ولقيا الصبّ نضو الأسى: أثار هواها
أرسلت دمعها يسحّ من النو ر عليه ليستبين رضاها

فانبرى يبدأ الحيـاة كما كا نت حيـاة بشجوها وهَـنَاها
والتظى الوجدُ فى فؤادها بَعـــــــدُ : فحُمَّت دموعُـها من شجاها

* * *

لم يُرَعْ بعدُ ، أو يراع عهوداً من صميمِ الجمالِ والإيمانِ
فانثنتْ عنه ، لا تعيه ، وجرَّتْ ذيلها فى الفضـــا بكل مكانِ
واعتلاها الوجومُ ، واصطبغ الافـــــقُ بما فى الجلال من ألوانِ
يُعجزُ المرءَ أن يقصَّ حـديثاً فيـــه تبدو صناعةُ الرحمنِ

* * *

وهوى خلفَـها ليثأرَ منها لؤمُ دنياك وهو أسودُ جَوْنُ
هو ذا الليلُ ... إيهِ يا أيها الليـــــــلُ أجبنى : أليس فى ذاك مَـيْنُ
ثم فى لحظةٍ ، ودون وداعٍ غاب ركبٌ ، وقام يسخر حَـيْنُ
ركبُ نورٍ ، تلاهُ ركبُ ظلامٍ هل لِدُنيا تسوق ذلك أمْنُ ؟!

* * *

كل لونٍ من الغروب تراه من حديثِ السماء يُنْشَرُ نشْرَا
ليس فيه نفاقنا ، ومن الصمـــــــتِ مقالٌ يبثُّ كالقولِ سرَّا
إن فى هذه الجبالِ من النـو ر أو النـار إن تبيَّنْت أمرَا
إن فى هذه البحار من الرو عةِ كـنزاً وللمفاتن ذُخرَا

محمد زكى ابراهيم

الى القمر

لنا فى الجوِّ أجنحةٌ تطيرُ فتفزع عند رؤيتها النسورُ
قد اجتزنا الهواءَ ، فليت شعرى أيحملنا إلى الفلك الأثير ؟!
كأنى بالزمان وقـد دنا مِنْ يَدِ المتناول القمرُ المنير !
وصـار الـكوكبان على اتصالٍ لـكل عند صاحبه سفير
فان نحن اجتوينا الأرض يوماً يجدّ بنـا إلى القمر المسير

سليلَ الارض مالَكَ غيرَ بَرٍّ ... بأمِّك لا تُزار ولا تزور ؟
أيكفى الأرض نورُك من بعيد ... وأنك حولها أبداً تدور ؟
وهل فى شرعة الأنصاف ألاّ ... نراك وبيننا أمدٌ قصير؟
أتأنس بالضيوف اذا ألمّوا ... بساحك أم يزيد بك النفور ؟
ألا خففتَ عبء الأرض هونا ... فأمك آدها النسلُ الكثير ؟

« • »

أمان كُنّ أحلام الأوالى ... فهل يأتى بها الزمن الأخير؟
زمان أدت الوجناء فيه ... رسالتَها وقام بها البعير
رأى ابن العاص أن البحر خلق ... كبير فوقه خلق صغير
فقال له أبو الخطاب أمسِكْ ... فان ركوبه أمر خطير !
فهل مَن يُبلغ العمرين أنا ... الى الأفلاك أصبحنا نطير
وأنا فوق سطح البحر نَطفو ... وفى أعماق لجته نغور
تعالى الله ! إن العلم أمسى ... وليس وراءه شىء عسير !

محمود غنيم

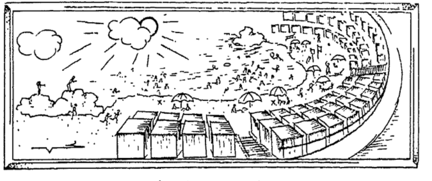
شاطىء الأحلام

خليج استانلى — رمل الاسكندرية

ردّوا شعاعَ الشمسِ حيث يُطلُّ ... ودعوا الحسانَ مكانَها تحتلُّ
الخالعات من الثياب أجلَّها ... واللابساتِ الحُسْنَ وهو أجلُّ
مِنْ كلِّ لونٍ للأزاهرِ صبغةٌ ... فيهِ وإنْ ملكَ البيانَ الفُلُّ
فى مَسْرَحِ البحرُ وثّابٌ به ... مثلَ العواطف يَعتلى ويَزِلُّ
والموجُ يعبثُ بالصخور كأنها ... مُهجٌ يحاربها الهوى . فتَذِلُّ
(فينوسُ) [1] تمرح فيه بين مَفَاتِنٍ ... ويَلى(كيوبيدَ)[2] العزيزَ (أبولُّو)[3]

(١) إلهة الجمال . (٢) إله الحب . (٣) إله الشعر .

وَطَنُ الألوهةِ فى الحياةِ بما وعت ... فلكلٌّ رمزٍ للنعيمِ محَلُّ
لا تَسْقِنى الخمرَ المعتقةَ المُنىَ ... حين العيونُ تشوقنا وتَدِلُّ



(خليج استانلى)

هذه الكابينات الانيقة كأنها حلقة الاولمبياد والبحر ملعبها ، وهذه هى عرائس البحر وجنيات البحر — الصاوى

حين السواعدُ فى الشهىِّ لِسُمْرَةٍ ... أشهى الكؤوسِ نذوقها ونَعِلُّ
الحُسْنُ لم يُعْبَدْ طَهُوراً عارياً ... بأحبَّ مِنْ هذا الذى يَبتلُّ
واللهوُ لم يُغْنَمْ بريئاً حالياً ... بأرقَّ مِنْ صَفْوٍ عليه نُطِلُّ
فرحتْ به الأمُّ الطبيعةُ مثلما ... لاَقَى الوصالَ العاشقُ المعتلُّ
مَرْأى حياةُ الشعرِ مِنْ أوزانهِ ... ويعود للاكثارِ فيه مُقِلُّ
ومُنىً مِن الأحلامِ ترقصُ حولَنا ... ومن الحقيقةِ ما حكاه الظِلُّ
كَرُمَتْ فكلٌّ ناهلٌ مِنْ طيبها ... وقسَتْ فأىُّ صَدًى هناكَ يُبَلُّ !

احمد زكى ابو شادى





ابن زيدون

﴿ أولية ابن زيدون ﴾

نزل بمدينة قرطبة رهط من بنى مخزوم من جهات المغرب فيمن نزح إليها من القبائل وكان بيت بنى زيدون من أكبر بيوتاتهم جاهاً وثقافة وأدباً وكان صاحب الترجمة احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون أحد أغصان هذه الشجرة المباركة . ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ . فى الوقت الذى تضعضعت فيه الحكومة المروانية فانقسم المسلمون على انفسهم وتخاذلوا واستعانوا بالأجنبي وصاروا شيعاً متعادين متعاندين .

وتقسموا ألقاب الخلافة فكان منهم المعتضد والمعتمد والمستعين والمقتدر والمعتصم والمؤتمن ... الخ ، يتشبهون فى ذلك بملوك المشارقة :

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... أسماء مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى إنتفاخاً صولة الأسد

فلا عجب اذا كثر الوزراء ، ولا عجب اذا سمعت بلقب ذى الوزارتين يتقلده الكثير والناس على دين ملوكهم — فى هذا الجو الغائم الواهن المتخاذل المرجف نشأ ابن زيدون .

﴿ مبلغ شهرة ابن زيدون ﴾

لقد أعجب رجال الأدب فى مختلف أقطار العالم بأدب ابن زيدون فاعترفوا له بثرائه العريض ومادته الخصيبة وتراثه الذى خلفه مفخرة للعرب والعربية . أدرك قومه خطورةَ شأنه فأحلوه فى السويداء من قلوبهم وتربع منهم فى الصدور قبل أن يحل صدور المجالس ، وعاش بينهم موئل القاصد وركن الأدب الركين .

وكان من المحتم أن نسمع بتهافت الأدباء والمؤرخين على أدبه يدرسونه ، وشعره يعارضونه، ونثره يحاكونه، وتاريخه يترجمونه ، امثال ابن خاقان فى كتابه قلائد العقيان وابن نباتة المصرى فى كتاب سرح العيون وصاحب الذخيرة وابن غدارى المراكشى فى البيان المغرب والصفدى فى تمام المتون وابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار وغير هؤلاء .

وما كان الغرب فى حفله بالرجل وبأدبه دون العرب ثقة : فقد وقف كثير من رجالاتهم أنفسهم على درس كتابته وشعره لمّا بلغهم عنه من ذيوع الشهرة وخلود الأثر ، حتى اذا جاسوا خلال خمائله واستروحوا عبير أزاهره ذخروا منه لبلادهم فترجم له منهم : هندرك الهولاندى المختص بالعلوم اللاهوتية عن صاحب قلائد العقيان وكتبت لهذه الترجمة شروح وابحاث وطبعت فى ليدن سنة ١٨٣١ م . ، والعلامة دوزى تلميذ هندرك صاحب تاريخ مسلمى الأندلس ذكر أدب ابن زيدون فى كتابه وأكبر فيه نباغته ، والمستشرق بستورن الذى ترجم الرسالة الجدية إلى اللاتينية وبدأها بترجمة حياة ابن زيدون .

بيئة ابن زيدون

للبلاد الأندلسية فضلا عن موقعها الجغرافى ميزتها على غيرها من الأقاليم بوفرة الخيرات وانتشار الصناعات وتعاقب الدول ذات الحضارة والشأن عليها حتى صح فيها قول القائل :

فى أرض اندلس تلتذ نعماء ... ولا يفارق فيها القلبَ سراء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها ... وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة ، والمسك تربتها ... والخزُّ رَوْضتها ، والدر حصباء
قدميزت من جهات الارض حين بدت ... فريدة وتولَّى ميزها الماء

ناهيك بجناب مريع يخصب العقل ، وبساتين زاهية زاهرة تفتق الذهن وتنضج القرائح ، وعمارة مترامية الاطراف تبعث فى النفس الخيال البعيد ، وأنهار سلسالة تصفو لها الخواطر وتذهب فى أوديتها الأفكار ، وحضارة ومدنية ينفسح لهما مراد البلاغة وتسمو بصورهما المعانى الشعرية . وارتباط الوشائج وخلاط الناس ومايتطلبه

العمران من اجتماع وسياسة كل أولئك مناهل للشاعر والناثر لا يكاد يمعن فيها حتى يجد فسحة فى القول فتواتيه الحكم والامثال ويُفْتَن بمدرسته الحضرية فيخرج إليك بألوان متغايرة لمنازع الناس المتباينة ، وتجد ذلك النوع من الغزل المشرقىّ قد خلع عذاره وتجرد من قيوده فى الأندلس لأنه رأى حياة أمتع ونفوساً أروج ، وتجد الوصف الذى تناولهُ مختلف الشعراء منذ الجاهلىّ إلى أن يقع فى العباسىّ قد أصبح جديد الشباب فى بلاد الاندلس ، وحلبة الغواة العاكفين على الدعابة واللهو التى كان لا يخوض غمارها إلا الخليع الماجن من الشباب الشرقىّ الطائش اصبحت فى بلاد الاندلس أضاميم من لهاميم العرب يتصايح فيها الامير قبل الحقير .

من أجل ذلك ألفيت نابتة اندلسية تتعشق للجمال وتغرم بالوصف وتبدع فى الخيال وتصف مجالى الأنس والشراب وتأتى على ضروب السرور والنشوة بما لم يتلاحق بهم غيرهم فى هذا المضمار .

مع هذه النابتة وبين هذا الشباب وفى هذه المدرسة نبت ابن زيدون فى بيت رفيع العماد لديه من الثراء والجاه ما يمكنه من استبطان اللذة ومن تقرب الناس إليه واختلاطهم به فكان زعيم الادباء وأديب الزعماء

﴿ منزلة ابن زيدون الأدبية ﴾

اشتغل بالادب ناشئاً فبرع فيه وبلغ الغاية فى النظم والنثر ولقد أطبق معاصروه على فواقه عليهم وسلموا اليه قياد الأدب بدولتيه ، ولا أدلّ على ذلك من قول ابن بسام : «كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بنى مخزوم . فاق الأنام طرّاً ، ووسع البيان نظماً ونثراً، إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه، وشعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه ، وخط من النثر غريب المبانى ، شعرى الألفاظ والمعانى». يحكى من سعة بيانه أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليتشكر لهم فما أعاد عبارة قالها لاحد . وهذا عجيبٌ، ولا سيما من محزون فقد قطعة من كبده .

﴿ حياته ﴾

قضى ابن زيدون شطر حداثته الاول فى قرطبة مولعاً بالادب عاكفاً على الاطلاع ، فسما به أدبه الى مقام كان فيه مضرب المثل فى البلاغة . فكان يرجع اليه

فى كتابة أعمال العظماء وظلامات ذوى الحاجات الى الولاة ، ومن ثم نبه ذكره الى أن اتصل بالوزير ابن جهور ولقب بذى الوزارتين ، وما كان ليتسامى الى مقامه إلا لتسامى أدبه حتى دعاه أدباء قومه ببحترىّ الاندلس تشبيهاً له ببحترى المشرق .

ولقد هام بحب ولادة بنت المستكفى الخليفة الأموى وكانت برزة أديبة شاعرة عمرت طويلا ولم تتزوج . وقد ابتذل حجابها بعد موت أبيها فتحبب اليها الأمراء والكتاب وكانت على خلق جميل يشهد لها بالعفة المؤرخون كلهم .

وكان من صرعاها ابن زيدون ولها معه طرف وملح ، لانه كان حظيها قبل غيره . وكانت تقوم المنافسة بين عشاقها أدبية علمية ، كل يكد خاطره ويهذب قوله ليكون حظيظها . وقد أفلح ابن زيدون فى استمالتها اليه أو بالحرى أفلح أدبه فى أن يأخذ عليها اعجابها قبل غيره ولا سيما معارضه فى حبها الوزير أبو عامر بن عبدوس الملقب (بالفار)، إذ تمكن ابن زيدون من إقصاء خصمه بقارس قوله وزاجر شعره فكانت تشمس منه كلما تسقط القرب منها وتدلّ عليه وتتهزأ به . ولقد مرت عليه وهو فى هالة من حاشيته أمام داره يتنادرون ويسمرون وكانت قرابة داره بركة آسنة المياه فنادته باسمه فتطلق وجهه ونهض يحييها فأنشدته قول أبى نواس وهى تشير الى البركة :

أنت الخصيب وهذه مصرُ فتدفّقا فكلاكما بحرُ !

ولقد قدمنا لك أن ابن زيدون نشأ فى جوّ الانحلال السياسى ــ الجو المغرض المتملق الذى لا تستتبّ دولته الا على النفاق والمهالأة . من أجل هذا كان الرجل محسوداً على منزلته فزجته السعاية به الى غيابات السجون مغضوباً عليه من مولاه ابن جهور، وعبثاً حاول التنصل مما ألحق به ولم يغن عنه الاعتذار والاستتابة وضرب الامثال والحكم من غضب ابن جهور شيئاً . حتى اذا أمضى بضع سنين فى السجن تحين الفرصة وخرج من السجن هارباً وتخفى مدة كان فى خلالها يحاول الاتصال بحاكم اشبيلية المعتضد وذلك بعد أن يئس من استرضاء ابن جهور واستعتابه بلداته وخاصته . وحين مهد لنفسه اتصاله بابن المعتضد رحل الى اشبيلية وأقام هناك وزيراً شطره الثانى من حياته شاغلا مثل مقامه السياسى والادبى فى وطنه الاول . وكان يحنّ الى مسقط رأسه الفينة بعد الفينة ويتذكر أيامه الميامين الغرّ مع ولادة فتفيض نفسه بفرائد الادب وتظهر فيها اللوعة والحسرة على ما فقد حتى وافته منيته وهو سفير المعتمد سنة ٤٦٣ هـ .

﴿ كتابته ﴾

كان ابن زيدون رجل ثقافة مضطلعاً بمختلف العلوم متأدباً متهذباً وهو مع غزارة علمه وأدبه وصفاء قريحته وقوة سليقته يميل إلى التأنى والروية فلم تكن كتابته عفو الخاطر ولا مَبْعثاً للوجدان الثائر . والبديهة البادهة انما كان لباب مصاص التأنق والتمكث ، ووليد الذوق السليم والطبع الحصيف. واذا علمت كيف كان ابن زيدون مليئاً بالعلوم، واقفاً عند عامة الحوادث قديمها وحديثها ، آخذاً من كل فن بطرف ، امكنك أن تقدر للرجل بعض قدره وأن تدرك سرّ اجادته وتخيره للحوادث التاريخية يضمنها كلامه ويوشى بهـا عباراته فتلتئم وتتآلف حتى لتُحسّ أنّما سيقت هـذه الحوادث وتلك الامثال وهاتيك الحكم ليتمثل بها ابن زيدون فى كلامه بداءة . يظهر ذلك بوضوح حين تقرأ له من رسالته الجدية ما يستعطف به ابن جهور وهو سجين مغضوب عليه ، وهو :

« حنانيك قد بلغ السيل الزبى ، ونالنى ما حسبى به وكفى . وما أرنى لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لى نوح اركب معنا فقلت سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، وامرت ببناء صرح لعلى أطلع إلى إلـه موسى ، وعكفت على العجل، واعتديت فى السبت ... » حتى اذا أتى على آخر ما ذكر من حوادث قال : « لـكان فى ما جرى على ما يحتمل أن يكون نكالاً ويُدعى ولو على المجاز عقاباً » .

﴿ ابن زيدون الناقل ﴾

على أن الدارس لـكتابة ابن زيدون يرى ميزة قلّما ينهجها غـيره فاحتسبت من حسناته . ذلك أنّه لـكثرة حفظه ودرسه كان يأتى بمعظم قوله منقولا بمبناه أو بمعناه عن غيره بغير أن يتكلف النقل ولـكنك لا تحس إلا أنّ هذا قد تناول كلام غـيره فَلفّه فى ديباجةٍ من بلاغته ، وحَلاّه ونمنمه بقريحته الصناع ، فأخرجه للناس فى طراز مبتكر جديد . ومن الغبرة لـكاتب كابن زيدون واهتضـام لحقه أن يقال إنه كان نَقلة لغيره دون أن يعول على نفسه فيما يقول ، بل إن مثله ليحفل بالمعنى يواتيه فى مقام فيملكه اسماطاً وقلائد ثم هو بعد يرتاح الى نفسه حين يشعر أنه صائغ ماهر.

وكم كان يأتى بالمبدع نادر المثال مما عدّه الأدب من تراثه وحـده فله من تراثه رسالته الجدية يمدح ابن جهور :

« وهل لبس الصباح إلا برداً طرّزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاء إلاّ عقداً فصلته بمآثرك ، واستملى الربيع إلاّ ثناءً ملأته من محاسنك . . . »

﴿ عنايته بالازدواج ﴾

وإذ كان الرجل أندلسياً رقيقاً مجيداً فى الوصف كسائر معاصريه كان لايعنى بالسجع بل بالازدواج بحيث يمثل المعنى المفرد بعبارات متباينة متنوعة متفاضلة فى الجودة وقوة السبك وشدة الأثر فتراه يقول :

« إن سلبتنى أعزك الله لباس نعمائك وعطلتنى من حلى إيناسك وأظمأتنى إلى برود إسعافك ونفضت بى كف حياطتك وغضضت عنى طرف حمايتك بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك وسمع الاصم ثنائى عليك وأحس الجماد باستنادى إليك فلا غرو قد يغص الماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به ... »

﴿ ابن زيدون صفوح ينسى الاساءة ﴾

وكم يملأ نفسك إعجاباً بكتابة الرجل واكباراً لأخلاقه حيث تراه صفوحاً ناسياً اساءة ابن جهور اليه وهو يخاطب صديقاً له :

« رب مجتهد ما خاب الا لانه جاهد ، والله لقد أظهرت مدحه وأضمرت نصحه، وتممت على الصاغية له ، وجريت ملء العنان الى الاعتلاق به ، أسقيه السائغ من مياه ودى وأكسيه السابغ من برود حمدى ، وأجنيه الغض من ثمرات شكري ، واهدى اليه العطر من نفحات ذكرى ، لا يفيد منى التحبب اليه الا ضياعاً لديه ، ولا يزيدنى التقرب منه الا بعداً عنه ... »

وإذ قد وقفت على تمكن ابن زيدون من نثره الجدى وبلوغه الغاية فى جميع نواحى القول التى طرقها فلا تنسى الى جانب ذلك أنه كان حديد اللسان بذيئه سبق ابن عبدوس فأفحمه برسالته الهزلية التى طبقت المشرقين وتناقلتها العصور الأدبية وهى شديدة الحفل بها وبقائلها توضح غامضها مرة وتترجمها أخرى.

ومنها :

« إنك راسلتنى مستهدياً من صلتى ماصفرت منه أيدى أمثالك ، متصديا من

خلتى لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوّادة ... »

ومنها :

« ان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ما شيتك ، والاسكندر قتل دارا فى طاعتك ، واردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن طاعتك ، والضحّاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك » إلى أن قال : « وانك المقول فيك كل الصيد فى جوف الفرا

وليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم فى واحد »

شعره

قد يذهب بك الحدس الى أن ابن زيدون كان طلعه استنفد وقته فى المدارسة والبحث ولم يجد من الفراغ واللهو والمجانة وألوان الحياة ما ينمى به شاعريته . ولكن حدثاً غريباً قد فتح مغلق قلب ابن زيدون واستدعاه فأجاب داعيه : ذلك هو حب ولاّدة له وخلاطها به ومنافسته غيره من الأدباء والشعراء له فى حبها . كل اولئك عوامل جعلت من الرجل الضليع فى النثر ضليعاً فى الشعر ، ذلك بأن غادته إنما أغرمت بأدبه قبل ان تغرم بدلّه وشكله ، ولذلك حبته دون غيره من رصفائه بقربها منه ، فكان عند ظنها به رشيقاً فى شعره سلساً فى عبارته مجيداً فى قوله : إذا نسب خلته صاحب بثينة ، واذا مدح أربى على شاعر مزينة ، فكأنما صيغ شعره من التبر ، وفضل فى نضارته الزهر ، وكلامه على الجملة يشهد له بجودة الطبع وإتقان الصنعة فتراه يقول :

بينى وبينك مالو شئت لم يضع   سرّ إذا ذاعت الأسرار لم يذع
يا بائعاً حظّه منى ولو بذلت   لى الحياة بحظى منه لم أبع
تِه أحتمل واستطل أصبر وعزّ أهن   وولّ أقبل وقل أسمع ومر أطع

غزله

قدمنا لك أن باعثاً خطيراً كان اكبر العوامل على إخصاب شاعرية ابن زيدون وافساح مجال القول له : ذلك هو هيامه بولاّدة وذوبه فى حبها وارساله الشعر الذى يختلط بالروح رقةً وبالهواء لطفاً يستديم عهدها . فكانت العاطفة تملى عليه ، فيكتب خلجات نفسه ، ويبعث اليها بافلاذ قلبه ، ومن قوله إذ ذاك :

أخذت ثلث الهوى غصباً ولي ثلث ... وللمحبين فيما بينهم ثلثُ !
تالله لو حلف العشاقُ أنهمُ ... موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا!
قوم إذا هجروا من بعد ما وصلوا ... ماتوا فإن عاد من يهوونه بُعِثوا!

ومن قوله حين ودع ولادة ذات يوم مرتجلا :

ودّع الصبرَ محبٌّ ودّعكْ ... ذائعاً من سِرّه ما استودعكْ
يقرع السن على أنْ لم يكن ... زاد في تلك الخطى إذ شيّعكْ
يا أخا البدر سناءً وسناً ... حفظ الله زماناً أطلعكْ
إنْ يطل بعدك ليلي فلكم ... بتُّ أشكو قِصرَ الليل معكْ!

ومَن لرجالات الشعر الغزلين أن يأتوا بمثل نونية ابن زيدون التي تهافت كبراء الأدب على معارضتها في حياته وبعد مماته أمثال أبي بكر بن الملح والصفدي وصدر الدين بن الوكيل وغيرهم فما تلاحق بركابه شاعر ، ومنها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
إن الزمان الذي ما زال يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يُبكينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نُغَصّ فقال الدهر : آمينا!
فانحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبتّ ما كان موصولا بأيدينا
بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا
حالت لفقدكمُ أيامُنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا ... والسعد قد غضّ من أجفان واشينا
سِرّان في خاطر الظلماء تكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا !

عتبه

ونرى الشاب ابن زيدون حتى يساجله ابن عبدوس حبّ ولادة يعتب عليه منازعته له قلب محبوبته ولكن في عظمة وفخر فتراه يقول له :

أثرتَ هزبر الشرى إذ ربضْ ... ونبهته إذ هدا فاغتمضْ
أبا عامر ! أين ذاك الوفاء ... إذ الدهر وسنان والعيش غضْ ؟
حذارِ ! حذارِ ! فإن الكريم (م) إذا سيم خسفاً أبى فامتعض

على أنك ترى له لوناً آخر في عتبه حين ضعضعته الحوادث وهدمته غيابة السجن

فاذلت من كبريائه وطامنت من نفسه ... تراه فى حاله هذه يعتب فى خضوع وخنوع على ابن جهور فى اسلوبٍ من الاستعطاف والاسترحام يقول له :

أيهـــذا الوزير هأنا أشـــكو والعصى بدء قرعهـا للحليم
وثواء الحسـام بالجفن يثنى منه بعد المضاء والتصميم
أقصيرٌ مثين خمس من الأيـــــام ، ناهيك من عذابٍ أليم ؟!

ثم ترى له شذرات من قصيدة فى هذا المعنى بعث بها الى مولاه فى ذيل رسالته الجديَّة :

وإنى لتنهانى نهاىَ عن التى أشار بهـا الواشى ويعقلنى عقلى
أأنقض فيك المدح من بعـد قوة فـلا اقتدى إلا بناقضة الغزل
هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب لقيل الأعادى انها زلة الحسل ؟
ألا إن ظنى بين فعليْك واقف وقوفَ الهوى بين القطيعة والوصل !

﴿ التصبر وادخال السلوى على نفسه وترقب الفرج ﴾

وما كان ذلك العقل الوفير والنفس العظيمة والعلم العليم ليعدم فى محنته عزاء له فكان خياله يرفّه عنه فى بلواه ، وكان بصره بمواقع الخطوب والمامه بحوادث الزمن يواسيانه فى محنته ، فيتمنى ويتشكى ويذكر الامثال التى تبعث من نفس كليمة مرزوءة ثم يرجع على نفسه يواسيها ويتعلل بالأمل :

إن قسا الدهر فللمـــــا ء من الصخر انبجاسُ
ولـئن أمسيتُ محـبو سـاً فللغيث احتبـاس
ويفتُّ المسك فى التـــر ب فيـوطا ويُـداس

وما ألطف وصفه لنفسه ووشاته حين يقول :

كان الوشاةُ وقد منيت بافكهم أسباط يعقوبٍ وكنتُ الذيبا !

وما أحكمه حين يقول :

ما على ظنىَ باسُ يجـرح الدهر ويأسُـو
ولقـد ينجيكَ إغفـا لٌ ويرديك احـتراس !

﴿ وثوق الرجل من نفسه ومعرفتـه لقيمته الادبية ﴾

ولقد يغرّ الـكاتب الغرّ بقوته فيتمطق بنفس ذهابة عن قدرته ويذهب الناس على إثره فى تنقصه . أما ابن زيدون فما أحراه بعد أن فرغ من معرفة أقدار الناس

ومنازلهم أن يتحدث عن نفسه حديث الواثق منها المتطمئن لمبلغ اجادتها إذ يقول :

أحين رفّ على الآفاق من أدبي غرسٌ له من جناه يانعُ الثمر
وسيلة سبباً إلا تكن سبباً فهو الوداد صفاء غير ما كدر

وكأنه رأى أنه نال من قيمته الأدبية فأنزلها دون منزلتها فتحدث الى التاريخ يستوحيه أن يحتفظ بتراثه والى أهل الأدب ان يعنوا به فقال :

سيُغنَى بما ضيعت منىَ حافظ ويعلي لما أرخصت من خطرى مُغْلِ

﴿ هجاؤه ﴾

أمّا هجاؤه فكان مرّاً لاذعاً ، يدلك على مبلغه فوق ماتقدم ذكره فى رسالته الهزلية ما تراه له يخاطب به ابن جهور قائلا :

لا تخش لأمتى بما قد جئته من ذاك فىّ ولا توقّ عقابى
لم تخط فى أمرى الصوابَ موفقاً هذا جزاء الشاعر الكذّاب!

وتراه فى ذمه لابن عبدوس (الفار) يمعن فى هجائه ويدفع التهمة عن نفسه بقوله :

عيَّرتمونا بأن قد صار يخلفنا فيمن نحبّ وما فى ذاك من عارِ
أكلٌ شهىٌّ أصبنا من أطايبه بعضاً ، وبعضاً صفحنا عنه للفار !

﴿ حسن الاعتذار ﴾

وما إن تقف لهذا الشاعر العالم المطلع على اعتذاره حتى تؤخذ لتصرفه وتمكنه وحسن تخلصه من الحوازب :

وهلا جنيت الأُنس من وحشة النوى وهوْل السرى بين المطية والرحل؟
وأين جوابٌ منك ترضى به العلا إذا سألتنى عنك ألسنة الحفل؟

ولقد تعترف للرجل بمكانته السامية وتكبر من خطره حين يخرج بك من اللوم عليه الى كيل المدح والثناء له حيث يقول مادحاً المعتمد بن عباد بعد ان مدح ابن جهور قبله :

مهما امتدحتُ سواك قبلُ فإنما مدْحى الى مَدْحى لك استطرادُ
يغشى الميادينَ الفوارسُ حِقْبةً كيما يعلمها النزالَ طِرَادُ

تنظر كيف كان منه هذا التنصل الحسن إذ وقف نفسه على المدح فمرن فيه حتى إذا أجاد أهدى ثمرة مدحه الى الممدوح ؟

محمد رزق الرهشان



فى المعبد

وقفتْ تُناجي (الشمسَ) حين تجاهلتْ ... أنّ الشموسَ بحبِّها تتلالا

نطقتْ بروح الشمس واستوحتْ بها ... معنىً يبوحُ به الالهُ تعالى

ومِن الرموزِ حقائقٌ ودقائقٌ ... حتى نكاد نرى الأصيلَ مثالاَ

وقفتْ تحنّ لها الضّحايا مثلما ... حَنَّ بَخُورٌ تجاهها إقبالاَ !

فى الهيكلِ المُصغِي اليها رهبةً ... حتى الظلالُ بهِ وقَفْنَ ظلالاَ !

وترى النّقوشَ تقمَّصتْ أشكالَها ... أممٌ تُطلُّ ولا تُريدُ زوالاَ !

وكأنّما العمُدُ التى رَفعتْ مَدى ... هذى الفنونِ بزهوِها تتعالَى!

وإذْ القُدُورُ تَضمَّختْ أنفاسُها ... بالحبِّ من أنفاسها(1) يتوالَى

والشّمسُ تبسمُ روعةً وتألُّها ... لِمَ لا وقد عشقَ الجمالُ جمالاَ؟

* * *

هذى حياةُ النيلِ ربّةُ عرشهِ ... ومُنَى (أتون) رشاقة وجَلالاَ

وقفتْ تصلّى والصّفوفُ وراءَها ... كالدهر يجمع نحوَها الآمالاَ

رفعتْ يداً بالزّهْر وهو شفيعُها ... وتمدّ أخرى فى ابتهالٍ طالاَ

والحُورُ والولدانُ من أتباعها ... حتى الخيال لهنّ ليس خيالاَ !

واذا بأخناتون يُنصت غارقاً ... فى الحُلْمِ يرقب حوله الأجيالاَ

وهبَ السلامَ الى القلوبِ مؤاسياً ... ورأى الحروبَ سفاهةً وضلالاَ

---

(1) يشير الى نفرتيتى زوجة عاهل مصر اخناتون وهى المرئية فى موقف الصلاة والابتهال .

وتحالفا (١) والشمس فيما اشرقتْ بهما ضياءً خالداً وكمالاَ
وكأنّما هذى الأشعّة لم تزلْ مِنْ ذلك الأمسِ العظيمِ مقالاَ
نطقتْ بها الذرّاتُ لو يُصْغَى الى ما حُمِّلَتْهُ تفاؤلاً وسؤالاَ
والفنُّ ينتظم القرونَ فانه روحُ الزمانِ فما يَهابُ مُحالاَ !

أحمد زكي أبو شادي

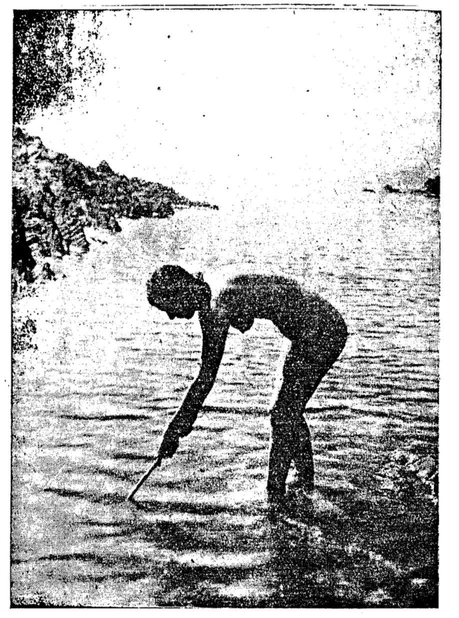
الصائدة المتجرّدة

حوّاءُ ام جنّيّةُ البَحْرِ فى الصَّيْدِ أَمْ نَضَتْ مِن الحرّ ؟!
خَلَعتْ ولكنْ فى حِمَى هيَفٍ قدْ لفَّها بالرَّوْعِ فى سِتْرِ
ولقدْ أعدّتْ فوْقَ هامتِها ثوباً لِبَغْتَتِها من الشَّعْرِ
إنْ فوجِئَتْ تُرْسِلْهُ ساترَةً ، خَيرَ المِثالِ لِناحِتْ الصَّخْرْ
كنموذجِ الفنّانِ هيّأها مُستَلْهِماً من سَبْطِها النَّضْرِ
ملأ الشّبابُ إهابَها ثقةً فَغَزَتْ قلوبَ الناسِ بالبَهْرِ
خَمْرُ الحياةِ فَمنْ تَرَشَّفَها لم يُغْنَ بالآمالِ والعُمْرِ !
قامت على رَمْلٍ غدا تِبْراً ومَشَتْ على حَصْباءَ كالدّرِ
فَغَدَتْ وكلُّ الحسنِ فى شَطْرٍ وجميعُ خلقِ اللهِ فى شَطْرِ !
فكأنها بلقيسُ فى سَبإٍ فى مَعْزِلٍ إلاّ عن الطّيْرِ
نهزَتْ رياضَتَها على طَوْدٍ لِقَسُوسَ مُلكَ الحُسنِ فى طَوْرِ

* * *

يا بنتَ موسَى أنتِ واقفةٌ فوقَ المياهِ ولستِ فى ذُعْرِ !
السحرُ ضمّنَهُ أبوكِ عصَى لكنْ عيونُكِ مبعثُ السِّحْرِ !
حَمَلَتْكِ أمواهٌ مُرَقْرَقةٌ لا ذاتُ ألواحٍ ولا دُسْرِ

(١) اخناتون ونفرتيتى .



الصائدة المتجردة

﴿ دراسة الفنّـان ج. ل. أرلود ﴾

والموجُ من دَهَشٍ على دَعَةٍ يرتدُّ بعدَ المدِّ للجَزْرِ !
وَخَطَوْتِ فوق الماءِ لا عجباً فالماءُ يحْمِلُ صورةَ البدرِ !
فنَجَوْتِ منه ، وإنما عجبٌ رائيكِ يغْرَقُ وهو فى البَرِّ !
للماءِ حيث وقفتِ جرجرةٌ هىَ نَفْثَةٌ نَمَّتْ جَوَى الصَّدْرِ
إن تسخري فالناسُ سُخريةٌ مَرَدُوا على التَّضليل والمَكرِ
إن يَسْتُروا سَتَروا على شرٍّ أوْ يَظهروا ظهروا على خَيرِ
ياليتهم حاكوْكِ تعريةً كم لابسٍ فى حُكم مُستعرى !
صِيدى أو السَّهىْ لَهْوَ محتفظٍ إن الجمَال الرَّخصَ لا يُغرى
والخلقُ طلاّبٌ لِمَا جهلوا والفكر فى مُستغلَق السِّرِّ

* * *

ما الصيدُ للأسماكِ تسليةً ولديْكِ كلُّ الصيد فى البرِّ ؟!
فاغشِ الرياضَ فأنتِ للزَّهرِ مخلوقةٌ ، والحسنُ للزَّهر
قد كان هذا البحرُ مُضطرباً ولَكمْ أبادتْ ثورةُ البحْرِ
رَوَّضْتِهِ كالوحشِ قَرَّ رَقاً تخْشَيْنَهُ للنَّابِ والظُّفرِ !
إنَّ الذينَ رأوكِ قد وَقفوا أسْرَى وحتَّى اليمّ فى الأسْرِ !
وَبدَا جبينُ الماء من فَرَقٍ خَوْفَ انقضاءِ لِقاءةِ العَصْرِ
وَوَداعِ من زانتْ حواشِيَهُ مُتَغَضِّناً كالعاشِق العُذْرِى
والموجةُ المُزْبِدَّةُ اطَّرَحتْ تجْثو لدى قدَمَيْكِ فى العِبْرِ !

اسماعيل سرى الدهشان





الشعر

﴿ ومنزلته فى الآداب العربيــة فى مصر والشرق ﴾

قرأتُ فى مجلة « أبولو » (عدد أكتوبر الماضى) مقالا ممتعاً لصديقى الدكتور محمد بك حسين هيكل محرر« السياسة» ، عرض فيه للشعر العصرى فى اللغة العربية ومُنزلته فى الآداب العصرية فذهب فى مقاله مذهباً أخـذ يذيعه منذ زمان مضى على صفحات « السياسة الاسبوعية» حيناً وفى كتبه حيناً آخر . على أننا لا نريد أن نورط الدكتور هيكل بك فندعو ما كتب مذهباً جديداً فى الادب ، لان ما كتب فى هـذا الموضوع لا يتعدّى حدّ أنه فكرة حاول من طريقها أن يصوّر حالة الادب العربى ليقول إن الشعر العصري قـد فاته النثر بمراحل واسعة ، فى حين أن الشـعر كان من الواجب أن يتصدّر زعامة الأدب العربى . وجاء فى مقاله ذلك ما يلى :

«... أحسّ منذ زمان بعيد ومنذ اطلعت على آثار شعراء الغرب ان الشعر العربى لم يقتحم كثيراً من ميادين الشـعر الخاصة به . والناقدون يفسرون هذا بأن نشأة الشعر فى البادية من شبه جزيرة العرب قد ضيقت نطاقه وحدّت من دائرته . وهذه حجة غير مقنعة فى رأيى . فهى ان صحت لا يمكن ان تعتبر غلا فى عنق الشعر بعد ان امتد سلطان الحضارة الاسلامية الى بلاد غنية بأساليب الشعر وفنونه وبالميادين التى اقتحمتها . ولست أرى كذلك ان الدين قـد كان سبب هذا القصور الذى قعد بالشـعر عن اقتحامه الميادين جميعاً . فالدين يفتح أمام الشعر ميادين كثيرة جـداً ويشجع عليها ، ومع ذلك قعد الشعر عن اقتحامها . فلا بد إذن من التماس الاسباب لهـذا النقص فى أطوار الامم التى تتكلم العربية من نواحيها التاريخية والاجتماعية والسياسية . وربما ظن بعضهم وجوب التماس هذه الاسباب كذلك فى ناحية الجنسية

وهل كانت السامية التى ينتمى اليهـا أكـثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هـذا النقص أو لم تكنه » .

وهذه الفكرة فى بحث الدكتور هيكل بك قضية تتبعها قضية أخرى هى أن الشعر العصرى جارى الشعر القديم فلم يستطع أن يقتحم ميادين الحيـاة جميعها فقصر عن اللحاق ببقيـة صور الادب فى العصر الحديث . أما السبب الذى يعزو له الدكتور هـذه الظاهرة فينحصر فى قوله : « أن لا سبيل الى اقتحام الشعر ميادين جديدة والى اندفاعه فى تيار النهضة بالقوة الواجب أن يندفع بهـا ، الا اذا اقتحم رافعو لواء الشعر هذه الميادين بروح جديدة : روح غير روح الانانية التى تحصرهم اكثر الامر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية او تفكيراتهم السطحية أو أخيلتهم القليلة الارتفاع » فكأنه يريد أن يقول إن الشعر العصرى قـد ورث عن الشـعر القديم ضيق الخيال وسطحية التفكير وفراغ الأخيلة ، وأنه لهـذا انحصرت دائرته وحددت ميادينه بحدود الانانية التى غزت الروح العربىّ وأثرت فى كل الشعوب التى ورثت العرب فى أدبهم وصور ثقافتهم جميعاً .

ومحصل الفكرة التى تجول فى رأس الدكتور ينحصر فى أن الأدب العربى لم يقتحم ميادين الحياة جميعها وأن الأدب العصرى ورث هذه الظاهرة ، وأنه لاسبيل الى التخلص من آثار هذا النقص إلاّ بأن يقتحم الشعراء المحدثون ميادين الشعر بروح جديدة أما الأسباب التى قعدت بالعرب عن اقتحام ميادين الحياة مثبوتة فى الشعر والأسباب التى قعدت بالمعاصرين عن التخلص من آثار الوراثة التى ورثناها عن العرب وكيف نستطيع ان نخلق ذلك الروح الجديد الذى يمكّن الشعراء من اقتحام ميادين الحياة كلها ، فأمور لم يعرض لها الدكتور هيكل بك فيما كتب فى « أبولو » ولا فى غيرها من الصحف

على انى لست أدرى بادىء بدءٍ لماذا لا يكون للروح الدينية أثرٌ فى صدّ روح الشعر عن الانبعاث فى ميادين جديدة واقتحام ميادين الحياة برمتها ؟ قد يقولون بان روح الدين لم تصدّ أدباء أوروبا وشعراءها عن ذلك ، غير انهم فى ذلك انما يغفلون عن حقيقة تضع فارقاً عظيماً بين الأثر الذى خلفه الدين النصرانى فى أوروبا والدين الإسلامى فى الشرق . على ان هذا الفارق لم يكن راجعاً الى طبيعة الدينين ، بل الى طبيعة البيئة والنشأة التى نشأت فيها شعوب الشرق وشعوب الغرب . فكان من

أثر هذا أن تكونت فى الشرق حضارة قامت على الدّين ، أما فى الغرب فقد تكونت عقيدة دينية قامت على الحضارة .

نعم لا ننكر أن عيسى عليه السلام قد بلغ شغاف روما وفى يد انصاره كتابٌ منزّلٌ تكوّنتْ أجزاؤه من روح النسك الاسيوية . ولكن الحقيقة ان الحضارة الرومانية ابتلعت هذه الروح وظلت طليقة من آثار الاسيويات بكل صورها ، فظلت كل صور الثقافة طليقة من الآثار التى قد تقمع العقل والمشاعر عن ان تسبح حيث أرادت وأينما شاءت ، حتى لقد امتدّ خيال ملتن الى الفردوس المفقود وخيال دانتى الى الكوميديا . فدخل كلاهما الميدان بشعور غير مفسد بالتقاليد وخيال غير مقيَّد بالقدسيَّات ، الى الحد الذى يصد الروح الأدبية عن الانبعاث فى سبيلها المرسوم. وعلى الضد من هذا كان الشرق : فان القرآن قد أدَّى رسالته وحصر اعجازه فى البلاغة والإيجاز . وقال بصريح العبارة « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ثم « وما فرطنا فى الكتاب من شىء » . فالشعر غير مبتغى فى ذاته ، والكتاب حوى كلّ شىء . فاذا تذكرنا ان هذه النصوص المقدسة تقيد ضمائر المسلمين كما تقيدها قواعد الدين الأصلية من صيام وصلاة وزكاة وحج ، أفلا يكون من المنطق الصحيح ان تصدّ هذه الروح القدسية أخيلة الشعر عن الانبعاث فى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة تتناول صور الحياة على حقيقتها ؟ ثم مَنْ مِنَ الشعراء يحاول بعد نزول القرآن ان يقتحم ميادين الحياة بعد ان انتقلت الحياة العربية بكل صورها من الدنيا الى الآخرة. وبعد أن اعجز القرآن العرب من طريق البلاغة وصور لهم ان هذه الحياة طريق الآخرة وخادمتها ، وساعد روح النسك الاسيوية على أن تتمكن هذه الفكرة من أهل الشرق الاسلامى فَتَعْضِرَ أخيلتهم عصراً وتحدّدها تحديداً ؟ لهذا نجد ان كل صور الأدب العربى قد نزعت الى خدمة الأغراض الأخروية دون الأغراض الدنيوية ، فحدّدت كل صور الثقافة ومنها الشعر فأعجزته عن اقتحام ميادين جديدة فى الحياة أو فى طرف واحدٍ من أطرافها الشتيتة ، ولقد أصبح الشعر بعد ذلك أداةً تخدم الأغراض الأخروية ككل أدوات الثقافة الأخرى : كالنثر والفلسفة والكلام . وإذن يكون الشعر قد قيّده الدينُ وأثّر فيه فصدّه عن اقتحام الميادين التى ينعى الدكتور هيكل بك على الشعراء المحدثين عجزهم عن اقتحامها . واذن يكون الدواء الوحيد هو تحرير الأفكار وفكّ الضمائر من اسارها القديم ، وحلّ الأخيلة عن خدمة الأغراض الدنيوية .

بعد هذا نتساءل: هل تحررت الأفكار في الشرق بحيث تستطيع أن تفكّ اغلال الماضي وتقتحم ميادين جديدة في الشعر والحياة ؟ اللهم كلاً !

من رأى الدكتور هيكل بك ان النثر قداقتحم ميادين جديدة لم يقتحمها الشعر وأنا أوافق على هذه الفكرة ، ولكن هل استطاع النثر أن يقتحم طريقه الى النقد التاريخي فى أشياء تتناول الاخرويات أو القدسيات ؟ هل استطاع ان يتناول البحثُ النقدىّ الأدبى فى علاقته بالادب الدينى ؟ وهل ينكر أحد أن علاقة الادب العربى بميادين الدين وثيقة الى درجة أن الفصل بين الطرفين مستحيل ، وأن تجريد الادب من النقد يجرد الادب من كل المبررات التى تجيز لنا ان ندعو الادب العربى أدباً على اطلاق القول ؟ هل اتصل الادب النثرى بالعلم ؟ وهل اقتحم طريق الفلسفة ؟ هل استطاع ان يبثّ فينا روح العلم والفلسفة كما بثّها فولتير وبايل وهمبولد وداروين وغيرهم من عظماء الغرب ؟ لم يستطع النثر ان يصل الى شيء من هذا ، وعلى هذا يكون النثر أيضاً فى حاجة الى اقتحام ميادين جديدة فى الحياة يأخذ عدته لها من روح جديدة . واذن يكون كلا عنصريْ النهضة الادبية فى احتياج الى روح جديدة تفتح لهما ميادين يقتحمانها .

هذا شأن النثر الذى يعتقد الدكتور هيكل بك انه بزّ الشعر وتقدمه فى ميادين الحياة . فهل يصح لنا ان ننعى على الشعر عجزه عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، فى حين أن النثر قد عجز بالفعل عن اقتحام باب واحد من تلك الابواب التى أكل مصاريعها الصدأ ولا تزال مغلقة اغلاقاً محكماً ؟ ثم ألا ترى معى أن الميادين التى اقتحمها الناثرون لا تزال محصوره فى الانانية التى « تحصرهم اكثر الأمر فى دائرة ضيقة من عواطفهم الوقتية أو تفكيراتهم السطحية او أخيلتهم القليلة الارتفاع » كمايقول الدكتور هيكل بك فى الشعر والشعراء . على أن النثر أيسر من الشعر طريقاً وأسلس قياداً وأبين سبيلا . وعلى هذا يكون عذر النثر فى العجز عن اقتحام أكثر ميادين الحياة غير بيّن تماماً ، ما لم نعد بالبحث الى نشأة النثر والشعر الى أصولهما والمؤثرات التى أثرت فيهما منذ قيام الاسلام الى اليوم .

نعودُ بعد هذا الى السبب الثانى الذي ذكره الدكتور هيكل بك وشك فى أن يكون سبباً فى صدّ الشعر عن اقتحام ميادين الحياة جميعاً ، وهو «الناحية الجنسية» التى يبدى شكه فيها بقوله « وهل كانت السامية التي ينتمي اليها أكثر المتكلمين بالعربية سبباً فى هذا النقص أو لم تكنه » .

ولا شك مطلقاً فى أن الروح الدينية قد صدّت كل المحتكين بها فى الشرق عن الانبعاث فى سبيل اقتحام ميادين الحياة . فالفرس وهم من أصل آرىّ ، لا من أصل سامى، لا ينزلون عن العرب تقيُّداً بهذه الروح لا فى العصر الحاضر ولا فيما سبقه من العصور. ولكن لماذا لا يكون لنشأة الساميين وبيئتهم أثر فى كل هذا ؟ فالساميون الذين يمثلهم فى العصر القديم ملوك الرعاة الذين غزوا مصر واليهود الذين يمتد تاريخهم الى أبعد العصور ولا يزالون الى اليوم خير من يمثل السامية ، كلهم قبائل رحل نشؤوا فى الصحراء وتأثرت عقولهم وأخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد التى غرستها فى نفوسهم طبيعة البلاد التى نشؤوا فيها . فهم والعرب شرع فى حكم التأثر ببيئة واحدة وبأخيلة بعينها . ولقد كان أثر الدين الموسوى فيهم كبيراً لا يقل عن أثر الدين الاسلامى فى العرب والذين وقعوا تحت سلطانهم . والمصريون كما ثبت اخيراً لا يمتّون للسامية بنسب ، بل هم سلالة من سلالات البحر الأبيض المتوسط لا علاقة لهم بآسيا على اطلاق القول ، كما أثبتت البحوث العلمية الجديدة فى نشأة الشعوب . فلماذا يكون الأدب فى شمال البحر الابيض المتوسط غيره فى شاطئه الجنوبى، والدم واحد والاخيلة واحدة ؟ ان أثر النشأة والبيئة واثر العقائد والتربية، كل هذا له نتائجه فى قمع الفكر والخيال، واذن تكون النتيجة ان السامية ، لدى الظاهر، لا تحمل مسؤولية الذى يبدو على الادب الحديث وعدم قدرته على اقتحام ميادين الحياة . ولكن اذا أردنا ان نصل الى الحقيقة لا إلى الظاهر، وجب علينا ان نتساءل : ماهى البيئة ؟ أليست هى مجمل الظاهرات التى تبدو على جماعة من الجماعات منتزَعة من طبائعهم وغرائزهم ؟ واذا صحَّ هذا وقبلناه راجعين به الى حقيقة العلم لا إلى المنطق فحسب ، استطعنا ان نُحَمِّلَ السامية بروحها الأخروية ـ التى هى صورة من صور الطبع الرسيس من الساميين ـ كثيراً مما يبدو على الأدب الحديث من العجز عن اقتحام ميادين الحياة ، واستطعنا ان نجعل أثر هذا الطبع فى تصوير العقائد وتحديد ميولها ونزعاتها بيننا فى التأثير الذى يدل على الشعوب التى غزتها السامية بأفكارها وعقائدها . ولهذا وجب علينا ان نربط بين النقد الأدبى وبين نشأة الشعوب التى ننقد آدابها ، وأن نتغلغل فى صميم تاريخها وندرس عقائدها واخيلتها والاتجاهات التى تتجه فيها اقيستها المنطقية على الأخص ، وإلاّ فاننا ولا شك نعجز عن أن نجعل للنقد اثره الأقوم فى توجيه الأدب، لأن النقد لدى الواقع هو هذه الأداة التى توجّه الآداب فى اية طريق يختار.

على اننا بعد كل هذا نتفق والدكتور هيكل بك على اننا نحتاج الى روح جديدة

نستطيع من طريقها ان نفتح للآداب الجديدة ميادين جديدة فى الحيـاة . غير اننا نحتاج الى هذه الروح فى النثر والنقد كما نحتاج اليها فى الشعر . وما هى هذه الروح ؟ عندى انهـا روح التحرّر من التقاليد وفكّ العقول والاخيلة من اسارها القديم ، والفصل بين الدنيا والآخرة ، وبالأحرى بين الحياة والموت .

إن النثر والشعر صورتان من صور الادب العـالى لهما فى كل لغة من لغات العالم الحية قديماً وحديثاً اثرهما وشأنهما الاعلا . غير ان النقد ، وهو عنوان هذا العصر ، لا يمكن ان يتركهما من غير ان يتحداهما بسلطانه الذى قال فيـه إدورد كيرد انه سلطان لم يفلت منه الدين مستوياً على عرش القداسة ، ولا القانون مستوياً على القوة والسلطة .

ولكن لأية صورة من صور النقد نحتاج لـكى نفلح فى ان نفتح للنثر والشعر ميـادين جديدة يقتحمانهـا الى صميم الحياة ؟ لا شك فى اننا نحتاج الى النقد الحر الذى لا يفلت منه الدين فى علاقته بالأدب ، ولا القانون فى علاقته بالأنظمة الاجتماعية . أما الى غير هذا من صور النقد فلا حاجة لنا .

جُعلتْ الحياة حرة طليقة ، وعلى هذا شاءت الطبيعة الحياة ان تـكون . واذن فلا يستطيع أن يقتحم ميادينَ الحياة إلاّ الاحرار . أما غيرهم فلا نصيب لهم فى الحياة بل نصيبهمُ الموت والفناء ؟

اسماعيل مظهر

حائر !

قبل أن أعرج على هذه القطعة الشعرية من الناحية الفنية ، أو أتكلم عن قيمتها الأدبيـة ، أقف هنيهة عند عنوانها « حائر ! » : ذلك اللفظ الذى يشعر حقيقة بالاضطراب وعدم الاستقرار .

يشعر الانسان أحياناً شعوراً غير اعتيادى ، يملك عليه كلّ حواسه ومشاعره ، شعوراً عميقاً لايدري كنهه ولا مأتاه ، ولا يعرف عنه إلا أنه سبب له انقباضاً ،

إن كان شعوراً بألم ، أو انبساطاً ، إن كان شعوراً مصحوباً بلذة أو سرور . وقد يصل به الانقباض إلى درجة السآمة والضجر ، فتبدو عليه الكآبة ، ويستولى عليه الحزن واليأس ، ثم هو يحاول أن يخلص بنفسه من هذه الحال المضنية ، التي يقاسى ألمها ، فلا يجد ثمة طريقاً الى الخلاص ويزيد فى انقباضه تفكيره فى الخلاص منها ، ثم لا يلبث أن يستسلم لليأس ، ويغمره الحزن ، وتثور ثائرته ، فلا تهدأ الا بعد أن يطفئها بقليل من العبرات التي تجود بها عيناه .



عبد العزيز محمد عطية

هكذا كان الشاعر سيد قطب عند ما بدأ بتسطير هذه المقطوعة ، وهذه هى الحال التي يعانيها كثيرٌ منا ، الا انه كان أقدر على التعبير عنها وطاوعه بيانه ، وطاوعته شاعريته على ابرازها صورة واضحة جلية لا تدل الا على الحيرة ، ولا تعبر الا عن عدم الاطمئنان ، وتقفنا على ما كان يختلج فى صدره من شعور واحساس. وكلما كان الشاعر قادراً على التعبير عما يجيش فى صدره من العواطف النفسية المختلفة كان واضح الشاعرية ، وسما مركزه بين الشعراء كشاعر .

مقدمة لابد منها للحديث عن هذه القطعة « حائر ! »

ونعود بعد ذلك الى الكلمة فنجد أن الشاعر قد انتحى فيها ناحية فلسفية حينما اتخذ من فؤاده طريداً شريداً هائماً على وجهه فى الاودية يبحث عن مأوى يسكن اليه ، ويجد فيه شيئاً من اليقين الذى ينشده ويتمناه ، وهو عند ما يقول :

اطمأن الليل الا من فؤادٍ خافقٍ يرجف كالطير الذبيح
مستطار هائم فى كل وادٍ أفما آن له أن يستريح ؟!

* * *

انه يحيا كما يحيا الطريد باحثاً فى الأرض عن مأوى أمين
حيرة لجت على هذا الشريد ليته يلقى شعاعاً من يقين !

* * *

كان يشعر بالحيرة التى كان يعانيها فؤاده ، وهل الفلسفة إلاذاك ؟ خصوصاً وأن هذه الحيرة لم تكن لأمر من الأمور التى تدعو للحيرة عادة فى الحياة اليومية المعروفة فلم تكن حيرة « لماضٍ قد ذهب ، ولا مستقبل ضاع هباء » ولكنها كانت حيرة نفس ثائرة غير مطمئنة ، وفؤاد مضطرب غير مستقر . أما عن النقطة الثانية (مزايا أسلوبها ودلالته بالنسبة لدقائق التعبير) فقد يكون فى مقدمة كلمتى هذه ما يصلح عنها جواباً .

ويدل على عصرية هذه المقطوعة بعدها عن الأغراض التى اعتاد الشعراء سابقاً السير على نهجها وعدم الحيدة عنها والتى هوت بالشعر العربى إلى درجة غير محمودة ، فقد حملوا الشعر مالم يخلق له وجعلوه خاضعاً لاحكام الظروف والمناسبات الرخيصة ، فلم يكن املاءً من شعورهم وترجماناً لعواطفهم ، ومرآة لاحساسهم ومشاعرهم .

ننظر بعد ذلك الى الكلمة فى ألفاظها وما حملته من معانٍ :لبعض الألفاظ دون بعض نغمة موسيقية خاصة تجعلها عذبة محبوبة تطمئن الآذان لسماعها ، وترتاح النفس عند قراءتها ، وهذه الالفاظ كثيراً ما يحتاج اليها الشاعر ليعبر بها عن المعانى النفسية الدقيقة الحساسة التى يريد أن يقولها ، وهذه الميزة تبدو ظاهرة فى تلك القطعة ، ولعل هذه أوضح مميزاتها فى الشعر العصرى . واذا أضيف إلى هذا ما ذكرته من وضوح التعبير فيها ، والغرض الذى قيلت فيه ، وموسيقية ألفاظها كانت هذه أهم مظاهر التجديد فيها.

أمّا الاجابة عما إذا كان لهذه القطعة نظائر فى شعرنا « الكلاسيكى » فتبدو عسيرة متشعبة النواحى يضيق المجال هنا عن شرحها بالدقة المطلوبة ، لأن هذا الموضوع يحتاج إلى مقال خاص . فكثيراً ما يوجد فى الشعر « الكلاسيكى »

شيء من هذه الروح ولكن ينقصها الترتيب والدقة والاتجاه ، وهذه الناحية فى الشعر — وإن وجدت — فى شعرنا الكلاسيكى قديماً وحديثاً إلا أنها لم تتخذ لها اتجاهاً مقصوداً وانما كانت تأتى فى الشاعر عفواً وفى ثنايا شعره .

أما أمارات شاعريتها القوية فهذا أمر يشعر به السامع ولكنه لا يستطيع التعبير عما أحسّه من قوة وجمال ، وكل ما يعلمه أنه شعر عند سماعها باطمئنان ، وأنها صادفت عنده قبولا. ولكن لماذا ؟ لا يدرى !

ونحن اذا راعينا سنّ الشاعر ولون ثقافته وجدنا أنه قد وصل إلى مرتبة فى الشعر ، وإلى اتجاه خاص ، يصح أن يقال فيه : انه ليس الاتجاه الذى كان يتجهه عادة من هو فى سنه وفى مثل ثقافته من الشعراء .

وبعد ، فقد يعزّ على انسان يعجب بقطعة من الشعر أن يحسّ فيها عيوباً ، وقد يكون غير مصيب فى هذا ، إلا أن اعجابه بها قد يعميه عن نواحى الضعف فيها ؟

عبد العزيز محمد عطية

الزعيم

ومخرّقٍ عنه القميصُ تخالُه	بين البيوتِ من الحياء سقيما
حتى إذا رُفِعَ اللواءُ رأيتَه	تحت اللواء على الخميسِ زعيما

أما أن هذين البيتين رائعان ، وأما أن الشاعر قد أجاد فى ارسالها أو جاوز حدّ الاجادة فذلك ما نسلّم به ويسلّم به معنا القراء . ولكن الذى نريد أن نتحدث عنه هو موضع الروعة ومحل الاعجاز وسر الجمال فيهما . ولعل موضع الاعجاز فى هذين البيتين هو أنهما يصوران لك النفس العالية فى صورتين مختلفتين ، صورة هادئة وادعة لا تود أن تعلن عن نفسها أو تشعر من حولها بوجودها ، وصورة متوثبة عاملة تتضاءل النفوس بجانبها وتتجلّى فيها البطولة والتضحية . وهما يمثّلان على وَجَازتهما أمام ناظريك فصلين من فصول الخَيَالة: يتراءى لك فى الأول مخلوقاً ضئيلاً يتعثر بين المنازل فى أسماله البالية ، ويتوارى عن العيون حياءً وخجلاً حتى

لتحسبه هزيلاً مريضاً ويسدل عليه الستار ، وأنت أشدّ ما تكون إشفاقاً عليه ورحمةً به . ثم يرفع الستار فى البيت الثانى عن ذلك المخلوق الضئيل وقد نُفخ فى بوق الجهاد ونادى منادى الحرب فترعّم قومه وكان من جيشه فى الطليعة ، ثم يسدل عليه الستار وأنت أشد ما تكون اعجاباً به وسروراً . بل إن فى هذين البيتين من سرعة الانتقال التى تكاد تجمع بها فى ذاكرتك بين الصورتين وتقرن بين الحالتين ما لا تستطيع أن تظفر به من الخَيَالة .

وإخالك بعد ذلك قد فهمت أن سرّ الابداع فى هذين البيتين ليس هو دقة التصوير فحسب ، فإن ذلك موجود فى الشعر العربى بكثرة ، بل إن هذا المعنى نفسه قد سبق الشاعرَ اليه كثيرٌ من الشعراء ، يحضرنى منهم الآن العباس بن مرداس إذْ يقول :

ترى الرجلَ النحيف فتزدريه وفى أثوابهِ أسدٌ مريرُ

ولكن موضع الابداع إنما هو فى سرعة الانتقال والجمع بين حالتين متناقضتين كل منهما فى ناحية تقريباً .

ونحن لا نزال نعتقد — حتى يأتينا القراء بغير ما نعتقد — أن حظ هذا النوع البديع من الشعر العربى ولا سيما الجاهلى منه كان ضئيلاً . ولقد كان الشاعر يجهد لغرضه بعشرة أبيات أو تزيد ثم لا تراه بعد ذلك يجيد الانتقال ... وها هو زهير ابن أبى سلمى زعيم الشعراء فى هذا العصر لا يستطيع أن يتخلص إلى مدح هرم ابن سنان بعد أن ذكر فى وصف الديار والاطلال أكثر من خمسة عشر بيتاً إلا بهذا البيت الذى لاعلاقة له بكلا الغرضين (الوصف والمدح) :

دَعْ عنكَ ذا وعَدِّ القول فى هرمٍ خيرِ البُداةِ وسَيِّد الحُضْرِ

ولعل أبدع ما نعلمه فى هذا قول الشاعر العربى يصف ديار أهله بعد اغتراب طال مداه :

بالأمس كان بكِ الظباءُ أوانساً واليومَ فى عرصاتِكِ الغُرْبانُ

فقد استطاع الشاعر فى هذا البيت وحده أن ينتقل بفكرك مسرعاً من حالٍ الى حال تخالفها .

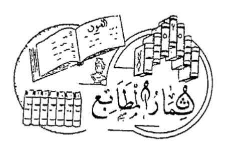
وأحسب أن شاعرنا عند إرساله هذين البيتين كان متأثراً إلى حدٍ كبير بقول عنترة العبسى يخاطب عبلة :

ضحكت عبيلة إذ رأتنى عاريا خلق القميص وساعدى مخدوش
لاتضحكى منى عبيلة واعجبى منى اذا التفت على جيوش!
ورأيت رمحى فى القلوب محكما وعلى من فيض الدماء نقوش!

فهو كما ترى يصور لحبيبته منظرين : رفع الستار عن الأول فاذا به خلق الثياب جريح الذراعين ، وفى المنظر الثانى كشف لها عن بطولته واقدامه وصبره على لقاء أعدائه . وحول ذلك صورة من الضرب والطعن والكر والفر : والموقف واحد تقريباً وإن كان شاعرنا قد أجمله فى بيتين فحسب .

واذا كان هذا الانتقال الخبرى رائعاً وجميلاً كما رأيت فانه فى باب الانشاء أروع وأبدع ، بل يكاد يكون من ألزم الأشياء الى شعراء المسرح ، كما ترى فى النماذج العالمية الممتازة ؟

طلبة محمد عبده



اثنا عشر عاما

فى صحبة أمير الشعراء

تأليف احمد عبدالوهاب أبو العز سكرتير المرحوم احمد شوقي بك، ١٩٢صفحة، ١٢ سم. × ١٥¾ سم. الثمن ٥٠ مليما . مطبعة مصر بالقاهرة .

لا نبالغ اذا قلنا إن هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير الدلالة مما لايستغنى عنه أى أديب يعنى بحياة شوقى واقتباس الشواهد من عاداته الخاصة وطباعه لتفسير نزعاته الفنية ومرامى شعره ، وإن كنا نتمنى على حضرة المؤلف اصدار جزء ثان يضمنه الكثير من البيانات التى لم تسمح العجلة بنشرها فى هذا الجزء . وقد استهله

مؤلفه الوفىّ الفاضل بمقدمة بليغة أتبعها بسيرة الفقيـد العظيم ثم بفصل ممتع عنونه « كيف كان ينظم الشعر » وبصور من أدقّ أخلاقه كبرّه بوالده ووالدته وأختـه ومعاملاته لآل بيته ولخدمه ورأيه فى النقد وفى بعض المجالس واجتماعه بسعد باشـا ونوادر زيارته لسورية وآرائه فى بعض معاصريه وعطفه على المرضى واشفاقه على المريض ، وأشقّ الساعات فى حياته ، ثم بفذلكة تاريخية عن أدوار حياته ومؤلفاته وعاداته ووطنيته وقوة ذاكرته وعن حياته البيتية وتفاصيلها. وقد أعقب ذلك بنبذ مما ظهر فى الصحف على أثر وفاة الفقيد من ذكريات وتأبين . وهذه مجموعة خليقة بأن يستهدي بها كل مؤرخ وأديب ناقد ، وحرية بشكرنا لمؤلفها الغيور ، متمنين أن يوفق قريباً الى إعداد الجزء الثانى من هذه المذكرات للطبع، فليس بيننا من هو أقدر منه لاداء هذا الواجب . وسيكون من حظنا فى المستقبل التعليق فى هذه المجلة على جانب من هذه المذكرات القيمة التى لا ننسب هفواتها الانشائية والمطبعية إلاّ لسرعة النشر ، لا سيما ومؤلفها الغيور أديب فاضل وشاعر متصوّف دقيق التعبير .

المثالث والمثانى

نظم حليم دمّوس ، جزآن فى ٥٤٨ صفحة ، ١٧½سم. × ٢٤¼ سم.
تتخلله صورٌ عديدة

تلقـينا هذا السفر الضخم من زميلنا الفاضل صاحب جريدة (الأقلام) فشاقنا الاطلاع عليه لأنه فريد فى طرازه ، وانتهينا من ذلك الى أنه كشكول ذكريات اجتماعية وتاريخية وشخصية بجانب ما فيه من شعر فنّى وإن كان هذا الأخير هو أقل ما فيه. فكتاب مثل هـذا يرتاح اليه العديدون ممن تربطهم بهذه الذكريات وشائج خاصـة ويندر أن يرتاح اليه القارىء المنقب عن الشعر الفنّى الخالص .

فأمّـا عن هـذه الذكريات الشائقة فمثال لهـا زيارة المرحوم حافظ ابراهيم بك للبنان (ص٢٤٠ — ٢٥٠ من الجزء الثانى) ولكن معظم هـذه الذكريات سورية ولبنانية الصبغة ، وكنا نتمنى لوأن هذه الذكريات الشخصية وشعر المناسبات الخاصة جُمع فى كتاب مستقلّ لمن يعنيهم واقتصر الديوان على الشعر الخالص أو ما يقرب

منه مثل قصيدة « الرائد » (ص ١٩٧ من الجزء الثانى) التى تعدّ من أحسن شعر حليم دموس وفيها يقول :



حليم دموس

يكاد يُزيحُ السترَ عن كلّ غامض ويفتتح الأفلاكَ فى غزواتهِ
يطالع سفرَ الكون حتى اذا انثنى أضاف على المكتوب من صفحاتهِ
فيرتشفُ الوُرَّادُ من قطراتِهِ ويقتطف الرُّوَّادُ من ثمراتهِ
وينظم للأجيال خيرَ قصيدةٍ يدوّنهـا التاريخُ فى حسناتهِ
وينشدُها السُّمَّارُ فى هدأة الدُّجى ويذكرها الطيَّارُ فى رحلاتهِ
وما العمرُ إلاّ رحلة اثر رحلةٍ يكابدها الإنسانُ قبلَ مماتهِ
فمن عاش عيشَ الظافرين تبسَّمتْ له صفحاتُ الكون فى خلواتهِ
ومَنْ مات موتَ الرائدين مغامراً فدَى العلمِ كان الموتُ بدءَ حياتهِ!

ومن المتأدبين من يتطلع خطأً الى الدواوين الضخمة فى حين أن ما يعنينا هو الشعر الفنّى القيّم ، فما كان يضير حليم دموس لو أُفرد لشعره الفنى ديواناً خاصاً حتى ولو جاء صغير الحجم ، فهذا وحده هو الشعر المقدَّر له أن يعيش . وخطأ آخر يقع فيه كثيرون هو المباهاة بسرعة النظم حينما الأجدى اتقانُ الاثر الفنى بغضّ النظر عن الزمن الذى يستدعيه هذا الاتقان .

وما دمنا قد نبّهنا الى حسنات شاعرنا فيجب أن نذكر منها فى الجزء الأول « الدنيا أم » ص ٧ ، و « هل تعلمون ؟ » ص ٧٤ ، و « تمنيات طفل » ص ٨٤ ،

و « الحقّ للحق » ص ١٤٦ ، و « حكمة الصغار » ص ١٥٥ ، و « سلوى » ص ١٧٦ ، و « همسة الطفل » ص ١٨٢ ، وفى الجزء الثانى « بين عامين » ص ١ ، و « الأمومة » ص ١٨ ، و «أمواج الدهر» ص ٢٥ ، و « مناجاة طيف » ص٢٩، و « الأم ورضيعها » ص ٣٣ ، و « قبل ذلك » ص ٣٨ ، و « مشهد الفجر » ص ٤٤ ، و « فى غاب بيروت » ص ٥٦ ، و « الشاعر والجرّاح » ص ٩٩

وقد خاطب المرحوم شوقى بك صاحب الديوان بقوله (ص١٥٣ من الجزء الثانى): « الشاعر الأرقّ الأدقّ » يشير الى رقة تعابيره ودقّة أسلوبه الذى يميل فيه الى السهولة والى الموسيقى التقليدية فى معظم الأحوال ، وهو ما ينزع اليه معظم الشعراء المصريين خلافاً للشعراء اللبنانيين الذين يستهويهم الخيال الشعرى الجامح فى معظم الأحوال اكثر من غيره من العناصر الشعرية .

مجلة الضياء

لمنشئها مسعود عالم النّدوى ، العدد ٤٠ صفحة ، ١٥$\frac{3}{4}$ سم. × ٢٤$\frac{3}{4}$ سم.

سُررنا بهذه المجلة المفيدة التى تلقّينا منها حتى الآن ستة أعداد آخرها ما جاءنا به البريد بتاريخ أكتوبر سنة١٩٣٢، وهى تُنشر شهرياً من مدينة لكنو بالهند واشتراكها السنوى خارج الهند ٧ شلنات . وهى موصوفة بأنها مجلة علمية أدبية تعليمية ، ولذلك نجدها متناولةً من الموضوعات أمثال : علم الجغرافيا والعرب ، والاسلام فى أوربا ، وتأثير الاسلام فى الشعر العربى، والعلة الثانية من علل المدارس العربية ، والمسرة ما هى ؟ الخ . وعنوانها :

AL - DHIA, Lucknow, India.

ولا بدّ أن يبتهج كلّ مطلع على هذه المجلة الممتازة برسالتها لخدمة الأدب العربى فى الاقطار الهندية الشاسعة ، وهى من أجل ذلك جديرة بكل تعضيد من أنصار الضاد أينما كانوا ، وسيجد محبّو الشعر مقالات شائقة خاصة بالشعر بين مختلف بحوثها مثل مقالات تأثير الاسلام فى الشعر العربى ، فضلاً عن نماذج من الشعر العربى من نظم أدباء الهنود . وهى مكتوبة باليد بقلم واضح ومطبوعة بالحجر طبعاً نظيفاً سليماً .

توزيع أبولو

بيان بأسماء المتعهدين والعملاء والمكاتب

(١) المتعهدون

في القاهرة

المعلم على حسن الفهلوى بشارع قصر النيل بالقاهرة (تليفون ٥٩٠٩٣)

في الاسكندرية والوجه البحرى

ماهر افندى حسن فرّاج بشارع سيدى عبدالرزاق الوفائى نمرة ١٢ بالاسكندرية (تليفون ١٣٥)

في الوجه القبلى

المعلم محمد على سراج ببنى سويف

(٢) العملاء والمكاتب

في محطات السكة الحديد

مكاتب أفاتس

في شبين الكوم

الشيخ عبد المنعم محمد سراج

في بورسعيد

الشيخ محمود جمعة حلبة صاحب مطبعة المؤدب بشارع الأزهر

في الاسكندرية

بطرس افندى ميخائيل بشارع المسلة رقم ٣٨

في المنيا

مطبعة صادق (تليفون ١٨٠ و ٢٦٠)

في الفيوم

ادارة جريدة (الفيوم)

في اسيوط

عبد المجيد افندى داود صاحب (الدليل الاسيوطى).

فى القاهرة

بالمكاتب الآتية : الوفد ، النهضة المصرية ، الأنجلو ، هندية ، الانجليزية ، الهلال ، الأهلية ، المصرية ، سعد مصر ، كوكب الشرق ، كرارة ، بيت الأمة ، فنك ، العباسية ، الاقتصادية ، النظامية ، المحمدية ، التلاميذ ، الجمالية ، مجدى ، اليوسفية ، السعيدية ، سوق عكاظ ، الجامعة ، الآداب ، المؤيد ، الأهرام ، التجارية الكبرى ، النهضة الحديثة ، الاستقلال ، مصر الحديثة ، الرياضية ، اللواء ، باب الشعرية ، الفجالة المصرية ، القمر ، سعد زغلول ، الجمالية ، فاروق ، مصر الحديثة ، الاستقلال الجديدة ، المعرض الفنى ، الخانكى ، التأليف ، الفؤادية ، صبّور .

وبالمجلات التجارية الآتية : محمد نظير ، عبد العزيز راغب ، محمود حسين ، محمد محمود عمر ، حافظ احمد ، عبد الرحمن بهلول ، مصيلحى ابراهيم ، أحمد إمام ، زكى شرف ، على عفيفى العقاد ، زكى عبد الحميد ، أمين العروسى ، محمود اسماعيل ، سيد أحمد .

فى المنصورة

مكتبة الشعب — المكتبة الحديثة — المكتبة التجارية

فى سوريا ولبنان والعراق

من المكاتب الشهيرة بواسطة شركة مصايف لبنان أو من الادارة مباشرة .

فى تونس

مكتبة حسن سيالة ، مكتبة الاستقامة ، المكتبة العلمية بتونس — والمكتبة الشرقية بصفاقس .

فى المغرب الأقصى

مكتبة نجم السعادة برباط

فى السودان

مكتبة حامد البدوى ، المكتبة العربية ، الخواجة عطا الله جبرة بأم درمان . مكتبة البازار السودانى ، زكى جرجس بطليموس بالخرطوم .



تصويبات

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٥٨	١٠	يومه بحثاً	نومه بيتاً
٤٦٠	١٩	أمرت	مرت
٤٦٣	١٥	اعتناء	عنـاء
٥١٧	١٩	عرة	عزة
٥٢٠	١٥	وردد	ورددنا
٥٢١	١٦	للرمان	للزمان
٥٢٢	١٢	وماء	ومأوى
٥٢٣	١١	حيا	حيَّى
٥٢٥	٣	مرسلةَ	مرسلةٌ
٥٢٥	٩	مرتبةٌ	مرتبةً
٥٢٦	٢	سلامه	سلامة
٥٢٩	٧	العرفُ	العرفَ
٥٣٦	١	المحرق	المحترق
٥٤٠	١٩	استفر	استفز
٥٥٠	١٩	لقادر	القادر
٥٤٣	٧	والفن	الفن
٥٥٣	٣	وبروجَ	وبروجُ







المجلد
الأول
العدد
السادس
أبولو
مجلة فنية لخدمة الشعر العربي
لسان حال جمعية ابولو
تصدر مرة في كل شهر
فبراير سنة ١٩٣٣
صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أحمد زكي أبوشادي
الادارة
بشارع الملك المعز رقم ٩
بضاحية المطرية بمصر
التليفون
١١٩٦ زيتون
و ٤٠٤٥٦
مطبعة التعاون



تفضلت صحيفة (البلاغ) المصرية فى عدد ٢٩ ديسمبر الماضى بالسطور الآتية من قلم حضرة ناقدها الأدبى :

« صدرت مجلة (أبولو) للشهر القادم فسبقت ميعادها ودلت بذلك على همة القائمين بتحريرها . ومعظم المجلات الاوربية الأدبية والعلمية تسبق ميعاد صدورها بأسبوعين أو ثلاثة . ويمكن القارىء أن يجد الآن فى المكاتب أعداد شهر يناير لعدة مجلات أوربية .

« وقد عيب على المجلة اتخاذها اسماً اغريقياً وهى خاصة بالشعر العربى واقترح عليها أن تسمى « عكاظ » أو « عطارد » ولكن الذين ذكروا هاتين اللفظتين قد نسوا أن « عكاظ » اغريقية أيضاً وهى تعريب « هيكات » ولسنا نظن أن عطارد عربية .

« ولكن لماذا لم يكتب (أبولو) كما كتبه الطبرى مثلا فانه ذكره فى تاريخه باسم أبلون .

« ولسنا نظن أن مجلة تختص بالشعر لا تجد عندنا الجمهور الذى تستحقه ، ولكننا نظن مثل (أبولو) لو اختصت بالفنون الجميلة لاتسعت دائرتها وزادت فائدتها . وخاصة اذا علمنا أن هذه الفنون لايزال الجهل بها أكبر من الجهل بالشعر . وعندنا الآن مدارس للفنون الجميلة لو ان طلبتها وجدوا مجلة شهرية تعينهم على فهم دروسهم أو على التوسع فيها لكان من ذلك فائدة لهم وللجمهور . »

ونحن لا نردّد هذه السطور زهواً بتقدير الزميلة الكريمة ، وانما لنعطى صورةً كاملةً من رأى حضرة الناقد الفاضل ثم لنتخلص من ذلك الى الاعتبارات الآتية :

(١) يسرنا أن نسجل غير مرة عطف الصحافة على (أبولو) ، فانها الى جانب فائدتها الثقافية الملموسة لا تنافس أية صحيفةٍ أو مجلة لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى بأسره ، وهى بوجودها تسدّ فراغاً محسوساً فى أدبياتنا وتقوم بخدمةٍ بارزة لأبناء العربية . ومن ثمّةَ كان لها أن تتطلّع الى معاضدة كلّ غيورٍ على

نهضة الأدب الشعرى ولا سيما رجال الجامعتين الأزهرية والمصرية ورجال دار العلوم فضلاً عن رجال الكليات والمعاهد العربية فى العالم العربى بأسره وأفاضل المستشرقين. فالشعر كان وما يزال ديوان النفس العربية الخالصة، وذخائر هذا الشعر النفيس جديرة بالاعزاز والتقدير حيثما نُطِقَ بالضاد. ولهذا نسجل مغتبطين مناصرة الصحافة الغيورة لنا وأخذها بيد هذه المجلة المتعاونة الودودة الى أخواتها جميعاً.

(٢) لقد كان الرائد فى تسمية هذه المجلة اعتباراً فرداً: هو أن تحمل اسماً فنياً عالمياً يلائم صبغتها، فلم نر أجملَ ولا أنسب من (أپولو). وهذه الصياغة أخف ظلا من (أپولون)، وليس فيها أىُّ شىء يمس كرامة العربية التى استوعبت فى تطورها الكثير من مختار الألفاظ الأجنبية حتى أن كلمة «استاذ» التى يرددها الكثيرون باعجاب يونانية الاصل بل والصياغة، ولا غبار على ذلك فالثقافة الانسانية مشتركة والعبرة بمبتكرات الفكر الانسانى وبجمال الذوق الفنى. وهذه المجلة لم تنشأ الا لخدمة الأدب العربى فهى أولى من غيرها بالحرص على كرامة لغتنا الشريفة.

(٣) ليس الغرض من هذه المجلة ولا من شقيقتها صحيفة (الامام) الأدبية أن تكونا فرديتين، وكذلك حال المجلات الاخرى المسؤول عنها محرر هذه المجلة، بل أمنيتنا تدعيمها جميعاً على أساس تعاونى حتى لا تكون حياتها مرتبطة بحياة مؤسسها، إذْ لم يقتل معظم الاعمال فى الشرق غير الروح الفردية، وهكذا تعمّ وتستمر فائدتها. والنيةُ متجهة الى تأسيس هيأتين تعاونيتين: احداها (مكتب النشر الزراعى) ليتولى الخدمة الزراعية العلمية، والاخرى (ندوة الثقافة) لتتولى الخدمة الادبية الفنية، مع توثيق عرى التعاون بين الهيأتين ما دام الغرض المشترك بينهما خدمة الثقافة العامة على أساس شعبى. ومتى تحققت هذه الأمنية استكملنا هذا البرنامج فلن يشقّ على الهيئة التعاونية المتخصصة للخدمة الأدبية الفنية إخراج مجلة مستقلة أو أكثر لخدمة الفنون الجميلة غير الكلامية كالموسيقى والنحت والتصوير الخ. اذا لم يقم غيرنا بهذا الواجب.

(٤) ان تقدير الجمهور حتى المثقف للصحافة الفنية محدود مع الأسف، ولا يسعنا الاّ الاعتماد على مؤازرة الزميلات لتنوير الاذهان حتى لا يستمرّ مقياسه الغريب للمجلات على أنها كمية ووزن وعدد دون اعتبار للجوهر وبنات الافكار! ونحن من جانبنا نبذل أقصى ما فى وسعنا لاخراج هذه المجلة فى أرقى مستوى مستطاع يتفق ومواردها المالية، وكلما زادها القراء والهيئات الادبية اقبالا زدناها تحسيناً غيرَ مسؤولين.

ذكرى شوقي

موت الشاعر

آه ما أجلها كانت حيـاتي — انها ملأى بأشتات الفنون
آه ! إنى مبصرٌ شمس وفاتى — انها الظلمة تبدو فى العيون !

* * *

أيها الكون سلامٌ لك منى — وسلام لك من قلبي المعنَّى
بلغى ياشمسُ هـذا الكونَ عنى — انني فيه ومنه اليوم مضنى
قد بدا بى اليوم وهنٌ أىُّ وهنِ — وبأذنى صوت هـذا الموت رنَّا
لحنه لمَّا تغنى شرُّ لحنِ — ليته ياصاح يوماً ما تغنَّى !

سمعت أذنىَّ فانهلَّتْ شئونى !

أيها الروض ـ وما الروض ؟ نسيتُ — كل شىء ـ آهِ مثواىَ الجميلُ !
أدَرَى طيرك انى قـد فنيتُ ؟ — أدَرَى غُصنك ؟ أم عنى يميلُ ؟!
يا رعى الله زماناً قـد حييتُ — فيك والروح بواديك تجـولُ
رَضِىَ الحبُّ ، وإنى قد رضيتُ — أتُرَى يعروك من بعدي الذبولُ ؟

أيُّهذا الروض يا مَثوَى شجونى !

أيهـا الليل الذى عـمَّ الانامـا — فيك أناتى ووجدى وسهادى !
كم عشقت البدر إذ يبدو تماما — فتولى فيـك ياليلُ رشـادى
ولكم ياليلُ أحببتُ الظلاما — حينما يقضي بصمْتٍ للعبـادِ
ليت شعرى ظلمة القبر إلاما ؟ — ألهَـا صبحٌ لذى عينين بادِ ؟!

أم ستبقى سرمداً فى كل حين ؟!



شوقي بك وأولاده

بمنزله بضاحية المطرية سنة ١٩٠٧ م .

ايها النجم ! سلامٌ يا رفيقى في الدجى والـكون يعلوه السكونُ
أيُّ عهد بيننا ؟ ايّ صديق كنتَ لى يا نجمُ إذ تطغى الشجونُ
انى ابغى بتعبيرٍ دقيـق منك لى يانجمُ ما سوف يكونُ
قد غُصِصتُ - قبل - من دنيا بريق حينما ساءلتُ قومى ما المنونُ
آهِ ! مَنْ يشرحُ لى معنى المنونِ ؟ !

أيها الحبُّ ! وداعاً ووداعـا والى « لا ملتقى » إنى أسيرُ
قد مضتْ عنى لياليك سراعا تسبق الطيرَ رواحاً إذ يطـيرُ
فسماعاً أيهـا الحب سماعا ان خطبي اليوم يا حُبُّ خطيرُ
أترى يا حُبُّ هل نرجو اجتماعاً في ظلال الخلد أم أين المصير ؟ !
ألهـا ، أم لقضاءٍ يدّرينى !

وبنفسى افتدى ياحُبُّ ظبيا ما درى حبي الى يوم مماتى !
ما كتمتُ الحبَّ عن نجواه عيّا بل لظنى أن ما ابغى مُوات !
أمل كان بنفسى قـد تهيّـا ليس يدري المرء ما فى الغيب آتِ
أمل لى لم يكن مذ كان شيّـا ومن الخير أكاذيب الحيـاةِ !
شكُّها يا صاح خيرٌ من يقينٍ !

آهِ ! من ينظم أشتاتَ المعانى فيصوغ الدرَّ للناس كلاما ؟
آهِ من تلهمه بعـدى المغانى ؟ فاذا الالهام وَحْىٌ لا يُسامَى !
آهِ من يشجوه يوماً ما شجانى فاذا بالجسم قد ذاب غرامـا !
لىَ شِعرٌ كان كالسبع المثانى قلتُه ، لـكن لماذا ؟ وعلاما ؟
انهم يا صاحِ حقـاً غبنونى !

وذَوَى الشـاعرُ فالدنيا على اثْره تبكى ويبكيه الوجـودُ
سار نحو الخلد من ساعـته ولقـد يحظى بمرآه الخلودُ

فاذا الدنيـا خـلاء مقفـرٌ   واذا الصمت على الكون يسودُ
واذا الاحباب فى ثوب الضنى   كلهم بالدمع ياصاحِ يجودُ
كلهـم بادٍ بأثوابِ الحزينِ

عبد الغنى الكبيسى

***

معجزة الشعر

ملأَ الحيــاةَ ترنّماً وهديلاً   وقضَى فروَّعها بُكًى وعويلا
الطائرُ الغرِّيدُ خلَّف صمتُه   فى الروض إقفاراً به وذبولا
من أسكر الأيامَ حياً شدوُهُ   فى الموت أسكرها أسًى وذهولا
ما زلتُ أسخر بالنعىِّ معللا   نفسى ، بشكّى فى الذى قد قيلا
حتى رأيتُ بكل روض وحشةً   تركتْه مهصورَ الغصونِ محيلا
ولمحتُ أسرابَ الطيور حزينةً   خرساء ، لاشدواً ولا ترتيلا
وشعرتُ بالجلّى يدبّ دبيبها   لا خاليـاً أبقت ولا مأهولا
صمتٌ ، وإطراقٌ ، ودمعٌ لم يدع   للنفسِ لا شكاً ولا تأويلا
وإذن فقد أقوت مغانى الشعر فى الـ   ـدنيـا وبات لواؤه محـلولا
وطوى الحمامُ صحيفةَ الأدب المنيـ   ـع به ، وأغمد سيفَه المسلولا
الساحر الفنانُ ينفذ سحره   بين القلوب محبّباً مقبـولا
والشاعر الموهوب خلّد شعرُه   أمماً ، وغذّى أنفساً وعقولا
أتراه قد ذهب الزمانُ بخير ما   جاء الزمان؟ أجبْ ! فصبرىَ عِيلا !
شوقى ! دعوتك أن تقول ، فلبِّنى   إنى عهدتُك للدعاء قَبولا
قد روَّع الدنيا رداك فعزِّها   فى خطبها الدامى ، وعزِّ النيلا
لأ كاد من حسى المصاب وأخذه   أصغى وأرهف مسمعى لتقولا !
كم معشرٍ كفروا بمجدك ضلّة   وأتيتهم بالمعجزات دليـلا
إن الذليل إذا أحسَّ بعزة   يطغى ، فترجعه الحياة ذليلا !
فأتم معجزة النهى وابعث لنا   من شعرك المُفْنى الفناءَ رسولا

ليس الخلود بأن تعيش محبباً للناس أجمع صاحباً وخليلا
إن الخلود كما عرفتكَ هادئاً وتقيم حولك ضجة وصليلا !

« • »

يا أيها الباكى على شوقى تكا د تذوب من طول البكاء نحولا
تبكى مصابَ الشرق فى البانى له مجداً أشمّ على الزمان أثيلا
تبكى مصابَ الفن فى البانى له صرحاً يرد الطرف عنه كليلا
أسدى له قَصصاً يسيل سلاسة ويفيض موعظة ويعذب قيلا
تبكى رسول الشعب زال خياله عنا ولم يك شعره ليزولا
تبكى النبوغ هوى بشوقى نجمه يا أيها الباكى ! بذلت قليلا . .
ما كنت شوقى واحداً فى جيلنا فرداً ، ولكن كنت وحدك جيلا !

« • »

يا يوم شوقى ! لم نجد لك فى الزما ن ، ولا لشوقى فى الزمان مثيلا
روّعت دنيا ما يزال يروعها ألاّ ترى عنه الحياة بديلا
قد مَدّ فى سبب الحياة بشعره وأقام فوق جبينها إكليلا
ما إن هوت فى شاطئيها أنجم إلا وكان بعثهن كفيلا
قد كان فى عصر الحضارة يوشعاً ردّ الشموس الهاويات أفولا
«قيس» سلى فى خطبه «ليلى» وسيـ رتها وأطلق دمعه المغلولا !
ويكاد « قمبيز » تسيل دموعه شجناً ، ولم تك قبله لتسيلا !

« • »

شوقى ! يجول الدمع فى عينى وفى قلبى ، ولم يزمع أساىَ رحيلا
ولشدّ ما يدمى فؤادى أننى لن أستطيع الى العزاء سبيلا
لا أنشد الصبر الجميل فلم يعد ـ من بعد مصرعك ـ الجميل جميلا
أبداً يحيينى خيالك فى الكرى وأراك تطفو رقة وقبولا
فأروح أسمعك الجديد ومنه أنـ ـك قد رحلتَ عن الحياة عجولا !
أروى مصابك بالدموع سخينة وأراه خطباً لا يطاق جليلا
فتروح تربت منكبىّ براحة يا طالما أفعمتُها تقبيلا !

فيهزنى الحزن الدفيق فأرتمى سكرانَ مشبوب الجوى مذهولا
فاذا صحوت صحى الأسى بجوانحى وبكيت من حزن عليك طويلا
كم مرة أصغيت لى ، فرثيت لل ـفنان يقضى فى الحياة خمولا
وتحيك لى حللَ الثناء قشيبة فتردُّنى جمَّ الحياء خجولا !
ياليت شعرى كيف حال الشعر فى الأ خرى ؟ وهل هو شأنه فى الأُولى ؟
سقم ، وآلام ، وحيرة شاعر لم يلق حتى للدموع مسيلا !
أم أن فى كنف الخلود وفيئه ظلا لأرباب البيان ظليلا
يلقون فيه العبء عن أكتافهم ويكفكفون المدمع المبذولا ؟
يا طالما قد كنت تسأل مَن مضوا كنه الحِمام وسرَّه المجهولا
فلتخبر الباقين عن سرِّ الذى لاقيت وارفع ستره المسدولا !
من راح عن سر الردى متسائلا يوماً سيُلْفَى فى غدٍ مسئولا !
نم فى ظلال بديع شعرك واطّرح عبء الحياة ، فكم أراه ثقيلا
تحنو عليك من النعيم سحابة تسقى رفاتك بكرة وأصيلا

مصطفى كامل الشناوى

حُلم تعجل

فارقَ الروضَ مسرعاً يتعجَّلْ لم يقفْ لحظةً ولم يتمهلْ
نزل الروضَ فى دُجَى الليل كالحلم وخلاَّه حينما الصبحُ أقبلْ
ملأ الدَّوْحَ من غِناءٍ شجىٍّ نفح الزهرَ بالنسيب المهلهلْ
كان لمَّا يرتل اللحنَ فى الليل يهزّ القلوبَ هزّاً فتذهلْ
أيقظ النائمين فى كلِّ فجٍّ ودعا للخلاص كلَّ مكبَّلْ
مزجَ الحكمةَ الرصينةَ بالشعرِ ، وسقَّى القريضَ من كلِّ منهلْ !

* * *

(أحمدُ) ياوحيدَ عصرك فى الشعر ، ألاَ نفحةٌ من الشعر ترْسَلْ ؟

أتصامتَ عن نداءِ الذى كانَ إذا ماتلى قصيدَك هَلَّلْ ؟!

* * *

يا مُقيلَ القريض من عثرة الضعف وحامى البيان فى كلّ مَحْفِلْ
سوف يُبلى الترابُ جسمَك فى حين سيبقى قريضُك العذبُ يُنْهَلْ
ستقول الأيامُ قد عاش كالزهر وسرعانَ مثلَه ما تحوَّلْ
ستقول الازمانُ قد ترك العطرَ بياناً بالرائعاتِ تجلَّلْ
ستقول الأيام خلَّدتَ «ليلى» بقصيدٍ من نسمة الفجر أجملْ
«وكلوبطرةٌ» تمدُّ يدَ الشكر (م) إلى المنصفِ العظيم المبجَّلْ
قد جلاها نقيةً من ظنونٍ سيئاتٍ ، جرى بها كلُّ مِقْوَلْ
فإذا المرأة اللعوبُ على الرَوْعِ حسامٌ مَنْ رامَه ليس يُمْهَلْ !

* * *

يا أبا الشعر إنّ طفلكَ أمْسىَ خائرَ الروح عانياً يتململْ
حينما أعلنوه بالخطبِ كادتْ روحُه من كيانه تتسللْ
صاحَ : ويحى من بعد أن غاب عنى مَن رعانى بعطفه وتكفّلْ
وغذانى من سلسلٍ مستفاضٍ فَضَّل الكونَ فى سناه وأجملْ
قدَّم الحكمةَ العجيبةَ للناس سُلافاً ، وطاب منه التأمُّلْ
كنتُ فى الطوع إنْ دعانىَ للنظم ، ويا طالما هتفتُ فأقبلْ
ويح نفسى قد مات من كان يلهو بلُبابِ الحياة ، إذْ كان يعملْ
والذى خصَّنى بكلّ حنانٍ والذى صاننى عزيزاً مُدَلَّلْ
عِفْتُ هذى الحياةَ من بعد شوقى كيف أحيا ؟ ومَن به أتعللْ ؟

* * *

طِبْ رقاداً يا موقظَ الحسّ فى الشرق،فقد خَلَّفَ القريضُ وأنسلْ
أنت ما مُتَّ رغم موتك إذْ ليس بميْتٍ مَنْ شعرَه الدهرُ رتَّلْ
أنت باقٍ ما دام فى الناس شعرٌ يتَسامَى وأنفسٌ تتغزّلْ
أنت باقٍ فى الدوحِ والروضِ والماءِ وفى الحقّ والهوى تتمثلْ !

* * *

فى صميم الدجى نشرتَ جناحيكَ وولّيتَ مسرعاً تتعجلْ !

مختار الوكيل

شوقى الشاعر

— ١ —

لم يدر بخلدى يوم كتبت بحثى عن « شوقى » فى صيف العام الماضى أن سيقدر له الظهور بعد أن يصبح الرجل فى ذمة التاريخ ، بل كنت ممتلئاً أملا ورغبة فى أن أحاضر وأن أدعو الراحل الكريم الى استماع محاضرتى عنه ، ولكنه الدهر والأيام تأبى على مصر الأسيفة الا أن تطوح بأفذاذها وتدعها تندبهم وتبكيهم . وإننى أرى واجباً على أن أنشر بحثى هذا راجياً أن أوفق فى وقت قريب إلى دراسته دراسة مستوفاة . أما الآن فسأقتصر على بحث أسلوبه ثم نتحدث عن شعره المصرى ثم نعرج على دينه وتجديده ونختتم بذكر وصفه .

دراسة أسلوبه

من المسلم به أن شوقى قد أوتى قدرة فائقة فى جودة التعبير ومتانة الاداء ، وهو يمتاز بالاسلوب الفخم والتراكيب القوية والنغمة الموسيقية الخلابة ، حتى أنه حين يأخذ المعنى القديم يصوغه صوغا جديداً يملؤك بالروعة والجلال ، وتحس كأن المعنى جديد طريف . ولا أريد أن أطيل فى هذا فأعرض أمام القراء نماذج من شعره ، ولكن شيئاً واحداً أحب التحدث عنه : ذلك هو استعمال شوقى لبعض ألفاظ قديمة يحب أن يحييها ، وأن يبعثها بعد موتها ، فهل من العيب على الشاعر أو الكاتب أن يُدخل فى قوله تلك الألفاظ الغريبة ، التى تحتاج إلى كشف وإيضاح ؟ عدَّ الناقدون ذلك عيباً على شوقى ، ولكنا نرى العيب كل العيب لا يكون إلا فى الاكثار منها ، إذ تضيع حينذاك روعة الفن وجماله تحت سماء ملبدة بالغيوم ، محجبة بألفاظ كثيرة مجهولة ، مع أن الكاتب أو الشاعر لن يجنى من وراء ذلك فائدة ما ، إذ لن يستطيع قارئه أن يحفظ كل ما جاء به من ألفاظ جديدة غريبة ، ولا يسعه إلا أن يلقى بقوله دبر أذنه . أما أن يأتى الأديب فى ثنايا شعره أو كتابته بقليل من تلك الألفاظ ففيه الخير كل الخير ، ولا يلومه على ذلك إلا من لا يعرف معنى الفن وروعة الفن ، ونحن على هذا المقياس لا نرى غضاضة فى شعر شوقى حين يطرفنا فى

الحين بعـد الحين بألفاظ عربية فصيحة ، نجهلها ونستعمل عوضا منها ألفاظا عامية ، لاندري ماذا يقابلها من فصحى العربية ، بل إنا لنشكر لهؤلاء الشعراء الذين ينبتهم الزمن فى الفينة بعـد الفينة ، إذ يحيون اللغة ويعدونها بنوع من القوة والنماء ، ويظهرون محاسنها وقدرتهـا على التعبير والاداء ، من غـير أن تقف حجر عثرة فى سبيل ما نريد .

غير أنا إذا حمدنا لشوقى ذلك وهو جدّ محمود فاننا نريد أن نذكر تأثير طريقة الشعراء المتقدمين فيه ، إذ أنه من المعلوم لدينا أنهـم كانوا يبدأون قصائدهم بالغزل والنسيب ، وقد أخذ بذلك شوقى فى بعض قصائده كقوله فى مشروع ملنر :

اثنِ عنان القلب واسلمْ بهِ من ربرب الرمل ومن سربهِ
ومن تثنى الغيد عن بانه مرتجة الأرداف عن كثبه
ظباؤه المنكسرات الظبا يغلبن ذا اللب على لبـه
بيض رقاق الحسن فى لمحة من ناعم الدر ومن رطبه

وقوله عند اطلاق سجناء المحاكم العسكرية :

بأبى وروحى الناعمات الغيـدا الباسمات عن اليتيم نضيـدا
الرانيات بكل أحور فاتر يذر الخلىّ من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجراً الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعبات على النسيم غدائراً الراتعات مع النسيم قدودا

فانت ترى غرامه بالمتقدمين قد ألقى به إلى تقليدهم فى بدء قصائد سياسية خطيرة بمقدمات غزلية كما كان الاوائل مثل المتنبي والبحترى يفعلون .

وعلى ذكر التقليد أرى أن قصيدة شوقى التى بدأها بقوله :

اختلافُ النهـار والليـل يُنسى اذكـرا لى الصبا وأيامَ أنسى

ليست تقليداً لقصيدة البحترى التى قالها فى إيوان كسرى وإن كانت الروحَ التى أملت على شوقى قصيدته هى روح الذكرى التى أملت على البحترى أيضاً .

شعره المصرى

يتنازع شوقى وطنان ، إذ هو مصرى نشأ فى مصر فغذته بدرّها وثمرها ، وتركى بجده وخاله ، وقومه وآله ، فلا نعجب إن أصبح يحنّ إلى الترك حنين المرء الى أصله والفصيل الى أمه ، على أن حنينه الى هذا الوطن القديم لم يكن فقط لانتمائه اليه بآل أمه وابيه ، بل لانه قد كان فى يد الترك تلك الخلافة التى تربط بين المسلمين وتوحّد من جماعتهم ، ولذلك فإنك تحسّ وأنت تقرأ قصيدته (انتصار الترك فى الحرب والسياسة) بروح المصريين تنطق معه بل بروح الشرق الذى كان يهنأ ويغتبط حين يرى الخلافة قوية ناهضة . ولقد كان شوقى صادقاً يوم قال :

تحيةً أيها الغازى وتهنئةً ... بآية الفتح تبقى آيةَ الحقب !
لمّا أتيت ببدر من مطالعها ... تلفّتَ البيت فى الاستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة ... إلى المنوّرة المسكية الترب
وأرّج الفتح أرجاء الحجاز ، وكم ... قضى اللياليَ لم ينعم ولم يطب
وازينت أمهات الشرق واستبقت ... مهارج الفتح فى الموشية القشب
هزت دمشقُ بنى أيوب فانتبهوا ... يهنئون بنى حمدان فى حلب
ومسلمو الهند والهندوس فى جذل ... ومسلمو مصر والأقباط فى طرب
ممالك ضمها الاسلام فى رحم ... وشيجة وحواها الشرق فى نسب

وإذن فهو يتصل بالترك بثلاثة أسباب : نسبه وآله ثم الإسلام والجامعة الشرقية ، ويشاركه المصريون فى السببين الاخيرين ، فلا غرابة إن مدح الترك أو حياهم ، على أن شعره فى مدح الترك كان يعبر عن النفسية المصرية يومذاك لأنها كانت ترمق الاستانة بعين الإجلال والاعظام .

وتبدو لنا شرقية شوقى كذلك حين تنزل بأى ناحية من نواحى الشرق نكبة أو كارثة أو ينال نجاحاً وخيراً ، فانه يقوم بواجب العزاء أويرتل أناشيد الغناء ، فقد ألفت بين الشرق جروحه ، ووحدت قلوبه آلامه وأشجانه ، فعلينا كما عليهم قيود وأغلال نرمق الخلاص منها بعين التفاؤل وقلوب الآمال ، وحقاً كلنا فى الهم شرق .

بيد أنى أريد أن أخصّ مصريته ببعض البسط ، بعد أن تحدثنا عن تركيته

وشرقيته ، فنرى شوقى يتحدث كلما عنت له الفرصة بمجد المصريين وحضارة المصريين ، وهو فى كل ذلك يستقى من عواطف فياضة وقلب نابض بحب مصر . واسمعه يقول فى المؤتمر الشرقى الدولى :

قلْ لبانٍ بنى فشاد فغالى   لم يجز مصر فى الزمان بناء
فاعذر الحاسدين فيها إذا لا   موا ، فصعبٌ على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائم شيدتْ   بيد البغى ملؤها ظلماء
إن يكنْ غيرَ ما أتوه فخارٌ   فانا منك يا فخارُ براء !

وفى الحق ان تلك القصيدة — وهى طويلة — تعتبر قيثارة لتاريخ مصر ، تسمع منها نغمة الغبطة والرضى ، والفخر والعظمة ، حين تكون مصر فى ذروة رقيها ، وقمة مجدها ، فان داخلتها الليالى — والليالى دهاء — سمعنا حديث النفس المصرية ، وهى تتحفز مجدة لاسترداد مجدها ونيل حقوقها . ثم اذا سمعت شوقى يحدثك عن دين مصر القديم أخذ بيدنا الى حيث يفكر الانسان الأول فيعبد المظاهر ويظل يرقى حتى وصل الفكر المصرى الى توحيد الاشياء فى (أزريس) التى تعتبر بحق من مفاخر مصر الخالدة ، حتى اذا ضلت العقول ولم تهتد الى الصواب أرسل الله رسلاً هم قضاة الحقيقة وهم أئمة الهداية ، تسمع هذا وكثيراً غيره فى تلك القصيدة الخالدة .

« شوقى » مصرىٌّ يخفق قلبه بحب مصر إن نأى عنها ، أو امتدت اليد الطائشة فطوَّحت به بعيداً عن مصره المحبوبة ، ولنستمع اليه يحدثنا عن غبطته وفرحه يوم عاد الى وطنه بعد منفاه فتراه يقول :

ويا وطنى لقيتُكَ بعد يأسٍ   كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى   عليه أقابل الحتمَ المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهى   اذا فهتُ الشهادة والمتابا !

ويقول وهو فى الغربة :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه   نازعتنى اليه فى الخلد نفسى !

وهو يعدّ مصر عروسَ الشرق وزينته ، شبت عن الطوق وهو لا يزال فى مهده . واذا كان شوقى يحب مصر من كل قلبه فهو يدعو شباب مصر الى أن يضحوا بكل شىء فى سبيلها ، وكلٌّ شىء فى سبيلها هيّنٌ رخيصٌ ، بل هو لا يتورّع أن يجعل

للكنانة فى قلوبنا تلك المنزلة التى نهبها لأقدس شىء فى الوجود ، واسمعه يقول للشباب:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم ... أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولّوا اليه فى الدروس وجوهكم ... واذا فرغتم فاعبدوه هجودا
إن الذى قسم البلاد حبا كمو ... بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان ــ والدنيا لحودٌ كلها ــ ... للعبقرية والفنون مهودا !

وهو لا يبخل بقلمه وشعره أن يكون هادياً لمصر مرشداً لها كلما رأى الوطن يناديه ، ومصر العزيزة تدعوه . فيوم نادوا بأن مصر نالت دستورها وبرلمانها أرسل صيحته الى الناخبين يرشدهم الى أماكن من يستحقون النيابة عنها ، وكم هو مصيب يوم دعا الى هؤلاء الذين يدركون صوالح الأمة ويؤثرونها بكل ما أوتوا من صحة ومال ، فليست دار النيابة موطناً للتفاخر ، ولكنها بناء للأيام والحقب ، ورفع للملك على أقوم الأساس ، ثم انظر الى آماله بعد ان قامت دعائم (البرلمان) حيث يقول:

يا رب قوِّ يدَها وشدَّها ... وافتح لها السبلَ ولا تسدَّها
وقسْ لكل خطوة ما بعدها ... وعن صغيرات الأمور حدها
واصرف الى جد الشئون جدها ... ولا تُضع على الضحايا جهدها
واكبح هوى الانفس واكسر حقدها ... واجمع على الأم الرءوم ولدها

ثم هو لا تقف آماله فى رفعة مصر ومجدها على البرلمان والدستور ، بل هو يدعو دائباً جاهداً الى الإقدام والجد ، ومجاراة العصر الحاضر الملىء بآيات البطولة وسمات الاقدم ، حتى ليحسب الحياة والمال سراباً خداعاً بجانب خيال المجد والصبر فى معاناة العلم والأدب والصناعة . واقرأ قصيدته (رحالة الشرق) لترى فيها آماله الكبيرة التى يود لو سمح الزمن بتحقيقها ، ثم انصت اليه حين يقول فى قصيدة ثانية :

فاض الزمان من النبوغ فهل فتى ... غمر الزمان بعلمه وبيانه
أين التجارة وهى مضمار الغنى ؟ ... أين الصناعة وهى وجه عنانه ؟
أين الجواد على العلوم بماله ؟ ... أين المشارك مصر فى فدانه ؟
أين الزراعة فى جنان تحتكم ... كخمائل الفردوس أو كجنانه ؟
أئذا أصاب القطن كاسد سوقه ... قمنا على ساق الى أثمانه ؟
الملك كان ولم يكن قطن فلم ... يغلب أبوَّتنا على عمرانه
بالقطن لم يرفع دعائم ملكه ... فرعون والهرمان من بنيانه !

دار العلوم العليا
بالقاهرة

احمد احمد بدوى
(سكرتير جماعة الادب المصري الاسلامى)

شاعر الانسانية

لا لقومٍ ولا لِدينْ أنت للنَّاس أجمعينْ !
أهلُكَ الوحيُ والهُدَى دينُك الحقُّ واليقين
سِرْتَ فى الارض رافعاً مشعلَ الخلد فى الجبين
فكأنى بك السَّما أودعت فى لظًى وطين
أنت للجيل ، إنما للذراريِّ بعد حين
الطغاة المهدَّمين للبناة المشيِّدين
للملوك المخلعين للعبيد المتوَّجين
للصعاليك ، للذين خدَّروا الأُسْدَ فى العرين
للزناة المسيطرين للأباة المستعبدين
أنت للشوكِ للورودْ للنبيين فى القيود
للبُذيِّين ، لليهودْ للنصارى ، للمسلمين
لا لقومٍ ولا لدينْ أنت للناس اجمعين !

* * *

مصحفٌ قصَّتْ السُّورْ فيه اسطورةَ البشَرْ
كلما أسمعَ العلى آيةً شرَّف المدَرْ
حرمُ الوحى لوَّن الحبُّ فى عدْنه الصُّوَرْ
فعلى كلِّ صورة مرضعُ القلب والبصرْ
صورٌ يمن بالرؤوس وتجلَّين بالفِكَرْ
فكأنى بهن أحدِرن من عبقرٍ أثَرْ
يا نخوراً بزفرة الشعر والحبِّ فى الوتَرْ
هازىء القلب بالطرَرْ ضارباً بالدمى الأُخَرْ
نسك الفنِّ — حين قبلته — فيك والحصرْ

أيها الحارس الامينْ هيكلَ المنطق المبينْ
يا أميرَ المشرّدينْ اخوةَ الشمسِ والقمرْ !

* * *

لا لقومٍ ولا لدين أنت للناس أجمعينْ !

* * *

ما الصّبَا فى تَرنُّمِهْ فى هَواهُ وفى دَمِهْ
وصباحُ الربيعِ يفترُّ عن عاجِ مبْسَمِهْ
والمساءُ الولهانُ يُصغى لهمسات أنجمِهْ
والاقاحُ البرىءُ ينفثُ أحلامَ بُرْعمِهْ
مثل سحرٍ تذيبهُ روحُ شوقى بمرقمِهْ
ما الهوى فى تألُّمهْ والدجى فى تَجهُّمِهْ
والسما فى انتقامها واللظى فى تَضرُّمِهْ
وصراخ البرىء فى نزوةٍ من تَظلُّمهْ
والمعرى على الورى ثائراً فى تهكُّمِهْ
مثل شوقى تثيرهُ غضبةٌ من جهنَّمِهْ
ماعلى النورِ واللهبْ وعلى الزهر فى الهَضبْ
إن أنتْ شاعرَ العربْ نائحاتٌ بمأتمِهْ

« ٥ »

بلبل الارض والسما ناشرَ النور فيهما
مالىء الارض حكمة وسما الحب أنجُما
يا أخا المعدمين ما كنت فى الناس معدما
انما البؤس ذقته فى فؤاد تألما
فى نفوس تظلّمت وشعورٍ تظلّما
عشتَ كالنور ملهماً وكعباس منعما
ثمن الغار ما دفعتَ دموعاً ولا دما
إيهِ شوقى ! خافظ كان أشقى . . . وأعظما
كان يستلهم البؤوس وتستلهم الدّمى

كنت تغفو متيماً حين يغفو ميتَّما
عرشك الشعر والذهبْ عرشه الشعر والخشبْ
آه ! فى دولة الادبْ أىّ ملكين كنتما !

« • »

عشت فى النفى مثلما عاش فى الخمرة الحبَبْ !
بين أمّى من الجلا ل وأشهى من الطربْ
عشتَ فيه كبلبلٍ مرَّ فى العيد واحتجبْ
حاملا من جناحه رعشة الخط فى الزَّغَبْ
لست أنساك طائفاً فى اليواقيت والذهبْ
فى قصور الحمراء تستنطق المجدَ فى الخربْ
تسأل الفنَّ ، رافع الرأس ، عن أسرة العربْ
فأرى من أميَّةٍ فيك ظلاًّ من النَّسَبْ

« • »

نحن الغار ما دفعـ تَ دموعاً ولا تعبْ
إيه شوقى ! لحافظ كان فى بؤسه أحبْ
كان يغفو متيماً حين تغفو ميتَّما
أىّ ملكين كنتما أمس فى دولة الادبْ !

الياس أبو شبكة

السامر

أرسلوا الدمعَ واذرفوه سخيًّا واندبوا اليومَ شاعراً عبقريًّا
مات مَن جاء بالبيان لنا سحراً وأهدى الأسماعَ لحناً شجيًّا
والذى صوَّرَ الحياة لنا شعراً وأبقى مدى الحياة دويًّا
والذى علم القلوب معانى الـ حبِّ معنى ظاهراً ومعنى خفيًّا

لم يكن واحداً يهون ولكن كان إذْ كان واحداً أوحديًّا
لم يكن واحداً يهون ولكن كان جيلا قد انطوى أبديًّا
لم يكن واحداً يحيط به القو لُ وتُثْنِى عنه المقالةُ شيًّا
انما كان عالماً من فنون وشعور ما زال ينبض حيًّا
كيف أرثيك يا أميرَ القوافى أبدمعى ؟ — والدمعُ ليس كفيًّا
أم بشعرى ؟ والشعر بعدك أضحى ليس يشفى فى القلب داءً دويًّا
ودولة الشعر بعد فقدك دالت وطوى الدهرُ عصرَها الذهبيًّا
واذا الدهر بعد ذلك دهرٌ عاش فيه ربُّ الخيال شقيًّا
واذا انت بعد ذلك ذكرى تعمرُ القلب غدوةً وعشيًّا

ابراهيم زكى

مأتم الطبيعة

(مرثية من الشعر الحر)

أطرقَ الطيرُ على هام الغصون كذبيح نغَرتْ فيه الكِلامْ
ودجا الكونُ وسجَّاه السكون بدثار الموت ، والموتُ ظلامْ
وذكا فيه لُهابٌ للشجون أخرس الشادى بشجوٍ وغرامْ
أىُّ خطب قد دهاهْ ؟ وأسًى أطبق فاهْ ؟
أتُرى شامَ الجِنانْ خمدت فيها الحياهْ
فبكى ؟!
أم رأى مَلْكَ الكنارْ هامداً فوق الكُثُبْ
ومزاميرَ الهزارْ مثلَ عيدانِ الحطبْ
فاشتكى ؟!
أم فَرى مهجتَه ظفرُ العقابْ ومضى فى جنبه سهمٌ سديدْ
فسرى فيه من الموت لعابْ وغدا يخفق كالقلب العَميدْ
فى نزوع يتلهَّى بالنغمْ
صارخا مما دهاه ..

من فناءٍ وعدمْ ؟!
إنه يبكى مماتَ الشاعريهْ...

« ٥ »

وخرير النهر فى الوادى كأنغام النّواح ،
ومسيل الماء من جَفن البطاح ،
أدمع الكون وعبْرات الطبيعهْ ...
كلّ طيرٍ ناحَ فيها .. ناعياً !
كل غصن مالَ فيها .. راثياً !
كل نَبعٍ سال فيها .. باكياً !
عبرت يمَّ المنايا وأعاصير الأسى ،
غالت الرّبّان منها فهوت ..
ثكلى على شطّ المنون .. لاهفهْ
ترسل الأنّات من قلب حزينٍ .. هاتفه :
كللوا النعشَ بريحان الغِياض .. والنّجودْ !
وادفنوه بين أزهار الرّياض .. والوُرودْ ! .
ليضوعَ الطّيب من أردانه فيها حياةً ومماتاً !
وانشدوا وَالطيرَ فى حفل الرّثاء ، كل صبح ومساء !
لم يمت « شوقى » وفى الشرق شعاعٌ من سناه !
سائلوا الأيام والأحلام والدنيا وماضمت أفانين الحياه !
أين من قيثارة الكون نشيد كان يحبوها الهناء ؟!
واسمعوا فيها صداه !

* * *

دولةٌ قامت على عرش الحياهْ من شعورٍ وجهادٍ ودماءْ
شاعرٌ فى الأرض لم يلْق مُناهْ فرقى يشدو لسكان السماءْ !

محمود حسن اسماعيل

الشعر الفنى

فى نظم شـــوقى بك

اطلعتُ على ما كتبه الشاعر المعروف مصطفى صادق الرافعى (ص ٥٣٤) تعليقاً على بحثى ، وكنت أظن أن حضرته فى غنىً عن أىّ تأكيد عن اخلاصنا فى خدمة الأدب ، فليس كاتب هذه السطور ولا « جماعة الأدب المصرى » بالذين يجحدون مواهبَ أحدٍ فضلاً عن مواهب الرافعى سواء وافقهم أو خالفهم ، وليست « أبولو » الا مجال التحقيق الجرىء والانصاف . وهذا لا ينفى توجيه النقد البرىء فى حدود معقولة وفى موضوعات معيَّنة . وليكنْ الرافعى مجدّداً فيما يهوى



على محمد البحراوى

(بريشة الفنان النمساوى الفريد فرناج — سنة ١٩٣٠)

ولكنى أراه شديد المحافظة والتقليد فيما أخذته عليه هنا ، ولى كل العذر فى وضعه بين شعراء المدرسة القديمة .

وأمّا عن بيت المرحوم شوقى بك على لسان قيس فى رواية مجنون ليلى :

لَبَّيْكِ ، مُنادِ دعا ليلى نخفَّ له   نشوانُ فى جنباتِ الصَّدر عربيدُ !



مصطفى صادق الرافعى

فمفروضٌ فيه تمثيل روح قيس وشاعريته . فاعتراض الرافعي عليه غير وجيه ، زدْ على ذلك أنّ قول شوقي « نشوان في جنبات الصّدر عربيد ! » فيه تصويرٌ بارعٌ لحالة القلب الخفوق المضطرب — وهي حالةُ قلبِ العاشقِ المروع . وهذا التشبيه البديع هو موضوع السؤال لأنّ معناه فريدٌ وهو لبُّ البيت السالف الذكر ، ولا أرى نكتة الرافعي مما يُستساغ في هذا المقام .

وأحسب أنّ ماذكرته عن تشابه المعاني الى حدّ ما في المواقف المتشابهة مع اختلاف الأداء الفنيّ ليس مما يعاب على الشعراء وليس مما يدعو الى اتهام أحدهم بالتوليد والاستخراج من معاني غيره ، فكثيراً ما تتماثل العواطف الانسانية والتصوُّر الشعري بل ودقائق التعبير أحياناً بين شعراء ممتازين .

انّ الموضوعَ ينحصر في أنّ الرافعي لا يزال ينظر الى معاني الشعر على طريقته المتشبعة بقواعد التوليد والاستخراج التي حَطّ بها من قيمة مقالة الجيد عن شوقي في مجلة «المقتطف» والتي لا يريد أن يقتنع بخطئها وإن اقتنع الشعرُ واقتنع المنطقُ. أمّا الغلطات النحوية التي يجري الرافعي وراءها في شعر شوقي فلم تكن — وان تكون — موضوع بحثي فانني قانع بدراسة لبّ الشعر وبتأمل معناه ، تاركاً ما خلا ذلك لعلماء النحو والعروض وهم قلما يحفلون بفنّ الشعر وروحانيته ؟

علي محمد البحراوي

(سكرتير جماعة الادب المصري)

***

(أعلنت وزارة المعارف المصرية عزمها على اصدار كتاب حافل بالمراثي والدراسات التي كُتبتْ عن المرحوم شوقي بك فرأينا ازاء ذلك أن نكتفي بالمختارات التي نشرناها في هذه المجلة وفي شقيقتها صحيفة « الامام » ، وإن كانت صفحاتُ المجلة ما تزال مفتوحة للدراسات الأصيلة وحدها . ولايسعنا الاّ شكر وزارة المعارف على حفاوتها بالشعر في شخص الفقيد الكريم — المحرر)





في هدوء الليل

ها هى الشمسُ إذْ هوتْ فى الفضاء غادة أجفلتْ تريد الخباءْ
غادة شيَّبتْ بنى حــــواء وهى فى سنٍّ كاعبٍ عذراءْ
أيها الليــلُ إن فيكَ عزائى أنا قد نُؤتُ بالنهار وناءْ
أَخفِنِى فى خــواطر الظلماءِ لستُ مثل الفراش أهوى الضياءْ!

* * *

ها هو الليلُ قد طرقْ فى خشوعِ
يبعث الشـكّ والقلقْ فى الضلوعِ
بعثر النجمَ فى الغسقْ كالقطيــع
وطـلى صفحة الشفقْ بالنـجيعِ
ربّ جفن به انطبق فى هجـوعِ
وسواه شكا الفرقْ بالدمـوعِ!

* * *

أجفل الضـوءُ من جيوش الظلام وتولّى عرشَ الطبيعة حامُ (١)
فإذا الليــلُ كالمحيط الطامى رسبتْ فى قراره الأَجـرامُ
وطفتْ فوق سطحه المترامى كلُّ روح خفّتْ بها الأحلام
فالتمسْ فيه كلّ معنى سامِ عجزت عن بلوغه الأوهامُ

(١) حام بن نوح جد الزنوج كما تقول الخرافة — استعمل رمزاً للسواد.

نبهونى لدى السَّحَرْ نـبِّهـونى
وخُذونى الى النهرْ ودعـونى
أنا والماءُ والشجرْ فى سكونِ
أملأ السمعَ والنظرْ بالفنونِ
ثم أفضى الى القمرْ بشجونى
ليس سرى لدى البشرْ بمصونِ !

« • »

هاهنا أُنشدُ الطبيعةَ شعرى فغناءً طوراً وطوراً أنينا
أنشد الطيرَ إن ظفرتُ بطيرٍ فإذا لم أجد أناجى الغصونا
كلما أوغرَ الخلائقُ صدرى فتحتْ لى صدراً أبرَّ حنونا
لا أذاعتْ أشعةُ الشمس سرى ليت بينى وبينهنّ قرونا !

« • »

ها هو الديكُ قد صدحْ بالأذانِ
وسنا الفجر قد لمحْ للعيانِ
فى وشاحٍ من الفرحْ أرجوانى
هزم الليل والجرحْ فى الطعائنِ
والندى حوله نضحْ كالجمانِ
منظرٌ صامتٌ طفحْ بالمعانى !

محمود غنيم

شروق الشمس

ولقد شهدتُ الشمسَ عند شروقها وهّاجةً ينجاب عنها الغيهبُ
من أفق بحر الروم يُسفر بعضها فوق الخضمّ وبعضها متحجّب
فكأنها لمّا تبدّى نصفها والنصفُ في تَخلل الغمام مُغيّب
حوريةٌ قد حجّبَتْ من وجهها جزءاً وجزءٌ سافرٌ لك مُعْجِب
جلواءُ تحسبها أفاقتْ من كرًى كانت به منذ احتواها المغرب
وكأنما قد جُدّدتْ وازّينت وغدتْ لمقبل يومها تتأهب
وتُطلّ من عليائها مَطلعها على كونٍ بعودتها اليه يرحّب
ظلّتْ تسامَى في الفضا حتى اعتلى قرصٌ لها وسْط السماء مذهّب
تتوهج الألوان فيه : فصفرةٌ ملء العيون وحمرةٌ تتلهب
يرمى الفضاء سماءه وعبابه بأشعة من حوله تتشعب
بينا تُرى ذهباً إذا هى فضةٌ بيضاءُ تكسفُ كلَّ عين ترقب
وجرى بمخضرّ العبابِ بياضُها نهراً يفيض من السماء ويُسكب

اكستر — انجلترا : فخرى أبو السعود





شاطىء الأعراف

كيف خلقت فكرتها ؟

هى ذكريات حزينة تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع فتهتكها أشباح سوداء ما تزال تتراءى أمام عينىّ .

كنت آنئذ فى المنصورة وقد مرت علىّ فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى وحالت إلى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس .

ولست أدرى أ كان جوّ المنصورة هو الباعث على ذلك ؟ وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المنقبض ما بعث فى نفسى هذا الشعور المتشائم نحو الحياة ؟ أم كان ذلك على أثر خلجة . . أستغفر الله . . بل خلجات كثيرة خفق لها قلبى فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة التى انتهت وما انتهت الى الثامنة عشرة من عمرى ؟

هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب وأحالت شعاعَ الأمل الربيعىّ الضاحك الى خطفات باهتة من شَفَق شتاء ، وما تزال تخفق على ضعفها فى محراب الحب .

وزادت هذه الحال فى نفسى سوءاً ، فهبطت نفسى من جراء ذلك الى قرار من الحزن سحيق لاأدرى سببه فلم أجد بدّاً من أن أترك هذا البلد الحزين حسب مشورة الأطباء إلى بلد آخر أجد فى جوّه سلوى ، فاخترت القاهرة مقاماً .

ولكن كان ما خفتُ أن يكون : فقد هاجت سماء المدينة الأزلية وروحها العتيدة الناعسة الحالمة على أعتاب القدم والأبد . . . أقول هاجت كل ذلك الحزن الى أبعد قراره فى نفسى ولاسيما حينما وقفتُ على مقربة من الجزيرة أرقب النيل من ناحية

بدا لى فيها ذلك الا زلىّ كأنه شـاعر يغـنى فى جانب الموت أغانى تلاشت معانيها فى حواشى الألحان ..! ثم تركت القاهرة إلى « نوسـا البحر » وهى قرية تتـكىء على النيل ويخيم عليها جوّ المنصورة اكثر ما يكون وحشة وانقباضاً .. مكثتُ بهذه القرية خمسة أيام كنت أختلف فى أمسياتها مع قريب لى إلى مكان هادىء يشرف على النيل فى مشهد رائع طالعَتْه على مبعدةٍ أشجارٌ باسقة من الصفصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب فـكانت تـكسبه روعة فى الليل ضافية وكأنها بعض عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى ذهول العبادة وهم ينصتون بألف أذن الى مزامير الآلهة ! ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة « شـاطىء الأعراف » : فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف ، والظلمة المروّعة التى كانت تألف نفسى اليها هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضاً .

وقد مضى الآن على هذه القصيدة سـنوات أربع ونشرتُ منهـا متفرقات فى « السـياسة الأسبوعية » وهاءنذا أعود بعد تنقيحها فأقدمها الى قراء مجلة « أپولو » الغراء كاملة لا ينقصها شيء .

لقد انتهت قصيدةُ شاطىء الأعراف ، ولـكن هذه الروح العلوية التى غمرت سماء حياتى بنور جمالها البـاهت الحزين وهى تصاحبنى فى شـاطىء الأعراف ما تنفكّ تصاحبنى بعد شاطىء الأعراف .

فإلى هذه الروح التى أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد ، الى هذه الروح التى تتغـنّى بها كل مشاعرى كما يتغـنّى الجدول بكل أمواجه ، الى هذه الروح العالية واليها وحدها أهدى هذه القصيدة ؟

كلية الآداب ــــ الجامعة المصرية م. ع. الهمشرى

الذكريات

عند ما خدّرَ الفناءُ شكاتي   وسقاني كؤوسه المنسيّاتِ
بعثَ الشعرُ من لدنه نسيماً   فائحَ العطرِ طيّبَ النغماتِ
هزّ قلبَ الصبيّ فأيقظَ فكري   فهفت بي سفينةُ الذكرياتِ
في خضمّ الافكارِ تطوي بي الوقتَ (م) وتهفو إلى ضفافِ الحياةِ

* * *

كلما حاولت لهنّ رجوعاً   دفعتها اللجّاتُ منها اليها
رقصت في شراعِها الريحُ حتى   حطّمته وحطّمت دفّتيها
رحمةً منكِ يا رياحُ ورفقاً   ودعيها ومن ينوحُ عليها
فلها في الحياةِ كالبرقِ آما   لٌ تساريه في دجى شاطئيها

* * *

ترمقُ الشاطئين من خللِ الدمـ   ـع حزيناً فلا يكادُ يبينُ
غير نورٍ يلوحُ كالومضِ شقّت   فوقهُ السحبُ فهو فيها كنينُ
وسناً يزدهي عليه كلون الـ   طيفِ كابٍ، على الدجى موهونُ
هو حبُّ الذين قد ذكروهُ   وشجاهمْ بعد الفراقِ الحنينُ

* * *

وتؤاتيه ضجّةُ العيشِ همساً   مثلما يسمعُ الجنينُ الهزيما
يتمشّى صخبُ العواصفِ فيهِ   مشبهاً في كرى المنونِ نسيما
وضجيجُ الأيامِ ينغمُ كالجر   سِ خفوتاً يسري إليه بهيما
أبداً ما يزالُ يهمسُ في المو   تِ صداها بأذنهِ مستديما

* * *

وخلالَ الاصداء صوتٌ حنونٌ   تائهٌ بينَ ضجّةِ الانواء
يتخطّى عصفَ الأعاصيرِ وثباً   لا يبالي بهولِ هذا الفناء
ولهُ جنّةٌ يرجّعها المو   تُ كنجوى من عالمِ الأحياء
ترهفُ الأذنُ نحوها ثم ترخي   في ذهولٍ يجيب بالاغضاء

* * *

إنه الحب ما يزالُ يُعاني كُلَّ هَوْلٍ ويمتطى كلَّ صَعْبِ
يجشمُ الصخرَ فيهِ والسَّرَبَ الدَّا جى ويَطْوى سَهْلاً خَصيباً لِجَدْبِ
وسَوَاء لديهِ كلّ عَنُوتٍ أو ذَلُول على طَريق الدَّرْبِ.
ليس يَخْشَى اللَّجاجَ فى كلّ حينٍ أو يخافُ الرَّدَى على كلّ سربِ

* * *

ويكَ ياحبّ أينَ تمضى إذا ما نَسَجَتْ حولَكَ المَنُونُ شِباكَا
وبَعَثْتَ الأَنْفاسَ مَعْسُولَةً حَيرى إليها تَبُثُّها شَكْوَاكَا
أترى ياهَوَى ستقتحمُ المو تَ وتلقى كالنَّفسِ منهُ رَدَاكَا
أمْ سَتَبْقى حتَّى تراكَ صَيُوداً فى غِياضِ الفِرْدَوْسِ تَرمى هُناكا ؟!

* * *

تنزعُ النَّفسُ للشرورِ وتهوى هى منها عَناصِراً فى الرُّوحِ
إنما الشرُّ مَفزَعٌ لشجاها لو خلَتْ من قداسَةِ التَّسْبيحِ
ولها منه مَسْبَحٌ ومَطيرٌ مطمئنٌ على فضاء اللُّوحِ
وهو كالحبّ كَوثرٌ ونماءٌ وهو مرعىً للرُّوح جمّ الشُّروحِ

* * *

أيها الحبّ أنت للموت موتٌ ذو غِلابٍ على البلى مستخفُّ
أنتَ صِنْوُ الحياة وارثة المو تِ ونورٌ على الآكه يَرِفُّ
سوف تبقى بعد الفَناءِ سَبُوحاً فى فضاءٍ من الأثيرِ يَشِفُّ
تَلْحَظُ الكونَ فى سُباتِ المَنايا مثلَ رُؤْيا تَهْوِى بهِ وتَدِفُّ

* * *

(الشاعر ينتبه فجأة على ضجيج سفن الموت فيرتاع ويناجى الوقت)

ويكَ ياوقتُ ! اتَّئِدْ ! أينَ أمضى؟ تائهاً فوقَ هاتِهِ الأمواجِ
فوق مَكسُورةِ الجَناحِ دَهَتْها عَصْفَةُ الجائحاتِ والليلُ داجِ
فى خضمّ تَذْوِى العواصفُ فيهِ ناعياتٍ نورَ الشُّموسِ السَّاجى
عاصفاتٍ عليهِ تعْتَنِقُ المو جَ وتَعْدُو لغيرِ ما مِعْرَاجِ

* * *

﴿ سفن الموت ﴾

نصلتْ من غبارِها سُفنُ المو تِ وسارت بمن تقلُّ خِفافا
لـفها المـوتُ فى غياهبِهِ السُّو دِ وأسرى يَطوى بها الأسْدافا
وبهـا رايةٌ تُشـير الى الشَّطّ (م) وروحٌ يهـدي له زَحْفـزافا
كلما طافَها الفَـناءُ بصوتٍ رَفعَتْ قلعَـها له إرْهافا !

* * *

خاضتْ الموتَ مُسرعاتٍ مع الوقـ تِ ترانى الحيـاةَ فى طَنْخياءِ
تطِيشُ الموجَ خفّةً ثم تعلو فى سماءٍ مـن البِـلى دَكْنـاءِ
وَشّـعَ الموتُ جانبيها اصـفراراً فأفادتْ منه ضِياء المساءِ
فى شفوفٍ إبْرَيْسَمٍ سـابحاتٍ بشراعٍ مرقرقٍ من ضِياءِ

* * *

طائراتٍ على جناحٍ حبارَى سابحاتٍ على بُطونِ سُماني
شتّتَ الوقتُ جمعَهن فراحتْ عابراتٍ على الرّدَى أُحْدانا
يَنـْفَحُ النِدُّ فيهِ ريّـا خُزامى مُومَضٍ حاطَهُ الشّذَى إدجانا
ينْـهبُ الشّـاطِئان عبقَ شذاها فيُؤاتى زَهْريهمـا نَعْسـانا

« • »

وأرى فلكى الكسيرَ عليه يتهادَى من بينهـا مَبْهوتا
فاجأتهُ الويلاتُ من كلِّ صوبٍ خلّفَتْهُ من عَصْفِـها مبغوتا
فى ذُنابىَ الأفلاكِ يَهفُو الى الشّطّ (م) فيـلوى به الردى مَكبُوتا
فاذا عادَهُ من الشّطّ طيفٌ شَـذّ من قلعهِ يُسـارى الحوتا

« • »

ولـكم مرّتْ اللّيالى أمامى مُسرعاتٍ ، يَلْحُنَ مثلَ الظـلالِ
وكأن السـاعات فيهنَّ واليو م وكلّ الأوقات نورُ الزّوال
فيك ماتت هذى السنونُ أيا ليل (م) وباقي الأحقابِ فى اضمحـلال
تنْشرُ الوقتَ فى الحيـاة لتطويه (م) جـديداً والبعض فى أسمـال

الشاعر والآلهة

(يستفيق الشاعر مرة أخرى على نور يَغشى الأفق فيستفسر الآلهة عن ذلك فيجيبه)

الشاعر

أىّ نور هـذا الذى يبهر الأفـ ق ويَزهُو مُغَشِّياً جَنَبَاتِهْ ؟

الآلهة

هو ياشاعرى الصغير رِكابى ويَشعُّ الضياءُ من مِشكاتِهْ
قد تخطَّى إليكَ كلَّ هبوبٍ ومُسفّ اللُّجَّاتِ فى مانجاتِهْ

« • »

وبدا فوق صَفحَةِ الأفق «أبّو س[1]» يُقلّ الانوارَ فى مَرْكَباتِهْ

« • »

يا لَه مركباً غـلائلُـه النُّو رُ ومن خالِصِ الأثير شِراعُـهْ
احتَوَتـهُ الأنوارُ فى رَكْبِها الضَّا فى ودَانَى طَرْفَ الأَواذى شُعاعُـهْ
فَتَراءَت مثلَ القَنَاديل تَترَى حوله ، فوقها يَرفُّ التماعُـهْ
أو دُؤًى فى كَرًى تَراءى وِضَاءً ضَمَّ أطيَافها إليـهِ قِلاعُـهْ
قد تهادى بين الظلامِ كحُلمٍ ذَهَبِىٍّ على جنـاحٍ فضّىٍّ !
من دُؤَى أول الكَرَى وهى تَسرى مُسرعاتٍ من العُيونِ الغُمَّضِ
حوله مَوْجتانِ قـد حوَتاهُ وهو فيها يَرِفُّ مثلَ الوَمْضِ
يَعْـكِسُ السِّحرُ فوقه كلَّ حين فى زَهِىِّ الأطيافِ من كل محضِ

« • »

(الآلهة تنصح الشاعر أن تحمله الى الفردوس فيصرّ على مرافقتها)

أنتَ ياشاعرى تحمّلتَ صبراً فى حياةٍ محفوفةٍ بالزوالِ
هىَ رؤيا حلمٍ ويَقْظتُه المـو تُ ، وقَفْرٌ سماؤهُ من آلِ

(١) اله النور عند الاغريق .

تبدأ العيشَ فى الذى تنتهى فيـ ـهِ سوادٌ على قفيرٍ خالى
ونهارٌ يمضى بساحةِ ليْلَيْـ نِ هو العَيشُ وهو عُمْرٌ خيالى

« • »

إيهٍ ياشاعرى تحمّلتَ صبراً فى عذابٍ قد فاق كلَّ عذاب
لكأنى أراكَ فى نشوةِ الفكرِ (م) شَكيّاً تشكو من الأوصاب
أترى ترْتضى اصطحابى الى الجنّـــة مثوى الشَّوادِنِ الأسرابَ
حيثُ تلقىَ ما تشتهيه من الآ مالِ فى الأشرباتِ والأسلابَ

« • »

﴿ جنة الشعراء ﴾

تستطيبُ الجلوسَ فى ظلِّ أيْكٍ رَفْرَفَ الطيرُ فوقه أسرابا
يتغنّى بين الثمارِ بلحنٍ هل سمعتَ القيانَ غنَّتْ طِرابا
من وحيْدَيْن يسْجعانِ سروراً وشَجيَّيْن يشدُوانِ انتحابا
وجـرى الماءُ فى الغـديرِ رحيقاً وجـرت فوقه الزهـورُ حبابا

« • »

جنـةٌ صاغها الالهُ من السِّحــر (م) ففيـها صبابةُ السعـداء
نورُهـا من وشائعٍ من هـواء فهى منه فى رقـةِ القَمراءِ
وتغـنى الاطيـارِ فيها اصطخـابٌ فصباهـا من عبقـرىِّ الغنـاء
من خيـال الاشعارِ قد صاغها اللهُ (م) ففيهـا روائعُ الشعـراء

« • »

سترى «افرليز» [1] تجـرى على العشـ ـبِ وتهفـو إلى شراع المـراكبْ
و «نفاتيس [2]» فى ضفائرِها الصفر (م) تغنى تحت الثلوج الأشاهبْ
و «عذارى الينبوع» تعزف موسيقى (م) دبيـعٍ فـوق الضفـاف الشواعبْ
ســوف تلقى هنـاك كلَّ نعيمٍ فتقضّى فيها جميعَ المـآرب

« • »

(١) دمية القتها الالـهة ايزيس فى النيل فاستحالت الى حورية تعابث الامواج والشراع.

(٢) قصة حزنها مشهورة عند «اقهرنها آلهة بابل وأشتار فى بلدة نيكور.

(الشـاعر)

أمطـرتك الرحماتُ ياربة الشعـر (م) وجادتكِ فائضـاتُ اليمين !
كنت سلوايَ فى الحياة ، وفى المو تِ أراكِ ، على دجاهُ خدينى .

(وتتركه آلهة الشعـر فى الفردوس وتهمّ بالمسير فيصيح الشاعر بها)

ماأرى ؟ تزمعين بعـد رحيـلا ؟ ربة الشّعـر ـ ويكِ ـ لا تتركينى !
أيةً تذهبـين فى ذلك المـوتِ ؟ (م) ولـكن هيا !... خذينى !... خذينى !

(آلـهة الشعر)

شأن نفسى وذاك فيَّ غرامٌ أن تلاقى الخطوبَ والاهْوالا
اقتبـلْ أنت ناعماً وتفكهْ فى جنـان طابت جنىً وظـلالا
سـوف آتيك بالذى قد أراهُ فوق شط الأعراف ، فاهدأ بالا
إننى سوف ألتقى بمنايا تصرعُ الريح ، تنسف الآجالا !

(الشـاعر)

آه ! ياطائفَ الخيال تعـالى ! وابـقَ جنبى ولا تغامرْ وحـدكْ
كيف تلـقى الرَّدى وأنت ضعيـفٌ وسهامُ المنونِ يقصـدْن قصـدكْ
ونديٌّ الانوار يلفحُ وجـهكْ والنسيمُ العليلُ ينسـلُ شعـركْ
فاذا غالك الفناءُ بسهـم كيف أرضى الفردوس داراً بعدكْ ؟!

(آلـهة الشعر)

قِرَّ نفساً فاننى لا أبالى بشعوبٍ ولستُ أخشى الحِماما
أنا فى رُوحها الكريهةِ روحٌ لا تلاقى المنونَ إلا سَلاما
أنا كالبارقِ السّماوىّ نورٌ لا ينى فى مُضيِّه يترامى
هو يبدو من حيثُ يحسَبُه النا سُ تعاطى من المنيةِ جاما !

« • »

هاكَ فلْكى على الدُّجى يتراءى مُستضاءً . . كالكواكب اللّماحِ
يبهر الموتَ نورُه . . فهو أعشى يتحاشى من خطفه بالرَّاحِ
يومِضُ الليلَ بالسّنا مُستطاراً فى اصفرارٍ يحكى اصفرارَ الاقاحى
صَنعتهُ إلـهةُ الشّعر كيما تتخطى به شِبَاكَ الرياحِ

« • »

فاصْطحِبني إذن عليه وهيَّا فوقَ هولِ الفناءِ نمضى سوِيَّا
فلقد تطبَّيك رؤيا المنايا وتراها حسناً اليك صفيَّا
كنت طفلا على المشيبِ لعوباً مشيباً على الصِّبا كنتيَّا
تستمدُ الحياةَ من نوركَ البا لى وتسهو إلى سناهُ شجيَّا

« • »

لم تكن غيرَ طائفٍ من ضياءٍ قد طواه به ظلامٌ مجنح
حظُّهُ من حياته ما رآه من تهاويل جوِّهِ وهو يسبح
فهو من ذكرها الحبيب مطافٌ لرؤًى فى ضيائهِ التِّبرِ تلمح
ذكرياتٌ ... يرتادهُنَّ لقاءً مُسْعِفاً فى الخيالِ بعداً مبرِّح

« • »

ونهيرٍ مرقرقٍ كنفته غابةٌ بين دَغْلِها ينسابُ
بسطت فوق مائه العذبِ ظلاًّ تحت عطفِ الأمواج لا ينجابُ
حجَّبته عن العيونِ طويلا وهداها له الصَّفاةُ الطِّطابُ
سحرَ العالمينَ منه رحيقٌ فاذا هم من صَفوِهِ شُرَّابُ

« • »

تطلبُ السعدَ وهو منك قريبٌ تدَّعى الحزنَ وهو عنك بعيدُ
قد طويتَ الحياةَ تجهدُ فيها ليت شِعرى فهل جدَا المجهودُ
تنفحُ الناسَ من شذى زنبق « النُّود » وهُمُ فى كرى الحياةِ رقودُ !
قد أضعت الحيـــــاة كلَّ ضياعٍ فى حُطام فان هو التخليدُ !

« • »

(الشاعر يسمع أرغن الموت على فلك الآلهة)

يا خيالى ! ماذا يطوفُ بقلبي يا خيالى ماذا يسارقُ اذنى ؟
أىّ شىءٍ أحسّ .. أىّ دبيبٍ مستلذٍ .. يخدِّرُ الرُّوحَ منِّى ؟

(الآلهة)

إنه ارغُن الغنـــاء يُغنِّى ويعيد الحيـــــاةَ فى مثل لحنِ
جهْوَرِىٌّ الموجاتِ تنفخُ فيه مُسْمِعاتٌ يفضن من كلِّ فنِّ

« • »

هاكَ لحن الجمال .. هاك صَداهُ هاكَ لحن الهوَى ولحن التّفانِى
هاك لحن الأَسَى .. ولحن التأسّى هاك لحن الآمال .. لحن الأَمانى
هاك لحن الصّبى ولحن التّصابى هاك لحن المشَيب والحرمان
هاك كلّ الحياة مرّتْ كلحنٍ وصداها يعجُّ فى الآذان

« • »

﴿ أرغن الغناء ﴾

واهًا له من ناءْ ألحــانُه زَفْرافْ
فى صَمْتِ وادى الفناءْ تُعانِقُ الأَسْدافْ

« • »

يَضِجُّ فى الامواجْ مُصْطَخِبِ الصّوتِ
يزهى على الإدْلاجْ من شَفَقِ المَوْتِ

« • »

مفيضُهُ من دموعْ يَسْكُبُها اللّحْنُ
وصَمْتُها مَقْطُوعْ يَنْهَبُه الحُزْنُ

« • »

دَوّى على الأصداءْ يُمعِنُ فى الظُلْمَا
يُسامِرُ الجَوْزَاءْ ويَنْفَحُ الحُلْمَا

« • »

عَجيجُهُ صَيّاحْ كالبُوقِ فى الآذانْ
يُهاجِمُ الأَرْواحْ مِنْ غَيْرِ ما استِئذانْ

« • »

فالكَوْنُ فى رَجْف كالكَوكَبِ الخَفّاقْ
خاضًا من الخَوْفِ فى مَسْبَحِ الآفاقْ

« • »

وتارَةً يَخْفتْ فى غَسَقِ اللّيْلِ
كالرُّوحِ لو تَصْمُتْ فى صَخَبِ الوَيْلِ

« • »

فَتَحْسَبُ المَوْجَا يَلْعَبُ بالارْضِ
يرُجُّها رَجًّا وبَعْدَها ... يَمْضِى

« • »

يَعلُو على النّجم ِ ويلمس السّقفا
كأنّ في حُلم ٍ طيفاً به رَفّا

« • »

فطافت الذّكرى بقلبه النّائى
كالظّلّ لو أسرى بصفحةِ الماء

« • »

في دُجْنَةِ الآبادْ ترعشُ كالأشباحْ
كالجمرِ تحت الرّمادْ من فوقه النّدُّ فاحْ

« • »

فلاحَ في الليلِ بستانُهُ السّاجى
مُعطّرَ الذيلِ في أفقٍ داجى

« • »

وتحت ظلٍّ وريفْ مقعدُ مَنْ يَهوَى
يخطف فيه رَفيفْ من السّنا أضوَى

« • »

وتلكَ ، لا بَلْ هَذِى مَلاعبُ لا تُحصَى
ليس لها من نَفاذِ قطّ ولا تُستَقصَى

« • »

كم مَرّ فيها ربيعْ ومَرّ فيها خَريفْ
وكم مَشَى فى خشُوعْ يناغِمُ الشّادُوفْ

« • »

يلهو على النّبْتِ ويَقطُفُ الزّهَرَا
يخفيهُ في صمتٍ يَسترِقُ الطّيرَا

« • »

﴿ صور اللحن فى الصبى ﴾

وأبدلَ النّغمَا إلى الصّبيَ الغَيسانْ
فصوّر الحُلمَا فى مَنظرٍ فتّانْ

« • »

جوٌّ من الأثيرْ مُذَهَّبٌ فضى
سماءُ أيكٍ شجيرْ يَرِفُّ فى الأرضِ

« • »

مُنَوَّرٌ النُّوارْ كالمخملِ المُفَوَّفْ
طرّزَهُ النُّوبَهارْ مُفرّقاً مُؤلفْ

« • »

صور اللحن فى المشيب

وأبدلَ النَّغْمَا الى شحوبِ المشيب
فصوّر العدما فى منظرٍ كئيبِ

« • »

جوٌّ من البرْدِ أعصارُهُ ثجُّ
يذيبُ فى الجلدِ رُوحاً به الثلجُ

« • »

ودَغَلٍ مُصوّحْ يشْتقُّهُ الذُّبولْ
لا طائرٌ فَيَصدَحْ به ، ولا خميلْ

صور لحن الأسى

وأبدلَ النغما فى رنةِ الحُزْنِ
فصوّر العدما فى منظرٍ مُضْنِى

« • »

حديقةٌ فَيْحاءْ فى زَمنٍ ربيعْ
يغشى انقباضُ الشّتاءْ فى حُسنها الوديعْ

« • »

صور لحن الأمانى

وأبدلَ النغما الى صغيرِ الامانى
فصوّر العدما من أزْهرِ الالوانِ

« • »

مشْجرَةٌ غَيْناءْ سِحْرِيّةُ الأزْهارْ
تسطعُ فى دَكْناءْ من عَبِقِ الأعطارْ

﴿ مطلعُ الشاطىء ﴾

(الشاعر ينتبه مبغوتاً)

إيه ربّاه ما أَراه أمامى ؟ أىّ نورٍ فى أيّما أَسدافِ ؟!

﴿ الآلـهة ﴾

هو شطُّ الأَعرافِ ...

﴿ الشاعر ﴾

أيّة شطٍّ ذا المُسَمَّى بشـاطىء الأعرافِ ؟

﴿ الآلهة ﴾

هو مثوى الألحانِ بعد شَتاتٍ ومَقرٌّ الأرواح بعـد طَـوافِ

تَرْقُب الموتَ والحيـاة تسيرا ن على الوقتِ وهـو كالرجّاف !

﴿ وصف الشاطىء ﴾

فى انتحاءٍ عن العوالم قاصٍ حيث يَرْقى السكونُ مرقى الفضاءِ

وطيور القضـاءِ تنعَبُ فى المو تِ نعيباً يزيد هولَ الفناءِ

غير أن السكون ينهشه نهـ شاً ويمشى الخفىّ على الضوضاءِ

سرمديٌّ البقاءِ يحكم فى الموتِ (م) ويبقَى على بقاءِ البقاءِ !

* * *

وإذا ما استمعتَ هالك صمتٌ فى عويل الآزال والآبادِ

يستجيبُ الفَـناءَ وهو بعيـدٌ فيُلاقى منه . سكونَ الجمادِ

حُلمٌ مزعجٌ تراه بهـا الأر ضُ وهـــذا الفناء مثل الرقادِ

استطارتْ له وَحقّـقه العدم (م) من الخوف فى المنايا العوادى

* * *

ليس شىءٌ يحيى المُنى فيـه إلا ابْيضاض الثلوج . فوق الصخورِ

مثل صوب العِهادِ تلحق بالبعض (م) وتَـنْـهالُ فى اصْطِخابٍ نكيرِ

تَطِسُ الصّخْرَ والكهوفَ وتَـنْـقضُّ (م) عليها مثلَ انقضاضِ النّسورِ

لهَفى ! كلّ ما أرى فهو موتٌ ينذرُ الأرضَ موعداً بالنّشور

* * *

يستريحُ الزّمانُ والموتُ فيه بعد طولِ التطّوافِ والجولانِ
وكأنّ الزمان خامرهُ الخوفُ فأضحى مع الردى فى احتضانِ
وتلاشى به رويداً رويداً ثم أهوى عليه كالوَسْنانِ
فإذا بالفناءِ يحكمُ فرداً فوضويّاً على جلال المكانِ!

* * *

هو وادٍ للموتِ ينشرُ فيه شبهَ دنيا تفنّى وشبهَ حياةِ
يبسطُ الوقت كالخضمّ ليَطويه ويعدو عليه كالسعْلاةِ
مزّقت نفسها الرّياحُ عليه داوياتٍ من فوقه مُعْوِلاتِ
لغطٌ يشبه الحياةَ بما تحوى (م) ولكنْ خِلوٌ من الأصواتِ

* * *

تبصر الدّوحَ صاعداً فى فضاءٍ يترَاءى عليه كالأشباحِ
فى لبُوسٍ من الدّياجيرِ داجٍ لفّه غيهبٌ مسفُّ الجناحِ
وترى البرْقَ مومضاً يترامى فى ثنايا الاسْدافِ مثل الجراحِ
أو كحربٍ على الظلامِ عوانٍ قام بين الاجسادِ والارواحِ

* * *

وترى الموجَ فوقه يركبُ الموجَ (م) ويعلو مُهاجِاً شُطْآنَهْ
ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ تعجز الطّرفَ فى مداها الابانَهْ
مدْجِناتٌ . . هواضبٌ . تترامى فى اصطخابٍ . . فى ليلة أرْوَنانَهْ
ربِّ ! أين المفرُّ منها وهذا شبحُ الموتِ قد أطالَ جِرانَهْ؟!

* * *

هِىَ هذى السنينُ تمضى عِجَالاً مسرعاتٍ تجرى على التيارِ
تتلاشى فى بعضها ثم تحيي لتعيدَ التمثيلَ فى الاعمارِ
مُشبهاً بعضُها على العمر بعضاً لو خلتْ من تباينِ الاوطارِ
والهذا الفناء !... والهواهُ ! والهذا القضاءِ والاقدارِ !

* * *

أيها الوقت كم أطحت بعيش خضل كان وارف الأظلال
حيث كنا وقد تحقق فيه كل حاج من سانح الآمال
كل يوم يزداد حسناً ولطفاً ثم تمضى الغدى على منوال
لم يكدر سماءه أى غيم ومضى ناعماً بأحسن حال

« • »

وتواتيك أنة وعويل من ظلام الكهوف والغيران
أهى شكوى الأحلام يصرعها المو ت وشكوى مما تقاسى الأمانى ؟!
أم هى الروح تستغيث وتبكى من عدو فى الموت ذى شنآن ؟!
أم هو الموت فى الظلام يغنى أم عزيف يدوى من الجنان ؟!

« • »

الآلهة

إيه ياشاعرى ! كفاك مقاماً ها هنا .. فالفناء جم الضفاف
ليس شط الأعراف هذا ولكن هو ركن من شاطىء الأعراف
سترى مخبأ الليالى وتلقى مصرع الوقت فى دجاه الضافى
حيث لا معلم هنالك يهدى لا ، ولا فوقه يصاخ لطاف !

« • »

فسرى فلكها يشق الدياجى فى ذميل مسيره ركاض
يمخر الموج والعباب بقيدو م شتيم على الردى خواض
ثم أرسى وقد عراه رجيف فوق شط من المخاوف ناض
ليس رؤيا عليه غير ظلام ليس حس عليه غير انقباض

قبر الليالى

فاذا هيكل يلوح على الأفق عليه من المنايا شحوب
قاتم الجو أغدف كنفته بلجاج من الظلام شعوب
ترسل الطرف نحوه فيلاقى حجنة الموت فوقه فيؤوب
وحشة تصرع الأمان وخوف إثر خوف على الردى محسوب !

* * *

يُفزِع الجنَّ والاناسى ويُضنى رُسُلَ الليل أن تخوض ظلامَهْ
لو رأوه خرُّوا لديه سكارَى يسألون أيَّان يوم القيَامَهْ
ولراعتهمُ المخاوفُ تجثو خلفه فى الظَّلام ثم أمامَهْ
أين ألق الضياء فى ظلمات تنهبُ البرقَ فى الفناء نهامَهْ !

* * *

قِفْ تأمَّله وهو يعترض المو جَ فيمضى من تحتِهِ جيَّاشَا
هو قبرُ الحياة يقصده الوقتُ (م) جَزوعاً من هولِهِ رعَّاشَا
فاذا ما احتواهُ أرسَلَ نجوا هُ رذاذاً من خلفه ورَشَاشَا
هو دمعُ الزمان وهو « الرَّحيم القلب » لم يلق فى الحياة انحياشَا !

﴿ الآلهة تناجى الشاعر ثانية ﴾

إيهِ ياشاعرى ! كفاك مقاماً ها هنا فالفناء جَمُّ الضفافِ
ليس شطُّ الاعراف هذا ولكن هو ركنٌ من شاطىء الاعرافِ
سترى مخبأ الليالى وتلقى مصرع الوقت فى دجاه الضافى
حيث لا معْلمٌ هنالك يَهدى لا ، ولا فوقه يُصاخُ لطافِ !

* * *

فسرى فلكها يشقّ الدّياجى فى ذميلٍ مسيره رَكاضِ
يمخر الموجَ والعبابَ بقيدو مٍ كريهٍ على الرّدى خوّاضِ

* * *

وإذا بى أحسّ صوتاً حنوناً طائفاً فى الردى بأرخم جرْسِ
يتهادى على السكون رخيماً ويناجى الأرواحَ فى مثلِ همسِ
وهى فى الموت لا تحسّ بنجوى من غناء ولا تصيخ لحسِّ
سكنت سكنةً يعانقها الصمـ تُ وأسرى بها فناء مغشّى

* * *

أخذ الصوتُ فى ازدياد « خفوتٍ » وسجوٍّ على السكونِ مديدِ
مستديراً على الفضاء يدانى طرف هذا الفضاء حدّ الوجودِ

وبدا فوق هامة الأفق نورٌ ساطعُ الجوّ خاطفٌ من بعيد
وإذا موكبٌ يتيه عليه مثل قصرٍ من الضياء مشيدِ!

* * *

هو ركبُ الحياة يمشى حثيثاً مستخفاً إلى « ضريح الليالى »
فهو مثوى الاحقاب بعد تمام ومقرّ الاجيال بعد اكتمال
قفْ تأمّلْ! فلك الحياة عليه ملكٌ فى وضاءةٍ وجلالِ
عبقريٌّ الجمال فى سندسٍ خضر (م) يغنىّ فى بهرةٍ واختيالِ!

* * *

وسرت خلفه « زوارقُ » شتّى تتراءى كأنها أحلامُ!
فترى « زورق الجمال » عليه مسمعاتٌ غناؤهن سلامُ
وترى « زورق الشرور » عليه مسمعاتٌ غناؤهن سقامُ
وترى خلفها زوارقَ شتى منشئاتٍ ... وكلها آثامُ!

* * *

جُبلتْ هذه الحياةُ على الشرّ (م) وإن كان نامياً فى الخيرِ
وأرى الخيرَ من ثمارِ ضرارٍ وَجدت خصبَ أرضها فى الشرّ
إنّ هذا التراب وهو قبيحٌ فاح من روحه أريجُ الزّهر
ليس هذا النعيم غير شقاء فحذارِ.. حذارِ.. من أمّ دَفْرِ!

* * *

ومضى الركبُ فى الردى وتلاشى أثرُ الركب فى « ضريح الليالى »
فكأنّ الحياة كانت مناماً وغرور الحياة طيف خيالِ!

﴿ السكون الحاكم ﴾

أيهذا السكونُ! يا حاكمَ الموْ تِ! وصنوَ الآزالِ والآبداتِ!
كنتَ قبل الحياة تحكم فى المو تِ، وها أنت حاكمٌ فى المماتِ!
أيها العدم! أين أسرى حبيبى؟ أيها العدم! أين أسرت حياتى؟!
أين منوى الضياء؟.. أين أراهُ؟ أين منوى الغناء والأصواتِ؟

« • »

أيها العُدْمُ أين تنعسُ فى الصّمْ تِ وتلقى لديه راحةَ جفنِكْ؟
قِفْ ودعنى أبثّ إليك شكاتى والتياعى مُهمِساً فى أذنِكْ!

« • »

لم أجدْ فى الحيــاة لى اذُناً تسـ ـمعُ شكواىَ أو فؤاداً حنونـا
ولذا قد أتيتُ أشكوكَ ما بى فلقـد ترْحمُ الكئيبَ الحزينـاَ

« • »

كان لى فى الحياة قلبٌ طروبٌ يتغنّى كالطائر الصدّاحِ
أحرق الحزنُ منه ريشَ جناحيْـ ـه وأهوى به كسيرَ الجناحِ

« • »

فتحملْ منه أساه وفرّقْـ ـه على ذلك الفضاء شعاعـا
قبل أن يقضىَ الفـؤادُ ويمضى حاملاً معه فى الفناء التياعـا



﴿ ساحر الوادى المغنى ﴾

(فى الابيات التالية يتخيل الشاعر مغنياً فى وادى الموت يغنى الفانين لحناً صامتاً وهو بعينه المغنى الذى كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها منه وتفرقها على الربيع والاطيار والمياه والنور . . . يتخيل الشاعر وقوف المغنى صامتاً بقيثارته المحطمة يعزف عليها فلا تساعفه الالحان)

« • »

ساحرَ المـوت ! طال صمتك هيّا رجعْ اللحنَ . . أيهـذا الشادى !
قمْ أيا عازفَ المنـونِ وغنّى وابعثْ النغـم فوق صمتِ الوادي

« • »

أترك الدوحَ والينابيعَ تحيا لتعيدَ الحـزينَ من آهاتكْ
فلكم فاح نشرُها وهى تسرى لتحيّي الصباحَ فى نغماتكْ
لهفى ! ما أراك تبعث لحناً ! فاخبر الشعر ما دهى قيثـاركْ ؟
سوءة لليدِ التى عطلتْها ! وعفت فى غنائها أوْتاركَ !

« • »

هاك موجُ الفناء يقذفه اليأ سُ على شاطىء السكون الرّهيبِ
يستجيب الأصداءَ وهى تعانى ما يعانى .. فما لها من مجيبِ !

« • »

وأرى روحك الشحوب دفوفاً تشتكى للسكونِ من ألحانكْ
غنها من سماء فنّك لحناً فلقد تستفيق من أحزانكْ

« • »

كان إنشادك المبارك فجراً مستهلا وضىءَ نورِ الحياة
ليت شعرى فأين أذوى وأينتْ قد أقرت ألحان ذى الأغنياتِ
لهفى ما أراكَ تبعثُ لحناً فاخبر الشعر ما دهى قيثاركْ ؟ !
سوءةٌ لليد التى عطلتها وَعَفَت فى غنائها أوتاركْ !

* * *

شرح وتعليق

الأعراف كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار، واطلقت هنا على شاطىء خيالى يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت .

بعد أن مات الشاعر حملته آلهة الشعر على زورقها السحرى فى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطىء ...

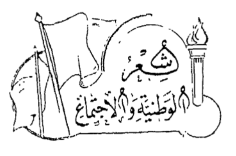
والشاعر يصف لنا كلّ ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها الى الخيال المطلق !

وعند ما يصل الشاعر الى شاطىء الأعراف يصف لنا هذا الشاطىء ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطىء الأعراف فيصفه لنا : هذا البحر هو « بحر الوقت » !

ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق هيكل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت وتفنى فى أحشاء المجهول والعدم : هذا الهيكل الحالك هو « قبر الليالى » التى كانت تدفن أشلاءها فيه أثناء الحياة .

وبينما كان الشاعر يرعى ذلك طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته ...

هذا الملاك هو الحياة تقود عناصر الوجود من الجمال والشر ... الخ . فى زوارقها ، ومرّ ذلك الموكب فى بحر الوقت واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى ، ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت !



الشريدة

تذكرتِ الماضى فهاجت شجونُها وحنتْ الى الذكرى ففاضت شئونُها
وألقت يدَ الآلام كرهاً برأسها على كفّ حيرى لم تجد من يعينها
ورامت خلاصَ النفس من لجة الأسى فرت بها الذكرى لجنّ جنونها

« • »

فتاة سقاها الدهرُ كاسات سخطه وزادت على مر الليالى شجونُها
تسير بصحراء الحياة شريدةً تمزق ساقيْها عناءً حزونها
وتهفو بها الذكرى حنيناً فتنحنى وتسبح فى ساجى الدموع جفونها
وتلهب داجِى الليل من زفراتها بنيرانِ آلام تجيش أتونها
يُسيل دموعَ العين حرُّ بكائها ويصهر حباتِ القلوب حنينها

« • »

تناجى شباباً أذبلته يد الأسى وأيام عزٍّ ناضراتٍ غصونُها
وعهداً تولى كان ريّانَ صافياً أفاض عليها كل معنى يزينها
وحباً طهوراً لم يدنس عفافُه وليداً أحاطته بعزٍ يصونها

« • »

تولى ولم يترك لها غيرَ آهةٍ يقطّع أوصالَ الفؤاد رنينُها
ونفساً من الأحزان باتت كئيبةً ووجهاً جرى فيه شحوبٌ يشينها
أناخ عليها الدهرُ فى ميعة الصبا وأسلمها للبين دهر يخونها
تبدّلَ بالنعمى شقاءٌ ملازمٌ وبالشدو فى ظل الأمانى أنينها
فياليت شعرى هل يبدّد سقمَها ويصفو من الأكدار دهرٌ يهينها ؟!

عبد العزيز محمد عطية



السير وولتر سكوت

ان الذى يعنينا من حياة السير وولترسكوت شيئان : الاول اثر الدرس المنظم فى العقل الموهوب ، والثانى البطولة الادبية الممتازة ، والانتاج الهائل الذى أنتجه وولتر سكوت ولم يكن له نظير غير أنتونى ترللوب ، وشتان بين الاثنين فى العمق والعبقرية!



السير وولتر سكوت

ولد وولتر سكوت فى أغسطس سنة ١٧٧١ م . من عائلة عريقة فى المجد ، يمتد نسبها الى أمراء اسكوتلاندة وأبطالها ، وكان ابوه محامياً وأمه ابنة طبيب كبير .

وقد أصيب وولتر بالعرج فى سن الطفولة ولازمه العرج طول حياته ، وفى هذا شبه بينه وبين بيرون : وقد قضى جزءاً كبيراً من طفولته فى قصر جده ، وفى هذا

القصر المحاط بجلال الطبيعة وأروع صورها تشربت نفس الطفل بما ظهر بعد فى الاديب الخالد !

دخل مدرسة ادنبرة العالية ، فتميز بين أقرانه بميله المفرط الى الادب والشعر وقراءته الواسعة فى غير الدروس ، وغرامه بالتاريخ وبخاصة بتاريخ اسكوتلاندة وآثارها ، ومهارته فى بحث الاوراق القديمة الخاصة بتلك الآثار . ومما يذكر له على سبيل المثل انه فى الخامسة عشرة حضر الشاعر بيرنز الى ادنبرة واحتفى به اعلام الادباء فيها ، فأعجب الشاعر بيرنز ببيتين من الشعر قرأهما تحت صورة ، ولم يدر مصدرهما فى ذلك الجمع من الادباء والاعلام غير سكوت .

وفى جامعة ادنبرة درس المحاماة وتخرج محامياً ، واشتغل فى مكتب أبيه ، ولكن ميله الى الادب كان أقوى من ميله الى المحاماة، وما كان أشد فرحه عند ما عُين فى سنة ١٧٩٩ م. عمدة لبلدة سلكركشير ، وأعطى مرتب ٣٠٠ جنيه فى العام ، فتم له بذلك ما يريد من الفراغ ومن الانكباب على الادب والشعر . ولم يكن درسه للادب والشعر والتاريخ درس لهو واستمتاع ، شأن غيره من الشباب ، ولكنه كان درساً منظماً عميقاً جافا ، وكان بحثاً مستفيضاً قوياً ، وكان كلما آنس باباً للاستزادة طرقه ، فانه أعجب بالأدب الألمانى فدرسه ، وترجم أغانى بورجر ، وما لبث أن تزوج بسيدة غنية ، وجمع أغانيه فى سنة ١٨٠٢ م. ثم طبعها .

وسكن بعد ذلك بلدة اشستيل على نهر التويد ، ومرت حياته إذ ذاك على وتيرة واحدة : يستيقظ من الساعة الخامسة صباحاً ، ويوقد ناره بيده ثم يخرج ليرى خيله وكلابه ، ثم يعود فيكتب حتى الفطور ، ويعاود الكتابة بعد الفطور ، ثم يمضى الى تأدية أعماله اليومية حوالى الظهر .

وفى سنة ١٨٠٥ م. كتب قصيدة «السيد الاخير» فرفعته الى الصف الاول من شعراء الانكليز ، وأتبعها بأخريات فى نفس العظمة والجلال ، كمارديون ، وسيدة البحيرة ، وقد صادف نجاحاً هائلا كان نفسه لا يتوقعه . وانهمر عليه المال فاشتري ضيعة كارتلى ، وبنى فيها قصراً كقصور ألف ليلة وليلة ، على جانب النهر .

وكان قد كتب قصة وافرلى منذ سنين ، ولكنه أطلع صديقاً عليها فلم يرض عنها ، ولم ينصحه بالاستمرار فيها ، فتركها جانباً ، وأخذ ينشر أعمال غيره كدريدن وسويفت ، ثم خطر له أخيراً أن يعاود وافرلى ، وكان قد اشترك فى عمل مطبعى تجارى هائل كلفه مالا طائلا ، ولم يكن سكوت بكل ثروته وانتاجه الوافر كفؤاً

لذلك الاسراف ، وكان مدير الشركة صديقاً له دالة عليه . فكان يذهب الى الرجل الطيب فيأخذ قسطاً بعد قسط فيعطيه،ولكنه فرغ صبره ذات يوم وصاح بصاحبه: «ناشدتك الله ألا ماعاملتني كانسان لا كبقرة حلوب !» وكانت حالة الشركة تمضي من سيء الى أسوأ ، وتكدست فيها الكتب التى لا تباع . فأخذ سكوت يكتب قصة وافرلى وكان يكتبها بدون ان يضع اسمه عليها ، فلقيت نجاحاً لا نظير له ، وقام العالم يتساءل عن « العظيم المجهول » ! والمدهش انه كان يبدأ القصة وينتهى منها فى أربعة أسابيع خلاف ما كان يحرره من مقالات وقصص صغيرة وأشعار ، والمدهش أيضاً أنه اتخذ الحيطة الكاملة حتى لا يُعرف أنه مؤلف وافرلى .. وكان القصر مفتوحاً للضيوف والاصدقاء ، ولم يكن يخطر ببال أحد ان هذا السيد الذى يجد وقتاً لاكرام ضيوفه والتنادر معهم ، هو نفس العظيم المجهول الذى ينتج ذلك الانتاج الضخم المنقطع النظير.

وتمّ المجد والشهرة له . وكان يشعر انه عثر على منجم ذهب ، فاندفع فى البذخ ، يبنى ويزين ويشترى ، ومدير الشركة يكتم عنه الافلاس المحدق به والكارثة المقبلة ، وأخيراً وقعت الواقعة وعلم سكوت ذات يوم انه لم يفلس فقط ، بل ان عليه ديناً يبلغ ١١٧٠٠٠ جنيه ! وهنا البطولة الممتازة والشهامة الخارقة ، فانه أبى ان يعطف عليه دائنوه ، ولكنه طلب مهلة فقط ، وأخذ يؤلف ويكتب ، ليسدّد ذلك الدين العظيم وحده بلا مساعد ! ولكن ذلك الجهد الجبار كان فوق ما تحتمل الصحة وما تقوم به العافية ، فأخذت أعراض الضعف والوهن تبدو عليه ، ولم يكن يبالى ويقول إنه لن يمتنع عن العمل حتى يموت !

واخيراً دكّ الجبل ، فقد أصابته نوبة شلل فى غرفته وهو يكتب ، فعولج منها ولكنه لم يعد يوماً ما وولتر سكوت القديم . نعم كتب وألف كثيراً بعد إصابته بالشلل ، ولكنها اعمال عليها أثر السقم والانحلال .

وسافر الى ايطاليا وغيرها يستشفى . وعاد معافى قليلا ، فاستأنف اعماله ، ولكنه ما كاد يمسك القلم حتى هوى من يده ، فبكى بكاء مراً .

وأخيراً عاودته نوبة أخرى فمات بين أهله وذويه وكلابه .

مات وقد ترك تراثاً هائلا خالداً . وبكته اسكوتلاندة التى مجّدها وفتن الناس بحسنها وعظيم آثارها وبطولة أبنائها ، وبكاه العالم الذى قرأ وافرلى بين الاعجاب والدهشة .

وماذا يجرؤ منتقدوه أن يقولوا ؟ قالوا هو غـير فنان ، وانه رجل تاريخ يقصّ قصة اعتيادية يجيد حبكها . أين هو من جين أوستن التى تكتب فتبدع فى الوصف الدقيق والتحليل العجيب ؟!

وان ردّنا على ناقديه هو أنه كان يخلق لك المدينة العظيمة بناسها وشوارعهـا وقصورها واسواقها ، وينزلك للطواف فيها : فامامك المدينة التى تضج ضجيجا وتزدحم بمختلف الاشياء ، فاذا لم ترقك وانت عند بابها تسمع ضجة الزحام فليس الذنب ذنب سكوت ولا المدينة ولـكن ذنبك أنت لانك لم تتغلغل فى أحشائها لتعثر على الجميل الممتع والبديع الساحر !

تحيةً واجلالاً لوولتر سكوت وشعره الدافق الجميل ، ورواياته القوية ، وأدبه الخالد ؟

ابراهيم ناجى

جون كيتس

(١٧٩٥ — ١٨٢١ م .)

بقلم الآنسة إقبال بدران

بكلية الحقوق — بالجامعة المصرية

وُلد كيتس والقرن الثامن عشر يحتضر ومات فى أوائل القرن التاسع عشر ، فلم ينعم بالوجود فى هذه الدنيا ومضى فى زهرة الشباب وفى ربيع العمر فى منتصف العقد الثالث . وحكاية حياته فى حـد ذاتها قصة مؤلمة وفاجعة شـديدة ، والذى يعجب له المرء أن يخلف هـذا الشاب الصغير أعمالا خالدة وضعته فى مرتبة العباقرة من الشعراء العالميين .

كان كيتس على نقيض « بيرون » و « ورد سورث » و « شيلى » و « كوليردج » لا يعنى بالمسائل الانسانية الهامـة من الحرية والمساواة والاخاء ، تلك التى أُثيرت عقب ظهور الثورة الفرنسـية ، لأنه كان قد وهب شاعريته وقلبه للجمال ، فراح يتغنى به فى كل قصـائده ، وينشده فى كل المواطن . وله كلمة خالدة فى الجمال ننقلها فى هذه الذكرى ، وهى :

« الجمال هو الحق ، والحق هو الجمال — هـذا هو كل ما تعرفه على الأرض وكل ما تحتاج الى معرفته » .

فلا بدع ولا غرابة إذا قلنا إن مقصـد كيتس من الحيـاة كان يتلخص فى كلمة واحدة هى « الجمال » : فاذا قرأت له شيئاً ، وجدت كيف يذهب بعيداً عن أهـل زمانه ويختلى بنفسه يتحدث إلى أشباح الناس الذين مضت على موتهم دهور سحيقة فيخرج لك من آلهة الاغريق وابطالهم صوراً ومواضيع رائعة الجمال . . .

وقد كان يحتذى شعراء عصر أليصابات وعلى الأخص « سبنسر » ، ثم أحيا فن العصور الوسطى الرومانطيقى ، كما اكثر من تقليد اليونان .

واطول قصائده « انديميون » تقصّ علينا فى أسلوب حديث حكاية غرام ديانا والفتى انديميون القديمـة . ويظهر احياؤه فن القرون الوسطى جلياً فى قصـيدته ايزابيلا ، حواء سنت اجنز ، وهذ الضرب من الشعر وجّه العقول والافكار توجيهاً جديداً . وتبعه فى ذلك الفن « تينيسون » و « روزيتى » ولـكنه ظل البارز المتفوّق فى ذلك المضمار .

وشعره الغنائى هو بلا شك أجمل ما فى اللغة الانجليزية ، ويكفى المرء أن يقرأ «أنشودة الى العندليب » أو « إلى الخريف» فيعرف كيف بلغ كيتس القمة فى هذا الضرب من الشعر ، إذ لاجدال أنه كان من أبرع الشعراء فى رسم الصـور الذهنية وجعل الكلمات المجردة ذات قوة روحية غريبة .

يكفى المرء أن يقول إنه كتبَ سحراً لاشعراً ، وأنه لم يكن شاعراً فحسب ، وهو فى الحقيقة يعدّ مقياساً للذوق الشعرى لدى كل انسان : فن فهم كيتس وقدّرَهُ قَدْرَهُ فقد فهم الشعر وقدّره . . .

مات هـذا الشاعر الخالد فى روما الخالدة التى راح يتغنى بها كثيراً . مات قبل الأوان فى سن الخامسة والعشرين ، ولا يعـلم سوى الله ماذا كان يحدث لو مدّ له الأجـل ، ورغم هـذا فقد خـلد اسمه فى النابغين وهو كما يقول أرنولد عنه « مع شكسبير » .

كتبتُ هذه الاثارة منوّهةً بعبقرية يلمسها كل من قرأ الشعر الانجليزى، فان كنت أطمع فى شىء جديد فانما هو رغبتى الى المختصين من أدباء العربية الذين درسوا الشاعر أن يعملوا على نقل أشعاره الخالدة إلى لغة الضاد .



زيوس ويوروبا

ZEUS & EUROPA

(كبير الآلهة ونموذج الجمال)

شاقه الحُسْنُ وكم شاقَ الجمالْ كلَّ ما فى الكونِ بل ما فى الخَيالْ
ليس بدعاً مِنْ إلَهٍ قادرٍ أن ينال الحُسْنُ منه الابتهالْ
أو مُحَالاً مِنْ جمالٍ مُعْجِزٍ أن ترى المألوفَ منه كالمُحالْ!

« • »

خطرتْ بنتُ المليكِ السافِرَهْ فى رُبى الشاطىءِ تلهو سَاحِرَهْ
والمروجُ الخُضْرُ تَزْهُو حَوْلَهَا بين نُور ومَعَانٍ ناضِرَهْ
وبدا الشاطىءُ فى رُوحِ الصِّبَى وأمانى الحبِّ فيهِ طائِرَهْ

« • »

ورآها دُميةَ الفنِّ (زيوسْ) وغنى الدنيا وأحلامَ الكؤوسْ
فاشتهاها وهو أسمى منزلاً وهى أسمى منه فى حُسْنٍ يسوسْ
وأبى استهواءها الا عَلَى صورةٍ للفنِّ تستهوى النفوسْ

« • »

فتراءى فى خيالِ الحيوانْ الأليفِ الطبعِ والجمِّ الحَنانْ
صورةَ الثّورِ البهىِّ المنظرِ الخفيفِ الظِّلِّ ترضاه الحسانْ
واكتسَى مِنْ لونهِ الصافى حُلَى فاذا المَرْجُ بمرآهُ يُزانْ!

« • »

ودنَا مِن ربّةِ الحسنِ التى قد تجلّتْ فى مَصَفِّ الآلههْ
فى دعاباتٍ يُحيّيها بها كتحيّاتِ القلوبِ الوالههْ
الّقتْ الخوفَ وناجتْه كما داعبَ الطفلُ الدُّمَى المستألهةْ !

« • »

وأتتْ بالزّهرِ إكليلاً له ثم عقداً شاقَها فى جيدِهِ
فازدهَى فى نشوةِ الحُبِّ كما يَزْدَهِى المعتزُّ من تأييدِهِ
وانثنتْ تركبهُ فى خِفّةٍ فأتمّتْ حظّه فى عيدِهِ!

« • »

ومضى فى اليمّ يجرى سابحاً غانماً مُلكاً فريداً راجحَا
وجلالاً عبقريّاً بينما كان هذا الكونُ يرنو سادحَا
وتولّى يحمل الحسنَ الى حيث يلقى الحُسْنُ عرشاً صالحَا

« • »

وتجلّى بعد ذا فى صورتِهْ حين (يوروبا) بدتْ فى رُتبتِهْ
وارتضتْه بَعْدَ لأيٍ زوجَها حين عَدَّ الكونَ مَرْأى زوجتِهْ
كم كبيرٍ بصغيرٍ يَعْتَلِى وصغيرٍ بكبيرٍ لم يَتِهْ!

احمد زكى أبو شادى





لو كان..!

(أغنية مترجمة عن الشاعر الفرنسي الفحل (هيجو) من ديوانه « أغاني الغسق* »)

لو كان عشبٌ ناضرٌ يروي حديقتَهُ السماءْ
طولَ الفصولِ مُنوَّرٌ بعضُ الزهور به وِضاءْ
يُجْتَنَى ملْءَ اليدينْ زنبقٌ أو ياسمينْ
لجعلتُ ثَمَّ طريقَها تمضي عليه كما تشاءْ

* * *

لو كان قلبٌ مغرمٌ للمجد يَحْيَ والعلاءْ
يُعطي الحياةَ ويبسم ويُضَحِّي دَوْماً في سخاءْ
لو يُرَى — في ذا الفؤادْ خَفْقُهُ أسمى المُرَادْ
لجعلتُ ذاكَ وسادةً لجبينها ذاتِ البهاءْ

* * *

لو كان حُلْمٌ في الهوى مُتَعَطِّرٌ فيه الهواءْ
في كل يومٍ قد ثوى فيه رُؤًى فيها الهناءْ
حُلُما فيه الإلهْ مَزَجَ الروحيْن ... آهْ !
لجعلتُه وَكْراً لقَلْبِكِ يا مُنَايَ والرجاءْ

* مزج المترجم في هذه القصيدة مجزوء الكامل بمجزوء الرجز ومجزوء الرمل معاً ومع ذلك فإنّ موسيقية القصيدة مرعية وإن بدا لأول وهلة أن مجزوء الرمل يتنافر مع باقي الأبيات ولكن عند قراءتها للمرة الثانية نلحظ اطّراد الموسيقية .

« ٥ »

(قطعتان مترجمتان عن الشاعر الانجليزى اللورد بيرون)

مجد الشاب

لا تحدثْ عن عظيمٍ مجدُهُ فى الدهرِ سارْ
إنَّ أيامَ صبانا هى أيامُ الفخارْ

عبثاً

عبثاً أَكدُّ فَخَلِّنى أقضى وَعُودِىَ مُورِقُ
عِشْ مثلما أنا عائشٌ واعشقْ كما أنا عاشقُ
فإلى الترابِ المنتهى ومن التراب المَخْلَقُ
وعلى اليسيرِ إذنْ فؤا دى ظلَّ حيناً يخفقُ

احمد كامل عبد السلام

الى الحرب

(أوحت إلى الشاعرة بهذه القصيدة قصيدةٌ انجليزية للشاعر الامريكى Alan Seegar كتبها قبل ذهابه مجاهداً فى الحرب العظمى حيث مات سنة ١٩١٦ م . وعنوانها :

I Have a Rendez-vous With Death

وهى على لسان جندى ذاهب للحرب)

نظم الآنسة سُهير قلماوى بكلية الآداب بالجامعة المصرية

قد وعدتُ الموتَ أن ألقاه ليلاً عند سفحِ التلِّ فى فصل الربيعْ
يومَ دوّى مدفعُ الاعداء ليلاً منذراً بالموتِ والفتكِ الذريعْ

* * *

صرخةٌ للموتِ فى أعماق قلبى هل أفى بالوعد ذا الوعدِ المريعْ
داعىَ المـوت أتدعو فى شبابى وتمنّى بالشفا القلبَ الوجيعْ
إيه يا داعى ! أتدعـونى لأنى ليس لى فى هـذه الدنيـا شفيعْ ؟
إنما المـوتُ ينادينى وحتماً سألبىّ مَنْ ينادى ... سأطيعْ !
سأوافى المـوتَ فى الميعاد ليلاً عند سفح التلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

يعلمُ اللهُ لَكَمْ تحلو الحيـاةُ لمريضٍ إذْ يرى طيفَ المنـونْ
تلك حالى الآن . لكنْ كيفَ أخشى رهبةَ الموت ؟ ومَنْ عهدى يصون ؟
كم أحبُّ العيشَ فى فصل الربيعِ كم أحبّ العيش فى الفصل الحنونْ
كم أحب العيش رَبَّاهُ ، ولكنْ لن أخونَ العهدَ ، عهدى لنْ أخونْ
بل .. أُوافى الموتَ فى الميعادِ ليلاً عند سفح التلّ فى فصـلِ الربيعْ

* * *

عند ما أسمـعُ للروح دبيباً يبعثُ الخضرةَ فى أرضٍ مواتْ
عند ما أنشقُ أنفاسَ الربيعِ وتُغَنِّى الطـيرُ أشجَى النغماتْ
عند ما يحلو لشيبٍ وشبابٍ عودُ أيام الهنـاء المـاضياتْ
لن أرى زهراً ولن أسمع طيراً لا ، ولن تَلْتَذَّ نفسى الذكرياتْ
بل .. أوافى الموتَ فى الميعاد ليلاً عند سفح التـلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

ها هى الايامُ ولتْ لم أُبَرِّدْ نارَ قلبى من أمانيه العِذابْ
وإذا هذا الذى أصبو إليه لاح لى كالنجم فى وسْطِ السحابْ
لن أراه زَهْرَ جَهدى وعنائى لن أراه ، لا ولا مثل السرابْ
بل هنا فى صمت ذا الوادى الرهيبِ سيوارينى مع الليل الترابْ
إذْ أُوافى المـوتَ فى الميعادِ ليلا عند سفحِ التلّ فى فصلِ الربيعْ

* * *

آهِ يا شعرَ رجائى قبل موتى | أنت يا شعرُ أيا سرَّ الوجودْ
أنت لاتبلى على مرِّ الزمانِ | أنت تبقى بعد أنْ يَيْبَسَ عُودْ
غَنِّهمْ يا شعرُ آمالى وأنى | قد قضيتُ العمر أصبو للخلودْ
غنِّهم بعدى أناشيد شبابى | غَنِّهِمْ أنى وفىٌّ بالعهودْ
إذْ وعدتُ الموت أن ألقاه ليلاً | عند سفح التل فى فصل الربيعْ
وأنا اليومَ أوافى الموتَ ليلاً | عند سفح التل فى فصل الربيعْ

الانتظار

بين اليأس والأمل

(لفكتور هوجو — سنة ١٨٢٨ م .)

من ديوانه « الشرقيات »

أيُّها السِّنجابُ إصعَدْ | واعلُ رأس السِّنديانَهْ
فوق غصن كاد يُعلى | للسّموات مكانَهْ
فى اهتزاز أو تثنٍّ | دائم كالخيزُرانَهْ
أيُّها الكركيُّ ها الأسـ | ـوارُ أبلتها الزَّمانه
طِرْ إليها واقتعِدْها | فلها منكَ الأمانَهْ
مِن قِلاع الجندِ طِرْ واقصِـ | ـدْ الى دير الدِّيانَهْ
ومِن الأجراسِ للأبـ | ـرَاج طِرْ فى كلِّ آنَهْ !

* * *

أنتَ يا شيخَ النُّسورِ | طِرْ من العُشِّ الحَصينْ
واعتلِ الطوْدَ المشيـ | ـبَ الذى آخى السِّنينْ
شابَ من كرِّ شِتىً | بيَّضتْ منهُ الجَبينْ !

* * *

أنتِ يا من لا تذوقيـ ـنَ الكرَى إلاّ اضطرابَا
أبداً ما فاتك الفجـ ـرُ على صَمْتٍ وآبَا
إصعدى ثم اصعدى يا طائراً شبَّ شَبابَا
أنتِ يا قُبَّرَةَ الجـ ـوِّ اصْعَدِي واغشى السحابا !

« • »

وإذنْ مِن فوق دَوْحٍ أو بأسوارِ الرّخامْ
أو مِنَ القنّةِ تسمو فوقَ أطوادٍ جِسامْ
أو بأجْواءِ سمـاءٍ تتجـلّى بالضِّرامْ
أو من الافق المُقصَّى بين أطبـاقِ الغمامْ
تُبصرون الآنَ صَحْبي ريشةً من ذا الحمامْ
أو جَواداً لاهثاً مِنْ عدْوِه سَفَّ اللِّجامْ
مُرجعاً عندي حبيبي فهو لى كلُّ الأنامْ !

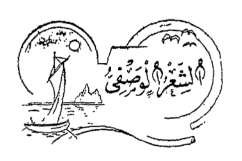
اسماعيل سرى الدهشان

الزمن والحب

(لشكسبير)

لمَّا أرى أيدى الزمانِ العاتيهْ تسطو على دُرر العصورِ الخاليهْ
تمحو المنائرَ والقصورَ العاليهْ تبلى النحاسَ فما لهُ من باقيهْ
وأرى المحيطَ بموجه يتدفّقُ فوق الاديم وبعد ذا يتفرّقُ
والارضُ تعلو بعد ما هى تُغرَقُ طوراً تغورُ ومرةً تتفوّقُ
وأرى التحوُّلَ بالممالك يلعبُ حتى الممالك نفسها قد تعطبُ
أجِد الحِمامَ معلماً لا يكذبُ فلسوف يَسلبنى هوايَ ويَذْهبُ
فأخاف أفقدُ من رعتْه محبتى ويفيض دمعى ، والمدامعُ حيلتى !

سيد على حسان



تذكار صورة

(نظمها الشاعر عن صورة أخذت له وصديق أديب فوق أصل شجرة عظيمة قد نشرت فبقى أصلها كقاعدة تمثال ، فكونا التمثال فى جلستهما ، وقد ظهر صاحبه فى الصورة متجهم الوجه حزين النفس فى حين تجلت أسارير الشاعر ضاحكة فرحة ، فقال هذه القصيدة محاولا تخليد هذه الصورة الفريدة)

جمعتنا ، فأحسنت ، بالخيالِ صورةٌ ضمّنت جميعَ الجمالِ
مجلسٌ مثل أيكة مرصودٌ لرجال الفنون كالتمثال
قد جلسنا به ، فأنت عبوسٌ وأنا واضح البشاشة خالى
لست أدرى من مثّل الحقّ فينا أنا أم أنت ياحميدَ الخصال ؟
بل أنا الكاذبُ البشاشةِ والبشرِ ، المُعنّى من الهمومِ الثقالِ !

« • »

وتُرى أنت يا فتى تزعم الجدّ (م) لتبدو مُقطباً فى الخيالِ ؟
فيقال الفتى المفكرُ والنّدْبُ وربُّ الجلال والاجلال ؟
أتُرى أنت للتظاهر عبدٌ ؟ كنت أحجوك خادماً للمعالى !
أنت يامن نهضت للفنّ والشعر وللحق والهوى ، لا تُغالى
نحن فى مجلسٍ براءٍ من الزيفِ تملىءُ بخالد الحُسْنِ حالى !
نحن فى جنة « الجزيرة » فانهض وانفضْ إن شئتَ عنك ثوبَ الملال

« • »

قد جلسنا أمامنا النيلُ يجرى فى ابتهالٍ ، وخلفنا الدوحُ عالى
ودنت من مغيبها الشمسُ فى الغرب ، فسارتْ مليئةً بالدلال
هبطت فوق قمة الهرم الأكبر ترتاح من ضنى وكلال

ومشتْ بين ضجـة وعويل وتوارت في روعةٍ وجلال
لم تصخ للنواح ردّده الطيرُ وراحت غريقةً فى الظـلال
طمستْ والسحابُ فيه كثيرٌ من سناها وفيه جلُّ الجمـال
ورجعنا وفى الفؤادِ لهيبٌ زاد من نارِه دنوُّ الهـلال

مختار الوكيل



ديكى

رأى فى الليل مُلهمة فصاحًا وهزَّ على جوانبـه الجناحًا
وردَّد فى سكون الليل صوتاً فأسمعَـهُ الروابى والبطـاحا
وصـفق فى سرور وانشراح وداعب بالجناحين الرياحا
وجاوبه على بُعـدٍ رفيقٌ وأسمعـه الصـبابة والنواحا
وما زالا على النغمات تشجى إلى أن أطلع النورُ الصباحا
فقامت من مضاجعها أناس رأوا فى الصبح آمالاً فساحا
وساروا ينهبون الأرض نهباً وقـد لبسوا البشاشة والسماحا
لهـم بالله والدين اعتصـام ومن يركن الى الله اسـتراحا
وما خاب امرؤ يسعى لرزقٍ ولكن خاب من ألقى السلاحا

« • »

عجيب أن ترى ديكى المفدّى يقول الصـدق والحق الصرحًا
ينادى : الله اكبرُ كلَّ شىءٍ فسبحه غـدواً أو رواحا

« • »

فياديكى لقد أرسلتَ صوتاً لقيتُ به الهدايةَ والفلاحا !

محمد أحمد يوسف



وصف موقف

ولمّا التقينا بعد هجرٍ وأقبلت ... تُحاذرُ أن تدنو ، وتدنو تُحاذرُ ...
وقفتُ أُريها الصبرَ أكذبَ ما يُرى ... على عاشقٍ مِنْ غيرِ صبرٍ يُصابرُ
وكيف وما فى الناسِ مثليَ هائمٌ ... أعودُ وما فى الناسِ مثليَ هاجرُ ؟
كذبنا بعينينا سُؤالاً وردَّهُ ... وكلٌّ بكلٍّ هازئ القلبِ ساخرُ
فأوْحَى لقلبي أنْ يثورَ مخاطِراً ... إليها هوًى فى قلبها لا يُخاطِرُ
فلم تكُ إلاّ غصنَ نورٍ قد اكتسى ... عِناقاً وتقبيلى عليهِ أزاهِرُ
وجُنَّ غرامِى واغتدتْ بين أذْرُعى ... كأنْ قفصٌ فيهِ تخبَّط طائرُ ...

مصطفى صادق الرافعى

اجعليني حُلماً

عند ما يُغمِض الكرى عينيْكِ ... وتطوفُ الأحلامُ وَلْهىَ عليك
إجعليني حُلماً يطوفُ ويَسْرى ... من قلوب الورى الى شفتيْكِ
أملِكُ الحبَّ من جميع نواحيـ ... ـهِ نقيّاً يهفو اشتياقاً إليكِ
إجعليني حُلماً لذيذاً شهيّاً ... مثلما يحلُمُ الفقير بمُلكِ !

* * *

الطيورُ التى تسابقُ فى الرَّوْ ... ض ، وتشدو حُلوَ الغناءِ بأيْكِ
ترسل السِّحرَ طاوياً كلَّ أُفْق ... كي يَصُبَّ الأنغام ، فى أُذُنيكِ
هى تدرى يا روحُ أنّكِ صوْتٌ ... عُلوىُّ الأنغام ، إياكِ تحكى
والزهورُ التى تُضمِّخ دَوْماً ... من شذاها الجوَّ الجميل بمِسْكِ
ما شذاها إلاّ هديةُ صبٍّ ... بلّلَتْها عينُ الندى وهى تبكى !
والنسيمُ العليلُ يَربتُ مثلى ... فى حنان الهوى على خدَّيْكِ
والمدعو إعجابهم بكِ جمّاً ... ينثرون الاعجابَ زهراً عليكِ
إجعليني حُلماً فأجمع منهم ... شملَ حُبٍّ يُخيفُهُ طيفُ شِرْكِ

حسن كامل الصيرفى

هنا

هنا مـذْ خمسةٍ كرَّتْ ومَنْ كالعام ِ فى الـكرِّ ؟
على هـذا الغـدير وفى حنايا الشَّجَرِ النضْر
وقـد سنحتْ مغـرِّدةً طيورُ الـبرِّ والبحـر
وجاءتْ نسمـة تسعى بما فى الروض من عطر

« • »

هنا والغـربُ مـنزلقٌ به قرصٌ من الجمـرِ
رمى بشراره شُحباً فصرن حـرائقاً تجرى
وضاع لها على الدنيا دُخانٌ لونه يُغرى !

« • »

هنا والدهـرُ بسَّامٌ وعُسرُ الحبِّ فى يُسرِ
وقفتُ أنا وحـوّائى نعُدُّ المـوجَ فى النهر
ونقطف ما بجنتنا من الاوراق والزهـر
ولا حيّـةٌ ترعانا ولا الشيطان ذو المكر
فمن شفةٍ إلى خـدٍّ هفتْ ويدٍ الى خَصر
وهمسٍ ذاب فى الانفا س من صدرٍ الى صـدر
وتعبـيرٍ وتفسـيرٍ لما ندرى وما ندرى
وآمالٍ وأحـلامٍ فرضناها على الدهـر !

« • »

هنا مذْ خمسةٍ فرّتْ ومَـنْ كالعام فى الفـرِّ ؟
تلقّى آدمٌ حـوّا ءَ وافترقا على أمر !

« • »

وها آدمُ قد عا دَ الى الجنـــة فى حـذْرِ
ولم تصحبه حـوّا ءُ ، فهل تأتى على الاثْر ؟
نعم ! بل لا ! فحـوّا ءُ تقيم اليوم فى القـبر !

محمود عماد

سامر

بين زهور الخيال

ذكّرتني بكِ الرّياضُ النواضرْ وأعادت اليّ ماضي الخواطرْ
جريانُ الغدير يجري دموعي ومسيلُ الدموع يدمي المحاجرْ
ملأ الصبَّ من جمالكِ سحراً شفقُ الخدّ تحت ليل الغدائرْ
فوق صبحٍ من المحيّا صبوحٍ يكشف السترَ عن ظلام الدياجرْ
يامثالَ الجمال من «أفروديتى»[1] ومثالَ الصدود من كل كاسرْ
ما جنى الصبُّ من غرامك إلا ما جنى قيسُ من بنيّة عامرْ!

* * *

في سكون الظلام — في وحشة الليـل وضوء النهار بين المقابرْ
نقلتني الى حدائق نضْرٍ من رياض الخيال حمرُ الميائرْ[2]
بين تلك الرياض زهرةُ رَنْدٍ كم نفت بلبلا وأودت بطائرْ
قمتُ في ليلها — ويشهد جفني — أنسج الشعرَ من رقيق المشاعرْ
لونها كان في الجمال يتيماً حسدَتْ حسنَه حسانُ الأزاهرْ
ساءلَتْ ياسعادُ نفسي رباها أيّ روض أرى ؟ لايّ المعاشرْ ؟
أيّ وادٍ لقيتُ حتى كأنّي لبني عذرةٍ[3] هدتني المقادرْ ؟
فانثنتْ زهرتي وقالت بعطفٍ : دولةُ الحبّ والجمال الساحرْ
دينها الذلّ — من يشاء لديها عزة النفس في الهوى فهو كافرْ !
وأنا في الرياض طيفُ سعادٍ وأنا الوحيُ في هوى كلّ شاعرْ
قلتُ : يا زهرتي أرى الحبَّ يقسو فاجعلي للهوى بحقك آخرْ !
فانثني عودها وقالت : فؤادي مستهامٌ وشوقهُ متكاثرْ
قلتُ : والعهدهل سلاه ؟ فقالت : انه حافظٌ لعهدك ذاكرْ
قلتُ : والنوم قدجفاني ! فقالت : إنتصفناه ! انّ طرفيَ ساهرْ !
قلتُ : والدمع لايجفّ ! فقالت : « فيضُ دمعي من البعاد كوائرْ

---

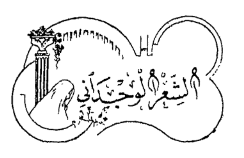
(١) إلـهة الحب والجمال عند الأغريق (٢) الميائر : الحمر من مراكب ملوك الفرس القدماء (٣) بني عذرة : قبيلة كانت تعيش في بلاد العرب ، ويروى أنهم كانوا اذا أحبوا اشتد بهم الحب حتى الجنون .

غـير أني أخاف من عاذلينا ... لو يذيعون ما وراء الستائرْ »
وكثيرٌ عواذلي في هـواها ... قوتل الناسُ من وحوشٍ كواسرْ!

* * *

سامرٌ في الخيال أُشربتُ فيه ... من بنات الدنان بنت المحاجرْ (١) !

صالح جودت



ربيع كالخريف

هو الرَّبيعُ... ولكن أين بهجتُه ؟ ... وأين ما كنتُ ألقى في مغانيهِ ؟
هو الربيعُ ... ولكن لا أحسُّ به ... ولستُ أشعر شيئاً مِنْ معانيهِ !
هو الربيعُ ، نعمْ.. في عُرْف دائرةٍ ... مِنَ الزمان ، ستمضي بَعْدُ تطويهِ
لكنهُ في اعتقادي صورةٌ وُضعت ... عن الخريفِ بتزويقٍ وتمويهِ
ما كلُّ فصل تبدَّى زهرُهُ ألقاً ... هو الربيعُ أميرُ الزَّهْو والتِّيهِ
أو كلُّ فصل تعرَّى فيه أخضرُهُ ... هو الخريفُ كما نمضي نُسَمِّيهِ
فربما وجَدَتْ نفسٌ منعَّمةٌ ... ربيعَها في خريف الناس يُخفيهِ
وليس تشعرُ نفسٌ حُسْنَ مَطْمحها ... إلا إذا اندمجتْ أحلامُها فيهِ

* * *

هو الربيعُ... ولكن عند مبتهجٍ ... هو الربيعُ . . ولكن عند أهليهِ
لكنَّني في خريفي بتُّ منتظراً ... سقوطَ أوراق عمري في تلاشيهِ !

حسن كامل الصيرفي

---

(١) بنت المحاجر كناية عن الدموع .

آلامي

التناسي ليس يُنسي — كيف أنسى رمزَ أنسي ؟!
قلتُ أسلو بالتأسّي — والنوى فاشتد بؤسي
مخلصاً يومي كأمسي — أو أوارَى تحت رمسي
ويح قلبي كم يعاني — ليته من غير حسّ !
إن أقلْ قلبي تعافى — عادت الذكرى بنكس
كاد يودي بي حنيني — مثلما أودى بقيس
كم زرعتُ الودَّ لكن — لم يبن في الناس غرسي
آسيَ الجرحى ترفق — ليس لي جسم للمس !
في خضمّ الشك سيري — ليتني أنجو وأرسي
رمتُ فهمَ الناس لكن — لم أفز حتى برسّ
نوقد المصباحَ والحقُّ (م) — سما عن ضوء شمس
اصفحي يانفس وانسي — لم تفِ الدنيا لإنسي !

سيد علي سالم

* * *

القلب الشارد

أسدلَ الليلُ دُجاهْ — فإذا الكونُ سكونْ
واعتلى همُّ الحياهْ — عرشَ قلبي المستكينْ

كلُّ ما في الكون رقراقٌ تمُوجْ
غيرَ قلبي فهو مكلومٌ جريحْ
تارةً يشدو وأطواراً ينوحْ
وهو أحياناً مع الليل يهيمْ !

« ٥ »

رَفَّ فى دوحِ الشجونْ   شارداً يبغى مُناهْ
إنَّ لى فيه عيونْ   لترى ما لا تراهْ

وشدا الألحانَ فى هذا السكونْ
بنواحٍ خافتٍ يحكى الانينْ
قائلاً : مـا لى سوى الليل خدينْ
مُسْعفٍ فى ثورة الهمّ الأليمْ !

« ٥ »



العوضى الوكيل

ردَّدَ الدَّوحُ صَداهْ   فى اهتزازاتِ الغُصونْ
وبُكاهُ لِبُكاهُ   بندًى ملء العيونْ !

العوضى الوكيل

❋

ضيف ثقيل

(يشكو الشاعر من خطرة استولت على ذهنه وطردت سواها من الخواطر)

هبطتْ بالنفس فى الليلِ البهيمْ   واستقرَّتْ من فؤادى فى الصميمْ
خطرةٌ ما كان أشقانى بها   صيَّرتْ ذهنى مجالاً للهمومْ
بعد ما كان مراحاً للنعيمْ !

قدمتْ كالضيف فاستقبلتُها   بابتسامٍ مُشرقٍ عند اللقاءْ
وأعرتُ القلبَ ساعاتٍ لها   فنوتْ واستمرأتْ فيه الثَّواءْ
فتراها يا ترى عنه تَريمْ ؟!

أنا فى الجدّ وفى اللهوِ بها   جدُّ مشغولٍ أعانى كالعليلْ
لازمتنى يا لها من صاحب   لى وفىّ قد غدا جدَّ ثقيلْ
ونزيلٍ أرتجى ألاَّ يُقيمْ !

أيها الخطرةُ قلبى مستباحْ   ما على النازل فيه من جُناحْ
أفسحى صدرَكِ لا تخشىْ سوى   صولةِ الفكرِ اذا ما الفكرُ طاحْ
مِنْ عتوٍّ فيكِ أو قهرٍ أليمْ !

طلبة محمد عبده





الملكات والشعر

— ١ —

يستطيع من يلمّ بتاريخ الأدب العربى أن يقف على كثير من الظواهر التى تردد فى العصور المختلفة وتتكرر فى آثار الاشخاص مع ما لمنتجات الأدباء فى كل عصر من صبغة خاصة واتجاه معين . ويستطيع الباحث فى تاريخ الأفراد سواء أ كان ذلك التاريخ أدبياً أم سياسياً أن يقرر نزعة خاصة تسود الفرد وتغلب عليه حتى يعرف بتلك النزعة ويعدّ من أبطالها وممن اشتد تعلقهم بها . وربما كانت له ألوان أخرى من النزعات ولكنها لم تصل إلى درجة من القوة والظهور بحيث يتيسر لها أن تزاحم النزعة الغالبة وأن تكون لها مكانتها من تلك القوة وذلك الظهور — وليس ينازع واحد من الأدباء فى أن ابن خلدون كان بصيراً باللغة العربية متفقهاً فى اصول الفقه خاصة وفى العلوم الدينية عامة ولكن تنازع الملكة قد أثر تأثيراً قوياً فى معرفة الناس له وفى تقدير الباحثين حتى صار اسمه مقروناً بفقه التاريخ وعدّ ابن خلدون فى سائر الدوائر الأدبية وعند الباحثين مؤرخاً قبل أن يعد لغوياً أو فقيهاً أو غير ذلك مما بلغ فيه ابن خلدون درجة يعتدّ بها ، وكذلك الشأن فى حال الجاحظ فقد كان بصيراً بالدين متمذهباً بالاعتدال مبرزاً فى فنون التصانيف عارفاً بمكنون اللسان العربى ، ولكننا نعتبره أديباً ظريفاً فيه رقة وسلوة وفكاهة قبل أن نعده من الفقهاء أو المحدثين أو اللغويين أو نظار المتكلمين .

— ٢ —

فليس من شك إذن فى أن تزاحم الملكات أمر ثابت مقرر ، وأنه لا بد من أن يغلب على المرء فن خاص من فنون المعرفة . ويصل فيه الى درجة يعتبر من أجلها إماماً ومرجعاً فى هذا الفن ، وأن الملكات فى فنون مختلفة لا تتيسر لفردٍ ما ولا يمكن أن يكون هذا الفرد كاتباً جيد الكتابة ، وأن يكون فى الوقت نفسه شاعراً

جيد الشعر كما لا يمكن أن توجد ممن يشتغلون بمسائل المعرفة من يعتبر عمدة فى القانون وإماماً مع ذلك فى التاريخ ، وإنما يدرس النابغون على أن بعضهم كاتب أو شاعر أو فيلسوف أو مؤرخ ، وربما يدرس بعض الأدباء على أنه موفق فى أسلوب خاص من أنواع الأساليب وأنه لم يتيسر له أن يحذق أساليب الكلام جملة وأن يجعل أسلوبه فى كل مقام مرناً ملائماً لما يكتب فيه موضوعات العلوم والآداب — ولهذا التزاحم فى الملكات لا يرضينا أن يقصد الشاعر الى دراسة ما تغاير ملكته ملكة



محمد قابيل

الشعر، إذ يقع التزاحم بين الملكتين وليس من نتيجة لذلك إلا أن تضعف الملكة الثانية وإن كانت غالبة فى هذا التزاحم . فلا يصير الشاعر الى ما كان ينتظر له لو لم يقصد الى توفر على ذلك الفن الذى زاحم الملكة ووصل فى تلك المزاحمة الى حد التعجيز لها والاضعاف . وقد يكون هذا التزاحم نفسه علة قضاء على الملكة الشعرية فيحرم الوجود شاعراً ، والمجتمع الانسانى شديد التطلع للشعراء لما ينفسون من أعباء الحياة ويرفعون من أعباء الجد ، ولأن التحلل من الحقائق والخلاص من قيودها مريح ، ولأن الشعراء عمدتهم الخيال والشعر عماده العواطف وفى ذلك منتهى لهو النفوس وعبث الميول وتنشيط الأهواء وتغذية العواطف — أريد أن أقول إن معالجة مسائل الفلسفة ونظريات الاجتماع ومواد القانون وقوانين الطبيعة والكيمياء وغير ذلك مما تعوق الشاعر عن الوصول الى ما يستطيع أن يصل

اليه من رقة فى الاسلوب ودماثة فى اللفظ وروعة فى الخيال وتحليل للعاطفة ، وتمعن بآثار الشعور لما ينشأ عن مزاحمة حقائق العلوم وملكاتها لملكة الشعر ، فيلحق بها الوهن ويتطرّق اليها الضعف وتأخذ سبيلها الى التقلص والذبول .

— ٣ —

وليس أدلّ على ما سقته فى هذا الحديث مما نجده فى غير موضع من أمثلة الشعراء الذين لم يحظوا باحراز المنزلة الأولى فى باب المفاضلة عند الناقدين ، وأسفر النظر فى منتجاتهم من الشعر عن اعتباره من الأمثلة التى لا توجه اليها عناية ولا تستحق من المرء استظهاراً — فهذا بديع الزمان الهمذانى كان شاعراً وقد جمع شعره فى ديوان ، وقلما يعنى به الشعراء فى الشعر ، وقلما يحفظ منه الأديب لمنفعته فى الأدب ، ذلك لأن شعره لتأثير ملكة الكتابة لم يصل الى درجة من الجزالة والروعة وتضمُّن المعانى السامية أو الحكمة الصادقة أو الصُّور المستطرفة أو العاطفة الثائرة ، وانما كان سهلا لا يمتدح فيه اكثر من المداعبة المقبولة والتظرف المعقول والملح التى تعلن عن ظرف البديع وميله إلى ما قد يشبه الخلاعة أو يجانس المجون ثم ما رغب فى التعمية به من الالغاز والأحاجى ومحسنات البديع — وهذه نماذج من شعره يقف منها القارىء على ما نلمحه من ضعف واقفار فى باب الاختراع وغير ذلك مما يعتبر علة لتزاحم الملكات . قال البديع :

قسما لقد نسج الحيا ... خلع الربا فأجاد نسجا
وشجاك لحنُ العندليـ ... ـب ونغمة القمرىّ أشجى
واذا المروج مرجت فى ... أطرافهن الطرف مرجا
شبهت أنوار الربيـ ... ـع كوا كباً والروض برجا

وقوله أيضاً :

ياحـريصا على الغنى ... قاعـداً بالمراصدِ
لست فى سعيك الذى ... خضت فيه بقاصدِ
إن دنياك هذه ... لست فيها بخالدِ
بعض هذا فانما ... أنت ساعٍ لقاعدِ

— ٤ —

ولم يكن بديع الزمان الهمذانى بدعاً فى الادب العربى ، ولا كان وحده ممن بدا

فيهم تزاحمُ الملكات وغلبت عليهم الكتابة فلم يصلوا الى مرتبه راقية فى الشعر ، بل إن المعرى كذلك من تلك الامثلة التى تنازعتها ملكات شتى من الشعر والفلسفة والفقه والنحو وغير ذلك من سائر المعارف التى زكت أيام هذا الفيلسوف . وكانت فى نفسه رغبة فى الالمام بذلك كله فأخذ كثيراً من مبادىء الفلسفة عن شيوخ اللاذقية وانطاكية ودرس على أهله أولا وعلى شيوخ حلب كثيراً من معارف الملة الاسلامية التى ترجع فى جملتها الى علوم اللغة والدين . وكان تطلعه إلى تحقيق هذه الرغبة من أهم العوامل التى زحزحته عن منزلة البحترى والمتنبى وأضرابهم من شعراء الطبقة الأولى — ذلك بسبب تضمين الشعر لتلك المبادىء الفلسفية وما قصد اليه أبو العلاء فى لزومياته من مسائل الاجتماع وما خصّ به فى غير موضع من شعره من تصوير لكثير من الخواطر التى تخامره وحده ولا تجد العواطف العامة فيها ما يلذّ لها ويصور انفعالاتها وما يعتريها من حب أو بغض أو ألم أو فرح أو غير ذلك — ولسنا نشك فى أن عزلة المعرى قد فوّتت عليه كثيراً مما يجب أن يلابسه الشاعر ، فجاء شعره غريباً فى المعنى وغريباً كذلك فى اللفظ والتركيب ، وكل ذلك ولاشك مظاهر وهن فى ملكة الشعر وأثر لتزاحم الملكات وتنازعها . ونحن نظن — قصداً للايجاز — أن القارىء لا يحتاج إلى أن نسوق له أمثلة من شعر المعرى لتكون بمثابة استشهاد على تقرير ما نلمحه فيه من آثار إضعاف الملكة فاللزوميات كلها وغير قليل من شعره يقع فيه ما يعلن عن تخلفه عن استاذ المدرسة القديمة وحكيم الشعر (أبى الطيب المتنبى).

— ٥ —

هذا وليس يصعب على من له إلمامة بالأدب العربى عند المغاربة أن يستطلع أثر ذلك التزاحم فى ملكة الشعر عند الاندلسيين وظهور الصبغة الفقهية أو النحوية فيه ، إذ كان إحراز المناصب عند الاندلسيين قائماً على مبلغ إلمام الاديب وقدرته على حذق ألوان شتى من مسائل العلوم وفنونها . فكان شعراء الأندلسيين فقهاء ، وفقهاؤهم شعراء ، وهؤلاء مع ذلك قد حذقوا مسائل النحو ووقفوا على شذوذه ومكنونه . فقسمت لذلك الملكة إن قيل بوحدتها ، وتزاحمت الملكات إذ قيل بتعددها ، ووقع فى شعرهم ما يدل على تأثير الملكات الأخرى من ذكر الغصب والاستيعاب فى شعر محمد البطليوسى كقوله :

غصبوا الصباحَ فقسموه خدودًا   واستوعبوا قضب الاراك قدودًا

فهذا الغصب وذلك الاستيعاب كلاهما يكثر وروده وتكرره فى باب الفقه وأصوله.
ومن أمثلة ما يُستشهد به فى هذا الباب قول القسطلى :

فقد يخفض الأسماء وهى سوا كن ... ويعمل فى الفعل الصريح ضمير

فأنت ترى كذلك أن الخفض والاسم والسوا كن وعمل العاقل والفعل والضمير وغير ذلك مما يجرى كثيراً على ألسنة النحاة ويكثر وروده فى كتاباتهم وتصانيفهم .

والنتيجة التى أريد أن أنتهى اليها أن قصد الشاعر إلى دراسة مسائل العلم ونظريات الفلسفة مما يضعف ملكة الشعر فيه ومما يكسب شعره نحواً من التعقيد ومظهراً من مظاهر المعاظلة . ولا تنقاد له ما ينقاد لسليم الملكة من رقة فى اللفظ وروعة فى الخيال وتجديد وابتداع فى باب المعانى واستحداث للصور الرائعة المحبوبة وتصوير الانفعالات النفسية وشرح للعواطف وغير ذلك مما يحفل به الشعر والشعر الصحيح وما يستحق أن يسمى شعراً . ولعلنا نوفق إلى ذكر ماتتم به ملكة الشعر فى حديث تالٍ ؟

محمد قابيل



كورنى والتمثيل فى فرنسا

(ننشر هذه المقدمة لترجمة رواية هوراس التى نقلها الى اللغة العربية الدكتور احمد ضيف وذلك لما تحتويه من وصف عصر الشاعر كورنى وما كان هناك من أثر الحياة الاجتماعية فى عالم التمثيل . وستظهر هذه الرواية فى عالم الأدب قريباً)

حياة كورنى

ولد بيير كورنى بمدينة رُوان « شمال فرنسا » فى اليوم السادس من شهر يونيو

سنة ١٦٠٦ م . ، وكان أبوه من أسرة معروفة بين رجال القضاء والتشريع ، فوجهه لدراسة القانون ، وبعد أن أتم دراسته دخل فى زمرة المحامين سنة ١٦٢٤م . ، ولكنه كان خجولاً فيه شيء من العيّ والحَصَر فلم يكن قويّ الحجة ولا فصيح اللسان ، وكان يميل بطبعه الى قرض الشعر ، فاندفع بهذا الميل إلى معالجته ، وكان الشعر فى ذلك الوقت أظهر ما يكون فى نظم الروايات التمثيلية فنظم رواية « ميليت » ومثلت وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . ومنذ ذلك الحين انقطع للتأليف المسرحى ،



الدكتور احمد ضيف

فبرع براعة عظيمة واشتهر بسعة الخيال وقوة الابتكار ، وألّف عدة روايات ومرّ بأطوار مختلفة من حياته الفنية . فعالج تأليف القصص التمثيلية فى مختلف أنواعها ، وكان فى أول أمره يميل الى (المَسْلاة) وهو النوع المعروف (بالكوميك comique) وقد ألف فى ذلك قصصاً تحسب من أفضل ما أخرج فى هذا النوع ، ومثلت رواياته فى باريس ونجحت نجاحاً عظيماً .

وفى سنة ١٦٣٦ م . أخرج قصته «السيد» التى كانت أول قصة عظيمة ممتازة ظهرت على مسرح باريس ، وكانت هذه الرواية فاتحة عصر جديد فى تاريخ المأساة

(تراجيدى tragédie) تجلت فيها عبقرية كورنى ، فأصبحت رواياته آية من آيات التمثيل فى فرنسا ، ثم ظهرت قصته « هوراس Horace » سنة ١٦٤٠ م . ولم تكن أقل من سالفتها و«سنا» سنة ١٦٤٠م. أيضاً وبوليوكت وموت بومبى سنة١٦٤٣م.

وبعد أن بذل جهداً عظيماً فى رواياته التى تعد من الطراز الأول فى فن التمثيل مرت به برهة فتور أخرج فى أثنائها عدة روايات لم تصل الى منزلة رواياته الأولى وكأنها كانت حثالة خياله . فلزم منزله أعواماً وانسحب من الميدان .ثم أراد الرجوع اليه مرة أخرى فلم يفلح وخيم على اسمه النسيان ، حتى لقد ذاع نعيه بعد موته بخمسة أيام ! وكانت وفاته فى أول يوم من شهر اكتوبر سنة ١٦٦٧م. ، فكانت حياته كلها هى مؤلفاته وكانت مؤلفاته هى كل حياته .

﴿ التمثيل فى عصر كورنى ﴾

كان أثر المرأة عظيماً فى أوروبا أواسطَ القرن السادس عشر لا سيما عند الأمم اللاتينية ، وبالأخص فى بلاد إيطاليا ، حيث امتدّ منها ذلك الى فرنسا ، وقد استولت المرأة على الاجتماع وسيطرت على عقول كبار الناس . فانتشر فى المجتمعات تعشق المرأة والإعجاب بها ، والتقرب إليها بكل ما يمكن من أنواع الملق والتظرف (galanterie) حتى أصبح من مفاخر الرجل أن يكون عاشقاً ، ومن مفاخر المرأة والإشادة بذكرها الاستيلاء على قلب الرجل ، لكن بدون أن يأسرها غرامها فتخضع لعاطفتها خضوع الموالى لساداتهم ، كما كانت الحال عند العشاق من عامة الناس . بل كانت تقف أمام هذه القوة بكل ما لديها من ارادة وحزم ، وتظهر ما لنفسها من كرامة وإباء ، مع ما تحتفظ به لحبيبها من صدق وإخلاص . وقد سار هذا الخلق مسرى النسيم فى الاجتماعات وعند خاصة الناس ، وتخلق به كبار القوم حتى تسرب فى نفوس الفنيين والأدباء ، الذين يمثلون الاجتماع فى آثارهم الفنية . فعمد الشعراء الى رسم هذا الخلق الاجتماعى ، واتجهوا الى عرض حوادث الحب والغرام ، ذلك الحب المصبوغ بصبغة الاخلاص وكرم النفس ، ومزجوا ذلك بنوع من الحماسة فأدّى هذا الى المبالغة فى الاتصاف بالفضائل كالبسالة والتضحية بالنفس فى سبيل الفضيلة مما جعل كثيراً من هذه الصفات خيالية أكثر منها حقيقية . فكانت أشبه بما نعرفه فى حياة العرب القدماء البدويين . ولكنّ العربى ورث ذلك عن آبائه ، وتخلق بأخلاقهم ، وساعده عيشه ونظام الحياة لديه على الاتصاف بتلك الفضائل .

ظهر ذلك الخلق الاجتماعى على ألسنة الشعراء فى فرنسا ، وكان الشعر إذ ذاك أظهر ما يكون فى الروايات التمثيلية ، فتمشت هـذه الحال فى الشعر التمثيلى ، وصار من أغراضه الدعاية الى الاتصاف بالفضيلة : من حماسة واخلاص . ومزج الشعراء ذلك بالتفانى فى حب الوطن والذود عن الأهل ، وجعلوا هذا كله يسير بجوار عاطفة الحب ، ولم يكد يخرج التمثيل عن هذه الحال إلا ما كان من بعض الروايات الفكاهية أو (المسلاة) المسماة (بالكوميدي) التى كان الغرض منها الترويح عن النفس . أما غير ذلك فكان كله من نوع المأساة (تراجيدى) .

﴿ كورنى وقصصه التمثيلية ﴾

فى هذا الموقف ووسط هذا الاجتماع ظهر كورنى فى عالم التمثيل « من سنة ١٦٢٥م. الى سنة ١٦٥٠م.» فرأى أن موضوع المأساة يجب أن يكون نبيلاً عاماً، أو حادثاً من الحوادث العظيمة ، أو أسطورة حماسية تملأ نفس الجمهور وتهيج عواطفه. فأخذ موضوعات رواياته من الحوادث التاريخية وبعض الأساطير المقتبسة من التاريخ ، كى يدعو الجمهور الى الاقتناع بها ، ويتناسى ما فيها من المبالغة . ورأى أن المأساة التى لا يكون موضوعها رائعاً انما هى مسلاة « كوميدى » ، وأن الفرق بين المأساة والمسلاة أن الحب فى المأساة يدفع بالانسان الى الدمار ، ويلقى به إلى التهلكة ، وتذوق انواع المصائب ، بخلافه فى المسلاة . وكان يرى أن للمأساة حرمة تقتضى أن يكون ما فيها من حوادث أعظم من العشق ، حتى تتبين همم النفوس العظيمة ، وتظهر كبار آمال الشعوب ، بما لحياتها القومية من كرامة وبسالة وانتقام من الأعداء وأن تكون المصائب التى يلاقيها الانسان فى سبيل ذلك أشد مصائب الحب ، وأن تكون خسارته أعظم من خسارة حبيبة أو عشيقة .

﴿ أشخاص كورنى فى قصصه ﴾

هكذا بنى كورنى رواياته على الصراع بين الاهواء النفسية وأداء الواجب ، أو بين سلطان الاهواء ورفعة المقاصد وعلو النفس . فجعل رجال قصصه من الشجعان البسلاء وأظهر أمام الجمهور أنبل ماعرف الناس من النفوس ، وأدعى ما يكون من ذلك الى الاعجاب . فوصف النفوس البشرية كما يجب أن تكون لا كما هى عليه فى الحياة ، وجعلهم يضحون بكل شىء فى سبيل الواجب عليهم والمحافظة على شرفهم .

فكان كورنى أول من عمل على عرض صور الحياة على خير ما تكون وعلى أفضل

حال ، لاسيما ماكان خاصاً منها بالناحية الخلقية وعاطفة الحب ، والواجب على الانسان لوطنه وأهله . فعرض النفوس القوية القاهرة ممثلة في كبار الناس وفحول الرجال كالملوك والقواد وأهل الارادة والحزم الذين تحملهم كرامتهم على أن يقهروا أهواءهم ويسيطروا على نفوسهم ، وجعل من هؤلاء المثل الأعلى لبني الانسان . ولقد تجسم في نفسه ذلك المعنى النبيل فيما يجب أن يكون عليه الانسان من أخلاق فاضلة : فمثّل لك الصراع بين العاطفة والواجب ، إذ يعرض عليك فتى في موقف النزاع بين أبيه وحبيبته أو بين شرف أسرته وسلطان غرامه ، ويجعلك تعتقد أن كلا الأمرين حق ، وكلا المتنازعين على صواب . يريك الفتاة تقف بين أبيها وحبيبها ، وتجد نفسها أمام واجب عليها أن تقوم به ، لأن في ذلك تأييداً لقومها ورفعة لمجد أهلها ، كما تجدها أيضاً أمام أهوائها يملكها الحب ويملأ نفسها الغرام لانسان هو عدو لبلادها « كما هي حال كاميل مع كورياس في قصة هوراس » فيجب عليها في آن واحد أن تعتز بشرفها وشرف قومها ، وأن تعمل على ارضاء نفسها في وجوب الاخلاص لحبيبها . فماذا عسى أن يكون أمرها وهي في موقف تخاف فيه أن يتغلب قلبها على عقلها ؟ من هنا كانت روايات كورني ترمي إلى عرض حياة الانسان النفسية بما فيها من عظمة وجلال وجمال ، وقوة وإرادة ومجد ، وشقاء وآلام وأسقام ؟

احمد ضيف



الوصايا العشرة الصحية

قُمْ باكراً ! قُمْ باكراً !	واقطعْ نهارَكَ في العملْ
واستنشقِ الجوَّ النقـــيَّ	وداوِ بالشمسِ العِلَلْ

وعليك بالحمية إكسير الحياة لمن أكل
والجسم كالآلات إن نظفت طولت الأجل
والنوم وسط، فهو شر الضر إن طال وقل
والثوب رحب، إن ضيق الثوب للجسم شلل
واسكن فسيحاً ذا هواء وبه الدفء اكتمل
ويميل للشهوات من حرم الرياضة عن كسل
في الانشراح سلامة والعقل في جسم البطل
فاعهد الى الاعضاء تطبيق العلوم على العمل

اسماعيل سري الدهشان



غنِّ

يا حبيبي غنني غنّ
وأجز بعض الأسى عني
ان حبي لك منشأه
حب أهل الفن للفن
غنّ من معنى الهوى غن
غنّ معنى منك أو مني
غنّ من حبي لي غن
ان من صوتك ما يغني
يا رشيقاً في تمايله
وهو مفين لمفتن
غنّ لي ما شئت من لحن
ثم دعني في الهوى دعني
ثم دع لي سكرتي وحدي
ياوحيد الناس في الحسن!

عثمان حلمي



لون من الأدب

(أبو نواس — عمر الخيام — حافظ الشيرازى — أبو العلاء)

وقف الفقيهُ يلقى على صبيان مكتبه الحكاية التالية :

أهدى الخليفة هارون الرشيد عقداً لجاريته المحبوبة خالصة فذهب أبونواس وكتب على باب مقصورتها :

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع عقدٌ على خالصهْ !

ولما قرأت الجاريةُ هذا البيت ذهبت غاضبةً إلى الخليفة وأخبرته بذلك ، وشعر أبونواس فأسرع الى باب المقصورة ومحا الجزء الاسفل من العين ولما كان الجزء الاعلى يشابه الهمزة تماماً صار البيت بعد ذلك :

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء عقدٌ على خالصهْ !

وحضر الخليفة فلم يجد فى البيت ما يوجب العقاب .

هذه هى المرة الأولى التى التقيتُ فيها بأبى نواس . ومضى بعد ذلك ردح من الزمن وأنا لا ألتقى به الاّ فى الحكايات الخرافية التى تجمعه هو وجحا فى صف واحد، وكثيراً ما تجمع الحكايات الخرافية المضحكة بينهما فى مجلس الخليفة الرشيد كل منهما يسابق الآخر فى التهريج والتندر ، وقلما يفرق العامة وأشباه العامة بين الرجلين !

ضاعت الصورة القديمة التى طُبعت فى ذهنى حين قرأتُ شعر أبى نواس وحل محل صديقه القديم عندى عمر الخيام وحافظ الشيرازى وأبو العلاء المعرى إذ فلسفة

الجميع فى الحياة تلتقى عند نقطة واحدة وهى الفناء ، فان فلسفة الثلاثة الأول تتلخص فيما يلى : إذا كانت الدنيا لا قيمة لها وكل ما فيها مآله للفناء (واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للنفاد)[1] فما أجدرنا أن نسرع الى اقتناص اللذات قبل فوات الوقت . وقد أجمع ثلاثتهم على هذا الرأى اجماعاً يكاد يكون تاماً ، فقال أبو نواس :

غدوتُ على اللذات منهتك الستر ... وأفضت بنات الشرّ منى إلى الجهر
وهان علىّ الناس فيما أريده ... بما جئت فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالى مرصدات لمدتى ... فبادرت لذّاتى مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأس وشادنٍ ... تحير فى تفضيله فطن الفكر
مدام ربت فى حجر نوح يديرها ... علىّ ثقيل الردف مضطمر الخصر
صحيح مريض الجفن مدنٍ مباعد ... يميت ويحيي بالوصال وبالهجر
كأن ضياء الشمس نيط بوجهه ... وبدر الدجى بين الترائب والنحر
اذا ما بدت أزرار جيب قميصه ... تطلع منها صورة القمر البدر
فأحسن من ركضٍ الى حومة الوغى ... وأحسن عندى من خروج الى النحر
فلا خير فى قوم تدور عليهم ... كؤوس المنايا بالمثقفة السمر
تحياتهم فى كل يوم وليلة ... طبي المشرفيات المزيرة للقبر

وقال أيضاً :

جريت مع الصبا طلق الجموح ... وهان علىّ مأثور القبيح
وجدت ألذّ عارية الليالى ... قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة اذا ما شئت غنت : ... « متى كان الخيام بذى طلوح »

* * *

تمتع من شباب ليس يبقى ... وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
وخذها من معتقة كميت ... تنزل درة الرجل الشحيح
تخيرها لكسرى رائدوه ... لها حظان من طعم وريح

(١) لأبى العلاء المعرى

ألم ترنى أبحث الراح عرضى وعضّ مراشف الظبى المليح
وانى عالم أن سوف تنأى مسافة بين جسمانى وروحى

وقال عمر الخيام :

انما الفُلْكُ قصدُه كلُّ سوء بكليْنا مبدّداً روحَيْنَا
فارقأ العشبَ واشرب الخمر واغنم قبل يوم ٍ ينمو على تُرْبَيْنَا !

* * *

سوف أصفو على المحيّا الجميل ِ مااستطعتُ النعيمَ فى قُرْب ِ نهر
حيثُ زهرٌ وخمرةٌ أحتسيها مثلَ عهدٍ مضى وعهدٍ سيجرى

* * *

انا لا استطيع عيشاً بعبءِ هو جسمى بغير راح ٍ تشيعُ
ما ألذّ لأوانَ إذ يُقبل الساق بكأس ٍ أخرى فلا استطيعُ !

* * *

نال سمعى فى الحان فجراً منادٍ : يا ظريفاً بنا المدلّةَ امسى
قمْ وبادرْ للكأس ملأً فتحظى قبل من يصنعون طينك كأسًا !

* * *

اغنمْ الوقتَ حيث سوف تولى لك روحٌ خلفَ الستار الالٓهى
واشربْ الخمرَ حينما لست تدرى لك مبدأً ولا مآلَ التناهى

* * *

أتقضّى الحياةَ كالعابدِ النفس وفى الفكر ِ فى شؤون ِ الحياةِ
اشربْ الخمرَ فالحياةُ إلى الموت فدعها فى السكر أو فى الثَّبات ِ!

* * *

عادت السُّحبُ فى بكاءٍ على العُشْب ِ وفى الخمر ما يردُّ شجانا
ذاك مرأىً لنا ، فياليتَ شعرى حينما نغتديهِ مَن ذا يرانا !؟

« • »

كنتُ فى حانةٍ سألتُ عن الماضين شيخاً مستغرقاً فى الشرابِ
قال: دعهم واشرب! فكم من أناس مثلنا قد مضَوْا لغير مآبِ

« • »

أسعدْ النفسَ أيُّهذا الحبيبُ واشربْ الخمرَ فى ضياء البدرِ
ليس من ضامنٍ غداً، وكثيراً سوف يبدو لكن بنا ليس يدرى!

« • »

ذاك سيرُ الحياةِ، قافلةُ العمرِ عجيبٌ، فاغنمْ حبوراً بأرضِ
يانديمى! ماذا تخاف من البعث؟! ألا هاتِها! فذا الليلُ يمضى!

« • »

لاتسلْ عن شؤون عهدٍ سيأتى لا، ولا عن مصابه فهو فانِ
فاغنم الساعةَ التى أنتَ فيها واتركْ الفكرَ فى بعيدٍ ودانِ

« • »

وقال حافظ الشيرازى:

يمّمى والسلافَ يافتنتى النّهرَ فننفى طىَّ الكؤوسِ الهمومْ
إنَّ وقتَ الحياةِ أيامُها العشرُ كوَردٍ فى البشرِ لا فى الوجومْ

« • »

الصّبا منبعُ السّلاف الشهىّ فاشربوا مغرقينَ ذلَّ الصبابهْ
انما الكون هزّةٌ لخراب وخرابُ الأربابِ يتلو خرابهْ

« • »

حدّثتْنى: انى لك العمرَ طوعٌ فتشجّعْ وصُنْ هواك بحلمِ
آهِ اما القلبُ؟ قال صوتٌ حكيمٌ: كتلةٌ من دمٍ حوتْ ألفَ همٍّ!

« • »

منحتنى فى البدء كأسَ غرامى وهواسرى ، وبَعدُ كأسَ عذابى
ثم لمَّا احترقتُ روحاً وجسما وهبتنى للريح مثلَ الترابِ !

« • »

حولَ صونِ الحياة تصخب أموا هُ بنقبٍ ، والعمرُ رهن انسكابِ
وقريباً سيقذف الدهرُ يا صا حِ متاعَ الحياة من كسر بابِ !

« • »

إيتِ واجلسْ والحبَّ وافتحْ من الوردة قلباً ، والخمرُ فيضُ الاناءْ !
ايها العاشقُ الجريحُ الذى ينشد (م) برءاً سلْ مبضعاً عن شفاءْ !

« • »

ولكن ابو نواس يمتاز عن هؤلاء بانه كان مسلماً معتقداً أو متظاهراً بالاعتقاد ، وإن لم يمنعه ذلك من أن يطلق لنفسه العنان فى اقتناص اللذات فى غير حياد ولا خجل ، وهو لم يقف عند الغاية التى وصل اليها عمر الخيام والشيرازى بل تخطاها إلى أعنف وأفظع درجات اللذات الشاذة وضروبها المشروعة وغير المشروعة . ولمَّا لم يستطع أن يوفق بين ذلك ومعتقده الدينى لجأ الى حيلة طريفة ليلقى بها عن كاهله كل تبعة دينية كانت أم خلقية فابتدع له مذهباً يقرر فيه فى صراحة وثقة أن عفو الله وغفرانه أوسع من أن يضيقا بذنب مذنب أو باساءة مسيء ! بل تمادى فى غوايته فراح يزين للناس المعاصى طمعاً فى سعة عفو الله ويؤكد لهم أنهم سيندمون على ترك جرائمهم حين يتجلى عفو الله فى الآخرة ! فيقول :

تكثَّرْ ما استطعتَ من الخطايا فانكَ بالغٌ رباً غفورا
ستُبصرُ إن قدمتَ عليه عفواً وتلقى سيداً مَلِكاً كبيراً
تعضّ ندامةً كفيْك مما تركتَ مخافةَ النَّار الشرورا !

وقال :

رُدَّا علىَّ الكأسَ انكما لاتدريان الكأسَ ما تُجدى
خوَّفتمانى الله ربَّكما وكخيفتيه رجاؤه عندى
لاتعذلا فى الراحِ ! انكما فى غفلة عن كنه ماتسدى
لونلتما ما نلتُ ما مزجت الا بدمعكما من الوجد

هاتا بمثل الراح معرفةً بلطافة التأليف والودّ
مامثل نعماها اذا اشتملت الا اشتمال فمٍ على خدّ
إن كنتما لا تشربان معى خوفَ العقاب شربتها وحدى !

ولا كذلك ابى العلاء المعرى الذى لا يستطيع أحدٌ أن يقول إنه كان متعصباً لدينه أولغيره من الاديان بل كان موقفه من جميع الاديان واحداً لا يفضل ديناً على الآخر.

وكان كثيراً ما يعيب على الناس بانهم متدينون لغايةٍ إما طمعاً فى الجنة او خوفاً من النار ، ولذلك كان ينادى دائماً :

توخّى جميلاً وافعليه لحسنـه ولا تحكمى أنّ المليكَ به يجزى
فـذالك اليـه إن أراد فملكه عظـيمٌ والا فالحمام لنا مجزى
فان الذى تهوين من رتبة الرضا يسير لدى ما تتقين من الرجز !

وعلى الرغم من هذا فانك اذا تقصّيتَ سيرته الخاصة فى حياته لم تجد حرجا فى أن تقول إنه كان زاهداً فى الدنيا زهداً قلما يجاريه فيه أحدٌ .

ومن العجيب أن الفكرة التى جعلت من الدنيا جنة ينعم بها أبو نواس وعمر الخيام وحافظ الشيرازى هى بعينها التى جعلت من الدنيا سجنا لأبى العلاء واضطرته إلى أن يسجن نفسه باختياره ويعزف عن ضروب اللذات وأفانين النعيم طائعاً مختاراً زاهداً فى كل ألوان الحياة الناعمة ثم يتخذ من ذلك مذهباً مستوثقاً راضياً فيقول :

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافـــع فالخسرُ للعلماء
قضى الله فينا بالذى هو كائنٌ فصحّ وضاعت حكمةُ الحكماء
وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء
سنتبع آثار الذين تحملوا على ساقة من أعبُـدٍ واماء
لقد طال فى هذا الانام تعجبى فيا لرواء قوبلوا بظماء !
أُرامى فتشوى مَنْ أعاديه أسهمى وما صاف عنى سهمه بزماء
وهل أعظم إلاّ غصون وريقة وهل ماؤُها الاّ جنىٌّ دماء
وقد بان أن النحس ليس بغافل له عملٌ فى أنجم الفهماء
نهاب أموراً ثم نركب هولها على عنتٍ من صاغرين قماء
يقولون إن الدهر قد حان موته ولم يبق فى الأيام غير ذماء
وقد كذبوا ، ما يعرفون انعضادَه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء !
وكيف أقضى ساعةً بمسرة وأعلم أن الموت من غرمائى ؟!

خـذا حـذرا من أقربين وجانبٍ ولا تذهلوا عن سـيرة الحـزماء

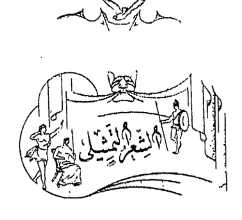
* * *

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحقٌّ لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا ريبُ الزمان كأننا زجاجٌ ولـكن لايعاد له سبك !

* * *

أعنْ باكياً لجَّ فى حزنهِ وسلْ ضاحكَ القوم ممَّا ابتهجْ !

سيد ابراهيم



رواية سعاد

(يقع هذا المشهد فى ختام الفصل الثالث بعد شكوى حارة من سعـاد ، لعمها الـكبير الذى يحبها ويعطف عليها ، فيعدها بأن ينقذها من الزيجة المهياة لها مادامت غيرَ راضيةٍ عنها ، حتى إذا أتى بيت أخيه — والد سعـاد — وشربا القهـوة أخـذا يتحادثان)

عم سعـاد (لأخيه) :
ألا إننى غيرُ راضٍ عليكَ ولستُ أراكَ شقيقاً ليـَهْ !

والد سعـاد : لمـاذا ؟

عمها : لانك لم تستمع الى الرُّشدِ فى حكمتى الهاديه
وغرَّك ماترتجى من غِنىً فأوقعتَ بنتك فى الهاويه !
والدها : تمهّـلْ أخى وأبِنْ ماتريدُ !
عمهـا . إذنْ سأجيبك عما بِيَه
لقـد جئتنى مرةً زائراً ونفسُك جذلانةٌ هانيَـه
وقلتَ : أتانىَ يرجو (سعاد) غنىٌّ ومن أسرةٍ راقيه
وما كان إلا مُسِنّاً قضى زمانَ الفُتوَّةِ والعافيـه



محمد فريد عين شوكه

وقد ضعضعتْه حياةُ السّقا مِ وكانت على نفسه قاضيه
فرجلٌ الى القبرِ ممـدودةٌ وأخرى تُمَدُّ الى الهاويه
خيالٌ كأسطورةِ الهازلين أو الطيفِ مِن حفرة خاليه
وقلتَ بأنـك شـاورتهـا فكانت بخطبته راضيـه
ولو صَحَّ أنَّ الرضى كالاباء فذاك رضى مهجةٍ آبيه
وخادعتنى بأرقِّ الحديـ ث ، ولكنها خدعةٌ واهيه
وبعضُ الخداع يقود الخدا عَ حتماً الى عثرةٍ قاسيهْ

فقد جاءت البنتُ تشكو التَّ اعتسافكَ في لوعةٍ باكيَه
ولو أنصفتْ محضَتْكَ العُقوقَ وثارتْ على روحِكَ الطاغيه!

والدها (في دهشة):

أحقاً تقولُ؟

عمها: وهل أفترى عليكَ؟ وهل ذاك من شانِيَه؟

والدها: كذلك حالي!

عمها (في تهكم): أتحسبُ يُجدي عليكَ خداعُك لي ثانيه؟

(ثم ينادي سعاداً من وراء الباب حيث كانت منصتةً للحديث هي وأختها الكبرى)

تعاليْ سُعادُ لنسمعَ منْكِ الحقيقةَ واللفظة الشافيه!

(فتأتي سعاد وتجلس بعيدةً عنهما وقريبة من الباب الذي خرجت منه فيسألها عمها)

سعادُ! أترضينَ هذا الزواجَ؟ (فتنظر سعاد إلى أبيها ثم تلبث صامتة)

عمها (يشجعها على الكلام):

أدْلي برأيكِ في مصيركِ واعلمي أنّ ليس في قول الصراحةِ عارُ

سعاد: ماذا أقول وأنتما أدرى بما فيه لنفسي ذِلّةٌ وبوارُ؟!

عمها: بل صارحينا بالذي تبغينه!

سعاد (وقد تجرأت بعطف عمها):

أنا لست راضيةً به!

عمها (يخاطب أباها): اسمعْ أخي! ماذا ترى؟ أفبعد ذاك حوارُ؟!

والدها (في لطف):

أسعادُ مهلاً! ذا خطيبك سيّدٌ شهمٌ له بين الرجال وقارُ
من أغنياء المالكين، وعيشُه رغدٌ وعزٌّ دائمٌ ويسارُ
فارضي بحكمي، إنني لك ناصحٌ واسمعي لرأيٍ ليس فيه ضرارُ!

سعاد: أبتي حنانَكَ! إنني لا أرتضي شيخاً يكاد قوامه ينهارُ!

عمها (إلى والدها) :

ماذا تقول أخي ؟

والدها (فى عنف) : أقول مهدِّداً لا بدَّ أن ترضى بمن أختارُ !

أتكون آمرةً وتلك بُنيَّتى ؟

(تهتاج أخت سعاد لهياج أبيها فتعنفها من وراء الباب)

أسعادُ انك لم تراعى حُرمةً لأبيكِ أو تُبدى التأدُّبَ فى الجدلْ

وعصيتهِ فيما أراد وما ارتضى ولو انه لك خادمٌ لم يحتمل

حقاً لقد أخطأتِ كلَّ خطيئةٍ ووقعتِ فيما قد وقعت من الزلل

فتجيبها سعاد باكية :

أنا لستُ مخطئةً ولست عصيةً بل ذاك حقى فى الحياة ونظرتى !

فيثور والدها فى غضبه صائحاً :

بل أنتِ غاشمة ! (فيهم أخوه ويمسك به ويعنّفه)

عمها : لا تعجلن بالسخط إن الحمق شرُّ بليّةِ

أشفقْ على هـذى الفتاة فانها فى القول لم تخطىء ولم تتعنتِ

بل حقُّها ترعى لانك بعتَها بيع السوائم دون أية رغبةِ !

والدها (فى هياج وغضب) :

والله لن أرضى باهواءٍ لها !

(تسمع سعاد ذلك فتقوم باكية منتحبة ويهم عمها بالخروج غاضباً ويقول مخاطباً أخاه)

إذن لاخير فى قولى ونصحى وما لى عنـد مثلك من رجاء

وما دام الغنى ما تبتغيه فما يُجديكَ نُصحى أو ولائى

ولـكن سوف تندم حين تلقى جزاءَ الدهر فى يوم الجزاء !

(ثم يخرج غاضباً لا يلوى على شىء)

— ستار —

دار العلوم العليا محمد فريد عين شوكه



ديوان عتيق

الجزء الاول

نظم عبد العزيز عتيق ، الجزء الأول فى ١٦٠ صفحة
١٣½ سم × ١٩¼ سم . مع مقدمة بقلم سيد قطب

نحن فى هـذا العصر شديدو التطلع لمـا ينتجه الشباب ، شعراً أو غير شعر ، ونستدل بذلك الانتاج على المستقبل ، لاننا نوقن ان النهضة المقبلة تقوم على اكتاف الشباب وحده ، ونحن فى النظر الى مجهود الشباب فريقان : فريق يقسو عليه ويوده كاملا ، ولا يسمح بنقص ولا ضعف ، فاذا آنس فيه هنة ولو صغيرة هدمه هدماً ، وأعمل فيه معوله بلا شفقة ، والفريق الآخر أوسع رحمة ، واكثر تقديراً للظروف ، والبيئة ، وما الى ذلك . ونحن من الفريق الأخير : لا نسرع الى الهدم ، ولا نحبه ولا ندعو اليه ، ولـكن نبحث فى الرماد الخابى ولو عن قبس ، وفى الليل الحالك ولو عن شعاع ! فاذا ظفرنا بمـا يبشرنا ولو بعض البشرى ، فرحنا به وشـجعناه ، واظهرناه للناس . نحن نتوخى المحاسن ، ونغوص على الدرر ولو فى أعماق اللجـة ، ننشر النبوغ الدفين فى هذا البلد ، وما أكثر المغمور المنسى منه !

ولذلك حين ظهر ديوان عتيق أفرغنا له وقتاً ، ودرسناه قصيدة قصـيدة ، وقصدنا أن نستبين أموراً عدة : أولا أثر القديم فى هذا الشعر الجديد، وثانياً مجهود الشاعر العصرى فى التجديد ومداه وعمقه ، وثالثاً احاطته بالحياة وفهمه لها ، ورابعاً أثر المحاكاة والتقليد ، وهل للشاعر نزعة استقلالية وطابع خاص ؟

كنت أراعى فى تقديرى له ظروفه الخاصـة ، فهو مايزال فى عهد الدراسة ، ثم أنه لا يزال غضّ السن ، غضّ التجربة ، وإن كان النبوغ لا يقـاس بسن ولا زمن ، فان كيتس تألق نجمه وهو فى سن عتيق ، وشاكسبير كـتب دراماته الخالدة فى عمر فوق ذلك بقليل ! ولـكن يجب ان نذكر أننا فى مصر ، وأن مدارسـنا ما تزال

تسقينا الأدب الغثّ البالى السخيف ، تنقشه فى عقولنا ، وتطبعه فى صفحات خواطرنا ، ونحن فى عهد يؤثر فيه كل التأثير ذلك الذى يسقوننا إياه !

ومَن منا ينسى مواضيع الانشاء السخيفة التى كنا نكتبها ، ولم نكن نعنى فيها بغير اللفظ الجميل المرصوف ،وأما المعنى والدراسة العميقة والبحث الدقيق فلم نكن نعرفها ولا أنظارنا مُتوَجَّهُ اليها .



عبد العزيز عتيق

أضفْ الى ذلك الاطلاع المحصور الضيِّق فى عهد الدراسة ، ولا أدرى هل الشاعر عتيق قرأ كثيراً من الشعر الغربى ، فان الاقتصار على دراسة الأدب العربى وحده لا تكفى لاتقان الشعر ، ولا لتجديده ، وإن كان الشاعر الموهوب غير محتاج لشىء ، فان هومير لم يكن يعرف غير لغة قومه حين كتب الالياذة ، وشاكسبير لم يكن يعرف غير الانجليزية !

الجيد فى شعر عتيق انه يستلهم احساسه ، ويُلقى العنان لتصوراته ، يرسلها محلقة كما تحلق الطيور أسراباً أسراباً ، شادية أو نائحة ، تستقبل الصبح أم تودع الشمس الغاربة ، هى على كل حال جموع من الطير ، تضرب بأجنحتها فى عرض الفضاء !

وقد يؤخذ عليه انه كثير التشاؤم ، غاضب على الدنيا ، ساخط على الحب ، يرى قتاماً فوق قتام . وهذه النزعة الباكية ، نزعة السخط والتمرد والثورة ، تراها فى الشعر الحديث كله ، فهل الشباب اليوم لا يجد فى الحياة شيئاً جميلا ؟ أين النور والحسن ، والصبا ، والسماء والبحر ؟ أين السحر المتغلغل فى كل شىء ؟ لو نصحتُ للشاعر عتيق بشىء لنصحت له بقراءة شعر روبرت بروك ، فانه كان فى مثل عمره ، ولكنه كان يحب الحياة ، يحبها حباً مستفيضاً . وكان وهو فى وسط القتال فى الدردنيل يدعو الله انه اذا قدّر عليه الموت ، فلا يبخل عليه بعد الموت بركن فى الآخرة ، وجعبة يحمل فيها ما كان يعزه فى الحياة ، من وجه ولون وزهر وسماء ، فيخلو خلوته ليستعرض ما فى الجعبة مما كان يحبه ، فيقلبه ويشمه ، ويقبله ، وينظر الى كل ذلك نظرة الأم الحانية على طفلها المعبود :

وأحسن ما فى ديوان عتيق الرحمة والصفح : انه يغضب ، ويسخط ، ويثور ثم يغفر ، ويبسط لاحبابه قلباً نقياً ، فياضاً بالعطف والحب والرضى .

على ان القصيدة التى تفردت بالحسن هى القصيدة التالية : فان فيها تجديداً ، ونزعة استقلالية ، وروحاً غربية ، فى لفظ عربىّ صافٍ :

(عهد جديد)

وكالأمل المحبوب وجهُكَ حينما ... تطالعنى منه العيون النواعسُ
هو الصبحُ ! لولا ان بالصبح حاجةً ... الى شاعر تهفو اليه العرائس !
أحبُّ فيسمو بى العفاف الى الذرى ... ويرفعنى أنى على الحسن حارسُ !
أظلّ به أشدو وما كنت شادياً ... ولكننى من ذلك النور قابسُ !

والآن ما أثر المحاكاة فى شعر عتيق ؟

اقرأ مثلا قصيدة « حواطر » (صفحة ١٣٤) تجد طيف العقاد يطالعك من وراتها .

أنا لا أذمّ العقاد ، ولا أطعن فى شعره ، ولكنى أقول للشاعر عتيق : دع العقاد جانباً ، فان له طابعه الخاص ، وحاذر أن تقلد العقاد أو غيره فان هذا ما يسمى بالانجليزية Mannerism . وأذكر ان الشباب فى عهدٍ ما كانوا يحلقون رءوسهم عند حلاق لطفى بك السيد ويطلقون سوالفهم كما كان يطلقها ، وعند ذلك كانوا يزعمون أنهم جميعاً أصبحوا لطفى السيد أدباً وفلسفةً !

ياصديقي الشاعر ! أطلق العنان لسجيتك ، واستمر في استلهامك نفسك ، واعمل كما يقول جيتة : من الداخل الى الخارج ! إنا نرى نجمك في سماء المستقبل ! واخيراً تحية اعجاب وتشجيع ؟

ابراهيم ناجي

وحي الاربعين

قصائد ومقطوعات نظم عباس محمود العقاد في ١٧٦ صفحة
١٢½ سم × ١٦½ سم . الثمن ٥٠ مليماً . مطبعة مصر بالقاهرة

لصاحب هذا الديوان فضلٌ على الأدب العصري كناقد حصيف وشاعر حكيم وقف في طليعة المحاربين عبادة الالفاظ التي أساءت الى الشعر العربي أساءةً بالغةً في عصور متوالية .

والمتصفح المنصف لديوانه الجديد الانيق لايسعه إلا الاغتباط بقدمته عن الشعر العصري . وقد أصاب كل الاصابة في تذكيره الادباء بأن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، وانه عالمٌ لاينحصر في قالب ولايتقيد بمثال ، وأن النظر الى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير ، وأن من يريد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود . وهو يسائل باهتمام : أين غرائب الاحساس التي تختلف الى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟ وبعد هذا السؤال يقدم لنا العقاد نماذج شتى من غرائب هذا الاحساس ، وهي لبُّ ديوانه الجديد .

يقع هذا الديوان في ثمانية أبواب ومقدمة ، وتشمل الابواب: تأملات في الحياة ، وخواطر في شؤون الناس ، وقصص وأماثيل ، ووصف وتصوير، وغزل ومناجاة ، وقوميات واجتماعيات ، وفكاهة ، ومتفرقات . وتتجلى فيها جميعاً الروح التي أشرنا اليها ، كما تزدحم في صفحاتها روائع شتى على معظمها سمة التفكير والفلسفة ، وعلى القليل منها مسحة العاطفة الخالصة .

يقول العقاد في صفحة متوارية من ديوانه :

إذا الدهر لم يعرف لذى الحقّ حقّه فللدهر منّي موطىء النّعلِ والقدمْ

إذا جاز بيعُ الذكرِ فى شرع أمةٍ فلا كان مِنْ ذكرٍ ولا كانت الاممْ

وهذا شعار الابىّ ، وصرتٌ نبيل له نظائره فى صفحات الديوان من حكم صادقة جديرة بأن يستظهرها الشبابُ وغير الشباب من الغيورين على سلامة الاخلاق فى أمتهم ومن المهيبين بها الى المثل الاعلى ، وذلك مثل قوله :

أنصفتَ مظلوماً فأنصفْ ظالماً فى ذلةِ المظلومِ عذرُ الظالمِ

وقوله :

فما تحمد العينان كلّ بشاشةٍ ولا كلّ وجهٍ عابس بذميمِ
قطوبُ كريمٍ خاب فى الناس سعيُه أحبّ من البشرى بفوز لئيمِ

وقوله :

أقلُّ من الصخر امرؤ ضمّ جسمه أمانةَ روح لم يَصنْها لمأرب

وقوله :

لايستقلّ القوم فى آمالهم الا استقلوا بَعْدُ فى الافعال

وتطالعك من أول صفحة فى الديوان ألوان من «غرائب الاحساس» التى يعنى بها العقاد والتى يخيل الينا أنه لايود أن يسجّل له من الشعر سواها ، فيفاتحك بقوله :

صحّ جسماً فشاقت الارض عينيـه جمالا وفتنة وضياء
صحّ نفساً فشاهت الناس حتى كره الارضَ حوله والسماء !

ومن بدائع هذا الديوان مقطوعاته وقصائده عن سحر الدنيا ، وانذار الغضب الى الحق المحتجب ، وعلى بحر الحياة ، ومافوق الحياة ، وعلى الشاطىء ، ولاضيف فى الخان ، وضلال الخلود ، والشمس ، وعدل الموازين ، وعم صباحاً — عم مساءً ، وتكاليف العظمة ، وعيد ميلاد فى الجحيم ، ومباراة ، والقبلة ، والجسم الضاحك ، والى الغرق ، وزهرة لاتذبل ، وأيعشقون ؟ وعلى ضريح سعد — وما كل هـذه الحسنات بالقليلة فى كتاب هو خامس أجزاء ديوانه الحافل .

وبينما نرى العقاد مالكاً ناصية اللغة جزل التعبير قويه فى مواضع كثيرة اذا به أحياناً يتعثر فى تعابيره بغير موجب ، ونخال ذلك راجعاً الى اعتداده بنفسه وسخطه على القُدَامى المعابدين للصور الكلامية وللالفاظ الجوفاء . مثالُ ذلك قوله : يوم عصبصب (ص ٦٧) وكانت له ندحة عن استعمال هذا اللفظ النافر ، وقوله (ص ٤٥) :

دليلٌ على أن ان للكمال محـرَّمٌ أناث خُلقنا بيننا وذكورُ

فضعف التعبير فى هذا البيت ظاهر ، وقوله (ص ٤٦) :

أسيء ظنونك لكن مكرهاً أبداً كمن يظن ببعض الآلِ والحرَمِ

وقوله (ص ٥٢) :

حتى الافاضل عرضة لهوى الهنات البادرهْ

وقوله (ص ٨٢) :

إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتى ومن يصف الدنيا يصف خيم ختال

يريد طبعَ ختال ، والشعر العصرى فى غنًى عن أن يُتخم بلفظة خيم ، ومثل قوله (ص ٩٢) عند وصف خليج ستانلى :

سَلْ عُصبةً سكنت « جنيـ ـفَ » تكلُّفٌ بك أم كلفْ ؟!

فان هذه الالتفاتة ليست مما يتفق والمستوى الفنى لشعر العقاد ، ومثل قوله (ص ٩٥) :

حيٌّ الجمال كما بدا أولا فدونك والجيفْ !

فلفظ « الجيف » مما ينبو استعماله فى مثل ذلك القصيد الوصفى لمعرض جمال حينما ذلك المشهد كفيلٌ بان يُنسى الشاعرَ كلَّ صورة قبيحة ويجعله يتحاشى مثل هـذه الاشارة ، ويخيل الينا أن العقاد لم ينظم هذه القصيدة تحت سلطان ذلك الوحى. كذلك قوله (ص ١٠٧) :

عيـد الشباب فلا كلا م ، ولاملامَ ولاخرفْ

وقوله (ص ١٠٧) :

واذا الجـدولُ ناغَى نفسه فهى أصداؤك من غير كلامْ

وقوله :

والذى أرهبـه وا أسفاً هجرك المدعوُّ بالموت الزؤامْ

وقوله (ص ١٠٨) :

هـذه الروعـة هـل تجمعها فى مَدى يوم لحوم وعظامْ ؟

وقوله (ص ١٢٩) :

عـينُ ياعـينُ لانظرْ ؟ هاهنا ؟ هاهنا الخطرْ !

وقوله (ص ١٧٢) :

كلنا صائرٌ كما صرتَ يوما والذى قد صنعتَ ليس بفانِ

فان هذه التعابير الضعيفة الركيكه لاتليق بشعر العقاد .

وكذلك نرى العقاد أحياناً شديد التركيز فى أسلوبه حتى يكاد لايبين عن مراميه كما هو ملحوظ فى قصيدته « فلسفة حياة » (ص ١٧) ونلمح فى بعض قصائده خواطر سابقة كما فى قصيدة ضلال الخلود (ص٣٥) فهى تذكرنا بقصيدة الشاعر البابلى لعبد الرحمن شكرى .

وبعد ، فنهنىء صاحب الديوان والشعر العصرى بهذا الأثر الجديد الذى نضمه الى ذخائر أدبياتنا ، ونقول إن ثروتنا الشعرية تتألف من فرائد شتى عالية وأن شعر العقاد من بين نماذجها المختارة لانه فى مجمله يمثل لوناً مستقلا من الشعر الفلسفى الذى لن نستغنى عنه . ولما كانت هذه المجلة و« جمعية أبولو » لاتدينان بعبادة الافراد وانما يعنيهما تمجيد المثُل العليا والكشف عن نواحى الجمال الفنى فى الشعر العربى قديمه وحديثه ؛ فلذلك يسرنا التنويه بهذا الديوان الجديد للعقاد على هذا الاعتبار وحده ، راجين أن يتناوله حضرات النقاد بهذا الروح الخالص من شائبة التحامل المعتاد على كل رجل جهير ، فان هذا التحامل المزدول وذلك التأليه الاعمى سيان فى نظر الناقد الفنى الغيور على خدمة الادب وحده .

***

شـــوقى

شاعريته ومميزاتها

بقلم أنطون الجميّل بك ، ٩٥ صفحة ، بحجم ١٣¾سم × ١٩¼ سم . الثمن ٥٠ مليماً . مطبعة المعارف بشارع الفجالة بالقاهرة .

يكاد ينقسم نقاد الأدب والشعر خاصة فى العالم العربى (ونسميهم نقاداً من باب التجوز) الى فريقين : فريق يجنح الى التأليه والتقديس ، وآخر ينزع الى التحامل البغيض ، وكلاهما بعيد فى محاولاته عن الأصول الفنية . وقد أشار الى الفريق الاخير الكاتب المعروف كامل كيلانى سكرتير « رابطة الأدب الجديد » فى محاضرته التمهيدية عن موازين النقد الأدبى . وأما الفريق المعتدل المنصف الذى يفقه النقد

وتطبيقه فهو ضعيف الحول يكاد لا يُشعَر بوجوده وإن كان المستقبل له . وفى سبيل اعلاء كلمة الانصاف الأدبى كان مجهودنا فى نشر هذه المجلة وفى نشر صحيفة « الامام » ، ومثال بارز لذلك إصدار العدد الخاص بذكرى المرحوم شوقى بك فى ديسمبر الماضى .

ولا نعدّ الكتاب الطريف الذى أصدره الجميّل بك جامعاً لبحوثه عن شوقى من هذه الضروب النقدية ، وانما نعده لوناً من الدفاع البارع ومن تصوير الجمال أو تخيله أحياناً . وهل ثمة أجمل من البحث عن الجمال أو تصوره وعرضه على الألباب بصورة فنية خلابة كما فعل الجميّل بك ؟ ولعل أصلح عنوان لكتابه أن يُدعى «حسنات شوقى » فقد كان بارعاً فى استخلاص كل جميل رائع من مئات الابيات التى تزدحم بها دواوين المرحوم شوقى بك وفى اظهارها بأبدع صورة وتحبيبها الى نفوسنا أيّما تحبيب ، وكأنما الجميّل بك كان ناظراً فى مرآة نفسه الصافية لا باحثاً منقباً فى نفسية غيره بما لها وما عليها ، وهذا التنقيب وحده هو النقد فاذا انعدمت الموازنة والفحص والاستقصاء تبع ذلك انعدام النقد الصحيح .

وخلاصة رأي الجميّل بك فى شوقى من الوجهة الفنية « انه لم يشد الى قيثارة الشعر وتراً جديداً ، ولكنه استخرج من الأوتار التى ضرب عليها غيره من الشعراء أنغاماً مستجدة عذبة المستمع : وكثيراً ما أصبح القديم جديداً بفضل ما أكسبه من جمال اللفظ والتركيب وروعة المعنى الذى ظهر بمظهر التجديد » .

ولعل أغلبية الادباء تعزز هذا الرأى الناضج وتشكر معنا للجميّل بك جهده الطيب ، ولا يسعنا الا أن نحثّ جمهرة الادباء وطلبة المعاهد الدراسية بصفة خاصة على اقتناء هذا الكتاب الممتع .

***

صديقى رينان

قصة اجتماعية مصوّرة تأليف حسين شوقى مؤلف « رواية ابن الأحمر» و « رسائل فى الحضارة المصرية القديمة » ، ٦٢ صفحة بحجم ١١½سم × ١٥½ سم .
على ورق فنّى سميك . مطبعة مصر بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً .

كلُّ مقدِّرٍ لأدب شوقى لا بد وأن يغتبط بقراءة هذا الكتاب الطريف الممتع لانه من قلم نجله الاديب الشاعر الفاضل حسين شوقى الذى ورث عن والده

مواهبه الادبيــة وإن كان جميع أولاد المرحوم شوقى بك قد تكملوا بجمال الذوق واللطف الذى اشتهر به والدهم العظيم . وقد اشتركت أيضاً فى هذه الوراثة الآنسة المهذبة خديجة العلايلى حفيدة الفقيد الكريم ولها شعر وسيم باللغة الفرنسية وصور فنية قيمة .



حسين شوقى

قرأنا هــذا الكتاب فوجدنا هذه الصفات متجلية فيه : (١) عرض قصــة الحبّ الاول والوفاء له فى أسلوب رشيق جذاب مؤثر ، (٢) إتحاف القارىء بمشاهد حية من المجتمعات الاوربية الليلية لطبقات مختلفة ، (٣) دراسات نفسية متنوعة صبغتها ريشةٌ مثقفةٌ دقيقةٌ ، (٤) طرف أدبية وتاريخية منشورة فى تضاعيف الكتاب .

فهذا الكتاب إذن قصة صغيرة ومذكرات سياحة ومحدِّثٌ أدبى كلها مجتمعة فى تصنيف واحد ومكتوبة بأسلوب شعرى خلاب . وهذا مادعانا الى استعراضه دون غيره من تآليف كاتبــه الفاضل المولع بالتاريخ المصرى القديم وبالحضــارة العربية وبالميثولوجيا عامةً .

قرأنا الكتاب فى نحو ساعة من الزمن وعلقنا على هوامشه ، وكنا نود اقتباس بعض فقراته للدلالة على شاعرية مؤلفه لولا ضيق فراغ المجلة ؛ ولهذا نكتفى بالتنويه به ، وما نشك فى أن أى قارىء مثقف سيستمتع به استمتاعاً . وأما عن لغة الكتاب فسهلة وسليمة ، ولم نعثر به الا على القليل من الاخطاء المطبعية ونحوها كذكر « شيقة » فى معنى « شائقة » و « حماس » بدل « حماسة » و « الحرمان من الشيء »

بدل «حرمانه» و«قليل الغاية به» فى معنى «قليل العناية به»و« العجوز» فى معنى « العتيق » و « مرحاً مصطنعاً » (ص ١١) حينما يريد « مرحاً طبيعياً » الخ .

وهى هفوات لا تنقص من قدر الكتاب وليست مما تسلم منه المطبوعات فى مصر برغم كل عناية مبذولة . ومن رأينا أن المؤلف كان يستطيع أن يستغنى عن الجملة الاخيرة فى الصفحة الختامية لانها مما يضعف الاثر الدرامى المقصود اليه بهذه الخاتمة الحزينة .

فنهنىء المؤلف الأديب بذوقه الادبى وبشاعريته الرشيقة ونتطلع بمحبة وسرور الى آثاره المقبلة ، ولعلنا نظفر بينها بطرف من شعره الفنى المنظوم .

الرســـــالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون لصاحبها ورئيس تحريرها احمد حسن الزيات ، ويشترك فى تحريرها الدكتورطه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، صفحات العدد ٤٢ ، بحجم ٢٣ سم . × ٢٩ سم .
ثمن العدد عشرة مليمات .

لانحتاج لاى تمهيد فى التنويه بهذه المجلة القيمة التى يجدر بمصر الناهضة أن تستكثر من طرازها بين صحفها الاسبوعية ، فان من العيب الفاضح أن يضيع الادب الجدى الناضج وأن يسخر الصحفيون من عقول الشباب . ومهما قلنا فى نقد البيئة المصرية فلا مشاحة فى أن الشعب المصرى مطواع للمرشد الحصيف الامين ، فجدير برجال الصحافة المصرية أن يستغلوا هذا الميل الطيب فيه وأن يغذوه بنفائس الادب الحى . فاذا شكرنا لناشري هذه المجلة المهذبة المفيدة مجهودهم فانما نعبر عن عقيدتنا ونمتدح ماندين به بل مايدين به كل أديب مصلح فى هذا البلد المسكين . ومما يزيدنا غبطة أن الشعر الجيد لم يحرم جانباً من هذه المجلة النفيسة التى نتمنى لها الحياة المتواصلة والنجاح الاكيد .

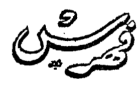
النهضة الحضرمية

مجلة أدبية اصلاحية مصوّرة ، تصدر فى أول كل شهر عربى ، لمحررها السيدطه بن ابى بكر بن طه السقّاف . تصدر فى ٣٦ صفحة بحجم ٢٣ سم . × ٣٠ سم . بدل اشتراكها السنوى ١٢½ شلناً ، وعنوانها رقم ٨ – ١٠٩ بسنغافورة .

عُرِفَ الحضارمُ بتأثّرهم بالأدب المصرىّ العصرى بصفةٍ خاصةٍ كما عُرفوا بعطفهم على العالم العربى الذى عَدّوا أنفسَهم شطراً منه ، ولهم صحف معروفة تبادلها جرائدُنا مطبوعاتها ، ولكن لم تُعرفْ لهم حتى الآن مجلة أدبية ممتازة . لذلك لايسعنا الاّ الترحيب بهذه المجلة التى ظهرت فى أول يناير الماضى لاظهار الأدب الحضرمى نثراً ونظماً . وقد تضمن العدد الأول تأبيناً للمرحوم شوقى بك ومقطوعات من شعراء حضرموت خليقة بالعناية والدرس .

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٤٥	١٧	الودّ	الورد
٥٥٣	٢٣	الآكام	الآطام
٦١٢	٩	يرب	دروب
٦١٦	٧	الطغاة	للطغاة
٦١٩	٧	ودولة	دولة
٦٢٣	١١	مقالة	مقاله
٦٣٧	١٧	المشَيِ	المشَيِ .
٦٤٤	١٣	غَنِّى	غرنّ
٦٤٤	١٧	أوتاركَ	أوتاركْ
٦٤٦	٣	يدَ	يدُ
٦٥٤	٩	يُحَيِّي	يحييا
٦٧٧	١٥	مُفينٍ	مفتنٍ
٦٨٧	١٩		تنقل كلمة « وما » الى الشطر التانى


فهرس

